

# مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

( صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م )

العدد السبعون



[www.alwasl.ac.ae](http://www.alwasl.ac.ae)



[awuj@alwasl.ac.ae](mailto:awuj@alwasl.ac.ae)



ذو القعدة / يونيو  
1446 هـ / 2025 م











## مَجَلَّةُ جَامِعَةِ الْوَصْلِ

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد السبعون

ذو القعدة ١٤٤٦ هـ - يونيو ٢٠٢٥ م

المشرف العام

أ. د. محمد أحمد عبدالرحمن

مدير الجامعة

رئيس التحرير

أ. د. زياد علي دايع الفهداوي

نائب رئيس التحرير

أ. د. خالد الطاهر

أمين التحرير

د. المزمّل الشريف حامد

ردمّد: ٢٧٩١-٢٩٣٠

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

البريد الإلكتروني: [awuj@alwasl.ac.ae](mailto:awuj@alwasl.ac.ae)

## أعضاء هيئة التحرير

أ. د. جودة مبروك - مصر

أ. د. حسن عواد السريحي - السعودية

أ. د. سعيد يقطين - المغرب

أ. د. عماد حمدي - الإمارات

أ. د. فائزة القاسم - فرنسا

أ. د. مصطفى لهلال - بريطانيا

د. أحمد بشارات - الإمارات

د. لطيفة الحمادي - الإمارات

لجنة الترجمة: د. ريم اليوسف،

أ. مجدولين الحمد، أ. ريم المشاري،

أ. سامي الحذيفي

## الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

أ. د. صالح بلعيد

رئيس المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر

أ. د. قطب الريسوني

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. بن عيسى بظاهر

جامعة الشارقة - دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. صالح بن محمد صالح الفوزان

جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

أ. د. جميلة حيدة

جامعة وجدة - المملكة المغربية



## جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» - الاسم السابق - إلى: جامعة الوصل.

**وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:**

**المرحلة الأولى:**

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦-١٩٨٧ م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتعهدا بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصّة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

♦ رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسّدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧ هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٧/١٩٨٦ م.

♦ وبتاريخ ٢/٤/١٤١٤ هـ الموافق ١٨/٩/١٩٩٣ م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣ م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

**١- برامج البكالوريوس:**

♦ صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.

♦ ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧ م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.

♦ أعتد برنامج بكالوريوس علوم المكتبات والمعلومات عام ٢٠٢٠.

♦ احتفلت بتخريج الرعيّل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢ هـ الموافق ٢٦/١٢/١٩٩٢ م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.

♦ واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩/١٠/١٤١٣ هـ الموافق ٢١/٤/١٩٩٣ م.

♦ تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦/١٤٠٧ هـ الموافق - ١٩٨٦/١٩٨٧ م حتى صدور هذا العدد (١٣٦٩٩)؛ منهم (١٠٩٧٨) طالبة و (٢٧٢١) طالباً.

**برامج الدراسات العليا:**

♦ أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥/١٩٩٦ م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وشرع في برنامج الدكتوراه بدءاً من العام ٢٠٠٤/٢٠٠٥ م.

♦ اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧/٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبي الأدب والنقد واللغة والنحو.

♦ وفي ٢٤/٢/٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف.

**أعيد اعتماد برامج الماجستير والدكتوراه؛ فصارت الجامعة تمنح:**

♦ درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية.

♦ درجة الماجستير في الدراسات اللغوية.

♦ درجة الماجستير في الفقه وأصوله.

♦ درجة دكتوراه الفلسفة في الفقه وأصوله.

♦ درجة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.

♦ درجة دكتوراه الفلسفة في الدراسات اللسانية.

♦ بلغ المجموع الكلي للخريجين والخريجات في الدراسات العليا إلي تاريخ صدور العدد، (٣٩٦) طالباً؛ منهم (٢٦٣) خريجاً

بشهادة الماجستير و (١٣٣) خريجاً بشهادة الدكتوراه.

المرحلة الثانية: تطورت من (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُستجدات في:

الرؤية:

تطمح جامعة الوصل إلى أن تكون لبرامجها وقدراتها البحثية الصدارة إقليمياً ودولياً.

الرسالة:

تقدم برامج غير ربحية ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا؛ لتأهيل كوادر متخصصة لسوق العمل المحلي والإقليمي، وتعزيز القدرات البحثية وتطوير التفكير الإبداعي، وتنمية الشراكة المجتمعية في بيئة جامعية تنسجم بالأصالة والحداثة والابتكار.

مجلس الأمناء:

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كليات الجامعة: تشمل الجامعة الآتية:

- ◆ كلية الدراسات الإسلامية.
- ◆ كلية الآداب.
- ◆ كلية الإدارة.

نظام الدراسة:

- ◆ مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعها: العلمي والأدبي أو ما يعادلها.
- ◆ تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي الساعات المعتمدة.
- ◆ يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقررة.
- ◆ نظام الدراسة في الدراسات العليا: مدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما.

البحث العلمي والمشاركة: يهتم البحث العلمي بعدد من المحاور منها:

- ١- المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًا منها:
  - ◆ ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت نذوتها الثانية عشرة في ٢٠٢٥.
  - ◆ المؤتمر الدولي للغة العربية، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثالث في ٢٠٢٤.
  - ◆ المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثاني في ٢٠٢٤.
  - ◆ المؤتمر الدولي للدراسات العليا والبحث العلمي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثالث في ٢٠٢٣ م.
  - ◆ المؤتمر الدولي لعلوم المكتبات والمعلومات، ويقام كل سنتين، وعقد المؤتمر الأول في ٢٠٢٥.
  - ◆ المؤتمر الدولي للسانيات، يعقد كل عامين، ويعقد المؤتمر الثالث في مايو ٢٠٢٥.
  - ◆ المؤتمر الدولي للسرديات، يعقد كل عامين، عقد المؤتمر الثاني في ٢٠٢٤.
- ٢- المجلات المحكمة: تصدر جامعة الوصل ثلاث مجلات علمية محكمة، وهي:
  - ◆ مجلة جامعة الوصل، تصدر مرتين كل عام.
  - ◆ مجلة فكر ومعرفة، تصدر عن كلية الآداب مرة في العام.
  - ◆ مجلة الموئل، تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية، مرة في العام.
- ٣- الكتاب العلمي: تصدر الجامعة الكتاب العلمي، وله فرعان:
  - ◆ الأول: الكتاب العلمي (مراجع دراسي)، وصدر منه ٣٥ كتاباً.
  - ◆ الثاني: الكتاب العلمي (غير المخصص لأغراض دراسية).
- ٤- مشروع طباعة الرسائل الجامعية، تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجاناً.
- ٥- المكتبة الإلكترونية، مفتوحة الوصول (open access) على موقع الجامعة.

## قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي / اشتراكنا في مجلة جامعة الوصل لمدة (.....).

سنة، ابتداء من:.....

– الاسم الكامل:.....

– العنوان:.....

– الهاتف:.....

– البريد الإلكتروني:.....

– قيمة الاشتراك:.....

## رسوم الاشتراك

قيمة الاشتراك			نوع الاشتراك		مصدر الاشتراك
الطلبة	الأفراد	المؤسسات	الكمية	الفترة	
٥٠ درهم إماراتي	٨٠ درهم إماراتي	١٠٠ درهم إماراتي	٢	سنة واحدة	داخل دولة الإمارات العربية المتحدة
١٠٠ درهم إماراتي	١٥٠ درهم إماراتي	٢٠٠ درهم إماراتي	٤	سنتان	
٣٠ دولار أمريكي	٤٠ دولار أمريكي	٥٠ دولار أمريكي	٢	سنة واحدة	خارج دولة الإمارات العربية المتحدة
٦٠ دولار أمريكي	٨٠ دولار أمريكي	١٠٠ دولار أمريكي	٤	سنتان	

## طريقة الدفع:

– داخل دولة الإمارات العربية المتحدة: نقدًا (مكتب المجلة بالحرم الجامعي)، أو حوالة مصرفية.

– خارج دولة الإمارات العربية المتحدة: تحويل مصرفي.

– البيانات: جامعة الوصل.

بنك دبي الإسلامي – دبي

رقم الآيبان: AE030240001520816487801

يُرسَل وصل الإيداع على العنوان العادي: (رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل  
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة. هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٧)  
أو العنوان الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae

## قواعد النشر

أولاً:

تنشر المجلة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريراً أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانياً:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.
٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:
٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.
٤. تقبل البحوث التي تكون جزءاً من رسالة جامعية لم تناقش بعد.
٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.
٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.
٧. يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.
٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجه وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

◆ يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آلياً توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا: (١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.

◆ تذكر بيوغرافيا (معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من... إلى...)).

◆ إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكتفى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).

◆ يشار إلى الشروح والملحوظات في متن البحث بنجمة (هكذا: ×) أو أكثر.

◆ تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغوياً، ولا تقبل المجلة بحوثاً غير مدققة لغوياً.

### ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.
٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.
٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجالات المحكمة، أو قد تكون جزءاً من كتاب محكم.
٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤) (٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .
٥. المحافظة على النص الأصيل وتفاذي الاختزال ما لم يُشر إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.
٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتناسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.
٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.
٨. تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

### رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.
٢. البحوث المرسلّة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.
٤. يحق للمجلة - عند الضرورة - إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.
٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونياً، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.
٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

## خامساً: رسوم النشر:

◆ إسهاماً من مجلة جامعة الوصل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.

◆ ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل

ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٧ - فاكس ٠٠٩٧١٤٣٩٦٤٣٨٨

أو البريد الإلكتروني: [awuj@alwasl.ac.ae](mailto:awuj@alwasl.ac.ae)



- الافتتاحية
- رئيس التحرير..... ٢٠-١٩
- البحثُ العلميُّ والابتكارُ في العلومِ الإنسانيَّةِ
- المشرف العام..... ٢٢-٢١
- البحوث..... ٢٣
- أثرُ جائحةِ كورونا في المعاملاتِ الماليَّةِ - دراسةٌ فقهيةٌ مُقارنةٌ مع قانون المعاملاتِ المدنيَّةِ الإماراتيِّ (عقدُ الإجارةِ أنموذجاً)
- د. يوسف أحمد عمر ..... ٦٨-٢٥
- إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان
- د. عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود ..... ١٠٢-٦٩
- التأسيسُ الشرعيُّ لاسْتِخْدَامِ تقنياتِ الذكاء الاصطناعيِّ
- رؤية إسلاميةٍ مُعاصرةٍ
- د. لمياء محمد عبد الفتاح جاد ..... ١٣٤-١٠٣
- تَخْيِيلُ المطيِّيةِ؛ إبدالاتُها ودورها في رحلة الشاعر العربيِّ القديم
- من ناقدة طرفة إلى خمرة أبي نواس
- د. محمد المزطوري ..... ١٧٢-١٣٥
- التفسير في خطب كبار العلماء في المملكة العربية السعودية السعدي،
- وابن عثيمين، والفضوزان أنموذجاً
- د. حمدان بن لافي بن جابر العنزي ..... ٢٠٨-١٧٣

- دراسة تفسيرية تحليلية للآيات المشتملة على قوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ) د. سامية بنت عطية الله المعدي ..... ٢٨٦-٢٠٩
- سؤال المَقُولَة في المعجم العربي تصور في ضوء اللسانيات الإدراكية د. عبدالرحمن حسن البارقي ..... ٣١٢-٢٨٧
- صناعة الترسُّل عند القاضي الفاضل (٥٢٦-٥٩٦هـ) دراسة في الأسلوب د. سعد عبدالله مقداد ..... ٣٥٠-٣١٣
- المَكُونُ العَرُوضِيّ في التحليل البلاغيّ للشعر د. حسن الطويل ..... ٣٧٦-٣٥١
- موقف بعض القوانين العربية من التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية دراسة تطبيقية فقهية د. خالد بن صالح بن حمود اللحيدان ..... ٤٣٦-٣٧٧

## الإفتاحية

أ.د. زياد علي دايع الفهداوي

رئيس التحرير



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين، وبعد،

يسرُّ هيئةُ تحرير مجلة جامعة الوصل أن تقدِّمَ للباحثين والمهتمين بالشأن الأكاديمي والبحث العلميَّ العددَ السابعين، الذي يضمُّ مجموعةً من البحوث المتميِّزة في مجالات معرفية مختلفة منها ما يتبع الدراسات الإسلامية واللغة العربية وآدابها.

وهي مجلةٌ علميةٌ محكمةٌ تعتمدُ آليةً تحكيم دقيقةً وسريّة، تهدفُ إلى دعم الدراسات متعددة التخصصات في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وتهدفُ إلى أن تكون مميّزة، لتصبح منبراً علمياً رائداً بيئةً تنافسية عالمية، لتكون منصةً فكرية للباحثين من أنحاء العالم كافة، وتصدر المجلة عددين في السنة بنسخة ورقية وإلكترونية وتقبل الأوراق البحثية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، وتعمل هيئة تحرير المجلة على المحافظة على معايير الجودة والأصالة للأبحاث التي تنشرها، كما يُعد استمرار صدور المجلة العلمية المحكمة لأكثر من ثلاثة عقود مؤشراً على نجاحها وتأثيرها في المجتمع الأكاديمي.

**ويتضمنُ هذا العددُ عشرةَ بحوثٍ رصينةٍ في العلوم الإنسانية المختلفة كما يأتي:**

**البحث الأول:** أثرُ جائحة كورونا في المعاملات الماليّة دراسةً فقهيةً مُقارنة مع قانون المعاملات المدنيّة الإماراتي (عقدُ الإجارة نموذجاً)، وتهدف الدراسة إلى إيجاد الحلول للحد من النزاعات الإيجارية، والتي كانت نتيجة الإجراءات الاحترازية المفروضة للحد من انتشار وباء كورونا، تبين حكم إلغاء عقود الإجارة عند تعذر استيفاء المنفعة، بيان حكم الاستغناء عن الموظفين بسبب إغلاق الأنشطة بيان حكم رحلات الطيران الملقاة بسبب جائحة كورونا المستجد.

**البحث الثاني:** إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان، إبراز إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان المتعلقة بالاستخلاف على هذه البسيطة وما ترتب على هذا الاستخلاف من معاداة الأقوام لأنبيائهم، وتهدف الدراسة إلى إبراز الإشارات المتعلقة ببعض القضايا المالية والعقوبات الشرعية، إبراز الإشارات المتعلقة بالولاء والبراء والجهاد في سبيل الله تعالى.

**البحث الثالث:** التأميلُ الشرعيُّ لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ رؤيةً إسلاميةً معاصرة، بيان مفهوم الذكاء الاصطناعيّ وخصائصه، وتهدف الدراسة إلى بيان التأميل الشرعيّ لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ، وبيان الضوابط الشرعيّة والمعايير الأخلاقيّة لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ، وأهم الشواهد العصرية لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ في خدمة الإنسانية.

**البحث الرابع:** تَخْيِيلُ المِطْيَةِ؛ إِبْدَالُهَا وَدَوْرُهَا فِي رِحْلَةِ الشَّاعِرِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ مِنْ نَاقَةِ طَرَفَةٍ إِلَى خَمْرَةِ أَبِي نَوَاسٍ. وَيَسْعَى مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ إِلَى بَيَانِ أَهْمِيَةِ المِطْيَةِ وَمَرْكَزِيَّتِهَا فِي الشَّعْرِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ، وَأَشْكَالِ تَحْوِيلِهَا مِنْ تَجْرِبَةٍ شَعْرِيَّةٍ إِلَى أُخْرَى مِنْ خِلَالِ تَتَبُّعِ مَسَارِ هَذِهِ الفِكْرَةِ وَتَجَلِّيَاتِهَا وَهَيْئَاتِ تَمَثِيلِهَا فِي الشَّعْرِ العَرَبِيِّ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ إِلَى العَصْرِ العَبَّاسِيِّ، وَكَيْفِ حَافِظِ الشُّعْرَاءِ عَلَى حُضُورِهَا فِكْرَةَ رِغْمِ تَغْيِيرِ صُورِ تَمَثِيلِهَا. كَمَا يَسْعَى البَحْثُ إِلَى بَيَانِ مَعَالِمِ بَنِيَانِ المِطْيَةِ وَصُورِهَا وَعِنَاصِرِهَا، وَخَطَطِ الخُطَابِ الَّتِي تَرِدُ وَفَقْهَا فِي القِصَائِدِ بِاخْتِلَافِ الأَزْمَنَةِ وَأَجْيَالِ الشُّعْرَاءِ.

**البحث الخامس:** التفسير في خطب كبار العلماء في المملكة العربية السعودية السعدي، وابن عثيمين، والفوزان أنموذجاً، وتهدف الدراسة التعرف على مجالات التفسير التي عرض لها كبار العلماء في خطب الجمعة، والتعرف على طريقة كبار العلماء في التفسير في خطب الجمعة.

**البحث السادس:** دراسة تفسيرية تحليلية للآيات المشتملة على قوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ)، وتهدف الدراسة إلى جمع الآيات المشتملة على قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ) أو (فَمَنْ أَظْلَمُ)، ودراستها دراسة تفسيرية، والعلم بمن استحق أن يوصف في كتاب الله تعالى بأنه الأظلم، والكشف عن عظيم جرمهم، والوقوف على ما حوته الآيات القرآنية من فوائد، ودفع ما يتوهم من تعارض بين هذه الآيات.

**البحث السابع:** سؤال المَقُولَةِ فِي المَعْجَمِ العَرَبِيِّ تَصُورٌ فِي ضَوْءِ اللِّسَانِيَّاتِ الإِدْرَاكِيَّةِ، وتهدف هذه الدراسة إلى الإسهام في صناعة المعجم العربي منطلقاً من معطيات اللسانيات الإدراكية.

**البحث الثامن:** صناعة الترسُّل عند القاضي الفاضل (٥٢٦-٥٩٦هـ) دراسة في الأسلوب، وتهدف الدراسة إلى تسلُّط الضوء على الدور القيادي والإداري، الذي قام به القاضي الفاضل من خلال عمله في ديوان الإنشاء؛ فقد ساعد في رفع معنويات الجيوش، وإعدادهم إعداداً معنوياً للقاء العدو، ولأهمية الأحداث التي مرّت بها الأمة آنذاك كانت رسائل القاضي الفاضل خير راصد لها، ليحقق من خلال إبداعه الأدبي غرضه من هذه الرسائل في التأثير والقبول لدى الآخرين. لذا تنوعت أساليب الفاضل اللغوية بما يحقق الهدف المقصود. واستند البحث إلى مصدرين أصيلين من رسائل الفاضل ليكونا مادة أولية تتبّب الدراسة فيهما، كي تصل إلى مرادها، وتحقق غايتها. وبلوغاً لمراد البحث فقد اتكأ الباحث على منهج وصفي تحليلي ينطلق من الاستقراء لمادّة الرسائل والنظر في مضمونها مروراً بتحليلها أسلوبياً، وانتهاء بالخلوص إلى عدد من النتائج.

**البحث التاسع:** المكوّن العروضيّ في التحليل البلاغيّ للشعر، يهدف هذا المقال إلى إدماج المكوّن العروضيّ ضمن التحليل الرامي إلى تلمُّس بلاغة النص الشعريّ الكليّة، فكما يتناول هذا التحليل مكوّنات الشعر بمختلف أنواعها.

**البحث العاشر:** موقف بعض القوانين العربيّة من التعديلات في عقود المقاولات الإنشائيّ، دراسة تطبيقيّة فقهية.

وتتقدّم المجلة بأزكى آيات الشكر والتقدير للسادة الباحثين الذين أثروا المجلة ببحوثهم، وللسادة العلماء الذين حكّموا ودقّقوا بحوث العدد، ووجهوها توجيهاً سديداً يتلاءم مع المكانة العلمية لجامعة الوصل بوصفها واحدة من أقدم روافد العلم في دولة الإمارات العربية المتحدة.

## البحث العلمي والابتكار في العلوم الإنسانية بقلم: الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن

تحتفي دولة الإمارات العربية المتحدة في الحادي والعشرين من إبريل باليوم العالمي للابتكار والإبداع الذي أقرته الأمم المتحدة؛ وقد تولت الدولة عبر سنوات إعداد أجيال جديدة من المبتكرين والمبدعين في مختلف المجالات، مطلقة عددًا كبيرًا من المبادرات لتحقيق أهدافها الإستراتيجية في هذا الشأن من خلال عددٍ من مؤسسات الدولة العلمية والثقافية.

وبينما يظنُّ كثيرون أنَّ الابتكارَ والإبداعَ مقتصرٌ على الصناعات والتكنولوجيا والعلوم التطبيقية، وأنَّ مظانه في المصانع والمختبرات العلمية، والطبية، وشركات التقنية، والذكاء الاصطناعي، وغيرها، يظلُّ أمرُ الابتكار في مجالات العلوم الإنسانية غائبًا في أذهانهم، وعلاقته بالبحث العلمي غير واضحة المعالم في أغلب الأحيان.

إنَّ العلاقة بين البحث العلمي والابتكار علاقة تكاملية وتفاعلية، فالبحث العلمي هدفه الأسمى اكتشاف المعرفة وإنتاجها وتفسير الظواهر المختلفة عن طريق مناهج علمية دقيقة، وتقديم الأسس المعرفية لأهم التحديات التي تواجه البشرية، وهذه الأسس المعرفية هي التي تشكلُ أساسَ بناء الابتكارات، وتطوير الحلول الجديدة. وأما الابتكارُ فإنه عملية تحويل هذه الأفكار التي أنتجها البحث العلمي إلى طرق جديدة لها قيمة سوقية أو لها دورٌ في مواجهة التحديات القائمة.

وبهذا المعنى فإنَّ الابتكارَ يعملُ على إخراج البحث من المراكز البحثية في الجامعات والمؤسسات العلمية إلى العالم الواقعي عبر تبنيه الأفكار المُستحدثة والجديدة؛ وبذلك يحفزُ الابتكارُ البحثَ العلميَّ ويعملُ على عدم ركونه إلى الفكر التقليدي؛ لنصل إلى الهدف الأسمى من تشجيع كليهما وهو تحسينُ جودة الحياة وتحقيق الاستدامة البيئية، والإسهام في التقدم المجتمعي الذي يؤدي إلى تعزيز الاقتصادات الوطنية.

وإذا أردنا أن نستجلي هذه العلاقة التكاملية والتفاعلية بين البحث العلمي والابتكار في العلوم الإنسانية، فإننا سنلاحظ أنَّ البحثَ العلميَّ يدعمُ الابتكارَ الإبداعَ، وإنَّ اختلفت الطرق وتباعدت المشارب عن العلوم التطبيقية؛ لأنَّه في هذه العلوم لا يركز على اختراع أجهزة أو أدوات أو برامج أو تطبيقات، وإنما همه فهم الإنسان فهمًا أعمق والحفاظ على الهوية الثقافية والمجتمعية؛ وهذا من شأنه أن يغذي الابتكار والإبداع؛ لإيجاد حلول جديدة للتحديات المعاصرة التي تواجه المجتمع على المستوى الثقافي والاجتماعي، مثل ابتكار السياسات التعليمية والاجتماعية، وابتكار المحتويات الثقافية والفنية، وابتكار طرق تواصل أكثر تأثيرًا في المتلقي؛ كتلك التي نلمحها في حملات الصحة النفسية المبنية على البحث في علم النفس الاجتماعي، وتطوير آليات جديدة لبناء التناعم والتفاهم بين الثقافات عن طريق علوم الفلسفة والأنثروبولوجيا، كما يساعدُ البحثُ في العلوم الإنسانية في فهم احتياجات مختلف الفئات في المجتمع؛ وبناءً عليه يمكن ابتكار خدمات وتصميمها أو منتجات تراعي الخصوصية الثقافية والاختلافات النفسية لفئات المجتمع.

ويمكننا أيضًا أن نلمح تلك العلاقة الوثيقة بين اللغة والابتكار؛ فالابتكار يبدأ من الفكرة، والفكرة تتشكّل وتبلور من خلال اللغة، والبحث العلمي في علم اللغة يمكن أن يُستخدم في تطوير الترجمة الآلية، والمساعداات الصوتية، والبحوث التي تهدف إلى تطوير برامج الذكاء الاصطناعي، والتطبيقات التي تعكس خصوصية المجتمع؛ مما يساعد في نقل المعارف والابتكارات بين الشعوب، ويعزز الابتكار المشترك بين الباحثين من دول مختلفة.

والبحث العلمي يساعد أيضًا في دراسة ظواهر اجتماعية، مثل: التحولات الثقافية، والعادات المجتمعية، والقيم، وهويات الشعوب، وقد تؤدي هذه البحوث إلى ابتكار حلول جديدة للتحديات الاجتماعية مثل مسائل الاندماج الثقافي والاحتفاظ بالهوية.

وفي مجال التاريخ يمكن أن يسهم البحث العلمي في ابتكار طرق جديدة للتفاعل مع الماضي، مثل: توظيف التقنيات الحديثة في إعادة بناء المواقع التاريخية؛ مما يوفر تجارب تعليمية متميزة.

والبحث الفلسفي يسهم في تطوير التفكير النقدي وتحفيز الإبداع والابتكار الفكري، مثل البحوث حول الأخلاقيات الحاكمة للذكاء الاصطناعي التي يمكن أن تؤدي إلى ابتكار منظومة قانونية تضمن الاستخدام الآمن والأخلاقي لبرامج الذكاء الاصطناعي والأجهزة الذكية.

ومن ناحية أخرى قد يتمكن تراكم الابتكارات من دعم البحث العلمي؛ وتوجيهه إلى مناطق جديدة وغير تقليدية، عن طريق التكنولوجيا الحديثة والابتكارات الجديدة؛ مما يؤدي إلى توسيع حدود المعرفة، والتمكن من إنتاجها في عالمنا العربي، مثل العمل على تطوير تقنيات جديدة وتحسينها لجمع البيانات وتحليلها، مثل التي نراها في برامج الذكاء الاصطناعي القائمة على البيانات الكبيرة (Big Data)؛ فيؤدي ذلك إلى تسريع الوصول إلى نتائج أكثر دقة وأعمق تفسيرًا.

كما يسهم الابتكار أيضًا في تحفيز البحوث البيئية؛ مما يعزز التكامل بين التخصصات؛ مثل دمج دراسات علم النفس والدراسات التربوية؛ والدراسات اللغوية؛ مما ينتج أساليب جديدة في التعليم. والتكامل بين دراسات علم النفس والدراسات الإعلامية قد يؤدي إلى فهم كيفية تأثير تقنيات التواصل الحديثة في التواصل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد؛ مما ينتج ابتكارات لبرامج تعليمية تساعد في توطيد أواصر العلاقات في المجتمعات الرقمية.

لقد ظهر لنا جليًا تلك العلاقة التفاعلية والتكاملية بين البحث العلمي والابتكار من خلال الأمثلة التي ذكرناها، وهنا يأتي دور الجامعة في تحفيز البحث العلمي، وتشجيع الابتكار من خلال تفعيل فرق بحثية تتواصل مع مؤسسات المجتمع الفاعلة لتنفيذ الابتكارات والإبداعات التي تعود بالنفع على المجتمع، وتحقق غايات البحث العلمي.

# البحوث



أثرُ جائحةِ كورونا في المعاملاتِ الماليّةِ  
دراسةُ فقهيةٌ مُقارِنةٌ مع قانون المعاملاتِ  
المدنيّةِ الإماراتيِّ (عقدُ الإجارةِ أنموذجًا)

**Impact of Covid-19 Pandemic on Financial  
Transactions - A comparative jurisprudence study  
with UAE Civil Law (Service Contract As A case)**

د. يوسف أحمد عمر

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية - أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة

**Dr. Yousif Ahmed Omar Badabyan**

Mohammed Bin Zayed University for Humanities, Abu Dhabi, UAE

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.01>

تاريخ تسلّم البحث 2022/06/14 - وصدر خطاب القبول 2022/10/25





## Abstract

The advent of Covid-19 pandemic and the associated precautionary measures taken by governments across the globe have negatively impacted the global economic activity. Various areas were affected such as shops, real estates, travel, employment, and service businesses among many. The common thread among all the aforementioned areas is the service contract. In this study, I shed the light on legal rulings pertaining to service contracts within the context of Covid-19 pandemic. Through a comparative jurisprudence study with the UAE Civil Law.

I discuss the implications of the pandemic on these contracts. Furthermore, I present solutions to address conflicts arising in these contracts as consequences of the enforced precautionary measures. I discuss the legal rulings of voiding rental contracts due to the inability to fulfil the pursued benefit. Furthermore, I discuss the legal ruling associated with employees' layoff due to closure of businesses and the legal ruling of cancelled flights due to the travel restrictions.

**Keywords:** Pandemic - Covid-19 - Contractual Conflicts - Services - Financial Transactions - Benefit.

## ملخص البحث

انتشر فيروس كورونا انتشاراً كبيراً، مما جعل منظمة الصحة العالمية تعلن أنه جائحة عالمية، وأيقن العالم خطورة هذه الجائحة مما جعلها تتخذ كثيراً من الإجراءات الاحترازية لمكافحة هذا الوباء.

وأثرت هذه الجائحة في الاقتصاد العالمي، ومن ذلك عقد الإجارة، فكثر النزاعات الإيجارية، وأغلقت المطارات وألغيت الرحلات، وتم الاستغناء عن بعض الموظفين، بسبب الإغلاق الكلي أو الجزئي للأنشطة التي كانوا يعملون فيها.

فجاء هذا البحث ليتحدث عن أحكام عقود الإجارة المتأثرة بجائحة كورونا، ومقارنة التكييف الفقهية لهذه العقود بقانون المعاملات المدنية الإماراتي، ومن ثم إيجاد الحلول للحد من النزاعات الإيجارية والتي كانت نتيجة الإجراءات الاحترازية المفروضة للحد من انتشار وباء كورونا، وبينت حكم إلغاء عقود الإجارة عند تعذر استيفاء المنفعة، وكذلك حكم الاستغناء عن الموظفين بسبب إغلاق الأنشطة، وحكم رحلات الطيران الملغاة بسبب جائحة كورونا.

وسميّت بحثي: أثر جائحة كورونا في المعاملات المالية - دراسة فقهية مقارنة مع قانون المعاملات المدنية الإماراتي - (عقد الإجارة أتمودجاً) - وذكرت في الخاتمة أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: جائحة - كورونا - النزاعات - الإجارة - المعاملات المالية - المنفعة.



## مقدمة

ظهر في جمهورية الصين الشعبية وفي مدينة ووهان بالتحديد، فيروس كورونا المستجد الموسوم ب (كوفيد-١٩)، وكان ظهوره أواخر عام (٢٠١٩م)، و«تعد فيروسات كورونا فصيلة كبيرة من الفيروسات التي تسبب اعتلالات متنوعة بين الزكام وأمراض أكثر وخامة، مثل: متلازمة الشرق الأوسط التنفس، (MERS-CoV) ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (سارس)، (-SARS CoV) ويُمثّل فيروس كورونا المستجد (NCoV) سلالة جديدة لم يسبق تحديدها لدى البشر من قبل»<sup>(١)</sup>.

وانتشر فيروس كورونا انتشارًا كبيرًا وفقدت السيطرة عليه، مما جعل منظمة الصحة العالمية تعلن في تاريخ: ١١ مارس عام ٢٠٢٠م<sup>(٢)</sup>، بأنه جائحة عالمية، حيث قال أدهانوم في المؤتمر الصحفي الذي يعقده يوميًا بشأن فيروس كورونا المستجد: «لم نر من قبل جائحة يُشعل شرارتها فيروس كورونا، كما لم نشهد جائحة لا يمكن السيطرة عليها»<sup>(٣)</sup>.

وأيّض العالم خطورة هذه الجائحة مما جعلها تتخذ كثيرًا من الإجراءات الاحترازية لمكافحة هذا الوباء، فتسببت هذه الإجراءات في مشكلات ونزاعات إيجارية.

وإسهامًا مني في المشاركة في إيجاد الحل لمشكلات النزاعات الإيجارية جاء هذا البحث.

١- موقع منظمة الصحة العالمية: <http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/about-covid-19.html>

٢- مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الندوة الفقهية الطبية الثانية، فيروس كورونا المستجد، كوفيد-١٩، في: ٢٠٢٠/٤/١٦م.

٣- مقال في جريدة الخليج بعنوان: «كورونا المستجد «جائحة عالمية» بتاريخ: ١٢ مارس ٢٠٢٠م.

وقسمت بحثي إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أثرت هذه الجائحة في الاقتصاد العالمي، ولما كان لعقد الإجارة مكانة كبيرة، وأهمية عالية بين العقود<sup>(١)</sup>، والحاجة داعية إليها<sup>(٢)</sup>، كان انتشاره أكثر من غيره من العقود، وكان من الطبيعي أن يتأثر بجائحة كورونا أكثر من غيره.

فما حكم إنهاء العقد قبل انتهاء مدته؟ بسبب التخلف عن دفع الأجرة، وعدم التمكن من استيفاء المنفعة.

ثانياً: إشكالية البحث:

١- كثرت النزاعات الإيجارية نتيجة الإجراءات الاحترازية المفروضة للحد من انتشار وباء كورونا.

٢- إلغاء عقود الإجارة بسبب إغلاق بعض الأنشطة، وإلغاء عقود المواصلات لتحول التعليم عن بد، وإغلاق المطارات وإلغاء الرحلات، بسبب الإجراءات الاحترازية.

٣- الاستغناء عن بعض الموظفين، بسبب الإغلاق الكلي أو الجزئي للأنشطة التي كانوا يعملون فيها.

أهداف البحث:

١- إيجاد الحلول للحد من النزاعات الإيجارية والتي كانت نتيجة الإجراءات الاحترازية المفروضة للحد من انتشار وباء كورونا.

١- حامد ميرة، عقود التمويل المستجدة في المصارف الإسلامية، دار الميمان، الرياض، سنة: ٢٠١١م (ص ٢٣٣).

٢- أبو سليمان، عبد الوهاب، عقد الإجارة مصدر من مصادر التمويل الإسلامية، ورقة بحثية مقدمة إلى المعهد الإسلامي للبحوث والتعليم، ١٩٩٢، (ص ١٢).

- ٢- تبيين حكم إلغاء عقود الإجارة عند تعذر استيفاء المنفعة.
- ٣- بيان حكم الاستغناء عن الموظفين بسبب إغلاق الأنشطة.
- ٤- بيان حكم رحلات الطيران الملغاة بسبب جائحة كورونا المستجد.

### ثالثاً: الدراسات السابقة:

لقد شحذت هذه الجائحة أفكار الباحثين، فسلوا أقلامهم، وكتبوا، وبنوا، وحققوا، ودققوا، وكان نتاج ذلك رسائل، وأبحاث علمية، ومجلات محكمة، وندوات، ومؤتمرات، وإسهاماً مني رأيت أن أجمع الأفكار وأن أنسق الأزهار لتسحر الأنظار ببحث جديد مفيد، أجمع فيه بين الفقه وقانون المعاملات المدنية الإماراتي، تطبيقاً واقعياً.

وأما الرسائل التي تحدثت الموضوع من الجانب الفقهي فهي:

١- أحكام الجوائح في الفقه الإسلامي، لعادل المطيرات، وهي عبارة عن: رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، سنة: ١٤٢٢هـ.

٢- أثر العذر والجائحة في عقدي البيع والإجارة وما يقابلهما في القانون المدني، لنزار عويضات، وهو عبارة عن بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير في الفقه والتشريع بكلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية في نابلس، سنة: ٢٠٠٣م.

٣- أثر الإجراءات الاحترازية في عقد الإجارة بسبب انتشار وباء كورونا: دراسة فقهية، وهو بحث محكم منشور في المجلة الفقهية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، إعداد: د. عبد الله بن عبد العزيز بن سعود التميمي، العدد الحادي والخمسون سنة: ٢٠٢٠م.

#### رابعاً: منهج البحث:

لقد تنوع منهجي في البحث بين المنهج الاستقرائي، بجمع أقوال الفقهاء وترتيبها وتهذيبها، وعزوها لمصادرها حسب الطريقة المعتمدة في البحث العلمي، وبين المنهج المقارن، بمقارنة الأقوال مع بعضها البعض، ومع قانون المعاملات المدنية الإماراتي.

#### خامساً: تقسيمات البحث:

- انتظم البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وبيانها كما يلي:
- المقدمة: أهمية الموضوع وأهداف البحث، ومنهجه، وتقسيماته.
- المبحث الأول: أثر الجوائح في عقد الإجارة في الفقه الإسلامي.
- المطلب الأول: تعريف الجائحة وأقسامها.
- المطلب الثاني: أحكام عقد الإجارة في الفقه الإسلامي.
- المطلب الثالث: أقسام عقد الإجارة في الفقه الإسلامي.
- المبحث الثاني: أحكام عقود الإجارة المتأثرة بجائحة كورونا.
- المطلب الأول: أحكام عقود إجارة المحلات التجارية المتأثرة بجائحة كورونا.
- المطلب الثاني: أحكام عقد الإجارة مع السائق الخاص وشركات المواصلات المتأثرة بجائحة كورونا.
- المطلب الثالث: حكم رحلات الطيران الملغاة بسبب جائحة كورونا.
- الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

وأسأل الله أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه، وأن ينفع به، وأسأله جلت قدرته أن يرفع عنا الوباء وأن يشفي المصابين بهذا الداء يا مجيب الدعاء.  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المبحث الأول: أثر الجوائح في عقد الإجارة في الفقه الإسلامي

سنتحدث

### المطلب الأول: تعريف الجائحة وأقسامها

الجوائح هي: كل شيء لا يستطيع دفعه، ولا تضمينه إذا أتلّف أو أنقص العوض قبل تمام قبضه<sup>(١)</sup>، قال ابن أبي عاصم الغرناطي<sup>(٢)</sup>:

وكل ما لا يستطيع الدفع له جائحة مثل الرياح المرسلة

ولقد قسّم الفقهاء الجائحة إلى قسمين<sup>(٣)</sup>، وهي:

**القسم الأول:** جائحة لا دخل لآدمي فيها، وتسمى سماوية، أي لا علاقة للبشر بها، كالآفات والأوبئة وغيرها من الكوارث الطبيعية، قال ابن أبي عاصم الغرناطي<sup>(٤)</sup>:

وكل ما لا يستطيع الدفع له جائحة مثل الرياح المرسلة

**القسم الثاني:** جائحة من قبل الآدمي، كالحروب وماتسببه من دمار وخراب

١- الإمام مالك، المدونة الكبرى (رواية سحنون)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤ (٣/ ٥٨١)، والباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، المنتقى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ (١/ ٢٣٣)، والرصاص، أبو عبد الله محمد، شرح حدود ابن عرفة، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، ١٩٩٢ (ص ٤٠١)، والثنيان، سليمان بن إبراهيم، الجوائح وأحكامها، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٢، (ص ٢٨).

٢- ميارة، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي، الإيقان والإحكام في شرح تحفة الحكام، دار المعرفة (٣٠٢/ ١).

٣- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، سنة: ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ، (٤٢/ ١٥)، ومحمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، الناشر: دار الفضيحة (١/ ٥١٥)، وابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، بداية المجتهد، دار الحديث - القاهرة، سنة: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م (٢/ ١٥٠)، هزري عبد الرحمن، أثر العذر والجوائح على الالتزامات العقدية في الفقه الإسلامي مقارنة بنظرية الظروف الطارئة في القانون المدني الجزائري، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، سنة: ٢٠٠٥-٢٠٠٦، (ص ٥٢).

٤- ميارة، الإيقان والإحكام في شرح تحفة الحكام (٣٠٢/ ١).

في الممتلكات، وكذلك أمر السلطان بإغلاق المحلات<sup>(١)</sup>، قال ابن أبي عاصم الغرناطي<sup>(٢)</sup>:

والجيش معدود من الجوائح كفتنة وكالعدو الكاشح

المطلب الثاني: أحكام عقد الإجارة في الفقه الإسلامي

أولاً: تعريف الإجارة

الناظر إلى كلام الفقهاء في تعريفهم للإجارة يجد أنهم عرفوها بألفاظ مختلفة، إلا أنها متقاربة من حيث المعنى وهو: تملك المنافع المعلومة بعوض معلوم<sup>(٣)</sup>، وقرر ذلك قانون المعاملات المدنية الإماراتي فقال في المادة ٧٤٢: (الإيجار تملك المؤجر للمستأجر منفعة مقصودة من الشيء المؤجر لمدة معينة لقاء أجر معلوم)، جاء في المذكرة الإيضاحية لقانون المعاملات المدنية الإماراتي مانصه «هذه المادة تضمنت تعريف الإيجار بأنه تملك منفعة مقصودة من الشيء المؤجر وبينت أن هذا التملك لمدة معينة لقاء أجر معلوم»<sup>(٤)</sup>.

- ١- ابن الحاجب جمال الدين بن عمر، جامع الأمهات، دار اليمامة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، سنة: ٢٠٠٠، (ص ٤٣٨)، وابن شاس جلال الدين، عقد الجواهر الثمينة في فقه عالم المدينة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، سنة: ٢٠٠٣، (٣ / ٩٤٠).
- ٢- ميارة، الإيقان والإحكام في شرح تحفة الحكام (١ / ٣٠٢).
- ٣- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، فتح القدير، دار الفكر (٩ / ٥٨)، والسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، دار المعرفة - بيروت (١٥ / ٧٤)، والقرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، القرافي، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، سنة: ١٩٩٤ م (٥ / ٣٧١)، والدردير، أحمد، الشرح الصغير علي أقرب المسالك إلى مذهب الامام مالك، مطبوع مع بلغة السالك لأقرب المسالك، ضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٥هـ (٤ / ٥)، والشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي، الأم، دار المعرفة - بيروت، سنة: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م (٣ / ٢٥٠)، والمقدسي، موفق الدين ابن قدامة، المغني، دار عالم الكتب، ط ٦، سنة: ٢٠٠٧ م (٨ / ٧)، ونزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار القلم - دمشق، سنة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م (ص ٢٠).
- ٤- المذكرة الإيضاحية لقانون المعاملات المدنية الإماراتي، دائرة القضاء، الطبعة الأولى، سنة: ٢٠١٤ م (١ / ١٣١).

## ثانياً: مشروعية عقد الإجارة

عقد الإجارة مشروع عند عامة العلماء، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، والقياس<sup>(١)</sup>.

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾<sup>(٢)</sup>، قال القرطبي: «في الآية دليل على صحة جواز الإجارة، وهي سنة الأنبياء والأولياء»<sup>(٣)</sup>.

الدليل الثاني: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (استأجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر رجلاً من بني الدليل هادياً خريئاً<sup>(٤)</sup>)، وهو على دين كفار قريش، فدفعاً إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما)<sup>(٥)</sup>.

الدليل الثالث: الإجماع، نقل غير واحد من العلماء الإجماع على جواز الإجارة<sup>(٦)</sup>.

الدليل الرابع: القياس، إن عقد الإجارة يُقاس على عقد البيع في جوازه، حيث أن البيع عقد على الأعيان، والإجارة عقد على المنافع، والحاجة إلى المنافع كالحاجة إلى الأعيان، فلما جاز العقد على الأعيان وجب أن تجوز الإجارة على

١- ابن قدامة، المغني (٨ / ٥-٦).

٢- الكهف: ٧٧.

٣- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط ٢، سنة: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١١ / ٣٢).

٤- الخريت: الرجل الدليل الماهر بالدلالة، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (٢ / ١٧٥)، مادة (خرت).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإجارة، باب: استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام وعامل النبي صلى الله عليه وسلم يهود خيبر، رقم (٢٢٦٣).

٦- الكاساني، علاء الدين الحنفي، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، ط ٢، سنة: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م (٤ / ١٧٣)، والشافعي، الأم (٥ / ٤٤)، والقاضي عبد الوهاب، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، المعونة، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة (٢ / ٧٨٩)، وابن رشد، بداية المجتهد (٢ / ٢٢٠)، وابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإجماع، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط ١، سنة: ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م (ص ١٠١)، وابن قدامة، المغني (٨ / ٦).

المنافع<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: لزوم عقد الإجارة

عقد الإجارة عقد لازم عند جمهور العلماء<sup>(٢)</sup>، فلا يملك أحد المتعاقدين الانفراد بفسخ العقد إلا لمقتضى تنفسخ به العقود اللازمة، من ظهور العيب، أو ذهاب محل استيفاء المنفعة<sup>(٣)</sup>، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وأشار قانون المعاملات المدنية الإماراتي إلى أن العقد الصحيح عقد لازم ومنه عقد الإجارة، ومن لزوم العقد ألا يجوز لأحد المتعاقدين فسخ العقد أو تعديله أو الرجوع فيه إلا برضى الطرف الآخر، وأعطى الصلاحية للقاضي وللقانون في تعديل العقد أو فسخه، فقال في المادة: ٢٦٧: (إذا كان العقد صحيحاً لازماً فلا يجوز لأحد المتعاقدين الرجوع فيه ولا تعديله ولا فسخه إلا بالتراضي أو التقاضي أو بمقتضى نص في القانون).

١- ابن قدامة، المغني (٦/٨).

٢- الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الحنفي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ط١، سنة: ١٣١٣ هـ (١٤٥/٥)، والإمام مالك، المدونة الكبرى (٤٨٢/٣)، وابن رشد، بداية المجتهد (٢/٢٥١)، وابن قدامة، المغني (٢٣/٨).

٣- قال الحنفية يجوز للمكثري فسخ الإجارة للعدر الطارئ، كحريق أو سرقة، لتعذر استيفاء المنفعة المعقود عليها، قياساً على هلاك العين المستأجرة، وقال المالكية يجوز الفسخ بعدر غصب العين المستأجرة أو أمر ظالم بإغلاق الحوانيت المكتراة أو حملت ظئر أو مرضت. الكاساني، بدائع الصنائع (٤/١٩٨)، والدردير، الشرح الصغير (٤/٥١)، وابن رشد، بداية المجتهد (٢/٢٥١)، والنووي، محيي الدين، منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، المحقق: عوض قاسم أحمد عوض، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م (٣/٨١)، وابن قدامة، المغني (٨/٢٢)، وابن قدامة، المقنع مع الشرح الكبير (١٤/٤٣٤).

٤- المائدة: ١.

جاء في المذكرة الإيضاحية لقانون المعاملات المدنية الإماراتي ما نصه: «هذه المادة تتناول القاعدة العامة وهي أنه لا يجوز لأحد طرفي العقد أن يتقل بالرجوع عن العقد ولا تعديله ولا فسخه إلا برضاء العاقد الآخر أو بمقتضى نص في القانون وهذا إذا كان العقد صحيحاً لازماً ويلاحظ أن العقد يكون لازماً بالنسبة لأحد الطرفين غير لازم بالنسبة إلى الطرف الآخر، كأن يقترن البيع بخيار الشرط لأحد العاقدين دون الآخر أو بخيار الرؤية للمشتري ففي هذه الحالة لا يجوز لمن كان العقد لازماً في حقه أن يفسخ العقد ويجوز ذلك لمن كان العقد غير لازم بالنسبة إليه.

ولا يدخل في نطاق هذا النص العقد الباطل، لأنه معدوم فلا يرد عليه الفسخ أو التعديل أو الرجوع لأن ذلك لا يرد إلا على عقد قائم، ولا العقد الفاسد لأنه واجب الرفع، كما لا يدخل في العقد غير النافذ إذ أنه موقوف على إجازة من له حق في الإجازة فإن اجيز نفذ وإن لم يجز بطل وأما بالنسبة إلى الطرف الآخر فإما أن يكون لازماً أو قابلاً للفسخ على تفصيل سبق في العقد الموقوف»<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: شروط عقد الإجازة

يشترط في عقد الإجازة أن تكون المنفعة معلومة ومقدورة الاستيفاء<sup>(٢)</sup>، حتى يتمكن المستأجر من الانتفاع منها.

وهذا ما أكد عليه قانون المعاملات المدنية الإماراتي، في المادة ٧٤٦ فقال: (يشترط في المنفعة المعقود عليها، أن تكون مقدورة الاستيفاء، وأن تكون معلومة علماً كافياً لحسم النزاع).

١- المذكرة الإيضاحية لقانون المعاملات المدنية الإماراتي (١/ ١٣١).

٢- الكاساني، بدائع الصنائع (٤/ ١٨٧)، والقرافي، القرافي، الذخيرة (٥/ ٤٠٠)، والخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله، شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة - بيروت (٧/ ٢١-٢٢)، والشرييني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشرييني الشافعي، مغني المحتاج، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م (٢/ ٣٣٦)، وابن قدامة، المغني (٨/ ١٣٤).

المطلب الثالث: أقسام عقد الإجارة في الفقه الإسلامي

القسم الأول: الإجارة من حيث نوع المحل المعقود عليه.

اتفق الفقهاء<sup>(١)</sup> على تقسيم الإجارة من حيث نوع المحل المعقود عليه، الذي تستوفى منه المنفعة إلى نوعين:

النوع الأول: الإجارة التي تقع على المنافع.

المعقود عليه في هذا النوع هو المنفعة، كإجارة البيوت والمحلات التجارية، حيث يتم دفع هذه الأعيان لمن يستخدمها لقاء عوض معلوم.

النوع الثاني: الإجارة التي تقع على الأعمال.

المعقود عليه في هذا النوع من الإجارة هو العمل، وهو ما يبذله الأجير من جهد لأداء عمل معلوم لقاء أجر معلوم.

والشخص المستأجر في مثل هذه العقود يسمى أجيرًا، وينقسم الأجير في هذا النوع من الإجارة إلى نوعين<sup>(٢)</sup>:

أولاً: الأجير الخاص: وهو من قدر نفعه بالزمن، وسمي بالأجير الخاص لاختصاص المستأجر بمنفعته في مدة الإجارة، فلا يجوز له العمل لغير مستأجره<sup>(٣)</sup>، ويمكننا أن نمثل له بالسائق الخاص.

- ١- المرغيناني، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني، الهداية شرح البداية، دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان. (٣ / ٢٤٦)، وابن رشد، بداية المجتهد (٢ / ٢٣٢)، وابن قدامة، المغني (٨ / ١١).
- ٢- الكاساني، بدائع الصنائع (٤ / ١٨٩) والمرغيناني، الهداية (٣ / ٢٤٥) والدردير، الشرح الكبير على مختصر خليل، دار الفكر - بيروت (٤ / ٨١)، وقلوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، حاشية على شرح المحلي على المنهاج، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م (٣ / ٨١) وابن قدامة، المغني (٨ / ١٠٣ - ١٠٦)، والموسوعة الفقهية الكويتية (١ / ٢٨٨).
- ٣- المرغيناني، الهداية (٣ / ٢٤٤)، وابن قدامة، المغني (٨ / ١٠٣).

ثانياً: الأجير المشترك: وهو من قدر نفعه بالعمل، ومنفعته تكون لأكثر من شخص، حيث إنه يتقبل أعمالاً لجماعة، فلا يجوز لمن استأجره أن يمنعه عن العمل غيره، ولا يستحق الأجرة حتى يعمل المعقود عليه<sup>(١)</sup>، ويمكننا أن نمثل له بمؤسسة الإمارات للمواصلات، فهي تقدم منفعة وخدمة لجهات كثيرة فمثلاً توصل طلاب المدارس وطلاب مراكز تحفيظ القرآن الكريم وغيرها.

### المبحث الثاني: أحكام عقود الإجارة المتأثرة بجائحة كورونا

لقد كان لانتشار وباء كورونا المستجد الأثر فيما اتخذته الدول من إجراءات احترازية لمواجهة هذه الجائحة، ومن هذه الإجراءات الاحترازية إغلاق بعض الأنشطة التجارية، والاقتصار على الضروريات كالمواد الغذائية والدواء، وكذلك حظر التجول وقت التعقيم الوطني، وتحويل التعليم إلى التعليم عن بعد، وغيرها الكثير والكثير، والله المستعان.

فأثرت هذه الإجراءات في عقود الإجارة تأثيراً متفاوتاً، فمنه اليسير ومنه الكثير، فأغلقت بعض المحلات التجارية كالنوادي الصحية، وتم الاستغناء عن وسائل نقل الطلاب للمدارس ولمراكز تحفيظ القرآن، وغير ذلك، فما حكم عقود الإجارة المتأثرة بهذه الجائحة؟ هذا ما سنناقشه في المطالب الثلاثة.

#### المطلب الأول: أحكام عقود إجارة المحلات التجارية المتأثرة بجائحة كورونا

لقد تأثرت عقود إجارة المحلات التجارية تأثيراً متفاوتاً، وعليه يمكننا تقسيم هذا التأثير إلى ثلاثة أقسام<sup>(٢)</sup>:

##### الحال الأول: أن تتأثر عقود إجارة المحلات التجارية تأثيراً يسيراً، كما هو

١- الكاساني، بدائع الصنائع (٤/ ٢١٠) المرغيناني، الهداية (٣/ ٢٤٤)، والدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤/ ٢٣) والشربيني، مغني المحتاج (٢/ ٣٥١) ابن قدامة، المغني (٨/ ١٠٦).

٢- ابن شاس جلال الدين، عقد الجواهر الثمينة في فقه عالم المدينة (٣/ ٩٤٠).

الحال في الجمعيات التعاونية ومحلات بيع المواد الغذائية، فقد قل عدد الزبائن بمنع كبار السن والصغار من دخول الأسواق، وهذا التأثير اليسير لا ينفسخ به العقد<sup>(١)</sup>.

وهذا ما قرره قانون المعاملات المدنية الإماراتي، في المادة ٧٦٥ فقال: (أن مقدار النقص أو الزيادة إذا كان يسيراً ولا أثر له في المنفعة المقصودة فلا خيار للمستأجر).

الحال الثانية: وهي ما تسمى بنظرية الظروف الطارئة، أي أن تتأثر عقود إجارة المحلات التجارية تأثراً كبيراً، ولكن لا تنعدم المنفعة، كإغلاق صالات المطاعم، وتحول النشاط إلى التوصيل إلى المنازل، وكان لهذا الإغلاق أثر في إنقاص المنفعة ولكنها لم تنعدم، وفي هذه الحالة يتدخل القضاء ويعدل في العقد من أجل إزالة الضرر الواقع على أحد طرفي عقد الإجارة، وإن أمكن الانتفاع ببعض المدة، حُطَّ من الأجرة بقسطها<sup>(٢)</sup>، يقول ابن جزى: «ومن اشترى ثمراً فأصابته جائحة فإنه يوضع عنه من الثمن مقدار ما أصابته الجائحة»<sup>(٣)</sup>.

ولقد جاء في المادة ٢٤٩ من قانون المعاملات المدنية الإماراتي ما نصه: (إذا طرأت حوادث استثنائية عامة لم يكن في الوسع توقعها وترتب على حدوثها أن تنفيذ الالتزام التعاقدي وإن لم يصبح مستحيلًا صار مرهقاً للمدين بحيث يهدده بخسارة فادحة جاز للقاضي تبعاً للظروف وبعد الموازنة بين مصلحة الطرفين أن

- ١- العيني، بدر الدين، البناية شرح الهداية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (١٠/٣٤٣)، وابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار (٩/٥٩)، والمقدسي، ابن قدامة عبد الرحمن بن محمد، الشرح الكبير على متن المقنع، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار (١٤/٤٥٤).
- ٢- ابن نجيم، البحر الرائق (٧/٥١٢)، والقرافي، القرافي، الذخيرة (٥/٥٣٨)، وروضة الطالبين، النووي (٥/٢٤٢)، وأبو القاسم عمر بن الحسين الخرقى، مختصر الخرقى من مسائل الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٤٠٣ هـ، (٨/٢٧).
- ٣- ابن جزى، محمد بن أحمد الغرناطي المالكي، القوانين الفقهية، تحقيق ومراجعة: عبد الرحمن حسن محمود، الناشر: عالم الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ. (ص ٢٨٥).

يرد الالتزام المرهق إلى الحد المعقول إن اقتضت العدالة ذلك ويقع باطلاً كل اتفاق على خلاف ذلك).

وذلك لأن الأجرة تستحق على قدر المنفعة، وأنها تنقص إذا حصل من المؤجر ما ينقص المنفعة، وهذا ما ذكره قانون المعاملات المدنية الإماراتي في المادة ٧٧١ فقال: (إذا ترتب على التعرض حرمان المستأجر من الانتفاع بالشيء المؤجر طبقاً للعقد جاز له أن يطلب الفسخ أو إنقاص الأجرة)، وقال في المادة ٧٨٠: (لا يجوز للمستأجر أن يمنع المؤجر من القيام بالأعمال الضرورية لصيانة الشيء المؤجر، وإذا ترتب على هذه الأعمال ما يخل بانتفاع المستأجر كان له الحق في فسخ العقد ما لم يستمر في استيفاء المنفعة حتى انتهاء أعمال الصيانة).

الحال الثالثة: وهي ما تسمى بنظرية القوة القاهرة، وهي أن تنعدم المنفعة في عقود إجارة المحلات التجارية، بما لا يمكن استمرار النشاط بأي طريقة بديلة، كالمحلات التي أغلقت تماماً كالصالات الرياضية وغيرها التي طبيعة نشاطها يكون في المكان المستأجر فقط، ففي هذه الحال للمستأجر فسخ عقد الإجارة لأنه أصبح عقداً غير لازم وهو قول الجمهور<sup>(١)</sup>.

قال الدردير المالكي: «وفسخت - الإجارة - بأمر السلطان، أي: من له سلطنة وقهر، بإغلاق الحوانيت بحيث لا يتمكن مستأجرها من الانتفاع بها»<sup>(٢)</sup>.

١ - البابرتي، جمال الدين الرومي، العناية شرح الهداية، الناشر: دار الفكر (٧٠ / ٩)، والزبيدي، محمد الحدادي العبادي اليمني الحنفي، الجوهرة النيرة، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ (١ / ٣٢١)، والإمام مالك، المدونة الكبرى (٣ / ٥١٦)، الدردير، الشرح الكبير (٤ / ٣١)، والعمراني، أبو الحسين يحيى اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، البيان في مذهب الإمام الشافعي، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (٧ / ٣٦٤)، وابن قدامة، المغني (٨ / ٣١).

٢ - الدردير، الشرح الكبير (٤ / ٣١).

قال الدسوقي في حاشيته معلقاً: «ثم اعلم أن محل فسخ الإجارة..... إذا شاء المستأجر، وإن شاء بقي على إجارته... فمعنى الفسخ في هذه المسائل: أنها معرضة للفسخ، لا أنها تفسخ بالفعل»<sup>(١)</sup>.

وقال البهوتي في شرح المنتهى: «وحدوث خوف عام يمنع الانتفاع بمؤجرة كغصب، فللمستأجر الخيار»<sup>(٢)</sup>.

أما فسخ العقد في الظروف القاهرة فبين قانون المعاملات المدنية الإماراتي في المادة ٢٧٣:

١- في العقود الملزمة للجانبين إذا طرأت قوة القاهرة تجعل تنفيذ الالتزام مستحيلاً انقضى معه الالتزام المقابل له وانفسخ العقد من تلقاء نفسه.

٢- وإذا كانت الاستحالة جزئية انقضى ما يقابل الجزء المستحيل وينطبق هذا الحكم على الاستحالة الوقتية في العقود المستمرة وفي هاتين الحالتين يجوز للدائن فسخ العقد بشرط علم المدين.

وأما سقوط الأجرة فقد بينه قانون المعاملات المدنية الإماراتي في المادة ٧٨١:

١- إذا فات الانتفاع بالشيء المؤجر كله سقطت الأجرة عن المستأجر من وقت فوات المنفعة.

٢- فإذا كان فوات المنفعة جزئياً وبصورة تؤثر في استيفاء المنفعة المقصودة كان له فسخ العقد وتسقط الأجرة من تاريخ الفسخ.

٣- فإذا أصلح المؤجر الشيء المؤجر قبل الفسخ سقط عن المستأجر من الأجرة بمقدار ما فات من منفعة ولا خيار له في الفسخ.

١- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤ / ٣١).

٢- البهوتي، شرح منتهى الإرادات (٤ / ٦٠).

ويستدلُّ لذلك بأدلة وهي:

أولاً: أدلة وضع الجوائح ومنها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو بعت من أخيك ثمراً، فأصابته جائحة<sup>(١)</sup>)، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئاً، بم تأخذ مال أخيرك بغير حق؟<sup>(٢)</sup>)، وتقدم أن وباء كورونا المستجد يعتبر جائحة.

ولقد جاء في قانون المعاملات المدنية الإمارات في المادة ٨٠٦: (إذا غلب الماء على الأرض المؤجرة حتى تعذر زرعها أو انقطع الماء عنها واستحال ربيها أو أصبح ذا كلفة باهظة أو حالت قوة قاهرة دون زراعتها فللمستأجر فسخ العقد ولا تجب عليه الأجرة).

وقال في المادة ٨٠٧: (إذا هلك الزرع قبل حصاده بسبب لا يد للمستأجر فيه وجب عليه من الأجرة بقدر ما مضى من المدة قبل هلاك الزرع وسقط عنه الباقي إلا إذا كان في استطاعته أن يزرع مثل الأول فعليه حصة ما بقي من المدة).

ثانياً: أن الأجرة تستحق بتسليم المنفعة، أو بالقدرة على استيفائها<sup>(٣)</sup>)، وأن تعذر استيفاء المنافع هو بمنزلة تلف العين المستأجرة<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما قرره قانون المعاملات المدنية الإماراتي في المادة ٧٤٥ فقال: (المعقود عليه في الإجارة هو المنفعة ويتحقق تسليمها بتسليم محلها)، وقال في المادة ٧٥٠: (تستحق الأجرة باستيفاء المنفعة أو بالقدرة على استيفائها). المادة ٧٥٣: (لا تستحق الأجرة عن مدة انقضت قبل تسليم الشيء المؤجر ما لم يكن المستأجر هو المتسبب).

١- الجائحة: الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (٧٤٥ / ٢).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب وضع الجوائح، رقم (١٥٥٤).

٣- القاضي عبد الوهاب، المعونة (٢ / ١٠٩٣).

٤- القرافي، الذخيرة (٥ / ٥٣٨).

وبما أن المنفعة لا يمكن استيفاءها فإن الأجرة تسقط كاملة إذا كان الفسخ أول العقد، وتسقط أجرة ما تبقى لو كان عقد الإجارة قد بدأ وانتفع المستأجر مدة من الزمن<sup>(١)</sup>.

قال الدردير: «وفسخت الإجارة بتعذر ما يستوفي منه المنفعة... والتعذر أعم من التلف، فيشمل الضياع والمرض والغصب وغلط الحوانيت قهراً وغير ذلك مما يأتي، وإذا فسخت رجع للمحاسبة باعتبار ما حصل من المنفعة وما لم يحصل»<sup>(٢)</sup>.

تنبيه: لا بد من مراعات المواسم، فأجرة المحلات الصيفية ترتفع في وقت الصيف وربما تصل إلى الضعف، فلا بد من مراعات ذلك عند إسقاط الأجرة المتبقية<sup>(٣)</sup>.

ولقد جاء في المادة ٧٨٢ من قانون المعاملات المدنية الإماراتي ما نصه:

- ١- إذا صدر عن السلطات المختصة ما يمنع الانتفاع الكلي بالشيء المؤجر دون سبب من المستأجر تنفسخ الإجارة وتسقط الأجرة من وقت المنع.
- ٢- وإذا كان المنع يخل بنفع بعض الشيء المؤجر بصورة تؤثر في استيفاء المنفعة المقصودة فللمستأجر فسخ العقد وتسقط عنه الأجرة من وقت قيامه بإعلام المؤجر.

١- ابن نجيم، البحر الرائق (٥١٢/٧)، والقرافي، الذخيرة (٥٣٨/٥)، والنووي، روضة الطالبين (٢٤٢/٥)، والخرقي، مختصر الخرقى (٢٧/٨).

٢- الدردير، الشرح الصغير (٤٩/٤).

٣- البرادعي، خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني المالكي، تهذيب المدونة الكبرى (التهذيب في اختصار المدونة)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م (٣/٤٨٧)، وابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ومساعدة ابنه محمد، الناشر: دار عالم الكتب الرياض، سنة ١٤١٢هـ (٣٠/١٨٧، ٢٥٧، ٢٩٨)، والبهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس الحنبلي، كشاف القناع، الناشر: الكتب العلمية، بيروت - لبنان سنة ١٤٠٣هـ (٩/١٢٠).

## المطلب الثاني: أحكام عقد الإجارة مع السائق الخاص وشركات المواصلات المتأثرة بجائحة كورونا

لقد كان من آثار جائحة كورونا أن أصبح التعليم عن بعد، فاستغنت المدارس عن شركات المواصلات وكذا أولياء الأمور الذين جلبوا لأولادهم سائقين خاصين ليوصلوهم إلى المدرسة، فأمسى وجودهم في المنزل لا فائدة منه، فما حكم العقد مع هؤلاء؟

لا بدّ أن نفرق بين السائق الخاص وشركات المواصلات، فالسائق الخاص هو أجير خاص، وأما شركات المواصلات فتدخل تحت أحكام الأجير المشترك.

### أولاً: الفرق بين الأجير الخاص والأجير المشترك

١- الأجير الخاص منفعته مستحقة لمستأجره خلال مدة العقد، والأجير المشترك لا تكون منفعته مستحقة لمستأجر واحد<sup>(١)</sup>.

٢- الأجير الخاص لا يصح أن يعمل لغير مستأجره خلال مدة العقد إلا بإذنه، والأجير المشترك يستقبل العمل لأكثر من مستأجر في وقت واحد<sup>(٢)</sup>.

٣- الأجير الخاص يستحق الأجرة بتسليم نفسه ولو لم يعمل، والأجير المشترك لا يستحق الأجرة حتى يعمل<sup>(٣)</sup>.

١- المرغيناني، الهداية (٦/ ٣١١، ٣١٥)، وابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار (٨٨/ ٩)، والعمري، البيان في مذهب الإمام الشافعي (٧/ ٣٨٥)، والبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م (٤/ ٤٦٧).

٢- الغنيمي، عبد الغني الحنفي، اللباب شرح الكتاب، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت، سنة: ١٤٤٠هـ-١٩٨٠م (٢/ ٩٥)، والزبيدي، الجوهرة النيرة (١/ ٣٢٢-٣٢٣)، والحاوي الكبير، الماوردي (٧/ ٤٢٥)، والبغوي، التهذيب في فقه الإمام الشافعي (٤/ ٤٦٦-٤٦٧).

٣- عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م. (٢/ ١٢٩، ١٣١)، العيني، البناءة (١٠/ ٢٣٩)، والبغوي، التهذيب في فقه الإمام الشافعي (٤/ ٤٦٧).

٤- العقد مع الأجير الخاص قد يكون على منفعة مدة أو على عمله، ومع الأجير المشترك لا يكون إلا عمله<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: حكم العقد مع السائق الخاص

التكييف الفقهي للعقد مع السائق الخاص هو أجير خاص، وأنه يستحق أجرته بتسليم نفسه في مدة العقد، وإن لم يعمل، ولكن لو تضرر الكفيل بوجود السائق الخاص خصوصاً لو كان عنده أكثر من سائق وأصبحت رواتبهم عبئاً عليه وهم لا يقدمون له أي عمل، فقال جمهور أهل العلم<sup>(٢)</sup> بأن السائق الخاص لا يستحق الأجرة عن فترة منعه من العمل، لأنه لم يوجد تسليم النفس ولم يحصل العمل<sup>(٣)</sup>، ولو حصل التسليم للنفس لكنه لا ثمرة له، وكما أن الأجرة لا تثبت عند تعذر استيفاء منفعة العين، فكذا لا تثبت أجرة الأجير الخاص عند تعذر استيفاء منفعته.

وبين قانون المعاملات المدنية الإماراتي حكم فسخ العقد مع الأجير الخاص في المادة ٨٣١ فقال: (إذا عجز المساقى عن العمل أو كان غير مأمون على الثمر جاز لصاحب الشجر أو الزرع فسخ المساقاة وعليه أجر مثل عمل المساقى قبل الفسخ).

١- الموصلي، الاختيار (٢ / ١٣٠).

٢- ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار (٩ / ٥٩): الغنيمي، اللباب (٢ / ٩٤)، واللكنوي، عبد الحي، شرح الهداية (٦ / ٣١٦)، وابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات (٧ / ٤٩). كفاية النبيه، ابن الرفعة (١١ / ٢٢٢)، والبهوتي، كشاف القناع (٩ / ١٢٦)، فقد قال: «وإن تعذر عمل الأجير، فله -أي: المستأجر- الفسخ، لتعذر وصوله إلى حقه».

٣- اللكنوي، عبد الحي، شرح الهداية (٦ / ٣١٦)، وابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، (٧ / ٤٩)، كفاية لنبيه، ابن الرفعة (١١ / ٢٢٢).

### ثالثاً: حكم العقد مع شركات المواصلات

التكييف الفقهي للعقد مع شركات المواصلات لنقل طلاب المدارس هو إجارة مشتركة، وأن الأجير المشترك لا يستحق الأجرة حتى يعمل<sup>(١)</sup>، فإذا أنجز ما جرى العقد عليه استحق أجرته، وإن لم ينجزه فلا أجرة له، وعليه فلا يستحق الأجرة في زمن جائحة كورونا الذي تحول فيه التعليم عن بعد، وتم الاستغناء عن وسائل نقل الطلاب إلى المدارس.

### المطلب الثالث: حكم رحلات الطيران الملغاة بسبب جائحة كورونا

كان الانتشار السريع لفيروس كورونا الأثر في اتخاذ بعض الدول للإجراءات الاحترازية ومنها إغلاق المطارات وإلغاء الرحلات، وذلك للحفاظ على رعاياها والمقيمين على أرضها، فما تكييف عقود رحلات الطيران؟ وما حكم فسخها بسبب جائحة كورونا؟

### أولاً: تكييف عقود رحلات الطيران

تكييف عقود رحلات الطيران هو راجع لعقد الإجارة، وهو يشمل الحمل أو الركوب أوهما معاً<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: حكم فسخ عقد الإجارة بسبب العذر

العذر: هو العجز عن المضي على موجب العقد إلا بتحمل ضرر غير مستحق به<sup>(٣)</sup>. ولا خلاف بين الأمة أن تعطل المنفعة بأمر سماوي يوجب سقوط الأجرة أو

١- العيني، البناية (١٠/٢٣٩)، والقرافي، الذخيرة (٥/٤٤٠)، والدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤/١٣)، والبغوي، التهذيب في فقه الإمام الشافعي (٤/٤٦٧)، والبهوتي، كشف القناع (٩/١٣١).

٢- عقد النقل في الفقه الإسلامي، عمر خالد (ص٣٤).

٣- مجمع الأنهر، شيخي زاده (٢/٣٩٩)، وتكملة فتح القدير، قاضي زاده (٧/٢٢٢)، وتبين الحقائق، الزيلعي (٥/١٤٥).

نقصها أو الفسخ، وإن لم يكن للمستأجر فيه صنعٌ، كموت الدابة وانهدام الدار وانقطاع ماء السماء، فكذلك حدوث الغرق وغيره من الآفات المانعة من كمال الانتفاع بالزرع<sup>(١)</sup>.

أما الأعدار التي لا تنقص المنفعة فلا تفسخ الإجارة بها، وهو قول جمهور الفقهاء<sup>(٢)</sup>، ولكن عند تحقق بعض الأعدار المؤثرة كالعذر الشرعي وحتى الحسي قال به بعضهم إن كان فيه مصلحة عامة، وعليه يجوز الفسخ عند تحقق عذر في أحد المتعاقدين، إن كان المضي في العقد يلحق ضرراً زائداً لم يستحق بالعقد فيثبت له حق الفسخ وفقاً لذلك الضرر<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: حكم رحلات الطيران الملغاة بسبب جائحة كورونا

كان لانتشار وباء كورونا المستجد، الأثر فيما اتخذته الدول من إجراءات احترازية لمواجهة هذه الجائحة، ومن هذه الإجراءات الاحترازية إغلاق المطارات وإلغاء الرحلات، وتكون قد تعاقدت مع شركات وأشخاص لتنقلهم على متنها، ففي هذه الحالة تكون المنفعة غير مقدور عليها، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لذلك يحق للشركة الناقلة فسخ العقد، والغاء الرحلة، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]<sup>(٤)</sup>، وأما الراكب له الخيار

١- مجموع الفتاوى ٣٠/٢٩٣-٢٩٤.

٢- الإمام مالك، المدونة الكبرى (٣/٤٨٢)، والفواكه الدواني، النفراوي (٢/١٦٥-١٦٦)، والتاج والإكليل، المواق (٥/٤٣٢)، والدردير، الشرح الصغير (٤/٥١)، والتكملة الثانية للمجموع، المطيعي (١٥/٧٥)، وقلوبوي وعميرة، حاشية على شرح المحلي على المنهاج (٣/٨٣)، وروضة الطالبين، النووي (٥/٢٤٠)، والشرييني، مغني المحتاج (٢/٢٥٩)، والإقناع، الحجاوي (٢/٣١١)، والمقنع، ابن قدامة (٢/٢١٣)، وابن قدامة، المغني (٨/٢٣).

٣- الكاساني، بدائع الصنائع (٤/١٩٧)، وإجارة الأعيان، فؤاد الكبيسي (ص٤٠٦-٤٠٧).

٤- عايض بن مقبول القرني، الحوادث البحرية والخسارات المشتركة، ط١، مكتبة القانون والاقتصاد - الرياض (ص٢٤٩).

في إمضاء العقد فيصبر وينتظر، أو الفسخ<sup>(١)</sup>، وتسقط الأجرة<sup>(٢)</sup>، قال الدردير: «وفُسخت الإجارة بتعذر ما يستوفي منه المنفعة.. والتعذر أعم من التلف، فيشمل الضياع والمرض والغصب وغلق الحوانيت قهراً وغير ذلك مما يأتي، وإذا فسخت رجع للمحاسبة باعتبار ما حصل من المنفعة وما لم يحصل»<sup>(٣)</sup>.

وبمقارنة الأحكام الفقهية بقانون المعاملات المدنية الإماراتي يتبين أنه يقرر حق فسخ عقود رحلات الطيران بسبب جائحة كورونا، فقد جاء في المادة ٧٨٢ فقال: (إذا صدر عن السلطات المختصة ما يمنع الانتفاع الكلي بالشيء المؤجر دون سبب من المستأجر تنفس الإجارة وتسقط الأجرة من وقت المنع). للمستأجر فسخ العقد إذا استلزم تنفيذه إلحاق ضرر بين بالنفس أو المال أو إذا حدث ما يمنع تنفيذ العقد<sup>(٤)</sup>.

- ١- السرخسي، المبسوط (٤٢ / ١٦)، والتسولي، علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن، عبد في شرح التحفة، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط ١، سنة: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م (١٧٨ / ٢)، وابن قدامة، المغني (٣١ / ٨).
- ٢- ابن نجيم، البحر الرائق (٥١٢ / ٧)، والقرافي، الذخيرة (٥٣٨ / ٥)، والنووي، روضة الطالبين (٢٤٢ / ٥)، والخرقي، مختصر الخرقي (٢٧ / ٨).
- ٣- الدردير، الشرح الصغير (٤٩ / ٤).
- ٤- المذكرة الإيضاحية لقانون المعاملات المدنية الإماراتي (١٥٣ / ٢).

## الخاتمة

بعد ظهور فيروس كورونا المستجد الموسوم ب(كوفيد-١٩)، في أواخر عام (٢٠١٩)، وانتشر حتى أعلن بأنه جائحة عالمية.

وأثرت هذه الجائحة في الاقتصاد العالمي، وخصوصاً على عقد الإجارة، فكثر النزاعات الإيجارية، وأغلقت المطارات وألغيت الرحلات، واستغني عن بعض الموظفين، بسبب الإغلاق الكلي أو الجزئي للأنشطة التي كانوا يعملون فيها.

فتكلمتُ في البحث عن حكم هذه المسائل وتوصلت إلى النتائج الآتية:

- ١- الجائحة اصطلاحاً هي: كل شيء لا يستطيع دفعه، ولا تضمينه إذا أتلّف أو أنقص العوض قبل تمام قبضه.
- ٢- الجائحة قسمان: قسم لا دخل لآدمي فيه، وتسمى الجائحة السماوية، والقسم الثاني هو من فعل الأدمي كالحروب.
- ٣- الإجارة هي تمليك المنافع المعلومة بعوض معلوم، وهي مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع، والقياس.
- ٤- عقد الإجارة عقد لازم عند جمهور العلماء، فلا يملك أحد المتعاقدين الانفراد بفسخ العقد إلا لمقتض تنفسخ به العقود اللازمة.
- ٥- يشترط في عقد الإجارة أن تكون المنفعة معلومة ومقدورة الاستيفاء.
- ٦- الإجارة تقسم من حيث نوع المحل المعقود عليه، الذي تستوفى منه المنفعة إلى إجارة منافع وإجارة أشخاص.
- ٧- أحوال تأثر عقود الإجارة بجائحة كورونا:

- أ- تأثر عقود إجارة المحلات التجارية تأثراً يسيراً، لا ينفسخ به العقد.
- ب- تأثر عقود إجارة المحلات التجارية تأثراً كبيراً، ولكن لا تنعدم المنفعة، وكان لهذا الإغلاق أثر في إنقاص المنفعة ولكنها لم تنعدم، وفي هذه الحالة يتدخل القضاء ويعدل في العقد من أجل إزالة الضرر الواقع على أحد طرفي عقد الإجارة.
- ت- تأثر عقود إجارة المحلات التجارية فننعدم المنفعة في عقود إجارة المحلات التجارية، بما لا يمكن استمرار النشاط بأي طريقة بديلة، ففي هذه الحال للمستأجر فسخ عقد الإجارة لأنه أصبح عقداً غير لازم وهو قول الجمهور.
- ٨- التكييف الفقهي للعقد مع السائق الخاص هو أجير خاص، وأنه يستحق أجرته بتسليم نفسه في مدة العقد، وإن لم يعمل.
- ٩- السائق الخاص لا يستحق الأجرة عن فترة منعه من العمل، لأنه لم يوجد تسليم النفس ولم يحصل العمل، ولو حصل التسليم للنفس لكنه لا ثمرة له، لأن الأجرة لا تثبت عند تعذر استيفاء منفعة العين، فكذا لا تثبت أجرة الأجير الخاص عند تعذر استيفاء منفعته.
- ١٠- التكييف الفقهي للعقد مع شركات المواصلات لنقل طلاب المدارس هو إجارة مشتركة، وأن الأجير المشترك لا يستحق الأجرة حتى يعمل.
- ١١- شركات المواصلات لنقل طلاب المدارس لا يستحق الأجرة في زمن جائحة كورونا الذي تحول فيه التعليم عن بعد، وتم الاستغناء عن وسائل نقل الطلاب إلى المدارس.
- ١٢- تسببت جائحة كورونا بإغلاق المطارات وإلغاء الرحلات، ففي هذه الحالة تكون منفعة النقل غير مقدور عليها، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لذلك

يحق للشركة الناقلة فسخ العقد، أما الراكب له الخيار في إمضاء العقد فيصبر ويتنظر أو الفسخ.

### التوصيات:

- ١- جمع الأحكام الشرعية الطبية المتعلقة بالأوبئة، في موسوعة علمية، حتى تكون مرجعاً في بابها.
- ٢- تكوين مراكز بحثية فقهية قانونية لإصدار القوانين المناسبة للظروف الطارئة.
- ٣- وضع قوانين تنظم سير العمل التجاري وقت الأزمات بدون تأثير للطرفين.
- ٤- التعاون بين الدول في مواجهة الأوبئة، وذلك بتوحيد الأنظمة والإجراءات لمكافحة الأمراض والأوبئة المعدية.
- ٥- تحديد جهة متخصصة في تحديد الغرامات على المخالفين للقرارات الاحترازية من الأمراض والأوبئة المعدية، وجعلها متناسبة مع حجم المخالفة.

## فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية - بيروت، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- البابرتي، جمال الدين الرومي، العناية شرح الهداية، الناشر: دار الفكر.
- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، المنتقى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.
- ابن باطيش، عماد الدين إسماعيل بن أبي البركات أبو المجد، المغني في الإنباء عن غريب المهذب والأسماء، المكتبة التجارية - مكة المكرمة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- البراذعي، خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني المالكي، تهذيب المدونة الكبرى (التهذيب في اختصار المدونة)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم ابن الشيخ، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط ١، سنة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- البعلبي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل أبو عبد الله، المطلع على ألفاظ المقنع، مكتبة السوادي للتوزيع، ط ١، سنة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس الحنبلي، الروض المربع، دار المؤيد - مؤسسة الرسالة.

- البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس الحنبلي، كشاف القناع، الناشر: الكتب العلمية، بيروت - لبنان سنة ١٤٠٣هـ.
- البهوتي، منصور بن يونس، شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي، موسوعة، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، سنة: ١٩٩٦م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ومساعدة ابنه محمد، الناشر: دار عالم الكتب الرياض، سنة ١٤١٢هـ.
- الثنيان، سليمان بن إبراهيم، الجوائح وأحكامها، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٩٩٢م.
- ابن جزري، محمد بن أحمد الغرناطي المالكي، القوانين الفقهية، تحقيق ومراجعة: عبد الرحمن حسن محمود، الناشر: عالم الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ابن الحاجب جمال الدين بن عمر، جامع الأمهات، دار اليمامة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، سنة: ٢٠٠٠م.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، بداية المجتهد، دار الحديث - القاهرة، سنة: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ابن أبي زيد القيرواني عبد الله بن عبد الرحمن، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٩٩٩م.
- ابن شاس جلال الدين، عقد الجواهر الثمينة في فقه عالم المدينة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، سنة: ٢٠٠٣م.
- ابن عابدين، محمد أمين الحنفي، رد المحتار على الدر المختار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، سنة: ١٣٨٧ هـ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر - بيروت، سنة: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعدي العدوي، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، دار الفكر - بيروت، سنة: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- أبو سليمان، عبد الوهاب، عقد الإجارة مصدر من مصادر التمويل الإسلامية، ورقة بحثية مقدمة إلى المعهد الإسلامي للبحوث والتعليم، ١٩٩٢ م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، سنة: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الحرشي، محمد بن عبد الله الحرشي المالكي أبو عبد الله، شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة - بيروت.
- الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الناشر: دار الفكر.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- الرصاع، أبو عبد الله محمد، شرح حدود ابن عرفة، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، ١٩٩٢ م.
- الزبيدي، محمد الحدادي العبادي اليمني الحنفي، الجوهرة النيرة، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢ هـ.
- الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الحنفي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ط ١، سنة: ١٣١٣ هـ.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، دار المعرفة - بيروت، (د.ت).
- سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٨٢ م.

- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبى القرشي، الأم، دار المعرفة - بيروت، سنة: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مغني المحتاج، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الشرح الكبير، أحمد الدردير على مختصر خليل، دار الفكر - بيروت، (د.ت).
- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، المهذب، دار الكتب العلمية.
- الصاوي، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، حاشية الصاوي على الشرح الصغير.
- عبد الله بن محمود بن مودود الموصلبي، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- العمراني، أبو الحسين يحيى اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، البيان في مذهب الإمام الشافعي، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- العيني، بدر الدين، البناية شرح الهداية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الغنيمي، عبد الغني الحنفي، اللباب شرح الكتاب، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، سنة: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.
- فيروس كورونا: لماذا صنفته منظمة الصحة العالمية وباءً عالمياً؟، الموقع على الشبكة العنكبوتية: <https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-51854975>
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي أبو العباس، المصباح المنير، المكتبة العلمية - بيروت.
- القاضي عبد الوهاب، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، المعونة، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة.

- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط١، سنة: ١٩٩٤ م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط٢، سنة: ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م.
- قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، حاشية على شرح المحلي على المنهاج، الناشر: دار الفكر-بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.
- الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، ط٢، سنة: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦ م.
- الكيسسي، إجارة الأعيان في الشريعة والقانون، دار النوادر-دمشق، ط١، سنة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢ م.
- اللكنوي، عبد الحفي، شرح الهداية، المحقق: نعيم أشرف نور محمد، الناشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - باكستان، سنة النشر: ١٤١٧هـ.
- الإمام مالك، المدونة الكبرى (رواية سحنون)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الندوة الفقهية الطبية الثانية، فيروس كورونا المستجد، كوفيد-١٩، في: ١٦ / ٤ / ٢٠٢٠ م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار الناشر: دار الدعوة.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت -مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، سنة: ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م.
- محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي، أسنى المطالب، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، سنة: ١٤١٨هـ -١٩٩٧ م.
- محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبيي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، سنة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

- محمد رواس قلعه جي ومحمد صادق قنبيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨ م.
- محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة.
- المذكرة الإيضاحية لقانون المعاملات المدنية الإماراتي، دائرة القضاء، الطبعة الأولى، سنة: ٢٠١٤ م.
- المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- المرغيناني، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني، أبو الحسن برهان الدين، الهداية شرح البداية، دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي، المغرب في ترتيب المغرب، دار الكتاب العربي.
- مقال في جريدة الخليج بعنوان: لصحة العالمية: «كورونا المستجد «جائحة عالمية» بتاريخ: ١٢ مارس ٢٠٢٠.
- المقدسي، ابن قدامة عبد الرحمن بن محمد، الشرح الكبير على متن المقنع، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار
- المقدسي، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي الحنبلي، ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون، دار البشائر الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، سنة: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- المقدسي، موفق الدين ابن قدامة، المغني، دار عالم الكتب، ط ٦، سنة: ٢٠٠٧ م.
- ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإجماع، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط ١، سنة: ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الأوسط، دار طيبة - الرياض - السعودية، ط ١، سنة: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- منظمة الصحة العالمية، الموقع على الشبكة العنكبوتية: <http://www.emro.who.int/ar/health-topics>
- موقع (ويب طب): <https://www.webteb.com>
- موقع منظمة الصحة العالمية: <http://www.emro.who.int/ar/health-topics/coro-na-virus/about-covid-19.html>
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، الناشر: دار صادر، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ.
- ميارة، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي، دار المعرفة، الإتيقان والإحكام في شرح تحفة الحكام.
- ميرة، حامد، عقود التمويل المستجدة في المصارف الإسلامية، دار الميمان، الرياض، سنة: ٢٠١١م.
- ابن نجيم، سراج الدين عمر بن إبراهيم الحنفي، النهر الفائق شرح كنز الدقائق، دار الكتب العلمية، ط١، سنة: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار القلم - دمشق، سنة: ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى، روضة الطالبين، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، ط٣، سنة: ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- النووي، محيي الدين، منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، المحقق: عوض قاسم أحمد عوض، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، سنة: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- هزرشي عبد الرحمن، أثر العذر والجوائح على الالتزامات العقدية في الفقه الإسلامي مقارنة بنظرية الظروف الطارئة في القانون المدني الجزائري، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، سنة: ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، فتح القدير، دار الفكر، (د.ت).
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، سنة: ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ.

## Index of Sources and References:

- Ibn Abi Zaid al-Qayrawani, Abdullah bin Abd al-Rahman, Anecdotes and additions to what is in al-Mudawwana from other mothers, investigation by: Dr. Abd al-Fattah Muhammad al-Hilu, Publisher: Dar al-Gharb al-Islami, Edition: First 1999 AD.
- Ibn al-Atheer, Majd al-Din Abu al-Saadat al-Mubarak ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim al-Shaibani al-Jazari, The End in Strange Hadith and Athar, Scientific Library - Beirut, year: 1399 AH - 1979 AD.
- Ibn al-Hajib Jamal al-Din Ibn Omar, Jami` al-Ummat, Dar al-Yamamah for printing, publishing and distribution, Beirut, 2nd edition, year: 2000 AD.
- Ibn al-Mundhir, Abu Bakr Muhammad ibn Ibrahim ibn al-Mundhir al-Nisaburi, consensus, Dar al-Muslim for Publishing and Distribution, 1st edition, year: 1425 AH / 2004 AD.
- Ibn Al-Mundhir, Abu Bakr Muhammad Ibn Ibrahim Ibn Al-Mundhir Al-Nisaburi, Al-Awsat, Dar Taiba - Riyadh - Saudi Arabia, 1st edition, year: 1405 AH, 1985 AD.
- Ibn al-Hamam, Kamal al-Din Muhammad ibn Abd al-Wahed al-Siwasi, Fath al-Qadir, Dar al-Fikr.
- Ibn Batish, Imad Al-Din Ismail bin Abi Al-Barakat Abu Al-Majd, the singer in the news on the authority of Ghareeb Al-Muhadhab and Asma, Al-Tijaria Library - Makkah Al-Mukarramah.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad Ibn Abd al-Halim, Majmoo' al-Fatwas, compiled and arranged by Sheikh Abd al-Rahman Ibn Muhammad Ibn Qasim al-Asimi al-Najdi and his son Muhammad's assistance, Publisher: Dar Alam al-Kutub, Riyadh, year 1412 AH.
- Ibn Juzy, Muhammad bin Ahmed Al-Gharnati Al-Maliki, Jurisprudence Laws, Edited and Reviewed by: Abdul Rahman Hassan Mahmoud, Publisher: World of Thought, Cairo, first edition 1405 AH.
- Ibn Rushd, Abu al-Walid Muhammad ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Rushd al-Qurtubi, known as Ibn Rushd the Grandson, The Beginning of the Mujtahid, Dar al-Hadith - Cairo, year: 1425 AH - 2004 AD.
- Ibn Shas Jalal al-Din, The Contract of Precious Jewels in the Jurisprudence of the World of Medina, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1st edition, year: 2003 AD.

- Ibn Abidin, Muhammad Amin Al-Hanafi, Al-Muhtar's Response to Al-Durr Al-Mukhtar, Publisher: Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: Second, 1412 AH - 1992 AD.
- Ibn Abd al-Bar, Abu Omar Youssef ibn Abdullah ibn Muhammad ibn Abd al-Bar ibn Asim al-Nimri al-Qurtubi, preface to the meanings and chains of transmission in al-Muwatta, Ministry of All Endowments and Islamic Affairs - Morocco, year: 1387 AH.
- Ibn Faris, Ahmad bin Faris bin Zakaria al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn, Dictionary of Language Measures, Dar al-Fikr - Beirut, year: 1399 AH - 1979 AD.
- Ibn Najim, Siraj Al-Din Omar Bin Ibrahim Al-Hanafi, Al-Nahr Al-Fa'iq, Explanation of the Treasure of Minutes, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, Year: 1422 AH - 2002 AD.
- Abu Al-Hassan, Ali bin Ahmed bin Makram Al-Saeedi Al-Adawi, Al-Adawi's Commentary on the Sufficiency of the Divine Student, Dar Al-Fikr- Beirut, year: 1414 AH - 1994 AD.
- Abu Suleiman, Abdel Wahhab, The Ijarah Contract is a Source of Islamic Finance, a research paper submitted to the Islamic Institute for Research and Education, 1992 AD.
- Imam Malik, The Great Blog (Sahnoun novel), Religious Culture Library, Cairo, 2004 AD.
- Al-Babarti, Jamal Al-Din Al-Rumi, Care Explanation of Guidance, Publisher: Dar Al-Fikr.
- Al-Baji, Abu Al-Walid Suleiman bin Khalaf, Al-Muntaqa, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 1st edition, 1984 AD.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Al-Ja'fi, Sahih Al-Bukhari = Al-Musnad Al-Sahih Brief of the Matters of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, his Sunnah and his days, Investigator: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Publisher: Dar Tawq Al-Najat (Illustrated by the Sultaniya by adding the numbering numbering Muhammad Fouad Abd The rest), the first edition, 1422 AH.
- Al-Barazi, Khalaf bin Abi Al-Qasim Muhammad, Al-Azdi Al-Qayrawani Al-Maliki, Tahdheeb Al-Mudawwana Al-Kubra (Al-Tahdheeb fi Abbreviating Al-Mudawwana), study and investigation: Dr. Muhammad Al-Amin Ould Muhammad Salim bin Al-Sheikh, Publisher: Research House for Islamic Studies and Heritage Revival, Dubai, Edition: First 1423 AH - 2002 AD.
- Al-Barakti, Muhammad Aameem Al-Ihsan Al-Mujadadi, Fiqh Definitions, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, Year: 1424 AH - 2003 AD.

- Al-Baali, Muhammad bin Abi Al-Fath bin Abi Al-Fadl Abu Abdullah, familiar with the words of Al-Muqni', Al-Sawadi Library for Distribution, 1st edition, year: 1423 AH - 2003 AD.
- Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud bin Muhammad bin Al-Fara' Al-Shafi'i, Al-Tahdheeb in the jurisprudence of Imam Al-Shafi'i, Investigator: Adel Ahmed Abdul-Mawgod, Ali Muhammad Moawad, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Edition: First, 1418 AH - 1997 AD.
- Al-Bahooti, Mansour bin Younis bin Salah Al-Din bin Hassan bin Idris Al-Hanbali, Al-Rawd Al-Murabba', Dar Al-Moayad - Al-Resala Foundation.
- Al-Bahooti, Mansour bin Younis bin Salah Al-Din bin Hassan bin Idris Al-Hanbali, Scouts of the Mask, Publisher: Scientific Books, Beirut - Lebanon in 1403 AH.
- Al-Bahooti, Mansour bin Younis, Sharh Muntaha al-Iradat (The Minutes of Oli al-Nuha for Sharh al-Muntaha known as Sharh Muntaha al-Iradat), Publisher: World of Books, Edition: First, 1414 AH - 1993 AD.
- Al-Tahnawi, Muhammad bin Ali Ibn Al-Qadi Muhammad Hamid bin Muhammad Saber Al-Farouqi Al-Hanafi, Encyclopedia, Scouts Terminology of Arts and Sciences, Library of Lebanon Publishers - Beirut, 1, Year: 1996 AD.
- Al-Thunayan, Suleiman bin Ibrahim, Pandemics and its provisions, Dar Alam Al-Kutub, Riyadh, 1st edition, 1992 AD.
- Al-Jurjani, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif, definitions, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Beirut - Lebanon, 1, year: 1403 AH -1983 AD.
- Al-Kharshi, Muhammad bin Abdullah Al-Kharshi Al-Maliki Abu Abdullah, a brief explanation of Khalil, Dar Al-Fikr for printing - Beirut.
- Al-Desouki, Muhammad bin Ahmed bin Arafa Al-Maliki, Al-Desouki's footnote on the great explanation, publisher: Dar Al-Fikr.
- Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr, Mukhtar Al-Sahah, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 2005 AD.
- Conflict, Abu Abdullah Muhammad, Explanation of the Limits of Ibn Arafa, Fadala Press of Muhammadiyah Morocco, 1992 AD.
- Al-Zubaidi, Muhammad Al-Hadadi Al-Abadi Al-Yamani Al-Hanafi, Al-Jawhara Al-Nayra, Publisher: Al-Khayriyah Press, Edition: First, 1322 AH.
- Al-Zayla'i, Othman bin Ali bin Mihjen Al-Barei, Fakhr Al-Din Al-Hanafi, explaining the facts, explaining the treasure of the minutes, the Great Amiri Press - Bulaq, Cairo, 1st edition, year: 1313 AH (5/145).

- Al-Sarakhsi, Muhammad bin Ahmed bin Abi Sahl Shams Al-Imaam, House of Knowledge - Beirut (15/74).
- Saadi Abu Jeb, The Fiqh Dictionary of Language and Idiom, Dar Al-Fikr, Damascus, 1, 1982 AD.
- Al-Shafei, Abu Abdullah Muhammad bin Idris Al-Muttalib Al-Qurashi, mother, Dar Al-Maarifa - Beirut, year: 1410 AH / 1990 AD.
- Al-Sherbini, Shams Al-Din, Muhammad bin Ahmed Al-Khatib Al-Sherbiny Al-Shafi'i, Mughni Al-Muhtaj, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1, 1415 AH - 1994 AD.
- Al-Sharh Al-Kabeer, Ahmed Al-Dardir Ali Mukhtasar Khalil, Dar Al-Fikr - Beirut.
- Al-Shirazi, Abu Ishaq Ibrahim bin Ali bin Yusuf Al-Shirazi, Al-Muhadhdhab, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Al-Sawy, Abu Al-Abbas Ahmed bin Muhammad Al-Khilouti, known as Al-Sawy Al-Maliki, Al-Sawy's footnote on the small explanation.
- Abdullah bin Mahmoud bin Mawdud Al-Mawsili, The Choice for Explanation of Al-Mukhtar, Al-Halabi Press - Cairo (and its photo by Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, and others), publication date: 1356 AH - 1937 AD.
- Al-Omrani, Abu Al-Hussein Yahya Al-Yamani Al-Shafi'i (died: 558 AH), The Statement in the Doctrine of Imam Al-Shafi'i, Investigator: Qasim Muhammad Al-Nouri, Publisher: Dar Al-Minhaj - Jeddah, Edition: First, 1421 AH - 2000 AD.
- Al-Aini, Badr Al-Din, The Building, Sharh Al-Hedaya, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Lebanon, Edition: First, 1420 AH - 2000 AD.
- Al-Ghunaimi, Abdul-Ghani Al-Hanafi, Al-Labbab Explanation of the Book, Publisher: The Scientific Library - Beirut, Year: 1400 AH-1980AD.
- Al-Ghunaimi, Abdul-Ghani Al-Hanafi, Al-Labbab Explanation of the Book, Publisher: The Scientific Library - Beirut, Year: 1400 AH-1980AD.
- Al-Firouzabadi, The Ocean Dictionary, Dar Al-Fikr, Beirut, 1st Edition, 2003.
- Corona Virus: Why has the World Health Organization classified it as a global pandemic? Website: <https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-51854975>
- Al-Fayoumi, Ahmed bin Muhammad bin Ali Abu Al-Abbas, Al-Misbah Al-Munir, Scientific Library - Beirut.

- Judge Abdul-Wahhab, Abu Muhammad Abdul-Wahhab bin Ali bin Nasr Al-Thalabi Al-Baghdadi Al-Maliki, Al-Maa'una, Commercial Library, Mustafa Ahmed Al-Baz - Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Qarafi, Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed bin Idris bin Abdul Rahman Al-Maliki, Al-Thakhira, Dar Al-Gharb Al-Islami - Beirut, 1st edition, year: 1994 AD.
- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din, The Collector of the Provisions of the Qur'an, Dar Al-Kutub Al-Masryah - Cairo, 2nd Edition, Year: 1384 AH - 1964 AD.
- Qalyubi and Amira, Ahmad Salama al-Qalyubi and Ahmad al-Berlusi Amira, a footnote to the explanation of the local on the curriculum, Publisher: Dar al-Fikr - Beirut, 1415 AH-1995 AD.
- Al-Kasani, Aladdin, Abu Bakr bin Masoud bin Ahmed Al-Hanafi, Badaa' Al-Sana'i, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2nd Edition, Year: 1406 AH - 1986 AD.
- Al-Kubaisi, Renting Notables in Sharia and Law, Dar Al-Nawader - Damascus, 1st Edition, Year: 1433 AH - 2012AD.
- Lisan al-Arab, written by: Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Manzur al-Afriqi al-Misri, publisher: Dar Sader, first edition in 1410 AH.
- Al-Laknawi, Abdul Hai, Sharh Al-Hedaya, Investigator: Naim Ashraf Noor Muhammad, Publisher: Department of the Qur'an and Islamic Sciences - Pakistan, Publication year: 1417 AH.
- International Islamic Fiqh Academy, Second Medical Fiqh Symposium, Novel Coronavirus, COVID-19, on: 4/16/2020 AD.
- The Arabic Language Academy, The Intermediate Lexicon, authored by: (Ibrahim Mustafa / Ahmed Al-Zayyat / Hamed Abdel-Qader / Muhammad Al-Najjar Publisher: Dar Al-Da`wah.
- Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyya, Zad al-Ma'ad fi Hade al-Abbad, Al-Risala Foundation, Beirut - Al-Manar Islamic Library, Kuwait, 27th edition, year: 1415 AH / 1994 AD.
- Muhammad bin Muhammad Darwish, Abu Abd al-Rahman al-Hout al-Shafi'i, Asna al-Matalib, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1, year: 1418 AH -1997 AD.
- Muhammad Rawas Qalaji - Hamid Sadiq Qunaibi, Dictionary of the Language of Jurists, Dar Al-Nafaes for Printing, Publishing and Distribution, 2nd Edition, Year: 1408 AH - 1988 AD.

- Muhammad Rawas Qala Ji and Muhammad Sadiq Qunaibi, Dictionary of the Language of the Jurists, Dar Al-Nafaes, Beirut, 2nd Edition, 1988 AD.
- Mahmoud Abdel Rahman Abdel Moneim, A Dictionary of Terms and Jurisprudential Terms, Dar Al-Fadilah, Cairo.
- Explanatory note to the UAE Civil Transactions Law, Judicial Department, first edition, year: 2014 AD.
- Al-Mursi, Abu Al-Hassan Ali bin Ismail bin Said, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 1, 1421 AH - 2000 AD.
- Al-Marginani, Ali bin Abi Bakr bin Abdul Jalil Al-Farghani, Abu Al-Hassan Burhan Al-Din, Al-Hedaya Explanation of the Beginning, Arab Heritage Revival House - Beirut - Lebanon.
- Al-Mutarizi, Nasser bin Abdul Sayed Abi Al-Makarim bin Ali, Abu Al-Fath, Burhan Al-Din Al-Khwarizmi, Morocco in the arrangement of the Arabized, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- An article in Al Khaleej newspaper entitled: Global Health: "The new corona is a "global pandemic" dated: March 12, 2020.
- Al-Maqdisi, Ibn Qudamah Abd al-Rahman bin Muhammad, The Great Commentary on Matn al-Muqni', Publisher: Dar al-Kitab al-Arabi for Publishing and Distribution, supervising its printing: Muhammad Rashid Rida Sahib al-Manar
- Al-Maqdisi, Mar'i bin Yusuf bin Abi Bakr bin Ahmed Al-Karmi Al-Hanbali, What Doctors and Advocates Do to Repel the Evil of the Plague, Dar Al-Bashaer Islamic Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, 1, Year: 1421 AH - 2000 AD.
- Al-Maqdisi, Muwaffaq Al-Din Ibn Qudamah, Al-Mughni, Dar Alam Al-Kutub, 6th edition, year: 2007 AD.
- World Health Organization, website: <http://www.emro.who.int/ar/health-topics/>
- Website (webteb): <https://www.webteb.com/>
- World Health Organization website: <http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/about-covid-19.html>
- Mayara, Abu Abdullah, Muhammad bin Ahmed bin Muhammad Al-Fassi, House of Knowledge, Proficiency and Accuracy in Explanation of the Masterpiece of Rulers.

- Mira, Hamed, New Financing Contracts in Islamic Banks, Dar Al-Mayman, Riyadh, year: 2011.
- Nazih Hammad, A Dictionary of Financial and Economic Terms in the Language of Jurists, Dar al-Qalam - Damascus, year: 1429 AH / 2008 AD.
- Al-Nawawi, Abu Zakaria Muhyi Al-Din Yahya, Rawdat Al-Talibeen, Islamic Office, Beirut - Damascus - Amman, 3rd edition, year: 1412 AH / 1991 AD.
- Al-Nawawi, Muhyi Al-Din, Minhaj Al-Talibeen and Omdat Al-Muftis fi Fiqh, Investigator: Awad Qasim Ahmed Awad, Publisher: Dar Al-Fikr, Edition: First, Year: 1425 AH-2005 AD.
- Hazrashi Abd al-Rahman, The Impact of Excuses and Punishments on Contractual Obligations in Islamic Jurisprudence Compared to the Theory of Emergency Circumstances in the Algerian Civil Law, Research for a Master's Degree, University of Algiers, Year: 2005-2006 AD.
- Ministry of Endowments and Islamic Affairs - Kuwait, The Kuwaiti Fiqh Encyclopedia, Year: 1404-1427 AH.



# إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان

## Insights of the Holy Quran to the provisions of the homelands

د. عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود  
الجامعة الإسلامية - منيسوتا - الولايات المتحدة الأمريكية  
أستاذ مشارك في كلية الدراسات القرآنية

**Dr. Abdallah Ali Abdelrahman Abu AlSuod**  
Associated Professor at Islamic University- Minnesota- USA

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.02>

تاريخ تسلم البحث 2023/06/05 - وصدر خطاب القبول 2023/11/23





## Abstract

The aim of the study is to give a complete conception of the Qur'anic signs related to homelands by clarifying the importance of homelands and highlighting the Holy Qur'an's perspective, and insights.

The study sheds light on the meanings and extracts from these verses in highlighting the value of the homeland in the spirit of the Muslim, and some evidence related to the succession and the resulting hostility of the people towards their prophets, succession. The Qur'an refers to the rulings of the homelands in some financial matters and legal penalties.

Among the most important conclusions made by the research; Preparing graphic and semantic Quranic studies to analyze the signs related to the provisions of the Noble Qur'an, as well as preparing analytical studies of the positions of the prophets in Quranic stories related to the homelands from its various aspects.

**Keywords:** homeland, succession, loyalty, denial, highway robbery, wandering.

## ملخص البحث

لقد أولى القرآن الكريم للوطن القيمة الواسعة في العديد من جوانب حياة المسلم، فكانت فكرة هذه الدراسة الخروج عن الصورة النمطية التي تقيّد العلاقة بالمحبة فحسب؛ وإبراز التصورات الكلية للإشارات القرآنية المتعلقة بالأوطان؛ من خلال بيان معنى الأوطان وأهميتها من منظور قرآني، وإبراز إشارات القرآن الكريم - لأحكام الأوطان- المتعلقة بالاستخلاف والتمكين وما ترتب على هذا الاستخلاف من معاداة الأقوام لأبيائهم، كما أبرزت الدراسة الإشارات القرآنية المتعلقة ببعض القضايا المالية والعقوبات الشرعية المرتبطة بالأوطان، (الزكاة، الفبيء، الحرابة..)، وأخرى متعلقة بالولاء والبراء والجهد في سبيل الله تعالى، وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، كضرورة إعداد دراسات قرآنية بيانية ودلالية لتحليل الإشارات المتعلقة بأحكام القرآن الكريم، وكذلك إعداد دراسات تحليلية لمواقف الأنبياء في القصص القرآني المتعلقة بالأوطان من شتى جوانبها.

**الكلمات المفتاحية:** الوطن، الاستخلاف، الولاء، البراءة، الحرابة، التبيء؛ فقد تم بيان مدلول هذه الكلمات في أماكن بحثها.



## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

لقد أشار القرآن الكريم في العديد من آياته إلى القضايا المتعلقة بالأوطان وفق منهج شامل؛ يغطي العديد من الجوانب ويتوازن بين الولاء والهجر والعقوبة والمثوبة....

فجاءت أهمية هذه الدراسة:

- لفت الانتباه للعديد من الإشارات القرآنية المتعلقة بالأوطان؛ فليس الأمر مقصور على المتبادر للذهب من كون الإشارات متعلقة بحب الأوطان فحسب.
- إعطاء تصوراً كلياً للإشارات القرآنية المتعلقة بالأوطان وإبراز أحكامه، ومن ثم إبراز نتائج البحث وتوصياته.

أما أهداف الدراسة:

- إبراز إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان المتعلقة بالاستخلاف على هذه البسيطة وما ترتب على هذا الاستخلاف من معاداة الأقسام لأنبيائهم.
- إبراز الإشارات المتعلقة ببعض القضايا المالية والعقوبات الشرعية.
- إبراز الإشارات المتعلقة بالولاء والبراء والجهاد في سبيل الله تعالى.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة بعدم وجود دراسة قرآنية شاملة تجمع جميع الجوانب

المتعلقة بأحكام الأوطان؛ فمعظم الدراسات تركز على محبة الأوطان والتعلق بها....

### منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستنباطي التأصيلي، حيث يقوم الباحث بالنظر والتأمل في الآيات القرآنية ذات الصلة، وتفسيرها من كتب التفسير التي تخدم بحثه وتحليل عبارات الآيات المتعلقة بالموضوع وبيان دلالاتها ثم الخروج بقواعد تضم وتشمل الفروع الجزئية من البحث، بالاعتماد على كلام المفسرين وكتب التفسير عامة وكتب التفسير الاجتماعي والدعوي لإبراز المعاني واللطائف المستنبطة من هذه الآيات.

أما الدراسات السابقة التي أفاد منها الباحث،

لم يجد الباحث دراسة قرآنية تُعنى بجمع الإشارات القرآنية المرتبطة بأحكام الوطن، مع وجود بعض الدراسات العامة التي تتحدث عن حب وحماية الوطن في الإسلام بشكل عام أو السنة بشكل خاص.

فهناك دراسة الدكتور سعد بن عبد الله السبر، بعنوان حب الأوطان دراسة تأصيلية - رسالة دكتوراة في جامعة الإمام محمد بن سعد قسم الفقه ١٤٣٠هـ، فقد تعرّض فيها لحب الوطن من شواهد القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم عرّج لبعض الأحكام الفقهية مثل شروط الوطن وحقوقه، أما دراستي فقد عنيت بجمع الإشارات القرآنية للأحكام المتعلقة بالأوطان والفرق بين من خلال المحتوى المقدم.

وهناك بحث محكم للأستاذ الدكتور محمد سيد شحاته، بعنوان «التدابير الوقائية في السنة النبوية لحماية الأوطان من أراجيف المتربصين»، مجلة الجامعة

الإسلامية «العدد ١٩٢ لعام ١٤٤١هـ»، فقد أبرز البحث أهم التدابير الوقائية في السنة النبوية لحماية الأوطان من الأراجيف التي يبثها المتربصون بأمن الأوطان وسلامة أهلها وأراضيها، فدراسته مختصة بتسليط الضوء على نصوص السنة النبوية، أما دراستي فقد عُنيت بالإشارات القرآنية لأحكام المتعلقة بالأوطان.

وقد احتوت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المقدمة والتمهيد: مقدمات في الأوطان وأهميتها في القرآن الكريم.

المبحث الأول: إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان المتعلقة بالاستخلاف والتمكين وما ترتب على هذا الاستخلاف من معاداة الأقوام لأنبيائهم.

المبحث الثاني: إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان المتعلقة ببعض القضايا المالية والعقوبات الشرعية.

المبحث الثالث: إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان المتعلقة بالولاء والبراء والجهاد في سبيل الله تعالى.

## التمهيد: التعريف بالأوطان وأهميتها في القرآن الكريم

### أولاً: معنى الوطن في اللغة

الوطن في اللغة من الفعل وَطَنَ فالواو والطاء والنون: كلمةٌ صحيحة، فالوَطَنُ مَحَلُّ الْإِنْسَانِ، يقال أَوْطَنْتُ الْأَرْضَ أَي اتَّخَذْتُ الْأَرْضَ وَطَنًا<sup>(١)</sup>، ومنه أوطن المكان ووطن به أي اتخذ المكان ووطنا، ووطنه على الأمر أي أضمر فعله معه ووافقه عليه<sup>(٢)</sup>، الْوَطَنُ مُحَرَّكَةٌ وَيُسَكَّنُ؛ مَنْزِلُ الْإِقَامَةِ<sup>(٣)</sup>، وعليه يظهر أن مادة وَطَنَ في اللغة تحمل معنى المكث طال أم قصر مضافاً له الانسجام النفسي الذي يناسب المكث.

### ثانياً: الوطن في الاصطلاح:

هو المكان الذي يقيم به الإنسان ومقره الذي له انتماءه؛ ولد بذلك المكان أم لم يولد<sup>(٤)</sup>، وأضاف الشريف في تقييد معنى الوطن الأصلي بأنه المولد للرجل أو البلد الذي هو يقطن فيه<sup>(٥)</sup>، أما أبو البقاء فقد جعل الوطن عاماً فقال: «الوطن هو منزل الإقامة»<sup>(٦)</sup>، فإذا الوطن في الاصطلاح مقرون بالإقامة أو الميلاد مع الاستقرار.

- ١- ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة: وطن، (٦ / ١٢٠).
- ٢- مجمع اللغة العربية، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة ١٩٨٩م، (٢ / ١٠٤٢).
- ٣- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، ت ٨١٧هـ، القاموس المحيط، ط ٣، دار الرسالة، عمان، ١٩٩٣م، (١ / ١٥٩٨).
- ٤- للمزيد ينظر مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (٢ / ١٠٤٢).
- ٥- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الدين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي، التعريفات، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (١ / ٣٢٧).
- ٦- أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (١ / ١٥١٢).

### ثالثاً: الوطن في الاصطلاح القرآني:

لم ترد كلمة وطن في القرآن الكريم، ولكن ذكرت كلمة موطن كمشتق لها وذلك في آية واحدة في سورة التوبة فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة ٢٥]، فالمواطن في الآية هي أماكن الحرب التي توطنون فيها النفس على لقاء عدوكم<sup>(١)</sup>، لكن القرآن الكريم حوى العديد من الآيات التي تدل على مدلول الأوطان من مكان الإقامة والسكن والاستقرار مثل كلمة الدَّارَ ومشتقاتها، فقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر خمسة وخمسون جذراً<sup>(٢)</sup>، وعليه يمكننا القول أن مصطلح الأوطان في القرآن الكريم يشير إلى أماكن مكث الإنسان ونزوله؛ دون تحديد مدة زمنية لطول المكث، وبذلك يتضح الانسجام بين المعنى اللغوي والاصطلاحي والاصطلاح القرآني من حيث الدلالة على أماكن السكنى للفترة طالت أم قصرت مع امتزاج ذلك بترويض النفس على ألفة المكان و انسجامها معه مع ما قد يترتب على ذلك من حبه والحنين إليه.

### رابعاً: أهمية الأوطان في القرآن الكريم:

المتتبع لمنهج القرآن الكريم في سياقات آياته، يجده أولى اهتماماً بيناً للأرض التي نشأ فيها المرء أو نزلها أو استقر بها (الوطن)، فهي محط الأفتدة وهي موطن الحب والحنين التي يظهر على المرء آثار حبه لها، فنجد إبراهيم عليه السلام يبرهن على هذا الحب بالدعاء عندما استوطن زوجته وابنه مكة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ

١- الطبري، محمد بن جرير، ت ٣١٠ هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٣، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (٢ / ١٢٥).

٢- خضر، أ.د. محمد زكي محمد، معجم كلمات القرآن الكريم، محرم ١٤٢٦ هـ - آذار ٢٠٠٥ م، (١٠ / ٦).

هَذَا بَلَدًا أَمِنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ. مِنَ الشَّرْعَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعُهُ. قَلِيلًا ثُمَّ أَصْطَرُّهُ؛ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيُسُّ الْمَصِيرُ ﴿البقرة: ١٢٦﴾، فقد سأل إبراهيم ربه أن يجعل هذا بلدا آمنا من كل قحط وجذب وغارات، وأن يرزق أهل هذا البلد من الثمرات<sup>(١)</sup>، ولا شك أن الدعاء بالحفظ والرعاية للأوطان من تمام الوفاء والحكمة، وذلك أن أمن الأوطان ورغدها يعود بالخير على ساكنيها وروادها وقد كان ذلك لمكة ببركة دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام.

ومن مظاهر أهمية الأوطان في القرآن الكريم أن الله جل وعلا يكافئ الذي أخرج من وطنه إيمانا بالله أو نصرة لرسوله أو نشرًا لدينه، بحسن ثوابه من خلال تكفير ذنوبه وإدخاله الجنة للتعلم بما فيها من أنهار، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿آل عمران: ١٩٥﴾، فأخبر الله تعالى عن فعلهم، وذكر استجابته لهم بإنجاز وعده وبيان ثوابه، فقال عن الذين هاجروا وأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ (من مكة إلى المدينة)، «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ»؛ أي لأمحون عنهم ذنوبهم وأدخلهم الجنان التي تجري من تحتها الأنهار؛ جزاء لأعمالهم، فالله عنده حُسن الثواب وحسن الجزاء وهو الجنة التي وعد عباده<sup>(٢)</sup>، فاستحقاق حسن الجزاء بسبب صبرهم على البعد عن الوطن وعلى الإيذاء من قومهم وعلى قتالهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن مظاهر الاهتمام أيضاً امتنان الله على عباده وتذكيرهم بأنه هو الذي يحفظ عليهم أوطانهم ويديم عليهم أمنهم ومن ذلك تذكيره لأهل مكة لقوله

١- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١١٧/٢).

٢- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، تفسير السمرقندي — بحر العلوم، دار الكتب العلمية، (١/ ٣٥٤).

تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُحِطُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]؛ فامتنان الله تعالى على قريش فيما جعل لهم حلاً من حرمه، بل وجعله للناس سواء كان الشخص عاكفا فيه أو باديا، فمن دخله كان آمنا، فجعلهم في الأمن العظيم، بينما الأعراب حوله كان ينهب بعضهم البعض ويقتل بعضهم البعض<sup>(١)</sup>، كما قال الله تعالى: ﴿لِيَلْبِغَ قُرَيْشٌ ۖ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۗ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤]، كما أقسم الله بالبلد الآمن لإبراز أهميته في حماية أرواح ساكنيه فقال الله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، فامتن الله على أهل مكة بأن جعل بلدهم آمنا سالما معافى مما يشاع ويحوم حولهم من حرب وغدر ومكر.

١ - ابن كثير، إسماعيل بن كثير، ت ٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان (٦ / ٢٩٥).

المبحث الأول: إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان المتعلقة بالاستخلاف على هذه الأرض وما ترتب على هذا الاستخلاف من معاداة الأقوام لأنبيائهم  
المطلب الأول: الأحكام المتعلقة بالاستخلاف والتمكين

مقصود الاستخلاف في هذا المقام من معنى الخلافة وهي النيابة عن الغير لتشريف المستخلف<sup>(١)</sup>، وعلى هذا استخلف الله عباده في الأرض تشريفاً لهم وتمكيناً لهم لتطبيق شرعه على هذه البسيطة، وعليه فإن الاستخلاف في الأرض وتحقيق العبودية لله وحده يعد من الأسس التي جعل الله آدم لأجلها مستوطناً في الأرض، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: ٣٠]، ففي الآية إشعار بأن مشيئة الله العليا كانت بأن يتسلم هذا المخلوق المستخلف في الأرض، زمام الأمر، يسعى جاداً في إعمار هذا الموطن الجديد، وتظهر عظمة الخالق في آثاره، فوكل لهذا الخليفة كشف طاقات هذه الأرض وقواها...، هذا كله بعض إحياء تعبير الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ فحين نلحظها اليوم بحس يقظ وبصيرة مفتوحة، ندرك ما تم في الأرض على يد هذا المستخلف في هذا الملك العريض!، فقد شرف الله تعالى آدم ومن بعده الموحد من ذريته والمتبع لأنبيائه بأن يكون مستخلفاً في أرضه لإقامة شرعه ونشر هديه، فوهبه ووكل إليه الإقامة والعمارة في موطنه الجديد (الأرض).

وترتب على هذا الاستخلاف والتمكين مجموعة من الأحكام التي ينبغي امتثالها والسير عليها فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۗ﴾ [الحج: ٤١]، فقد جعل الله تعالى لهم سلطان قوة وغلبة، فلا يجترئ عليهم أحد أو يزيحهم عنها أحد، وعليهم أن يعلموا أن الله ما نصرهم عبثاً؛ وإنما لينقوا الأرض (بالتزام

١- أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (١ / ٦٧٠).

أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه) من كل ما يُضعف صلاحها أو يفسده؛ فيقوموا بالمهمة المسندة إليهم من ربهم وهي الإصلاح<sup>(١)</sup>، بل وجعل آثار هذا الانتماء للوطن سلوكاً ظاهراً على صاحبه بالبذل والعطاء والتضحية للآخر، وكأنه أخذ من صفة الأرض والوطن صفة المنح للغير فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]، فالأنصار توطنوا المدينة واتخذوها داراً للهجرة والإيمان، فأسلموا في ديارهم وبنوا المساجد وبدأ ذلك قبل قدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - بستين وأثروا الإيمان ولزموه بعد ذلك<sup>(٢)</sup>، فمدحهم الله وقرن مدحه بدارهم ووطنهم إعلاءً لها حين اجتمع شأنها مع الإيمان.

المطلب الثاني: الأحكام المتعلقة بمعادة الأقطام لأنبيائهم ورسولهم.

أشار القرآن الكريم في غير موطن من كتاب الله عز وجل أن أحد سبل محاربة الكفار لأنبيائهم عموماً؛ كانت بإبعادهم وطردهم عن أوطانهم، وذلك لإدراكهم أن البعد عن الأوطان هو سبيل لثني الدعوة من الوصول لمبتغاها وما في ذلك من أثر على نفوس الرسل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: 13]، فعندما عرض القرآن الكريم دعوة الأنبياء لأقوامهم وعدم يأسهم ودوامهم على ذلك، أشار إلى ما آل به حالهم مع المدعويين، فقال الذين كفروا متوعدين لأنبيائهم ومخيرين لهم ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ وأما الخيار الثاني ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾؛ وهذا أفصح ما يكون من جواب وتخيير، فليس بعد هذا فيهم مظنة فلاح

١ - ينظر: يسير الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي (خواطري حول القرآن الكريم)، أخبار اليوم، ط ١، ١٩٩١ (ص ٦٠٥٢).

٢ - ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، ت ٥١٦ هـ، معالم التنزيل، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، (٧٦/٨).

أو نجاة، لأنهم لم يكتفوا أن أعرضوا عن الهدى، بل وهددوا رسلهم بالإخراج من ديارهم، بل ونسبوا لأنفسهم الديار، وزعموا أنه لا حق للرسول فيها!!<sup>(١)</sup>، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله كلف الخلق بعبادته، وسخر الأرض وما عليها لكل من أقام أمر الله فيها واستعان بها على عبادته وتطبيق شرعه، أما من عارض هذا الحق فقد أراد قلب الهدف وعكس الغاية من كون الأرض مهاداً للدعوة والعبادة إلى محاربة الحق بالإخراج والإبعاد منها.

وكذا أيضاً ما فعله قوم لوط عليه السلام مع نبيهم عندما أمرهم بترك منكرهم الذي شاع بينهم، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَل لُّوطِ مِنْ قَرِيَّتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، ومن فطيع أمر هؤلاء أن جعلوا علة إخراج النبي وأتباعه من الفئة المؤمنة كونهم على الفطرة السليمة من الطهارة وعدم اقتراف الرذيلة، فعجبا وأي عجب من هذا المنطق المنحرف أن جعل الطهر جريمة وإثماً يتوجب على صاحبه ومن دعا إليه أن يخرج من بلده.

هذه أبواق تنعق على مر الزمان والمكان تهاجم الفطرة والعقيدة والشريعة، وتسعى لإبعاد أهل الصلاح والحق، فتفرغ الساحة لباطلهم<sup>(٢)</sup>، وهذا حال كل من أراد مخالفة الفطرة وصرف الحق لضده، فبدلاً من تمهيد الأرض لمن يسعى بالفضيلة يتم الحرص على ثنيه وإبعاده عن أرضه.

ويستمر القرآن الكريم بإعطاء النماذج الظاهرة في محاربة الكفار وهذا مطرد؛ حتى كان الإخراج أحد الخيارات في معاداة نبي الله محمد عليه رحمة الله وسلامه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ففي الآية إخبار لما اتفق عليه

١- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت ١٣٧٦ هـ، تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م، (ص ٤٢٣).



الآية «نصره الله في الوقت الذي أخرجه الذين كفروا من مكة»<sup>(١)</sup>، فكانت المعية والنصرة والنجاة إلى أرض طيبة طابت بقدم نبي الرحمة لها.

وجاء بعد ذلك التهديد من الله بإهلاك المشركين المعادين لدعوة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم بسبب مآثمهم والتي من أبرزها إخراجهم لنبيهم من موطنه، فقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣]؛ ففي الآية استفهام تقريرى؛ فكم من أهل قرية من الأمم السابقة حالهم من الشدة والقوة يربوا على قوة قرينك وقومك، أهلكهم الله عز وجل بقدرته وقوته فلا ناصر لهم؛ فبالأولى بمن كان أضعف منهم؛ والمعني بذلك قريش الذين هم أهل مكة أن يعتبروا مما لحق بالأمم السابقة، فالكلام على حذف المسند، كما في قوله عز وجل: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وجاء في معنى الآية من قول مقاتل: «أهلكهم الله بالعذاب حين كذبوا رسلهم»<sup>(٢)</sup>، ومن لطائف الآية من الحذف أن أجرى الإخبار على القرية مع إضمار قاطنيها لتدل على الإحاطة بجميع من كان فيها وعلى جميع أحوالهم، وعليه فإسناد إخراج الرسول إلى القرية كلها يكون قد وقع بالتبعية على جميع أهل مكة سواء منهم من بادر بتولي الخروج وأسبابه، أو من كان ينظر إلى الإخراج ولا ينهى عنه<sup>(٣)</sup>، فأسند الإخراج إلى كفار قريش لأنهم هموا بإخراج رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام فأذن الله له في الخروج؛ فكانهم هم من أخرجه ثاني اثنين، وهما رسول الله وأبو بكر<sup>(٤)</sup>، فهمهم بإخراج النبي من أرضه جريمة يستحقون عليها الهلاك ولا يجدون من ينصرهم

- ١- ينظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، ت ٦٠٦ هـ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت لبنان، - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (٦ / ٤٧٦).
- ٢- الشوكاني، محمد بن علي، ١٢٥٠ هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الخير، بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (٦ / ٤٧٦).
- ٣- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، ت ١٣٩٣ هـ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، (٢٦ / ٧٦).
- ٤- ينظر: النسفي عبد الله أحمد بن محمود، تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ١، ١٩٩٥ (١ / ٤٤٤).

أو يصرف عنهم ما هم فيه من هلاك.

ففي ختام هذا المبحث يظهر جلياً أن القرآن عني بإبراز إشارات واضحة لأحكام الأوطان المتعلقة باستخلاف الأنبياء وأتباعهم من أهل التوحيد على الأرض وما ترتب على هذا الاستخلاف والتمكين من معاداة الأقوام لأنبيائهم، فكان أحد سبل محاربة الكفار لأنبيائهم إبعادهم وطردهم عن أوطانهم، وذلك لإدراك الكفار والمشركين أن البعد عن الأوطان هو سبيل لثني الدعوة من الوصول لمبتغاهما وما في ذلك من أثر على نفوس الرسل، وهو أيضاً ما فعله قوم لوط عليه السلام مع نبيهم عندما أمرهم بترك منكرهم الذي شاع بينهم، وما فعلته قريش برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام بأن جعلت إخراج أحد الخيارات لمعاداته صلى الله عليه وسلم، وأبرزت الإشارات القرآنية أن الله متكفل بنصرة أنبيائه حال ظلم أقوامهم لهم وتهديدهم بالإخراج من موطنهم، ونرى ذلك واضحاً بنصرة الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام من خلال تهديده تعالى لمشركي قريش بالإهلاك أسوة بمن قبلهم من الأقوام بسبب فعلهم الأثيم وهو إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام من موطنه.

المبحث الثاني: إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان المتعلقة ببعض

القضايا المالية والعقوبات الشرعية

المطلب الأول: الأحكام المتعلقة ببعض القضايا المالية

أشار القرآن الكريم إلى العديد من الأحكام المالية التي تحقق مصلحة العباد، ومن هذه الأحكام ما يتعلق بالشخص الذي انقطع عن ماله، وطنه وأهله، فجعله الله من المستحقين للزكاة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ فُلُوهُنَّ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60]؛ فالمراد من «ابن السبيل» الذي انقطعت بهم

الأسباب في سفرهم عن بلدهم ومستقرهم ومالهم، فيعطوا منها وإن كانوا غنياً في بلدهم، ولا يلزمهم أن تشغل ذمتهم بالسلف<sup>(١)</sup>، فهم مستحقون لمصرف الزكاة مراعاة لما لحقهم من الانقطاع عن مالهم ووطنهم.

ومن الأحكام المالية المتعلقة بالأوطان توزيع أموال الفيء، فجعل الله تعالى من مصارفها ومستحقيها الفئة التي هاجرت مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأخرجت من ديارها طاعة لله ورسوله، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، فذكر الله تعالى أصحاب الحقوق في الفيء بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ قسراً من قبل كفار قريش لأنهم ابتغوا فضلاً من الله ورضواناً وصرّوا الله ورسوله؛ لإعلاء كلمته فقد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم لمرضاته، لا لأمر آخر، فأولئك هم المخلصون بإيمانهم الصادقون في هجرتهم المستحقون للفيء أكثر من غيرهم<sup>(٢)</sup>، ففي الآية توجيه بصرف الفيء لهم وامتداحهم لما بذلوه من غربة عن وطنهم في شأن نصرته دينهم ونيبهم.

### المطلب الثاني: أحكام الأوطان المتعلقة ببعض العقوبات الشرعية

أظهر القرآن الكريم أن البعد عن الأوطان يؤلم النفس البشرية؛ حيث جبلت في طبيعتها على حب الاستقرار، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا﴾ (١١) وَإِذَا لَا تَيْنُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [النساء: ٦٦-٦٨]، يخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لو أوجب الله على عباده أوامر شاقة على نفوسهم من قتل النفس أو مغادرة الديار لم يفعل هذه الأوامر إلا قليلاً منهم ونادراً، فوجب عليهم حمد الله وشكره على ما سهل عليهم ويسر لهم من واجبات يسهل عليهم فعلها، ولا يشق

١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨ / ١٨٧).

٢- ملاحويش آل غازي، عبد القادر، بيان المعاني، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٨٢ هـ - (٦ / ٩٥).

عليهم أداؤها<sup>(١)</sup>.

كما أخبر الله تعالى أن مما كان من عقابه لبني إسرائيل جرّاء رفضهم أوامر نبيهم بدخول بيت المقدس؛ ضياعهم في الأرض دون موطن، فحدث لهم التيه الذي هو من التيهاء من الأرض التي لا يهتدى فيها<sup>(٢)</sup>، فقال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، فدعا موسى عليه السلام عليهم، فعاقبهم الله تعالى بأن أبقاهم أربعين سنة في التيه، فعوقبوا ومات أولئك العصاة في التيه خلال ذلك الوقت<sup>(٣)</sup>، فكانت عقوبتهم البعد عن أرضهم ووطنهم لرفضهم أمر نبيهم.

وقد امتن الله على عباده وتفضل، وذكرهم بفضله بإخراج أهل الكتاب من أوطانهم وديارهم المنيعة، بعد أن غلب على ظن المؤمنين استحالة القدرة على إخراجهم، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، ففي الآية إشارة لبعض آثار عزة الله تعالى وأحكام حكمته إثر وصفه تعالى بحكمته الباهرة وعزته القاهرة بلا منازع... وإشعاراً بأن في إخراجهم حكمةً باهرة...، فما ظننتم.. أن يخرجوا من ديارهم لقوة منعتهم وشدة بأسهم بهذا الذل والهوان، فقد غلب على ظنهم أن تلك الحصون التي توطنوها تمنعهم من عذاب الله إن جاء وأنى لهم ذلك<sup>(٤)</sup>، وأي امتنان أعظم من فضل الله على نبيه وأتباعه بإخراج الكفرة من أوطانهم بعد استحكامهم في أرضهم المنيعة لولا فضل الله تعالى.

- ١- السعدي، تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ١٨٥).
- ٢- صاحب بن عباد، إسماعيل الصباح بن عباد أبو القاسم، المحيط في اللغة، المحقق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، عام ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، (١ / ٣١٨).
- ٣- الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، (١١ / ١٥٦).
- ٤- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، ت ٩٨٢ هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٦ / ٢٩٦).

وكذا مما أشار القرآن الكريم له من أحكام لعقوبات تتعلق بالأوطان، ما هو مرتبط بأحكام الحرابة؛ التي هي كل فعل يقوم به الجاني ويقصد منه أخذ مال على وجه لا يتمكن المجني عليه من الاستغاثة وطلب العون عادةً ويشمل جميع أنواع الأنفس؛ رجلاً كان أو امرأة أو كان المجني عليه حراً أو عبداً أو كان من أهل الملة أو مستأمن أو ذمي ومن الحرابة أيضاً إخافة النفس سواء قتلها أو لم يقتلها أو أخذ مالها أو لم يأخذها<sup>(١)</sup>، ومن هذه الأحكام النفي والإبعاد عن الأوطان توبيخاً للمقترب وردعاً لغيره، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْرُرُوا عَلَيْهِمُ فَاعْلَمُوا أَنكُم لَكُمْ عَفْوٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤]، فينفي من المكان الذي حارب فيه إلى غيره ويحبس فيه كالزاني، فنفيمهم يعتبر سجنًا على وجه من الوجوه فكأنه نقل من سعة الدنيا إلى ضيقها، فصار كأنه قد سجن، لأنه قد نفي من الأرض التي هي موضع استقراره<sup>(٢)</sup>، واحتجوا بقول أبي العتاهية<sup>(٣)</sup>، للتدليل على هذا المعنى.

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها..... فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء

إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة..... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وقد أشارت السنة النبوية إلى أن عقوبة الجلد للزاني غير المحصن المنصوص عليها في القرآن الكريم تقرن بالتغريب عام؛ تأديباً للمقترب وإخماداً لخبر الفاحشة،

١- الرضاع، محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، (المتوفى: ٨٩٤هـ)، شرح حدود ابن عرفة، تحقيق محمد أبو الأجنان - الطاهر المعموري، من منشورات دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣م، (٣/ ٣٧).

٢- ينظر: القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، (٦/ ١٥٣).

٣- العكري الحنبلي، عبد الحفي بن أحمد بن محمد، ت ١٠٨٩هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، ١٤٠٦هـ، دمشق، (١/ ٣٣١).

وذلك أن نظام العقوبات في القرآن الكريم نظام إصلاحية يسعى لإعادة تأهيل الفرد، فقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وروى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: «كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي كُربَ لذلك وتربّد وجهه، فأنزل الله عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سُرِّي عنه قال خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيبُ بالثيب جلد مائة والرجم»<sup>(١)</sup>، وما هي إلا إخمادا للفاحشة وتربية لنفس المقترف.

وفي ختام هذا المبحث يظهر تأصيل القرآن الكريم للعديد من الإشارات المرتبطة بالأوطان والمتعلقة بالأحكام المالية والعقوبات، فمن هذه الأحكام ما يتعلق بالشخص الذي انقطع عن ماله، وطنه وأهله؛ فجعله الله من المستحقين للزكاة أو الفداء، وكذا إشارات من كون البعد عن الأوطان مما يؤلم النفس البشرية، وأنه كان عقوبة لنبى إسرائيل جرّاء رفضهم أوامر نبيهم بدخول بيت المقدس، وامتنان الله على عباده المؤمنين وتفضله بأن أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من أوطانهم وديارهم المنيعه، وكذا الإشارات لعقوبة الحرابة والتغريب بالإخراج من الأوطان، وماتلك الإشارات إلا دلالة على أثرها البالغ على النظام المجتمعي ناهيك عن الاثر النفسي.

١- الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري، ت ٢٦١ هـ، صحيح الإمام مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ط ١، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧ م رقم ١٦٩٠.

## المبحث الثالث: إشارات القرآن الكريم لأحكام الأوطان المتعلقة بالولاء

### والبراء والجهاد في سبيل الله تعالى

#### المطلب الأول: الأحكام المتعلقة بالولاء والبراء

الموالة: التقرب والإظهار للود بالأفعال والأقوال والنوايا وذلك لمن قد يتخذه الشخص وليا، فإن كان هذا التقرب وإظهار الود بفعل أو قول أو نية مقصود به الله ورسوله ومن آمن بهما، فهي موالة شرعية واجبة، وإن كان مقصدها التقرب وإظهار للود الكفار على اختلاف الأجناس؛ فهي موالة كفر وردة عن دين الله تعالى، وهذا إذا كانت ممن يدعي أنه مسلم، ونبه العلامة عبد الرحمن بن عبد اللطيف العنقري في تحريره لمصطلح الموالة: بأنها المناصرة والموافقة والمعاونة، ويلزم من ذلك الرضا بأفعال من يواليهم، وتعد هذه هي الموالة العامة، التي إذا صدرت من مسلم لكافر اعتبر كافرا، أما مجرد الاجتماع مع الكفار مع وجود كراهية وبغض لما هم عليه من الكفر، فيعد ذلك من باب المعصية التي لا توجب كفر صاحبها<sup>(١)</sup>، فملخص القول أن الولاء الواجب على كل مسلم هو الموجه لله ولرسوله وللمؤمنين، بنصرتهم ومحبتهم والسكنى معهم، كما يتوجب على المسلم البراء من الكفار والمشركين فلا محبة ولا نصرة ولا إقامة في ديارهم إلا للضرورة والمبرر الشرعي.

وقد ربط القرآن الكريم بين الولاء والبراء وبين الأوطان في علاقات متباينة فجعلها متنوعة؛ فتارة أوجب تقديم حب الله ورسوله على الأوطان، وذلك عندما يكون هذا الحب فيه تعارض مع أوامر الله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ

ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

١ - عبد الرحمن بن قاسم العاصمي الفحطاني النجدي، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، - من مطبوعات دار الإفتاء السعودية - الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ)، (١ / ١٩).

وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ  
 اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: ٢٤]، ومقصود مساكِنُ تَرْضَوْنَهَا  
 أي بيوت تعجبكم الإقامة فيها، والتعرض بالذكر للصفات المذكورة؛ لبيان أن  
 اللوم على محبة ما ذكر من زينة الدنيا لا ينافي ما فيها من مبادئ المحبة وموجبات  
 الرغبة لكن اللوم والتوبيخ بالوعيد يكون في حال تقديم الطاعة والملازمة لما  
 يخالف شرع الله تعالى وتبين النبي عليه الصلاة والسلام من هذه الزينة<sup>(١)</sup>، أما  
 الميل بالطبع فيعد من الأمر الجبلي الذي لا يمكن تركه ولا تكون المؤاخذة فيه، ولا  
 يؤمر المرء بالامتناع عنه ما لم يتعارض مع محذور شرعي أو حكم آخر.

وتارة يوصى القرآن الكريم بالإقساط والبر بالمشرك أو الكافر الذي لم يقاتل  
 المسلم أو يتعدى على وطنه، فقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ  
 يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، فقد عرضت  
 الآيات بقبائل من العرب كفار إلا أنهم كانوا موالين للنبي صلى الله عليه وسلم  
 محبين له راغبين في ظهوره، ومنهم كنانة وبنو الحارث بن عبد مناة ومزينة، وقال  
 قوم: عرضت الآيات بكل من لم يقاتل من كفار قريش ولم يخرج على رسول  
 عليه السلام أو على أحد من المؤمنين ولم يظهر سوءاً<sup>(٢)</sup>، فجعل الله تعالى لهم  
 مناصاً في البر والقسط لعدم إيذاءهم للمؤمنين بالقتال أو الإخراج من الأوطان.

كما جعل العلماء التهديد بالإبعاد عن الأوطان من الأعذار التي تبيح للمرء  
 التلطف بما يوهم الكفر مع استقرار الايمان بالقلب؛ قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ  
 مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ

١- الألويسي، محمود، ت ١٢٧٠ هـ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٥ / ٢٦٥).

٢- ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م، (٦ / ٣٤٣).

غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦]، يقول النووي: «والتهديد بالنفي عن البلد يعد لون من الإكراه على الأصح؛ لأن مفارقة الوطن تعد شديدة على المرء؛ ولهذا الأمر شرعت كعقوبة إضافية للزاني»<sup>(١)</sup>، وهذا مما يلحق بالإشارات القرآنية فيما أصله الفقهاء من رخصة تلفظ المكروه بما يخالف معتقده حماية لدينة وبقاء في وطنه.

### المطلب الثاني: الأحكام المتعلقة بالجهاد

هنالك العديد من الإشارات القرآنية التي تربط بين الأوطان وبين الجهاد في سبيل الله تعالى، فمن ذلك جعل الشارع الحكيم الإخراج القسري من الأوطان مسوغاً للجهاد وذلك طلباً بالحفاظ عليها، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِينِنَا وَأَبْنَايَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فأى سبب وعذر في ترك القتال، مع أن واقع الحال يوجب القتال فقد توفرت دواعيه من طرد من الديار وأخذ للأموال والهجر قسراً للأوطان وأما أفراد الأبناء بالذكر فإنما هو لمزيد تقوية للأسباب الموجبة للقتال<sup>(٢)</sup>، فوجب الجهاد في حقهم لما وقع عليهم من ظلم الإخراج.

فتارة يجعل القرآن الجهاد هدفاً للفرار من الأوطان التي يسودها الكفر والظلم فقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأَ تَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٣٦٨﴾

١- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الفقه الشافعي، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ٢٠١٠م، ط ١ (ص ٣٦٨).

٢- حقي، إسماعيل حقي الحلوتي البروسوي، تفسير حقي - روح البيان في تفسير القرآن، دار الفكر - بيروت، (٢ / ٢٧).

[النساء: ٧٥]، فقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسّر الخروج إلى المدينة لبعضهم، وجعل خيرَ وليٍّ وأعزَّ ناصرٍ لمن بقيَ منهم؛ وفتح مكة على يدي نبيِّه صلى الله عليه وسلم، فتولاهم وتولَّ نصرهم، وتكرار الفعل إنما جيء به للمبالغة في الابتهال والتضرع<sup>(١)</sup>، فهي حالة من الحالات لطلب الفرار من أرض الكفر وإن كانت في أصلها وطنًا؛ لعدم القدرة على العبادة والدعوة إلى الله فيها.

وتارة يعلن القرآن الإذن بالجهاد من الله للفتنة التي ظلمت وأخرجت من ديارها بغير حق إلا لمجرد الايمان بالله تعالى، فقال تعالى: ﴿أُذِّنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَكُنَّ عَالَمًا حَرًّا وَلَئِنْ نَضَرْتُمُ اللَّهَ مِنَ نَضْرَتِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]، فالقصد بقله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق؛ كل شخص نبت في مكة ووقع عليه إيذاء أهلها حتى خرج منها حيث خرجت طائفة إلى الحبشة وخرج الجمع بعد ذلك إلى المدينة، أما سبب نسب الإخراج إلى الكفار المتسبين؛ لأن السياق جاء في معرض التقرير للذنب وللإلزامه بمسببه<sup>(٢)</sup>، فأذن لهم بالقتال لما له من شفاء لصدورهم لما وقع عليهم من الظلم الإخراج من الأوطان بغير حق.

وفي ختام هذا المبحث تبرز عناية الشارع الحكيم في القرآن الكريم بتأصيل إشارات قرآنية لأحكام الأوطان المتعلقة بالولاء والبراء، من ربط بين الولاء والبراء وبين الأوطان في علاقات متباينة متنوعة؛ فتارة أوجب تقديم حب الله ورسوله على ملذات الحياة ومنها الأوطان، وذلك عندما يكون هذا الحب فيه تعارض مع أوامر الله تعالى، وتارة أوصى بالإقساط والبر بالمشرك أو الكافر الذي لم يقاتل المسلم أو يتعدى على وطنه، وكذا إشارات قرآنية تجعل الإخراج من

١ - ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (٢ / ١١٣).

٢ - ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، (٤ / ٥٠٠).

الوطن مسوغاً للجهاد في سبيل الله أو هدفاً للفرار من الأوطان التي يسودها الكفر والظلم أو إشارة بإذن الله بالجهاد للفئة التي ظلمت وأخرجت من ديارها بغير حق إلا للمجرد الايمان بالله تعالى .

## الخاتمة

تثبت هذه الدراسة إشارات القرآن الكريم للأحكام المتعلقة بالأوطان؛ لما تحظى به من قيمة واسعة في بناء شخصية المسلم على القيم والأخلاقيات الرفيعة حتى تستقيم حياته، ويؤدي دوره في الحياة، ويسهم بفاعلية في بناء ونهضة أمته ومجتمعه.

و يمكن تلخيص النتائج والتوصيات بما هو آت:

- ١- القرآن الكريم يبين أهمية الأوطان وقيمتها من منظور شرعي.
- ٢- القرآن الكريم يوضح بإشارات أحكام الأوطان المتعلقة بالاستخلاف والتمكين على هذه الأرض وما ترتب على هذا الاستخلاف من معاداة الأقوام لأنبيائهم.
- ٣- القرآن الكريم يقدم إشارات لأحكام الأوطان المتعلقة ببعض القضايا المالية والعقوبات الشرعية.
- ٤- القرآن الكريم ينوه لأحكام الأوطان المتعلقة بالولاء والبراء والجهاد في سبيل الله تعالى.
- ٥- يوصي الباحث بإعداد دراسات قرآنية بيانية ودلالية لتحليل ما سبق ذكره من إشارات.
- ٦- ينصح الباحث بإعداد دراسات تحليلية لمواقف الأنبياء في القصص القرآني المتعلقة بالأوطان من شتى جوانبها.

## المصادر والمراجع

- ابن عاشور، محمد الطاهر (٢٠٠٠). التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور. مؤسسة التاريخ العربي.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب (٢٠٠١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية (تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد). دار الكتب العلمية.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام محمد هارون). دار الفكر.
- ابن كثير، إسماعيل (١٤١٩). تفسير القرآن العظيم. دار الكتب العلمية.
- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (١٩٩٨). الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري). مؤسسة الرسالة.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (١٤١١). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ط٢). دار إحياء التراث العربي.
- الألوسي، محمود (١٤١٥). روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي.
- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء (١٩٨٦). معالم التنزيل. دار المعرفة.
- حقي، إسماعيل حقي الخلوئي البروسوي (٢٠١٨). تفسير حقي - روح البيان في تفسير القرآن (تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن)، (ط٤). دار الكتب العلمية.
- خضر، محمد زكي محمد (آذار ٢٠٠٥). معجم كلمات القرآن الكريم. دار الفكر.
- الرصاع، محمد بن قاسم الأنصاري (١٩٩٣). شرح حدود ابن عرفة (تحقيق: محمد أبو الأجنان - الطاهر المعموري). منشورات دار الغرب الإسلامي.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (٢٠٠٠). تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان. مؤسسة الرسالة.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (١٩٩٣). تفسير السمرقندي - بحر العلوم. دار الكتب العلمية.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٢٠١٠). الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الفقه الشافعي (تحقيق: محمد حسن إسماعيل). دار الكتب العلمية.
- الجرجاني، علي بن محمد (١٩٩٨). التعريفات. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشعراوي، محمد متولي (١٩٩١). تفسير الشعراوي - خواطري حول القرآن الكريم. أخبار اليوم.
- الشوكاني، محمد بن علي (١٩٩٨). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الخير.
- الصاحب، إسماعيل (١٩٩٤). المحيط في اللغة (تحقيق: محمد حسن آل ياسين). عالم الكتب.
- الطبري، محمد بن جرير (١٩٩٩). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ط٣). دار الكتب العلمية.
- القحطاني، عبد الرحمن بن قاسم (١٣٨٥). الدرر السنية في الأجوبة النجدية. مطبوعات دار الإفتاء.
- العكري، عبد الحفي بن أحمد (١٤٠٦). شذرات الذهب في أخبار من ذهب (تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط). دار بن كثير.
- الرازي، محمد بن عمر (١٩٨١). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. دار الفكر.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (١٩٩٣ م). القاموس المحيط. (ط٣). دار الرسالة.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن العمدة (١٩٥٠). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق: سالم محمد البدري). دار الكتب المصرية.
- مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار (٢٠٠٤). المعجم الوسيط (ط٤). دار الشروق.
- مسلم، مسلم بن الحجاج (١٩٩٧). صحيح الإمام مسلم - المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي). دار الحديث.
- ملا حويش، عبد القادر (١٣٨٢). بيان المعاني. مطبعة الترقى.

- النسفي، عبد الله أحمد بن محمود (١٩٩٥). تفسير النسفي - المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل. دار الكتب العلمية.

### Sources and references:

- Ibn Ashour, M. (1420 AH / 2000 AD). Liberation and enlightenment known as the interpretation of Ibn Ashour. (1st ed). Beirut - Lebanon: Foundation for Arab History.
- Ibn Attia, A. (2001 AD). Editor in brief interpretation of the interpretation of the book Aziz Ibn Attia (Tafsir of Ibn Attia). Investigation by Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad. (1st ed). Lebanon: Scientific Books House.
- Ibn Faris, A. (1399 AH - 1979 AD). A Dictionary of Language Standards. Investigation: Abd al-Salam Muhammad Haroun. (1st ed). Beirut: Dar Al-Fikr.
- Ibn Kathir, I. (1419 AH). Interpretation of the Great Qur'an. (1st). Beirut, Lebanon: Scientific Books House.
- Abu Al-Baqa, A. (1419 AH - 1998 AD). Colleges, a glossary of terms and linguistic differences. Investigation: Adnan Darwish, Muhammad Al-Masry. (2ed ed). Beirut: Al-Resala Foundation.
- Abu Al-Saud, M. (1411 AH). Guide a sound mind to the advantages of the Holy Book. (2ed ed). Beirut: Arab Heritage Revival House.
- Al-Alusi, M. (1415 AH). The Noble Quran: Interpretation of the Meanings of the Noble Qur'an and the Seven Mathanis. (1st ed). Beirut: Arab Heritage Revival House.
- Al-Baghawi, h. (1406 AH - 1986 AD). Ma'alim at-Tanzeel. (1st ed). Beirut: House of Knowledge.
- Haqi, I. (1439 AH - 2018 AD). Tafsir al-Haqqi - Ruhul Beyan Tefsiri. Investigation: Abdel Latif Hassan Abdel Rahman. (4th ed). Beirut: Scientific Books House.
- Khader, M. (Muharram 1426 AH - March 2005 AD). Indexed Dictionary of the Words of the Noble Quran. (1st ed). Beirut: Dar Al-Fikr.
- Alrasa, M. (1993 AD). Mushafir Ibn Arafa's limits. Investigation by Muhammad Abu Al-Ajfan - Al-Taher Al-Maamouri. (1st ed). Beirut, Lebanon: From the publications of Dar Al-Gharb Al-Islami.
- Al-Saadi, A. (1421 AH 2000 AD). Tayseer Al-Aziz Al-Rahman in the Interpretation of the Words of Al-Mannan. (1st ed). Beirut, Lebanon: Al-Resala Foundation.
- Al-Samarqandi, A. (1993 AD). Tafsir al-Samarqandi - Bahr al-Ulum. (1st ed). Beirut, Lebanon: Scientific Books House.

- Al-Suyuti, J. (2010 AD). Similarities and isotopes in the rules and branches of Shafi'i jurisprudence. Investigation: Muhammad Hassan Ismail. (1st ed). Lebanon, Beirut: Scientific Books House.
- Al-Jurjani, A. (1419 AH - 1998 AD). Tariffat. (1st ed). Beirut, Lebanon: Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution.
- Al-Shaarawy, M. (1991 AD). Tafsir Al-Shaarawy (My thoughts about the Noble Qur'an). (1st ed). Egypt: Today's News.
- Al-Shawkani, M. (1419 AH - 1998 AD). Fath Al-Qadir, which combines the art of narration and the know-how from the science of interpretation. (1st ed). Beirut, Lebanon: Dar Al Khair.
- Al-Sahib, I. (1414 AH 1994 AD). Al-Moheet in Language. Investigation: Muhammad Hassan Al Yassin. (1st ed). Beirut: The World of Books.
- Al-Tabari, M. (1420 AH - 1999 AD). Jami' Al-Bayan on the Interpretation of the Verses of the Qur'an. (3rd ed). Beirut, Lebanon: Scientific Books House.
- Al-Qahtani, A. (1385 AH). Al-Durar Al-Sunniah in Najd Answers. (3rd ed). Saudi Arabia: Dar Al Ifta Publications.
- Al-Ekry, A. (1406 AH). Shatharat Al Dahab fe Akhbar Min Dahab. Investigation: Abdel Qader Al Arnaout, Mahmoud Al Arnaout. (1st ed). Damascus: Dar Ibn Kathir.
- Al-Razi, M. (1981 AD). The Great Interpretation the Keys to the Knowledge of the Unseen. (1st ed). Beirut, Lebanon: Dar Al-Fikr.
- Al-Firouzabadi, m. (1993 AD). Al-Muhit Dictionary. (3rd ed). Amman: Dar Al-Resalah.
- Al-Qurtubi, a. (1369 AH - 1950 AD). he Collection and Preservation of the Qur'an. Investigation: Salem Muhammad Al-Badri. (1st ed). Cairo: Egyptian Book House.
- The Arabic Language Academy, I/A/H/M. (2004 AD). the intermediate dictionary. (4th ed). Cairo: Dar Al-Shorouk.
- Muslim, M. (1418 AH 1997 AD). Sahih Imam Muslim (Sahih al-Musnad al-Sahih al-Sunan from the Transmission of Justice from Justice to the Messenger of God, may God bless him and grant him peace). Numbering: Muhammad Fouad Abd al-Baqi. (1st ed.). Cairo: Dar Al Hadath.
- Mulla Huaish, A. (1382 AH). Statement of meanings. (1st ed). Damascus: Al-Tarqi Press.

- Al-Nasafi, A. (1995 AD). the interpretation of Al-Nasafi called the Perceptions of Revelation and the Realities of Interpretation. (1st ed). Beirut, Lebanon: Scientific Books House.



التأصيلُ الشرعيُّ لاستخدامِ تقنيات  
الذكاء الاصطناعيِّ رؤيةً إسلاميةً مُعاصرةً

**An Islamic Law-based Foundational Perspective  
to the Use of Artificial Intelligence Technologies  
A Contemporary Islamic Approach**

د. لمياء محمد عبد الفتاح جاد  
جامعة الوصل - دبي - الإمارات العربية المتحدة

**Dr. Lamyaa Mohamed Abdel Fattah Gad**  
Al Wasl University - Dubai - United Arab Emirates

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.03>

تاريخ تسلم البحث 2022/02/14 - وصدر خطاب القبول 2022/05/10





## Abstract

The present study seeks to provide an Islamic law-based foundational perspective toward the use of artificial intelligence (AI) technologies that have come to be a key modern-day development. These technologies are now part and parcel of man's life, particularly with many countries adopting, and still adopt them across various fields. Consequently, an Islamic Law-based approach to the use of such technologies is needed.

Through an inferential analytical methodology, through fundamental and descriptive approach, the researcher has concluded that these AI technologies may be used judging by the Islamic Law perspective applied. After all, they belong to the area of permissible developments; much to the flexibility of Islamic Law across ages and places. It is also concluded that Islam is truly capable of coping with indispensable modern developments. After all, these developments ensure pro-man benefits, services, and interests. However, Islamic Law-enshrined requirements and ethical criteria must be observed, most notably: the necessary programming of AI technologies in a manner that ensures the materialization of the social interests sought, while observing the widely held teachings as well as religious and ethical values.

**Keywords:** (Artificial Intelligence (AI), Islamic Law-based foundational perspective, Islamic Law requirements, ethical criteria, contemporary evidence, service to humanity).

## ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى بيان التأصيل الشرعي لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي بوصفها أحد المستجدات العصرية والتي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة البشرية، خاصة مع قيام الكثير من الدول باعتمادها في الكثير من المجالات المختلفة، الأمر الذي يتطلب بيان الحكم الشرعي لاستخدام هذه التقنيات.

وقد توصلت الباحثة من خلال منهج الدراسة الوصفي والمنهج التأصيلي (الاستقرائي) إلى جواز استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي شرعاً؛ إذ إنها تدخل في دائرة المباحات، وهذا يؤكد صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ورحابة وسعة هذا الدين الحنيف في مواكبة للتطورات العصرية؛ كون هذه التقنيات أحد متطلبات العصر التي لا غنى عنها؛ إذ إنها تلبي المنافع، والخدمات، والمصالح الإنسانية، مع ضرورة اتباع الضوابط الشرعية والمعايير الأخلاقية لاستخدامها، ومن أهمها: ضرورة برمجة هذه التقنيات بما يحقق الأهداف المرجوة لخدمة المجتمع وبما يتواءم مع التعاليم والقيم الدينية والأخلاقية.

**الكلمات المفتاحية:** (الذكاء الاصطناعي، التأصيل الشرعي، الضوابط الشرعية، المعايير الأخلاقية، الشواهد العصرية، خدمة الإنسانية).



## مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين أما بعد،

فمما لا شك فيه أنَّ مفاتيح العلوم الحياتية أساسها العقل، والتأمل، والتفكير، والتدبر، وهي توجيهات وتعاليم دعا إليها الإسلام في كثير من الآيات الكريمة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٣]، وقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢١]، نجد من هذه الآيات الكريمة دعوة ديننا الحنيف إلى التعلم والبحث والاستكشاف والتلازم بين العلم والعمل، والذي يسهم بدوره المستمر في بناء صرح حضاريّ تاريخيّ عالميٍّ يزخرُ بإنجازات وإسهامات العلماء التي ساعدت على التطور والتقدم في مختلف العلوم واستفادات منها البشرية، والخطاب الإلهي للبشرية لم يتوقف عند عصر بعينه، بل منذ أن استخلف الله الإنسان ليكون خليفته في الأرض أمره بالعلم والتعلم ومواصلة هذه المسيرة دون توقف، بجهد مثمر وعمل دؤوب سعيًا لنفع البشر والمجتمع، وكل ما توصلَ إليه الإنسان على مرّ الزمان من اكتشافات للمعارف والعلوم كانت مصدرًا للتطوير والإبداع والابتكار.

واليوم ومع التطور العلميّ وتوفير الدعم بصوره كافة من دعم ماليّ، وتكنولوجيايّ، وحضاريّ، وثقافيّ، وغيرها يتحتم على كل ذي بصيرة أن يعمل على تحقيق اكتشافات علمية جديدة نافعة للبشرية للوصول إلى الاستفادة، ومنها الذكاء الاصطناعيّ -موضوع البحث- بصفته واحدًا من الاكتشافات العصرية الحديثة، بل ويعد نهضة حضارية يستخدم في الكثير من المجالات على أرض الواقع، وله فوائد كثيرة في مختلف المجالات التي تخدم البشرية، لذا لا بد

من بيان التأسيس الشرعيّ لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ وأهم ضوابطه الشرعيّة ومعايره الأخلاقيّة.

أهمية الدراسة: من الضروريّ إيضاح الرؤية الإسلاميّة لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ وتطبيقاته العصرية التي تسهم في خدمة الإنسانية؛ إذ إنّها نازلة من النوازل الفقهيّة المستجدة، والناس في أمس الحاجة إلى فهم أبعادها، لا سيما فيما يتعلق بالحكم الشرعيّ للتعامل بها.

إشكالية البحث: نظراً لحجم التطورات العلمية في العصر الحالي، وما واكبه من تقنيات متعددة اختصت بالذكاء الاصطناعيّ، والتي تلامس حياة البشر بشكل يوميّ، فإنّ الواجب يحتم أن يصار إلى تأسيس شرعيّ جامع مانع لاستخدام هذه التقنيات، ومن هنا فإنّ إشكالية البحث تتمحور في الأسئلة الآتية:

- ١- ما المقصود بالذكاء الاصطناعيّ، وما خصائصه؟
- ٢- ما التأسيس الشرعيّ لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ؟
- ٣- ما الضوابط الشرعيّة والمعايير الأخلاقيّة لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ؟
- ٤- هل أدّت تقنيات الذكاء الاصطناعيّ في العصر الحالي دوراً إيجابياً بما يعود بالنفع على البشرية؟

أهداف الدراسة: تتجلى أهداف الدراسة فيما يأتي:

- ١- بيان مفهوم الذكاء الاصطناعيّ وخصائصه.
- ٢- بيان التأسيس الشرعيّ لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ.
- ٣- بيان الضوابط الشرعيّة والمعايير الأخلاقيّة لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ.

٤- أهم الشواهد العصرية لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنسانية.

الدراسات السابقة: لم تتوصل الباحثة إلى دراسة شرعية تتعلق ببيان حكم التأصيل الشرعي لاستخدامات الذكاء الاصطناعي إلا رسالة للباحثة زهرة محمد عمر بجامعة الشارقة وعنوانها: تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الطبي (دراسة فقهية قانونية)، بإشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل كاظم العيساوي، وهي أطروحة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله تخصص الفقه المقارن، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م، وقد تناولت فيها الباحثة النظرة الشرعية لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال الطب ودوره المستقبلي في هذا المجال، وتطبيق تلك النظرة الفقهية على دور الذكاء الاصطناعي في مشروع الجينوم البشري الإماراتي، بالإضافة لدراسة مسألة الخطأ الطبي وضمائه إن كان الخطأ الطبي ناتجاً عن العلاج بتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

وتتميز الدراسة الحالية عن الدراسة السابقة بأنها تركز على بيان التأصيل الشرعي لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وضوابطه الشرعية ومعايره الأخلاقية، مع إلقاء الضوء على بعض الشواهد العصرية لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنسانية.

منهج الدراسة: انتهجت الدراسة المنهج الوصفي لبيان مفهوم تقنيات الذكاء الاصطناعي وخصائصه واستخداماته في خدمة الإنسانية، ثم المنهج التأصيلي (الاستقرائي) لبيان التأصيل الشرعي لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وضوابطه الشرعية ومعايره الأخلاقية.

خطة الدراسة: تتكوّن من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وبيانها على النحو الآتي:

المقدمة: تتناول أهمية الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة المتبع .

المبحث الأول: مفهوم الذكاء الاصطناعيّ وبيان خصائصه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان مفهوم الذكاء الاصطناعيّ .

المطلب الثاني: خصائص تقنيات الذكاء الاصطناعيّ .

المبحث الثاني: التأصيل الشرعيّ لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ وضوابطه الشرعيّة ومعايره الأخلاقيّة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التأصيل الشرعيّ لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ .

المطلب الثاني: الضوابط الشرعيّة والمعايير الأخلاقيّة لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ .

المبحث الثالث: الشواهد العصرية لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ في خدمة الإنسانية في مختلف المجالات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ في مجالات الصحة والتعليم وخدمة العملاء .

المطلب الثاني: استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعيّ في مجالات الرعاية الخاصة والعمل الخيري .

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

## المبحث الأول: مفهوم الذكاء الاصطناعيّ وبيان خصائصه

### المطلب الأول: بيان مفهوم الذكاء الاصطناعيّ

#### مفهوم الذكاء الاصطناعيّ:

يعد الذكاء الاصطناعيّ أحد التقنيات المتطورة والتي تخضع للتغيير المستمر نظراً التنامي وتطور أنظمة التكنولوجيا، بالإضافة إلى أنه من الصعوبة وضع تعريف محدد لتلك التقنية، فقد ظهرت الكثير من التعريفات له؛ إذ إنّها وضعت بحسب رؤية ومنظور كل عالم متخصص في مجاله، وفيما يلي عرض لبعض التعريفات لتقنيات الذكاء الاصطناعيّ:

عرف الذكاء الاصطناعيّ بأنه: «مركب من كلمتين أحدهما الذكاء والأخرى الاصطناعيّ، والذكاء أمر فطري، أما الاصطناعيّ تعني المصطنعة وليست بالأمر الطبيعي كالذكاء القادر على التفكير وإثارة أفكار جديدة، وأما الذكاء الاصطناعيّ بوصفه لقباً لهذه التقنية يعني: ذلك المجال من علوم الكمبيوتر الذي يركز بشكل أساسي على صنع مثل هذا النوع من الآلات الذكية التي تعمل وتعطي ردود فعل مماثلة للبشر»، فهو مزيج من العديد للأشطة المتمثلة في تصميم أجهزة الكمبيوتر الاصطناعيّة التي تشبه التعرف على الكلام والتعلم والتخطيط وحل المشكلة<sup>(1)</sup>.

وعرف أيضاً بأنه: «علم تقني جديد يقوم على دراسة وتطوير النظريات وأنظمة التطبيق لمحاكاة الذكاء البشري وتوسيعه في مختلف التخصصات؛ حيث يدخل في الكثير من المجالات العلمية، مثل: علوم الكمبيوتر، وعلم وظائف الأعضاء، والفلسفة، وعلم النفس، وعلوم الرياضيات، ويتمثل دوره الأساسي في بناء

1- Mudit Verma, Artificial intelligence and its scope in different areas with special reference to the field of education, International Journal of Advanced Educational Research, India, Vol 3, 2018, p: 5-10.

نظام يحاكي وظائف البشرية يتم التحكم فيها بواسطة نظام كمبيوتر بشري»<sup>(١)</sup>.  
 وعرف كذلك بأنه: «مجال متخصص في حل المشكلات المعرفية المرتبطة عادة بالذكاء البشري، مثل: التعلم وحل المشكلات والتعرف على الأنماط، مع تطوير أنظمتها بشكل مستمر للقادرة على أداء المهام التي تتطلب ذكاءً بشرياً، مثل: الإدراك البصري والتعرف على الكلام واتخاذ القرارات والترجمة بين اللغات»<sup>(٢)</sup>.

وعرف أيضاً بأنه: «جزء من علوم الحاسوب الذي يتعامل مع تصميم الأنظمة الذكية التي تظهر خصائص وقدرات يتم ربطها بالذكاء في السلوكيات البشرية»<sup>(٣)</sup>.

وقد وضعت المفوضية الأوروبية مفهوماً للذكاء الاصطناعي بأنه: «أنظمة تعرض سلوكاً ذكياً من خلال تحليل المشكلات واتخاذ الإجراءات لتحقيق أهداف محددة، وقد تكون هذه الأنظمة المستندة للذكاء الاصطناعي قائمة على البرامج فقط، مثل: المساعدين الصوتيين وبرامج تحليل الصور ومحركات البحث وأنظمة تعرف الكلام والوجه، أو تضمينها في الأجهزة، مثل: الروبوتات المتقدمة أو السيارات المستقلة أو الطائرات بدون طيار أو تطبيقات انترنت الأشياء»<sup>(٤)</sup>.

- 1- Han Lufeng, Analysis of New Advances in the Application of Artificial Intelligence to Education, Conference Paper, 3rd International Conference on Education, E-learning and Management Technology, Nanjing University of Finance & Economics, EEMT 2018, p: 608-611.
- 2- Maud Chassignola, Aleksandr Khoroshavin, Alexandra Klimova & Anna Bilyatdinova, Artificial Intelligence trends in education: a narrative overview, Conference Paper, 7th International Young Scientists Conference on Computational Science, Procedia Computer Science, 2018, p: 17 -24.
- 3- Yolvi Ocaña, Luis Alex Valenzuela & Luzmila Lourdes Garro, Artificial Intelligence and its Implications in Higher Education, Purposes and Representations, San Ignacio de Loyola University, Vol 7, 2019, p: 554-568.
- 4- European parliament, The ethics of artificial intelligence: Issues and initiatives, European Union, 2020, p: 1.

وتأسيساً على ما سبق: فيمكن القول بأن الذكاء الاصطناعي هو: أحد فروع علوم الحاسوب الحديثة والمتطورة التي تعتمد على محاكاة السلوك البشري في مختلف الأعمال، وذلك بالاعتماد على برمجيات تلك التقنيات بما يسهم في قدرتها على التفكير وفهم المشكلات واتخاذ القرارات الصحيحة من تلقاء نفسها.

### المطلب الثاني: خصائص تقنيات الذكاء الاصطناعي

يتضح من العرض السابق لمفهوم الذكاء الاصطناعي أنه يمتاز بالخصائص الآتية:

- يعد الذكاء الاصطناعي أحد فروع علم الحاسوب وأحد أنواع العلوم العصرية الحديثة التي انتشرت بشكل كبير بدخولها في الكثير من القطاعات والمجالات المختلفة.
- نظام يبرمج بشكل يجعله قادراً على التفكير وحل المشكلات بطريقة مماثلة للذكاء البشري.
- قدرة تقنيات الذكاء الاصطناعي على التفكير، والتحليل، والاستنتاج للمشكلات المختلفة الموكولة إليها اعتماداً على تحليل المعلومات والبيانات والتي على ضوءها تستنج المؤشرات الموصلة لاتخاذ القرارات الصحيحة.
- قدرة إتمام هذه التقنيات المهام الموكولة لها في وقت قصير.
- أداء تلك التقنيات للأعمال والمهام يكون بلا كلل أو ملل وخاصة فيما يتعلق بالأعمال التكرارية.
- المقدرة على التطوير والتخطيط التلقائي من خلال الامتزاج بين المعلومات المدخلة والخبرة العملية المتواصلة.

## المبحث الثاني: التأسيس الشرعي لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وضوابطه الشرعية ومعايره الأخلاقية، وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: التأسيس الشرعي لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي

تدور طبيعة الذكاء الاصطناعي في قدرته على محاكاة قدرة البشر والقيام بالمهام والأعمال البشرية، وهو أحد فروع تقنيات علوم الحاسوب التي لا تدع مجالاً للشك في الاعتماد عليه في إنجاز الأعمال في شتى جوانب الحياة العلمية والعملية، وهذا إن دَلَّ فإنما يدل على أهميته لجلبه المصالح والمنافع التي تستفيد منها البشرية، وقد دعانا ديننا الحنيف إلى العلم وحثنا على ما يحقق المنافع للناس؛ ويؤكد ذلك قول الرسول الكريم ﷺ (أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز...)<sup>(١)</sup> ولا شك أن علوم الحاسوب والتي يتفرع عنها ما يخص استخدام التكنولوجيا المتطورة لتقنيات الذكاء الاصطناعي بشكل مبتكر يخدم المستفيدين منه في شتى المجالات هو حرص على إيجاد ما ينفع الناس وتقديمه لخدمات مختلفة.

ويبين هذا الأمر رحابة وسعة ديننا الحنيف في مواكبه للتطورات العصرية، وأنه دين عالمي صالح لكل زمان ومكان، وقدرته على التكيف مع المستجدات العصرية ومنها التقنيات الحديثة، فكل ما يحقق المصالح والمنافع ولم يعارض شيئاً من النصوص الشرعية يكون جائزاً شرعاً، ويدخل في دائرة المباحات، ولا خلاف في كون تحصيل المصالح والمنافع غاية فطرية تتجلى لدى البشرية بقطع النظر كونها شخصية أو عامة، والإسلام بوصفه دين الفطرة يؤكد أن المنافع التي تخدم الإنسانية ولم تتعارض مع تعاليم الإسلام تكون في أتم محاورها وأوسع

١- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٤ / ٢٠٥٢، رقم الحديث (٢٦٦٤)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. د. ت.

طاقاتها أمر مطلوب شرعاً بنص الحديث السابق.

وقد تضافرت النصوص الشرعية التي تضمنت الإرشادات الإلهية بالحث على التفكير وإدراك آفاق العلم والتطلع لما فيه حاجة البشرية، ومنها قوله عز وجل شأنه: ﴿يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ [سورة الرحمن: ٣٣]، فقد ذكر الصحابي عبد الله بن عباس في تفسيره للآية الكريمة أن الحق سبحانه وتعالى يخبر قائلاً: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات وما في الأرض فاعلموه<sup>(١)</sup>، فقوله تعالى: ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ﴾ إشارة إلى أنه متى تسلمح الإنسان بأداة العقل متجاوزاً مع متطلبات الحياة استطاع أن يواكب التطور العصري ملبياً احتياجاته، وهذه التقنيات الحديثة هي طفرة علمية وتطور علمي توصل إليه العلماء كدليل على إعمالهم للعقل، فالعقل دائماً قائد للنجاح واختيار ما يتلاءم مع مصالح البشرية ومنافعهم.

- وقوله عز وجل: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة الرحمن: ٥]، فاستخدام اللفظ القرآني ﴿عَلَّمَ﴾ بصيغة الفعل الماضي للدلالة على المستقبل من جهة وجاعلاً مدلول أن ما لا يعلمه الإنسان مفتوح النهاية من جهة أخرى<sup>(٢)</sup>، وتحصيل الإنسان المستمر للعلم والمعرفة يكون بوسائل متعددة منها ما تنقذ به العقول من المستنبطات والمخترعات<sup>(٣)</sup>، وتقنيات الذكاء الاصطناعي واحدة من الاستكشافات والاختراعات التي توصل إليها الإنسان وتعلمها، لإحداث ما هو جديد ومفيد في أمور الحياة.

١- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ٢٣ / ٤٣، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

٢- مقال بعنوان: "بدائع الكون في القرآن" للأستاذ الدكتور حميد مجول النعيمي، منشور بصحيفة الخليج، ٩ مايو ٢٠٢١، <https://bit.ly/3nNdCAB>

٣- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠ / ٤٤١، الدار التونسية للنشر- تونس، د. ط، ١٩٨٤ م.

- وقوله عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الحديد: ١١]، توضح الآية الكريمة مكانة العلم وثوابه في الدنيا والآخرة، وأن من يجمع بين الإيمان والعلم يرفعه الله بإيمانه درجات ثم يرفعه بعلمه درجات<sup>(١)</sup>، وهذا ليس مقصوراً على العلوم الشرعيّة، بل يشمل كافة العلوم النافعة التي تسهم في خدمة البشرية وتسعى لرفاهية المجتمعات وتقدمها، وفي هذا المقام يقول ابن القيم رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الحديد: ١١]، هؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية»<sup>(٢)</sup>، ويعني ذلك أن الأمة التي تتزين بأهل العلم هي الأمة المؤهلة للقيادة الإنسانية وللعزة وللعيش حياة طيبة وتوفير متطلباتها، وتقنيات الذكاء الاصطناعي أحد متطلبات العصر لتوفيره الخدمات الإنسانية المستدامة<sup>(٣)</sup>، ويؤكد ذلك إطلاق دائرة الشؤون الإسلاميّة والعمل الخيري في دبي منصة الإفتاء الافتراضي من خلال تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بتوفيره قنوات مبتكرة تقدم الفتاوى الشرعيّة والتي تساعد على الحصول عليها في أي وقت والإجابة عن الاستفسارات.<sup>(٤)</sup>

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلحقون النخل، فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال: فخرج شيصاً، فمرّ بهم فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت كذا وكذا، قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»<sup>(٥)</sup>، نجد في

- ١- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، ٥ / ٢٦٦. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- ٢- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، ص: ١٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.
- ٣- سيأتي بيانه تفصيلاً عند بيان الشواهد العصرية لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنسانية.
- ٤- الموقع الرسمي لدائرة الشؤون الإسلاميّة والعمل الخيري بدبي: <https://bit.ly/3nN29B1>
- ٥- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا، ٤ / ١٨٣٦، رقم الحديث (٢٣٦٣).

هذا الحديث أن الرسول الكريم ﷺ عندما مرّ بقوم يلحقون النخل فقال لهم الرسول الكريم لو لم تفعلوا ذلك لصلح فلم يفعلوا، فلما مرّ عليهم بعدها وجد النخل رديئاً لا يمكن أكله، فرد عليهم قائلاً: أنتم أعلم بشؤون دنياكم، وذلك في أمور الدنيا ومعاشها لا أمر التشريع<sup>(١)</sup>، وهذا توجيه نبوي للمسلمين بأن ما يتعلق بالأمور الدنيوية والمعاشية متروكة لهم تنميتها بالوسائل التي يحتاجون إليها بقدر ما يسعف حياتهم ويسعدها، ويدخل في هذا الإطار العلوم الدنيوية التي يكون الناس في أمس الحاجة لها لتنمية معاشهم، واتخاذ السبل المشروعة إلى الابتكار، وهذا يؤكد أن العلم في الإسلام ليس محدوداً بحد معين، وتقنيات الذكاء الاصطناعي أحد متطلبات العصر، فلا بد أن يكون محل عناية واهتمام في العصر الحاضر، بل أصبحت ضرورة قصوى لمواكبة التغيرات العالمية.

ومن المقرر شرعاً أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل هذا الدين الحنيف متضمناً ما يحقق مصالح العباد وجلب المنافع لهم كليةً في العاجل والآجل معاً<sup>(٢)</sup>، وفيما يتعلق بالجزئيات الطارئة التي لم ينص عليها فإعمال المصلحة فيها والأخذ بها أولى من إهمالها ما دامت لم تتعارض مع أصول الشرع أو السنن الكونية لتأكيد المقصود الشرعي بصلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن عدم الأخذ بها يؤدي إلى تعطيل الحياة وإلحاق الحرج والمشقة بالناس، وهذا يتنافي مع مقصود الشارع لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج: ٧٨]، ولا شك أن استخدام هذه التقنيات إعمالاً لمصلحة

١- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا، ١٥ / ١١٦، رقم الحديث (٢٣٦٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

٢- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ٢ / ٩. دار ابن عفا، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.

العباد، والمنفعة متحققة فيها لتأديتها خدمات تفي بحاجات الإنسانية، فهي تعد واحدة من المصالح المرسلّة التي تهدف إلى تحقيق مصالح العباد، وقد أشار إلى ذلك العلامة الدكتور أحمد الريسوني قائلاً: «... إن المصالح المرسلّة تتسع دائرتها يوماً بعد يوم، وتزايد بتزايد حجم الأمة وتزايد حاجتها، وقد أصبحت المصالح المرسلّة تمس كيان الأمة ومصيرها ومدى تقدمها، لذا ينبغي وضع كل مصلحة في مكانها ومنزلتها مهتدين بهدي الشريعة ومقاصدها، وهذا هو الطريق الصحيح لحفظ مصالح الأمة»<sup>(١)</sup>.

وهذا يؤكد أن من أهم أسس التشريع الإسلامي مراعاة مصالح العباد، وهي مبدأ عظيم في الإسلام قد راعاه الله تعالى في خلقه وتشريعته؛ حيث إنه راعى في شريعته أن الأحكام تتبع المصالح<sup>(٢)</sup>، وأن مبناها وأساسها على مصالح العباد في المعاش والمعاد<sup>(٣)</sup>، فهذا دليل على أن الشريعة الإسلامية إنما جاءت لتلبية متطلبات البشرية وتحقيق المصالح سواء فيما يتعلق بالأمر الديني أو الدنيوي، واستخدام هذه التقنيات تلبية أحد متطلبات العصر بطريقة تفي باحتياجاتهم، وتحقيق المصالح العام للمجتمعات.

كما أنه من الأصول الشرعيّة المقررة أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل على تحريمها<sup>(٤)</sup>، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: ٢٩]، فالسياق القرآني جاء بامتنان الله تعالى على عباده

- ١- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، تقديم طه جابر العلواني، ص: ٢٩١، ٢٩٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط ٤، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٢- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الفروق، ٣ / ٩٥، عالم الكتب، د. ط، د. ت.
- ٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، ٣ / ١١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٤- ابن عبد البر، أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي، التمهيد، تحقيق بشار عواد معروف، ٤ / ٣٠٨، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط ١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م.

بأنه تبارك وتعالى خلق جميع ما على الأرض للانتفاع<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على أن الأصل في الأشياء النافعة الإباحة<sup>(٢)</sup>، كما أن اللام في قوله (لَكُمْ) تفيد الاختصاص بما يحقق الانتفاع به<sup>(٣)</sup>، وهذا يتضمن إيحاءً بأن كل ما يحقق المنافع للعباد مأذون فيه ما لم يرد دليلاً على تحريمه ولا يتعارض مع تعاليم الشريعة الإسلامية وأصولها، واستخدام هذه التقنيات تلبّي المنافع والخدمات والمصالح الإنسانية، لذا فهي جائزة شرعاً كونها أحد متطلبات العصر التي لا غنى عنها.

نستنتج من ذلك كما هو معلوم أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وأنها شاملة لكل ما يحتاج إليه الإنسان، تصديقاً لقول رب العزة سبحانه وتعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩]، فالنصوص الشرعية تضمنت كل شيء مقتضاه تحقيق مصالح العباد، إلا أن أساليبها جاءت متنوعة، فمنها ما ورد بالتصريح ومنها ما ورد بالتنبيه، وغيرها ورد بالإشارة أو بالإيحاء ونحو ذلك، وهنا يأتي دور العقول الإنسانية باستعماله بالتفكير والتأمل والتبصر والإدراك لما يقود إلى النجاح والفلاح واختيار الأفضل الذي يتماشى مع متطلبات الحياة ومقتضياتها.

**المطلب الثاني: الضوابط الشرعية والمعايير الأخلاقية لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي.**

مما لا شك فيه أن تقنيات الذكاء الاصطناعي دخلت الكثير من المجالات، ومن

- ١- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ص: ٤٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ٢- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١ / ٣٧٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ٢ / ٣٧٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- ٣- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، المحصول، تحقيق طه جابر فياض العلواني، ٦ / ٩٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

المسلم به أنها ستكون ذات تأثير عميق على شتى جوانب حياتنا، وهنا لا بد بيان الضوابط الشرعيّة والمعايير الأخلاقيّة لاستخدامها، إلا أن منها ما يتعلق بالمدخلات وتصميمها التي تتم من البشر، ومنها ما يتعلق بأداء تلك التقنيات للمهام الموكولة إليها، وبيانها على النحو الآتي:

الضوابط الشرعيّة والمعايير الأخلاقيّة المتعلقة بتصميم تقنيات الذكاء الاصطناعيّ:

- برمجة تقنيات الذكاء الاصطناعيّ بما يحقق الأهداف المرجوة لخدمة المجتمع والصالح العام للإنسانية.
  - الخصوصية: ويتحقق مبدأ مراعاة الخصوصية في تلك التقنيات من خلال البيانات التي يتم إدراجها في التقنيات وبرمجتها بشكل يحفظ سرية المعلومات؛ حيث تعد الخصوصية عنصراً ضرورياً ومهماً لمتطلبات الحياة الإنسانية.
  - الأمانة والإخلاص: وتحقيق ذلك يكون بضرورة مراعاة الدقة والأمانة المهنية في المعلومات المستخدمة في تغذية تقنيات الذكاء الاصطناعيّ لما لها من أثر كبير على القرارات المتخذة والنتائج المتوقعة حال معالجتها للمشكلات.
  - وضع الحلول للمخاطر المحتملة في حالة عدم الالتزام بالضوابط والمعايير الأخلاقيّة ومخالفة أخلاقيات العمل.
- الضوابط الشرعيّة والمعايير الأخلاقيّة المتعلقة بأداء المهام الموكولة لتقنيات الذكاء الاصطناعيّ:
- التأكد من تقديم تقنيات الذكاء الاصطناعيّ المنفعة المرجوة التي تفيدها المجتمع بما يتواءم مع التعاليم والقيم الدينيّة والأخلاقيّة.

- حماية سرية المعلومات والحفاظ عليها من خلال الاستخدام الآمن لتلك المعلومات.
  - الشفافية والنزاهة: ويقصد بها المصداقية والدقة والوضوح في القرارات المتخذة والتي تستند إلى التشريعات والقوانين المنظمة في مختلف المجالات.
  - العدالة: ويتحقق ذلك بعدم الانحياز أو المحاباة من خلال الإجراءات والقرارات المتخذة لجميع المستخدمين تلك التقنيات.
- المبحث الثالث: الشواهد العصرية لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في خدمة الإنسانية في مختلف المجالات، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجالات الصحة والتعليم وخدمة العملاء.
- مجال الصحة:

لم تتوان الحكومات عن أخذ الكثير من الاحتياطات بسبب انتشار فيروس كورونا (Covid 19)، وتسخير تقنيات الذكاء الاصطناعي للحد منه والتصدي لانتشاره، مثل: ما قامت به دولة الإمارات العربية المتحدة؛ حيث نظم مركز تريندز للبحوث والاستشارات إمارة أبو ظبي مع بداية الجائحة حلقة نقاشية عن بعد حول استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لمكافحة الأوبئة: كوفيد ١٩ نموذجاً<sup>(١)</sup>، وخير شاهد على نجاح دولة الإمارات في هذا الشأن: استخدام تلك التطبيقات في القطاع الصحي للحد من انتشار الفيروس ومتابعة المصابين؛ حيث أطلقت البرنامج المعروف بـ «الحصن» والذي يساعد في معرفة نتائج الاختبارات بوصفه وسيلة آمنة للوصول إلى معلومات الشخص قبل وبعد إصابته<sup>(٢)</sup>، علاوة على

١- تريندز للبحوث والاستشارات / أبو ظبي: <https://trendsresearch.org/ar/events>

٢- وزارة الصحة ووقاية المجتمع: <https://www.mohap.gov.ae/en/services/Pages/>

ذلك ما قامت به دائرة الصحة بأبوظبي بإطلاقها تطبيقًا يوفر أدوات رقمية مدعماً بالذكاء الاصطناعيّ يساعد المرضى من الحصول على الخدمات والاستشارات الطبية، كما يقوم بتشخيص الحالات غير الطارئة عن بعد، والآلية المتبعة في هذا التطبيق من خلال التسجيل الصوتي ومقاطع الفيديو، وحجز المواعيد وإدارتها، والحصول على وصفات الأدوية، والخدمات اللوجستية عبر الإنترنت من قبل الطبيب.<sup>(١)</sup>

كما استخدمت الكثير من البلدان تقنيات الذكاء الاصطناعيّ؛ كالصين، وكوريا الجنوبية، وإيران بوصفها أداة فحص أولية للحالات المشتبه فيها، واعتمدت بعض البلدان الروبوتات للقيام ببعض المهام التي تعد وجود البشرية فيها غير آمن، مثل: ما قامت به سنغافورة باعتمادها روبوتات الدردشة الطبية لتلقي استفسارات الجمهور حول الفيروس، والتعرف على الأعراض المبكرة وتثقيف الناس حول الحماية من الإصابة بالفيروس المستجد بدلا من التردد على المستشفيات منعاً لانتشار الفيروس، وكذلك فقد اعتمدت بعض الدول روبوتات للتجول في الشوارع لمناشدة ومطالبة سكان البلد بالحفاظ على التباعد الجسدي منعاً للإصابة بالفيروس<sup>(٢)</sup>.

### مجال التعليم:

يظهر الدور المهم لتقنيات الذكاء الاصطناعيّ ومدى الاستفادة من تطبيقاته في مجال التعليم خاصة في ظل التحديات التي فرضتها جائحة كورونا، فقد أولت الكثير من الدول اهتمامها بإدخال تطبيقات الذكاء الاصطناعيّ في القطاعات كافة

١ - البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة: منصة الرعاية الصحية عن بُعد:

DoH: <https://bit.ly/3IX7z4q>

2- Daniel Shu Wei Ting, Lawrence Carin, Victor Dzau and Tien Y. Wong, Digital technology and COVID-19, Journal of Nature Medicine, BMC, Vol 26, 2020, p: 459-461, & Chinese Hospitals Deploy AI to Help Diagnose Covid-19: <https://bit.ly/33YQHv9>

لا سيما قطاع التعليم، وهذا ما قامت به دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد وضعت خطة لتوظيف ثماني منصات للتعلم الذكي، منها: منصة تيغ تاغ، ومنصة أليكس، ومنصة Connect Ed، وهذه المنصات مزودة بمختلف العلوم التي يستفيد منها الدارسون في مختلف الفئات العمرية والتي تدعم العملية التعليمية؛ حيثُ إنها تسهم في تقديم المحتوى العلمي القائم على التعليم التفاعلي والمرتبط بالواقع.<sup>(١)</sup>

كما اعتمدت بعض الدول الغربية على أعمال تقنيات الذكاء الاصطناعيِّ داخل المكتبات العلمية بصفقتها وسيلة لتقديم خدمات الاستقبال والتوجيه والبحث البيبليوغرافي، بالإضافة إلى مساعدة المترددين على المكتبات من الفئة العمرية -الأطفال وطلاب المدارس- حيث صمم روبوت للقراءة فقط يقوم بقراءة الكتب بصوت عال، ومن ثم إبداء الطلبة تعليقاتهم بعد انتهاء الروبوت من القراءة.<sup>(٢)</sup>

ومن جانب آخر فإن من المهام التي تؤديها تلك التقنيات داخل المكتبة تقديم معلومات الجرد الشاملة لمقتنيات المكتبة، وتحديد أماكن مصادر التعلم من كتب أو وسائل إلكترونية، ومما لا شك فيه أن ذلك يسهم بدوره في خدمة المترددين الزوار على المكتبة وتسهيل عمليات البحث والوصول لما هو مطلوب.<sup>(٣)</sup>

١- آمال بن رجدة، المنصات الذكية مستقبل التعليم عن بُعد -التجربة الإماراتية-، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، كلية الحقوق جامعة الجزائر، الجزائر، المجلد ٥٨، العدد رقم ٢، ٢٠٢١م، ص: ٥٠٥-٥٢٦، مقال بعنوان: «٨ منصات ذكية مدعومة بالذكاء الاصطناعي لتعزيز التعلم عن بُعد»، للكاتبة «دينا جوني»، منشور بجريدة الاتحاد، ١٤ / أكتوبر / ٢٠٢٢. <https://bit.ly/2ZXa8SW>

الموقع الرسمي لوزارة التربية والتعليم - الإمارات العربية المتحدة: <https://bit.ly/3lbc8iE>

2- Bohyun Kim, AI-Powered Robots for Libraries: Exploratory Questions, IFLA WLIC, Conference Paper, Technical University of Applied Sciences Wildau, Berlin, Germany, August 21, 2019.

3- Juja Chakarova & Johannes Trabert, I - Robot, to help You - Librarian, IFLA WLIC, Conference Paper, Technical University of Applied Sciences Wildau, Berlin, Germany, August 21, 2019.

## مجال خدمة العملاء:

من المجالات التي تسهم فيها تقنيات الذكاء الاصطناعي هي خدمة العملاء على مستوى القطاعات المختلفة؛ حيث إنه يوسع بوابة الوصول إلى إنجاز المعاملات والخدمات بشكل أسرع من خدمة العملاء بشكلها التقليدي<sup>(١)</sup>، وخير شاهد على ذلك ما قامت به دولة الإمارات العربية المتحدة حيث طورت الكثير من قطاعات الدولة وأصبحت قائمة على تقنيات الذكاء الاصطناعي، مثل: خدمات المتعاملين في الهيئة الاتحادية للهوية والجنسية والجمارك وأمن المنافذ<sup>(٢)</sup>، فمن هذا المنطلق تم تطوير خدمات الهيئة بما ينسجم مع تقنيات الذكاء الاصطناعي مما أسفر عن حصول الهيئة على شهادة النضج المؤسسي للذكاء الاصطناعي.

المطلب الثاني: استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجالات الرعاية الخاصة والعمل الخيري.

## مجال الرعاية الخاصة:

من أبرز ما ساهمت به تقنيات الذكاء الاصطناعي على الجانب الإنساني في مجال الرعاية الخاصة أنها قد مكنت ذوي الاحتياجات الخاصة من المكفوفين باستكشاف ما يدور حولهم من خلال تطبيق يسمى بـ «الذكاء الاصطناعي لمساعدة المكفوفين»، الذي يؤدي دوراً في وصف مشاهد الحياة اليومية لهم<sup>(٣)</sup>، وذلك بهدف تسهيل شؤون حياتهم وأداء أنشطتهم التي يحتاجون إليها، ولا شك في أن ذلك يساهم في الاعتماد على أنفسهم والتقليل من الاحتياج إلى مساعدة الآخرين.

1- Yang Kunwei, Zhao Zeyi and Chen Xiaoli, Research on Intelligent Financial Customer Service System of Colleges and Universities in the Era of Artificial Intelligence, Journal of Physics: Conference Series, 2020 2nd International Conference on Electronics and Communication, Network and Computer Technology (ECNCT) Chengdu, China, Vol 1738, 23-25 October 2020, p: 1-5.

٢- الهيئة الاتحادية للهوية والجنسية والجمارك وأمن المنافذ: <https://bit.ly/3b4EcyI>

٣- الموقع الرسمي لشركة مايكروسوفت: <https://www.microsoft.com/en-us/ai/seeing-ai>

## مجال العمل الخيري:

تنفذ دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي مشروع «المؤسسة الخيرية الافتراضية» القائم على تقنيات البلوك تشين والذكاء الاصطناعي، وهي منصة خيرية عالمية تهدف إلى تسهيل التواصل بين المتبرع ومستحقيه دون الحاجة إلى وجود وسيط بينهم؛ حيث يهدف إلى الحفاظ على كرامة المحتاجين ومستحقي التبرعات، فضلاً عن فتح المجال أمام العديد من الفئات المجتمعية حول العالم للبحث بصورة ذاتية، بالإضافة إلى أنه يحدد اختيار مجالات وأشكال المساعدات الخيرية التي تتلاءم معهم.

وتبرز إيجابيات هذا المشروع في صور كثيرة أهمها: إنه من خلال الإمكانيات التي تقدمها هذه التقنيات الحديثة والمتمثلة في اختصار الوقت المستغرق في دراسة الحالات التي تستحق المساعدات المالية، والتدخل البشري الذي يكلف جهداً ووقتاً في دراسة الحالات واستيفاء شروط تقديم المساعدة لهم، وتحديد الحالات ذات الأهمية في الحصول على المساعدة، وهذا المشروع يعد فريداً من نوعه في العالم؛ حيث إنه أحد مشروعات المرحلة الأولى لمبادرة «دبي 10X» التي اعتمدها سمو الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم، ولي عهد دبي رئيس المجلس التنفيذي، وتشرف عليها مؤسسة دبي للمستقبل.<sup>(1)</sup>

وفي هذا السياق قامت المملكة العربية السعودية بإنشاء هيئة للبيانات والذكاء الاصطناعي والمعروفة باسم (سدايا) في 2019م، بهدف تطوير استراتيجية السعودية للبيانات<sup>(2)</sup>، وحرصاً من المملكة على توسيع المجالات التي يتم توظيف الذكاء الاصطناعي فيها، فقد تم تطوير منصة (إحسان) لرقمنة العمل الخيري والارتقاء بها وهي بمثابة نقطة تحول في مجال العمل الخيري يهدف إلى رفع

١ - دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي: <https://bit.ly/3BowElr>

٢ - الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي: <https://bit.ly/2YKSBgf>

كفاءة العمل الخيري، وتعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع وتجسيد قيم البذل والعطاء، والانتماء الوطني الحقيقي من خلال المشاركة في الارتقاء بالعمل الإنساني، ومساندة الخدمات والبرامج والمنصات الوطنية المعنية بالتبرع على مستوى المملكة، ورقمنة المنصة تساعد على تحديد الأماكن الأشد احتياجاً وتقديم التبرعات لها بسهولة ويسر وبسرعة عالية.<sup>(١)</sup>

١ - مقال بعنوان: «إحسان ورقمنة العمل الخيري» للكاتب غسان محمد عسيلان، منشور بجريدة صحيفة سبق الإلكترونية، ٢٩ إبريل ٢٠٢١، <https://sabq.org/2cf3SC>

## الخاتمة

وتشتملُ على أهمِ النتائجِ والتوصياتِ:

أولاً: النتائج: تتمثل أهمُ نتائجِ البحثِ فيما يلي:

- ١- الذكاء الاصطناعيُّ هو علمٌ تقنيُّ جديد يقوم على دراسة وتطوير النظريات وأنظمة التطبيق لمحاكاة الذكاء البشري في مختلف التخصصات والمجالات العلمية.
- ٢- صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ورحابة وسعة هذا الدين الحنيف في مواكبته للتطورات العصرية، وقدرته على التكيف مع المستجدات العصرية ومنها تقنيات الذكاء الاصطناعيِّ الحديثة.
- ٣- تحقيق تقنيات الذكاء الاصطناعيِّ المصالح، والمنافع للبشرية، والخدمات الإنسانية، وبذلك تكون جائزة شرعاً وتدخّل في دائرة المباحات.
- ٤- التأكيد على ضرورة برمجة تقنيات الذكاء الاصطناعيِّ بما يحقق الأهداف المرجوة لخدمة المجتمع وبما يتواءم مع التعاليم، والقيم الدينية، والأخلاقية.
- ٥- الحفاظ على خصوصية المعلومات وسريتها كونها مطلباً مهماً ضرورياً لترسيخ الثقة عند المتعاملين مع تقنيات الذكاء الاصطناعيِّ.
- ٦- ضرورة مراعاة الدقة والأمانة المهنية في المعلومات التي يتم تغذية تقنيات الذكاء الاصطناعيِّ لما لها من أثر كبير على القرارات المتخذة عند معالجتها للمشكلات.
- ٧- التأكد من تحقق العدالة وعدم الانحياز عند اتخاذ إجراءات أو قرارات لمستخدمي تلك التقنيات.

## ثانياً: التوصيات:

- ١- سن تشريعات قانونية عالمية بميثاق عالمي لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لكونها تقنيات عالمية توضح المعايير والضوابط لتشغيل تلك التقنيات والمسؤولية المترتبة على أعمالها مع ضرورة متابعة المستجدات العصرية وتحديثه وفقاً لذلك.
- ٢- تنظيم دورات وورش عمل بشكل مستمر لغايات تنمية قدرات للمختصين حول استخدامات تقنيات الذكاء الاصطناعي في مختلف المجالات وما يتطلبه من مهارات مطورة.
- ٣- توفير بيئة رقمية قوية لهذه التقنيات تفادياً لحدوث مشكلات أو أية عوائق عند إجراء عمليات البرمجة ومن ثم استخدامها.
- ٤- وضع بروتوكول إلزامي بميثاق للسلوك المهني يطبق نطاقه على المصممين والمدخلين للبيانات بهدف ضرورة الالتزام المهني للصلاحيات الموكولة له.

## قائمة المصادر والمراجع

## أولاً: المصادر العربية:

- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، تقديم طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط ٤، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- آمال بن رجدة، المنصات الذكية مستقبل التعليم عن بُعد - التجربة الإماراتية -، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، كلية الحقوق جامعة الجزائر، الجزائر، المجلد ٥٨، العدد رقم ٢، ٢٠٢١م.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، المحصول، تحقيق طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، تحقيق أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤م.
- ابن عبد البر، أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي، التمهيد، تحقيق بشار عواد معروف، وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط ١، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م.

- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، الفروق، عالم الكتب، د. ط، د. ت.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

### ثانياً: المواقع الإلكترونية:

- الموقع الرسمي لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي:  
<https://bit.ly/3nN29B1>
- تريندز للبحوث والاستشارات / أبو ظبي:  
<https://trendsresearch.org/ar/events>
- وزارة الصحة ووقاية المجتمع:  
<https://www.mohap.gov.ae/en/services/Pages/Download-Apps.aspx>
- البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة: منصة الرعاية الصحية عن بُعد:  
DoH:<https://bit.ly/3IX7z4q>

- الموقع الرسمي لوزارة التربية والتعليم-الإمارات العربية المتحدة:  
<https://bit.ly/3lbc8iE>
- الهيئة الاتحادية للهوية والجنسية والجمارك وأمن المنافذ:  
<https://bit.ly/3b4EcyI>
- الموقع الرسمي لشركة مايكروسوفت:  
<https://www.microsoft.com/en-us/ai/seeing-ai>
- دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي:  
<https://bit.ly/3BowElr>
- الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي:  
<https://bit.ly/2YKSBgf>

## References:

- Arraysouney, Ahmed, nathariyyatul-maqased 'enda al-emam ashatebey (Al-Imam Ashatebey's Theory of Overarching Aims), International Institute of Islamic Thought, Virginia, USA, ed. 4, 1416 H /1995.
- Bin Rajdal, Amaal, al-menassat athakiyyah mustaqbal atta'aleem 'aan bo'ad - attajrebah al-amaratiyyah (Smart Platforms are the Future of Remote Learning - The UAE Experience), Algerian Journal of Law and Political Science, Faculty of Law, University of Algiers, vol. 58, ed. 2, 2021.
- Arrazey, Abu Abdullah Mohamed bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Attaymey Arrazey, al-mahsoul (The Harvest), edited by Taha Jaber Fayyadh Al-'Elwaney, Arresalah Foundation, Beirut, ed. 3, 1418 H /1997.
- Arrazey, Abu Abdullah Mohamed bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Attaymey Arrazey, mafateeh al-gyayb (Clues to the Unseen), Dar Ihyaa Atturath Al-'Arabey, Beirut, ed. 3, 1420 H/1999.
- Assa'adey, Abdurrahman bin Nasser Assa'adey, tayseer arrahman fi tafseer al-kalam al-mannan (The Facilitation of the All-Generous All-Merciful to the Exegesis of the Revelation of the All-Nourisher), edited b Abdurrahman bin Mu'aalla Alluwayheq, Arresalah Foundation, Beirut, ed. 1, 1423 H/2002.
- Asshatebey, Ibrahim bin Mosa bin Mohamed Allakhmey Al-Ghernatey, almuwafaqat (The Reconciliations of the Fundamentals of Islamic Law), edited by Abu Ubeydah Mashour bin Hassan Al Salman, Dar Ibn 'Affan, Cairo, dr. 1, 1417 H/1997.
- Ashawkaney, Mohamed bin Ali bin Mohamed bin Abdullah Ashawkaney Al-Yamaney, fath al-qadeer (Un-closures by the Omnipotent), Dar Ibn Katheer, Damascus, ed. 1, 1414 H/1994.
- Attabarey, Mohamed bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghaleb Al-Aalamey, jame'a al-bayan fi ta'aweel al-qura'an (Collection of Statements on the Interpretation of the Verses of the Qur'an), edited by Ahmed Mohamed Shaker, Arresalah Foundation, Beirut, ed. 1, 1420 H/2000.
- Ibn Ashour, Mohamed Attaher, attahreer wa attanweer (Emanicipation and Enlightenment), Addar Attonesiyah Lennashr, Tunis, 1984.
- Ibn Abdelbarr, Abu Omar bin Abdelbarr Annamrei Al-Qurtubei, attamheed (The Prologue), edited b Basshar Awwad Ma'arouf et. Al., Al-Furqan Islamic Heritage Foundation, London, ed. 1, 1439 H/2017.

- Ibn Al-Qayyem, Mohamed bin Abi Bakr bin Ayyoub bin Sa'ad Shasuddin bin Qayyem Al-Jawzeyyah, e'alam al-muwaqqe'een 'an rabb al-'aalam (Divine Revelation Receivers' Declaration), Darul-Kutobel-Ilmiyyah, Beirut, ed. 1, 1411 H /1991.
- Ibn Al-Qayyem, Mohamed bin Abi Bakr bin Ayyoub bin Sa'ad Shasuddin bin Qayyem Al-Jawzeyyah, al-fawa'ed (The Avails), Darul-Kutobel-Ilmiyyah, Beirut, ed. 2, 1393 H /1973.
- Al-Qerafe, Abu Al-Abaas Shehabuddin Ahmed bin Edris bin Abdurrahman Al-Malekey, al-furuq (The Differences), Alam Al-Kutub, Darul-Kutobel-Ilmiyyah, Beirut, 1418 H/1998.
- Al-Qurtubey, Abu Abdullah Mohamed bin Ahmed bin Abi Bakr, al-jame'aa le'ahkam al-qura'an (The Collection of the Legislative Guidelines of Qur'an), edited by Abdullah bin Abdulmohsen Atturkey, Arresalah Foundation, Beirut, ed. 1, 1427 H/2006.
- Muslim, Abul-Hussein Ibn Al-Hajjaj Anneissabourei. sahihu muslim (Muslim's Collection of Sound Hadiths), Daru Ihyaet-Turathel-Arabei, Beirut, 2012.
- Annawawei, Abu Zakariyyah Mohyed-Din Yahya. al-menhaj:sharh sahih muslim [The Methodology: Muslim's Collection of Sound Hadiths Explained], Daru Ihyaet-Turathel-Arabei, Beirut, ed. 2, 1391 H/1980.
- Islamic Affairs and Charitable Activities Department, Dubai, <https://bit.ly/3nN29B1>
- TRENDS Research and Advisory Center, Abu Dhabi, <https://trendsresearch.org/ar/events/>
- Ministry of Health and Prevention, UAE, <https://www.mohap.gov.ae/en/services/Pages/DownloadApps.aspx>
- The Department of Health - Abu Dhabi, DOH RemoteCare, <https://bit.ly/3IX7z4q>
- Ministry of Education, UAE, <https://bit.ly/3lbc8iE>
- Federal Authority for Identity, Citizenship, Customs and Port Security, <https://bit.ly/3b4EcyI>
- Microsoft, <https://www.microsoft.com/en-us/ai/seeing-ai>
- Islamic Affairs and Charitable Activities Department, Dubai, <https://bit.ly/3BowElr>
- Saudi Authority for Data and Artificial Intelligence, <https://bit.ly/2YKSBgf>

## ثالثاً: المصادر الأجنبية:

- Bohyun Kim, AI-Powered Robots for Libraries: Exploratory Questions, IFLA WLIC, Conference Paper, Technical University of Applied Sciences Wildau, Berlin, Germany, August 21, 2019.
- Daniel Shu Wei Ting, Lawrence Carin, Victor Dzau and Tien Y. Wong, Digital technology and COVID-19, Journal of Nature Medicine, BMC, 2020.
- European parliament, The ethics of artificial intelligence: Issues and initiatives, European Union, 2020.
- Han Lufeng, Analysis of New Advances in the Application of Artificial Intelligence to Education, Conference Paper, 3rd International Conference on Education, E-learning and Management Technology Nanjing University of Finance & Economics, EEMT 2018.
- Juja Chakarova & Johannes Trabert, I - Robot, to help You - Librarian, IFLA WLIC, Conference Paper, Technical University of Applied Sciences Wildau, Berlin, Germany, August 21, 2019.
- Maud Chassignola, Aleksandr Khoroshavin, Alexandra Klimova & Anna Bilyatdinova, Artificial Intelligence trends in education: a narrative overview, Conference Paper, 7th International Young Scientists Conference on Computational Science, Procedia Computer Science 2018.
- Mudit Verma, Artificial intelligence and its scope in different areas with special reference to the field of education, International Journal of Advanced Educational Research, India, Vol 3, 2018.
- Yang Kunwei, Zhao Zeyi and Chen Xiaoli, Research on Intelligent Financial Customer Service System of Colleges and Universities in the Era of Artificial Intelligence, Journal of Physics: Conference Series, 2020 2nd International Conference on Electronics and Communication, Network and Computer Technology (ECNCT) Chengdu, China, Vol 1738, 23-25 October 2020.
- Yolvi Ocaña, Luis Alex Valenzuela & Luzmila Lourdes Garro, Artificial Intelligence and its Implications in Higher Education, Purposes and Representations, San Ignacio de Loyola University, Vol. 7, 2019.

تَخْيِيلُ المَطِيَّةِ؛ إِبْدَالُهَا وَدَوْرُهَا فِي  
رَحْلَةِ الشَّاعِرِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ  
مِن نَاقَةِ طَرْفَةِ إِلَى خَمْرَةِ أَبِي نُوَاسٍ

**Imagination of the (mاتيyya); its substitutions  
and its role in the journey (Rihla) of the  
ancient Arab poet From the Camel of Tarfa to the  
Wine of Abu Nuwas**

**د. محمد المزطوري**

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الجامعة القاسمية  
الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

**Dr. Mohamed Maztouri**

College of Arts and Humanities - Al Qasimia University  
Sharjah - United Arab Emirates

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.04>

تاريخ تسلّم البحث 2023/10/28 - وصدر خطاب القبول 2024/09/02





## Abstract

Researchers almost agree that the Arabic poem has undergone qualitative changes in structure and subject with poets such as Abu Nawas and others, but it has preserved elements such as journey (Rihla), which is based on the transformation from a dystopian reality into a desirable world, between them, that the poet actually crosses in reality or in the poem, from death to life or pain to pleasure. The image of maṭiyya (camel and animals ridden by Arabs) that transmits it changes between the two worlds, but the structure remains the same. This confirms that the Arabic poem is closely linked to the journey in its various forms, and that the journey has always been a tool of displacement to the world of pleasure, and has also been a source of pleasure at the same time. From the description of camel to the description of women or wine, a displacement in purposes appears, but conception of structure is the same.

**Keywords:** Arabic poem - Structure - Journey - rided animals - Displacement - Camel - wine.

## ملخص البحث

يكاد يجمع الباحثون في الشعر العربي على أن القصيدة العربية القديمة قد شهدت تحولات نوعية بنيةً وموضوعاً مع شعراء مثل أبي نواس وغيره من المولدين، لكن ذلك لا يمكن أن يلغي وجود بنية كلية جامعة تُبنى على خطأ، إن لم يصحح بها الشاعر في القصيدة، فإنها راسخة في تصوراتهِ. وهي بنية ثابتة تقوم على تحقيق الانتقال من واقع بائس إلى عالم منشود، وبينهما برزخ يقطعه الشاعر في الواقع أو في القصيدة، من الموت إلى الحياة أو من الألم إلى اللذة. تتحوّل صورة مطيئة التي تنقله بين العالمين فتكون الناقة أو المرأة أو الخمرة أو غيرها، لكن البنية تظلّ نفسها. وقد حاول البحث أن يؤكد أن القصيدة العربية القديمة مرتبطة بشديد الارتباط بهاجس الرحلة في شكلها المحسوس أو المجرد، وأن المطيئة كانت دائماً ناقلاً إلى عالم اللذة، كما كانت مصدرًا للذة في آن. من وصف الناقة إلى وصف المرأة إلى وصف الخمرة، يظهر تحوّل في الأغراض، لكن البنية الذهنية المجردة نفسها.

الكلمات المفتاحية: قصيدة قديمة - بنية -

تخييل - مطيئة - رحلة - ناقة - خمره .



## مقدمة

إنَّ النَّظْرَ الدَّقِيقَ إِلَى الرِّحْلَةِ فِي القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ بوصفها تجربة وجودية وركنا فنياً أساسياً من أركان القصيدة، يظهر بوضوح أنها لم تستقرَّ مع تغيُّر الأحوال وتغيُّر التجربة الشعريَّة وروافدها التَّخْيِيلِيَّة، ولعلَّ السَّبَبُ عند العديد من النُّقَّاد يعود إلى الاكتفاء بتفسير تغيُّر مطايا الرِّحِيلِ التي يَرَكَّبُون؛ من إِبِلٍ مَثَلتِ الوَسِيلَةَ الأَنْجَعَ للجاهليين، ثمَّ التَّحَوُّلَ إِلَى الغَائِثَا أو العزوف تدريجياً عن التَّعْوِيلِ المطلق عليها بسبب تغيُّر الطُّرُوفِ والإطار الحضاريِّ. وتذهب هذه الآراء إلى تأويل إلغاء المطايا القديمة باعتبار أنها لم تعد مناسبة لحياة الحَضَرِ المُسْتَقَرِّين، فتُسْتَبَدَلُ بالخيل مثلاً لِقُرْبِهَا أَكْثَرَ من حياة الحَضَرِ وحوائجهم، أو تُلغَى لانتفاء الحاجة إلى استعمال مطايا قادرة على عبور الفيافي لامتناع الرِّحِيلِ المُسْتَمَرِّ وحلول الاستقرار محلَّه. وهو ما تجلَّى خاصَّة بعد ظهور الإسلام وتحديدًا في الطُّور العَبَّاسِي، أي أنَّ التَّبْرِيرَ ينحو منحى حضاريًّا يعطي بالاً للمتغيِّرات الاجتماعيَّة والثقافيَّة خاصَّة فيما يتعلَّق بأنماط الاستقرار. وهو تبرير مفيد من جهة الدِّراسَاتِ الحضاريَّة والفكريَّة وفهم الأطُرِ التي أدَّت إلى هذا التَّحَوُّلِ، خاصَّة أنَّ مظاهره جليَّة في الحياة اليوميَّة. ولكن متى حاول الباحث إجراء المقاربة في المجال الأدبيِّ وجد آفاقاً أخرى للبحث وإمكانات متنوِّعة للفهم والتَّأويل تغادر التَّبْرِيرَ التاريخي والاجتماعيَّ المُتَدَاوِلَ في المقاربات الحضاريَّة والاجتماعيَّة لِتَلِجِ عوالم التَّأويلِ الأدبيِّ والثقافيِّ القائم مبدئيًّا على فهم مختلف للظاهرة، ينطلق من محاولة تمثُّلها في علاقة بوظيفة الشَّاعر والعناصر المتعلِّقة بفنِّ الشَّعر. فرغم أنَّ الانتقال من التَّعْوِيلِ الكليِّ على النَّاقَةِ إلى إبدالها بالخيل مثلاً، أو إلغائها بدافع غياب الحاجة إلى وظائفها، كان واضحاً في اليوميِّ من حياة العَبَّاسِيِّين خاصَّة، إلا أنَّ الأمر يكون أدقَّ وأنجع في تناوله في مجال دراسات الأدب من وجهة نظر ثقافيَّة وفكريَّة تتقاطع والتصوُّر الأدبيِّ والفنيِّ للمِطْيَةِ. إنَّ المسألة في عمقها تحتاج دراسة

لفكرة المطيية في حد ذاتها ومحاولة فهم أهميتها ومنزلتها من فهم العربي للوجود والحياة والأدوار الثقافية فيها. يتجاوز الأمر إذن مسألة الأداة التي يركبها الإنسان وتوصّله من مكان إلى مكان، ليصبح متعلّقا بفكرة الانتقال والرحيل من منظور ثقافي يتداخل فيه النفسي والفكري ويُعبّر عنه الأدبي المتجسّد في الشعر أساسًا في تلك الأزمنة. يُنظر إلى المطيية حينئذ باعتبارها أملاً يحدو الإنسان في الخروج من العدم إلى الحياة والابتعاد عن الطلل والهروب منه إلى آفاق رحبة من الرغبة في التجدد والانطلاق في دروب الحياة. كما أنّ الأمر يتعلّق في التّصور الذي يقدّمه البحث، بفكرة الديمومة والخلود والهرب من التّلاشي الذي يُوجده المُقام والحلول وما يُورثه من جمود ورُكود وصيرورة إلى الزوال والامحاء باعتبار أنّ الاستقرار صنو الموت والتّلاشي في ثقافة العربي القديمة ولا وعيه. وتبرز المطيية فكرة أكثر منها أداة ماثلة للعيان، وتتحوّل غاياتها ودوافع حضورها من ثقافة إلى أخرى ومن تصوّر إلى غيره.

### منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج التحليلي الاستقرائي في تفسير الظواهر الفنيّة وتأويلها لفهمها. وهو منهج يقوم على البحث عما به يمكن إثبات الظواهر الأدبية والأحكام النقديّة المتعلقة بها بناء على استقراء النصوص وتحليل الظواهر في إطارها. كما أنّ العمل قد أفاد من منهجيّة المقارنة التي يتيحها هذا المنهج لدراسة ظاهرة أدبيّة في نصّين متمايزين، وهي مقارنة في مستوى المنطلقات والأساليب الفنيّة والدلالات التي يبلغها الباحث باعتماد هذا المنهج.

### إشكالية البحث وغاياته:

يُحاول البحث الإجابة عن سؤال مكانة المطيية ومنزلتها في التجربة الشعريّة القديمة، وهل تساوي تلك المنزلة ما كان لها من قيمة في واقع العربي؟ ومدى

وجاهة القول باستمراريتها رغم تبدل الأحوال واختلاف السياقات. ويسعى من خلال ذلك إلى بيان أهمية المِطِيَّة ومركزيتها في الشعر العربي القديم، وأشكال تحوّلها من تجربة شعريّة إلى أخرى من خلال تتبّع مسار هذه الفكرة وتجلياتها وهيئات تمثيلها في الشعر العربي من الجاهليّة إلى العصر العبّاسي، وكيف حافظ الشعراء على حضورها فكرة رغم تغيّر صور تمثيلها.

كما يسعى البحث إلى بيان معالم بنیان المِطِيَّة وصورها وعناصرها، وخطط الخطاب التي ترد وفقها في القصائد باختلاف الأزمنة وأجيال الشعراء.

ويحاول البحث أن يدرك وعي الشّاعر العربي بوظائف الشعر، وأهمّها الوظيفة الجماليّة والوظيفة التعبيرية.

### الدّراسات السّابقة:

لعلّ أهمّ الدّراسات التي تناولت بالدّرس فكرة الرّحيل ضمن قضايا أخرى، بحث المستشرقة سوزان ستيتكيفتش، عنوانه:

- القصيدة العربية وطقوس العبور: دراسة في البنية التّمودجيّة»، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، المجلد السّتون، ج ١، يناير ١٩٨٥. ولكنّ هذا البحث لم يعرض لمسألة المِطِيَّة بشكل مباشر، وتكمن أهميته بالنسبة إلى موضوع البحث في أنّه انتبه إلى أهميّة فكرة الانتقال وإلحاحها على الشّاعر العربي. ويجد الباحث بعض الدّراسات الأخرى التي اهتمت بصورة النّاقة في الشعر العربي. ولكنّ كلّ هذه الدّراسات تناولت جوانب عرضيّة من موضوع البحث ولم يكن هدفها الأساسيّ تتبّع فكرة المِطِيَّة في الشعر العربي. كما يجد الباحث فائدة مهمّة في دراسة وهب أحمد روميّة:

- شعرنا القديم والنّقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلد ٢٠٧،

مارس ١٩٩٦. ويعرض الكتاب إلى أهميّة النّاقة ودورها في حياة الشّاعر العربي خاصّة في الفصل الموسوم بـ«ؤيّة الذات في القصيدة العربيّة القديمة».

ولكنّ ذلك لا يعني عدم الإفادة من دراسات علميّة أخرى، وإن كانت تعرض للموضوع من جوانب مختلفة أو تقارب أجزاء منه أو تدرسه من زوايا نظر وأهداف بحثيّة مختلفة. ويعرض البحث مجموعة من هذه الدّراسات على سبيل الذّكر لا الحصر، باعتبار أنّها أقرب إلى موضوع البحث، وهي:

- العربيّة: ويبدأ البحث بتلك التي عرضت لدراسة منزلة النّاقة وصورتها في الشّعر العربي القديم، والجاهلي خاصّة.

- حسن رائد، الحاج: النّاقة: الواقع والرمز: دراسة في الشّعر العربي حتى نهاية القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ٢٠٠٥.

- بشير، عبد العالي: صورة النّاقة في النصّ الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٦.

ثمّ ما عرض منها لدراسة الخمرة في شعر أبي نواس.

- حسين (طه): حديث الأربعاء، الطّبعة ١٤، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣.

- المناعي (مبروك): في إنشائيّة الشّعر العربي، دار محمد علي. تونس ٢٠٠٦.

الأجنبيّة:

- Bruno (Paoli): Deux études sur la poésie bachique arabe: 1. Les précurseurs d'al-Hîra. Hal open science. 2008.

- Stetkevych (Susan): Early Islamic Poetry and Poetics, The formation of the classical islamic world. Routledge, London- New York. 2016. Volume 37.

## خطة البحث:

قام البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

تعلقت المقدمة بعرض موضوع البحث وتوضيحه، وتحديد دوافعه وغاياته وخطته وأهميته والدراسات السابقة.

وجاء في التمهيد عرض لأهمية فكرة المِطِيَّة في حياة الإنسان العربي وأثر البيئة في التأسيس لها جس الرحيل.

وعرض المبحث الأول لصور المِطِيَّة وتمثيلاتها في الشعر الجاهلي من خلال تجربة طرفة بن العبد الشعرية، وكيفيات تشكيل بنيان المِطِيَّة / الناقه عنده ودلالاتها.

وركز المبحث الثاني على تغيير صورة المِطِيَّة في تجربة أبي نواس الشعرية في مقابل ثبات مفهومها ووظيفتها، وسعى إلى بيان أثرها في شعره.

ولخصت الخاتمة أهم النتائج. ليلها ثبت بأهم مصادر البحث ومراجعها وترجمتها إلى الإنجليزية.

## التمهيد: فكرة المِطِيَّة في رحلة العربي

خلافًا لما يُذكر في كثير من الدراسات خاصة الاستشراقية منها<sup>(١)</sup> من أنّ العربي كان في صحرائه مشغولاً فقط بالحرب والبحث عن الماء، وأنّ حياته كانت أقرب إلى البدائية، فإنّ هذا العالم الذي مازال يحتاج دراسة وفهماً وتدقيقاً من مختلف جوانبه، مليءٌ بالأسرار والخفايا. ولعلّ منزلة الشعر في المجتمع العربي القديم تُعري بالنظر في المدونة الشعرية وما تعلق بها من ظواهر وخطاباتٍ كالخطاب

١- راجع في ذلك مثلاً؛ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ٥٥، د-ت.

النَّقدي وكتب التَّاريخ والكتب التي جمعت أيام العرب<sup>(١)</sup> وغيرها ممَّا يضيء جوانب من حياة العرب وتصوراتهم في تلك الفترة المُؤسَّسة للثقافة العربيَّة الغنيَّة بالفكر وطُرُق فهم العالم والحياة ومنزلة الإنسان منها ومشاعره وأهوائه. فالشَّعر، رغم ارتباطه بالخيال في مستوى الفضاء الشَّعري للقصائد، إلَّا أنَّه لا يخلو من رصد لطبيعة المجتمع ونظرة الفرد إلى منزلته ودوره وتصوراته وفهمه للعالم والوجود وتفكيره في كينيَّة تصريف الحياة في هذا العالم. ومن هذا المنطلق تُظهر القصائد القديمة بحث العربيِّ في رحلته في الحياة عمَّا به يمكن أن يطوِّع المتاح في مجاله الصَّحراوي ليستطيع التَّأقلم مع الفضاء الذي يحويه.

لم ييأس العربيُّ من شظف العيش وقسوة الحياة وعُسرِها، ولم يفكر في مغادرة أرضه، بل كان أن تأقلم مع تلك الحياة بكلِّ خواصِّها وعُسرِ ظروفها، وكانت له فلسفة<sup>(٢)</sup> في هذا الاختيار الذي قرَّره. قامت هذه الفلسفة على فكرة الانتقال في المكان، فالعربيُّ، وإن كان يؤمن بفكرة المأوى، إلَّا أن مأواه كان واسع الحدود ليمتدَّ إلى كامل الأرض العربيَّة التي كان يعيش فيها، والبوادي خاصَّة<sup>(٣)</sup>. ومن بين الأدوات التي اهتدى إلى اعتمادها المَطِيَّة باعتبارها أداةً وفكرةً، فهي أداة إذا ما تعلَّقت باختصار المسافات الطويلة في البحث عن مصادر الماء والقُوت له ولحيوانه وتوفير ما به يمكن الانتقال في هذا الفضاء البدوي الذي لا يتيح الاستقرار، ورحلة اقتفاء أثر القبائل في تنقلاتها ورحلات الصَّيد. ومن هذا المنطلق جاءت فكرة المَطِيَّة بالنظر إلى أنَّها تقوم على تسخير إمكانات البادية

- ١- جاد المولى (محمد أحمد) والبعجوي (علي محمد) وإبراهيم (محمد أبو الفضل): أيام العرب في الجاهليَّة، دار إحياء الكتب العربيَّة، ط٢، ١٩٤٦.
- ٢- الكندي (سلام): الرَّاحل على غير هدى: شعر وفلسفة عرب ما قبل الإسلام، تعريب محمد بنعبود، دار الجمل، كولونيا- ألمانيا، ٢٠٠٨.
- ٣- يمكن العودة إلى قصيدة ميسون بنت بحدل الكلبي التي تتحدَّث فيها عن وطنها، ولكنَّه وطن بمواصفات خاصَّة أهمُّها الامتداد والاتساع، هو البادية التي تنتقل فيها القبائل العربيَّة. والقصيدة تلك التي مطلعها:

[من الوافر]  
لَبَيْتٌ تَخْفِقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ

لسدّ النقص، فكانت المِطْيَةُ التي يمكن أن يُفهمَ توظيفها في إطار نظريّة التّجاعة والغائيّة<sup>(١)</sup>، تلك التي تقوم على أنّ الحاجة تلحّ على الإنسان للبحث عن وسائل وحلول لتنظيم الحياة. وتبرز المِطْيَةُ من ناحية ثانية فكرةً تتجاوز مجرد أداة انتقال من مكان إلى آخر إذا نظر إليها نظراً عميقاً وشاملاً، فلا تُختزل في صورة الحيوان قديماً أو وسيلة الرّكوب عموماً والسّفَر، بل تُجاوِزُ ذلك إلى اعتبارها مَنفِذاً للحياة وأداةً لاستقبال الوجود والانتقال بين عوالمه والخروج من تقلباته إلى فضاءات أكثر أماناً وأوفر أملاً في التّجاوز والاستمرار. تخرج المِطْيَةُ بهذا المعنى من العالم المادّي المتجسّد «الهَيُولَى»<sup>(٢)</sup> أو التّجسيد المادّي إلى عالم المتصوّرات والأفكار التي تتشكّل داخل الأبنية الذهنية للإنسان لتكون جزءاً من تصوّره للعالم ومنزلته فيه وتجلياً لفهمه كميّات تصريف شؤون الحياة والظفر بحلول لما يعترضه من مشاكل يمكن أن تُوقف مسيرته في الحياة. فتصبح المِطْيَةُ بهذا المعنى المجرّي في الشّعر أداةً لتجاوز الألم واليأس إلى عوالم فسيحة من إمكانات الحياة والأمل، تنقل الشّاعر من الطلل الموحّي بالموت والانذار إلى مدارات الحياة التي تُغري بالتّجربة.

## ١- تجليات تخييل المِطْيَةِ وتمثيلها في رحلة الشّاعر الجاهلي:

يبحث الإنسان عمّا به يبلغ غاياته في فضائه الذي ينتمي إليه. وقد وجد العربيّ في النّاقة خير مِطْيَةٍ يحقق بها غايته المثلى، وهي غاية البقاء، عبر إجرائه بمختلف أضربه من طعام ولباس وتنقل ومعتقد وغيرها من المطالب التي تمثّل المِطْيَةَ وسيلةً مثلى لتحقيقها. كانت النّاقة أجلى تمثيل للمِطْيَةِ لاعتبارات عدّة؛ منها أنّها أفضل

1- Titlestad (Michael): Contesting Teleology as Literary Interpretation. In Research in African Literatures. Indiana University Press. Vol 48. N2. Summer 2017. Pp. 76-88.

٢- أصل لفظ "الهَيُولَى" (Hyle) يوناني، وعُربت بلفظها، وتعني: «الأصل أو المادّة». والهَيُولَى (عند القدماء): «مادّة ليس لها شكل ولا صورة معيّنة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاء العالم المادّيّة». كما ورد في المعجم الوسيط.

الممكنات المتوفرة في فضاء العربيّ البدويّ، وقد بلغت درجات من الإعلاء من شأنها وتمييزها في حياته، لعلّ الدليل الأهمّ على وجهة فكرة انتقال النّاقة من مستوى الإجراء التّجسيدي إلى مستوى الفكرة النّظرية وارتباطها بالأفق التّصوّري، ما آلت إليه في حياة البدويّ بعد مراحل من التّوظيف المرجعيّ في الواقع لتستحيل عبادةً، وتُقام لها طقوس يمكن من خلالها فهم هذه الفكرة عند بعض قبائل العرب وأحيائهم في الجاهليّة وتفسيرها، باعتبار البعد التّصوّري الذي صارت تشتمل عليه والقائم في عالم الفكر من خلال انتقالها من الفضاء المرجعيّ مطيّةً لتيسير أمور الحياة إلى رمز تصوّري. لقد ارتحل العربيّ على النّاقة وجاب الفيافي وهو يركبها، وكانت وسيلته لإدراك غايات عدّة<sup>(١)</sup>. وقد كان للنّاقة في الشّعر العربيّ توظيف تصوّري ذهنيّ من خلال التّعويل عليها بحضورها وعناصرها (أطرافها) في الصّورة الشّعريّة أصلاً استعارياً يتجاوز الصّورة المرجعيّة الواقعيّة<sup>(٢)</sup> ليستمدّ منه الشّاعر العربيّ الأخيّلة التي يبني عليها الصّورة الشّعريّة في القصائد، أو من خلال اعتمادها موضوعاً شعرياً يوطّر من خلاله القسم الثّاني من أقسام البنية النّمودجية للقصيدة العربيّة القديمة، قسم الرّحلة والراحلة<sup>(٣)</sup>.

بعد هذا المهّاد الذي كانت الغاية منه بيان استصناع العربيّ مطيّة لنفسه لسدّ حاجته إلى ما به يؤمّن مختلف الوظائف التي تتطلّبها الحياة في ذلك الفضاء الصّحراوي الذي حلّ به، سيعرض البحث إلى تجلّيات المطيّة وتمثيلها في رحلة الشّاعر العربيّ بمختلف أطوار تلك الرّحلة وأشكالها وضروبها.

١- يمكن مراجعة كتاب حنا الحتي «الإبل العربيّة الأصيلة، جروس بريس، لبنان، ١٩٩٠، ص ١٠ وما بعدها.  
2- Gueunier (Nicole): La production littéraire: métaphore, concept ou champ problématique? <https://www.jstor.org/stable/41704366>  
3- Jacobi, Renate : «The Camel-Section of the Panegyric Ode.» Journal of Arabic Literature, vol. 13, 1982, pp. 1-22.

## ١-١: مِطِيَّتُهُ الشَّاعِرِ العَرَبِيِّ فِي رِحْلَتِهِ: الصُّورَةُ المَرَجِعِيَّةُ لِلنَّاقَةِ

مهما كان مدى قرب البحث من الجوانب النظرية والتصوّرات، فإنه لا يمكن إغفال جانب مهمّ جدًّا في دراسة هذا الموضوع، خاصّة إذا ما تعلق الأمر بقصائد الشّعر العربي القديم، فالبحث يدرس إبداعاً شعرياً لا يغادر موطنه الذي ينشأ فيه ولا يستقلّ عنه مهما بلغ البعد التّخيلي مداهُ في نُصُوصِهِ. فيدرس البحث المِطِيَّةَ باعتبارها معطًى حضاريّاً قائماً في حضوره على تصوّرات غائيّة ماديّة أوّلاً، تُسَلِّمُ إلى التّصوّر الفكري والعقليّ، ويعبّر عنها بأدوات فنيّة يتكفّل بأدائها الشّعْرُ. لذلك يبدو لزاماً الطّفرُ بفهم لتجليّ المِطِيَّةِ وأدوارها في رحلة الشّاعر العربي في يَوْمِيَّةٍ، والمقصودُ الانتقال في المكان والزّمان والتّعويل على هذه المِطِيَّةِ في توفير الطّعام والملبس.

لجأ العربيّ البدويّ قديماً إلى النّاقة مِطِيَّةً للانتقال في المكان باعتبار الظروف المحيطة به، التي لا تتيح له التّنقل بأدوات أخرى، لبساطة الحياة أوّلاً من جهة الوسائل المعدّة للتّنقل، ولعسر الطّبيعة ومعطياتها الجغرافيّة ثانياً، وضرورة توفّر مِطِيَّةٍ قادرة على تحمّل مكاره الصّحراء وضمان الوصول إلى الوجهة المقرّرة، وهو ما توفّره النّاقة وتضمّنه للعربيّ في باديته. وقد أدرك العربيّ ذلك فطوّع النّاقة، ولم تكن مُطَوَّعَةً قبل ذلك في فضائه الصّحراويّ. ولعلّها بدخولها مرحلة التّدجين مثلت نُقْلَةً ذات أهميّة كُبرى بين الأزمنة العربيّة القديمة، بل إنّها كانت محدّداً حضاريّاً فاصلاً بين مرحلتين من حياة العرب القديمة، ربّما لم تحظ بما تستحقّ من دراسة (المقصود دخول الإبل مرحلة التّدجين والاستعمال البشريّ، لأنّها في عصور سابقة كانت حيواناً غير مروّض). ولعلّ مجال الدّراسة يضيق على تتبّع هذه الفكرة وما يترتّب عنها من مسائل مهمّة، سوى من تبرير اختيار النّاقة بدل الجمّل لتنال تلك المنزلة وتحيط بها تلك الهالة من القداسة، وهو أمر

مهمّ سيعرض إليه هذا البحث لأنه يقوم على دراسة ما يميّز الناقة وخاصة فكرة الخصوبة. وقد كان لبعض الشعراء إجراءً طريفاً تمثل في تركيب الجنس في ذكر الإبل؛ فكان أن ذكروا الناقة اعتباراً لأن الذكر في تصوّرهم أقدّر على تحمّل المشاق والصعوبات وتجاوزها. وكان أن اختاروا الناقة المؤنثة لا الجمل، ثم أجروا عليها تعديلاً صرفياً تركيبياً تمثل في اعتماد أدوات الصّرف لتذكيرها، فهي كل من هذا النموذج الأوفى للكمال، وهو الإبل؛ أنثى لتضمّن الخصوبة وتأنل لامتلاك القداسة التي كانت عند العرب أعلق بالمؤنث، ثم تذكّر هذه المطية لضمان القوة والقدرة. فالخلاصة أنّهم «استجملوا» الناقة (أي وسّموها بصفات الجمل، قياساً إلى قولهم «استنوق الجمل»<sup>(١)</sup>) وعوض استدعاء صورة الجمل المذكور، فقد جاءت ناقة مؤنثة مخصبة تحيط بها هالة من القداسة وتنسب لها بعض صفات الجمل لتكون أكمل وتحلّ في أهبى صورة لها. ومن العجيب في بلاغة العرب القدامى التضادّ المطلق بين استهجان استنوق الجمل وبين استحسان «استجمال الناقة»<sup>(٢)</sup>. ويمكن عرض أمثلة كثيرة على هذا الاستعمال، منها قول للأخطل<sup>(٣)</sup>:

[من البسيط]

على مذكرة ترمي الفروجُ بها      غول النجاء إذا ما استعجل الغنق

وغيره كثير عند جرير والفرزدق وغيرهما. سخر العربي، إذن، الإبل لتحمل متاعه، فكانت سفينته في صحرائه كما شاع عنها. وكان يعتمد عليها في حركته في المجال الذي يعيش فيه لأغراض مختلفة منها؛ الانتقال للبحث عن الماء والطعام والكلأ.

- ١- استعمل الباحث مصطلح "استجمل" بمعنى ألصق به / بها صفات الجمل، قياساً إلى القول المأثور عن طرفة بن العبد في حكمه على بيت للمسبب بن علس، الذي يقول فيه: [من الطويل]  
وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره... بناج عليه الصّعيرة مُكدم
- ٢- من طريف ما تتيح اللغة العربية وتصريف ألفاظها والأشفاق فيها أنّ لفظ "استجمل" يتيح معان كثيرة؛ منها الأصلي المقصود من استعمالنا "استجمل" وهو نسبة صفات الجمل إلى الناقة، كما يمكن أن يذهب بالمعنى إلى تجميل الناقة بصفات من سجل الذكر، بناء على ما تفيد صيغة استفعال.
- ٣- الأخطل: الديوان، تح أنطوان صالحاني، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩١، ص ٢٦٠.

وكانت النَّاقَةُ مَطِيَّةً ارْتِحَالًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ تَحْقِيقًا لِقَانُونِ الظَّنِّ الَّذِي ظَلَّ يُلَازِمُ الْبَدُوَّ بِاعْتِبَارِهِ نَمَطَ حَيَاةٍ، وَكَانُوا يَتَسَلَّلُونَ عَنِ الْحَبِيبَةِ الَّتِي رَحَلَتْ وَظَعَنْتْ أَوْ كَانَ ضَرُورِيًّا بَيْنَهَا لِأَيِّ دَاعٍ كَانَ، كَالْتَوَجُّهِ إِلَى مَمْدُوحٍ لِمَدْحِهِ، حَتَّى تَكُونَ أَدَاةً لِتَجَاوِزِ مَا خَلْفَتْهُ مِنْ آثَارِ الرَّحِيلِ. يَقُولُ الْمَسِيَّبُ بْنُ عَلْسٍ<sup>(١)</sup>: [مِنَ الْكَامِلِ]

إِذَا تَرَحَّلْتَ مِنْ سَلْمَى بِغَيْرِ مَتَاعٍ      قَبْلَ الْعُطَاسِ وَرُعْتَهَا بِوَدَاعٍ  
فَتَسَلَّ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ      بِخَمِيصَةِ سُرْحِ الْيَدَيْنِ وَسَاعٍ

يُمْكِنُ اسْتِخْلَاصُ مَا كَانَ لِلنَّاقَةِ مِنْ قِيَمَةٍ وَمَنْزَلَةٍ فِي يَوْمِي الْعَرَبِيِّ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِ. وَلَكِنَّ تَوْظِيْفَهَا لَمْ يَقتَصِرْ عَلَى هَذَا الْمَجَالِ، بَلْ جَاوَزَهُ لِيَمْتَدَّ إِلَى مَسَاحَاتٍ أَوْسَعِ وَفَضَاءَاتٍ أَرْحَبِ فِي حَيَاةِ الْعَرَبِيِّ الْبَدَوِيِّ خَاصَّةً.

#### ١-٢: تَحْوِيلَاتُ صُورِ الْمَطِيَّةِ: الْمَطِيَّةُ مَعْنَى شِعْرِيًّا

حَازَتِ النَّاقَةُ مَنْزَلَةً عَلَى غَايَةِ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ فِي تَصَوُّرِ الْعَرَبِيِّ الْبَدَوِيِّ لِلْحَيَاةِ وَتَمَثُّلِهِ لِلوُجُودِ وَتَصْرِيْفِ شُؤْنِهِ وَتَنْظِيمِ الْحَيَاةِ الذَّهْنِيَّةِ وَمَعْتَقَدِهِ وَفَهْمِ أَسْرَارِ الْحَيَاةِ بِاعْتِبَارِ حُضُورِهَا تَمَثُّلًا مُطْلَقًا لِلْمَطِيَّةِ وَليْسَ مَجْرَدَ حَيَوَانَ يَسْتَعْمَلُهُ الْعَرَبِيُّ فِي الْحَيَاةِ. وَكَانَتْ وَظَائِفُ النَّاقَةِ كَثِيرَةً مُتَعَدِّدَةً فِي الْمَجَالِ التَّصَوُّرِيِّ وَالْمُخَيَالِ الْعَرَبِيِّ الْبَدَوِيِّ، فَقَدْ مَثَلَتِ الْإِبِلَ مُعَادِلًا مُوَضُوعِيًّا لِلشَّاعِرِ فِي رِحْلَتِهِ فِي الْأَزْمَنَةِ الْوُجُودِيَّةِ<sup>(٢)</sup>. وَلَعَلَّ أَكْبَرَ تَجَلٍّ لِذَلِكَ صُورَةُ نَاقَةِ طَرْفَةِ بَنِ الْعَبْدِ مِنْ مَعْلَقَتِهِ. جَاوَزَتْ هَذِهِ النَّاقَةُ صُورَةَ أَدَاةِ التَّنْقُلِ الْبَسِيطَةِ لِتَسْتَحِيلَ أَيْقُونَةَ أَدْبِيَّةٍ فِي الْفَضَاءِ الشَّعْرِيِّ لِلْقَصِيدَةِ مِنْ خِلَالِ مَا تَجَمَّعَ حَوْلَهَا مِنْ عِلَامَاتٍ. وَقَدْ مَثَلَتِ النَّاقَةُ الْعِلَامَةَ الْمُهَيْمِنَةَ الَّتِي تَجْمَعُهَا وَمِنْ خِلَالِ تَوَاتُرِ الصُّورِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ النَّاقَةُ مَدَارَهَا، وَلِتَسْتَحِيلَ

١- الْمَسِيَّبُ بْنُ عَلْسٍ: الدِّيَوَانُ، جَمْعٌ وَتَحْقِيقٌ وَدِرَاسَةٌ عِبْدِ الرَّحْمَانَ مُحَمَّدِ الْوَصِيفِيِّ، ط١، مَكْتَبَةُ الْأَدَابِ، الْقَاهِرَةَ، ٢٠٠٣، ص٤٣.

٢- رُومِيَّةٌ (وَهَبٌ أَحْمَدُ): شِعْرُنَا الْقَدِيمُ وَالتَّقْدِيمُ الْجَدِيدُ، سِلْسِلَةُ عَالَمِ الْمَعْرِفَةِ، الْمَجْلِسُ الْوَطْنِي لِلتَّقَاةِ وَالْفُنُونِ وَالْأَدَابِ - الْكُوَيْتِ، مَارِسَ ١٩٩٦. ص١٨٤.

أيضا تجليا لفكرة المطية بمنحها التصوري الذي يُخرجها من إطار المحسوس المدرك إلى إطار المجرد الذي يؤهلها لنقل الإنسان العربي في مدارات البحث عن تحقيق كينونته وإثبات ذاته، فتتصرف إلى جانب أدوات أخرى كالوشم والوشى لأداء أدوار وجودية.

لم يقتصر سعي العربي في صحرائه على البحث عن الطعام والماء والكلاء لحيوانه، ولا كان هدفه متوقفا على التنقل للتجارة أو الطواف بالبه فحسب. لقد كان العربي يتنقل في مدارات الوجود البشري بأطوارها النفسية والوجدانية والفكرية أيضا، يفكر ويبحث عن مسارات يمكن من خلالها أن يؤمن وجوده ويرسخ حضوره في هذا العالم بعد تفكيك رموزه وفهم كونه لأن الإنسان لا يفتأ يغالب الحياة وصنوف الدهر ونوائبه وما يعرض في طريقه لتحقيق كينونته وأداء وظيفته التي تقوم على محاولة تطويع الموجودات لخدمة أغراضه وأهدافه الحيوية والوجودية. إن الناقة أقرب الحيوان إلى فؤاد العربي في صحرائه لأنها توفر كل ما سبق الحديث عنه من متطلبات الوجود والاستمرارية. ولكن ربما لسبب آخر غير ظاهر تعلق العربي بالناقة واصطفائها مطيته في هذه المتهات التي كان يخوض في دروبها بحثا عن تحقيق ذاته وتثبيت كيانه، وهو أن الناقة مثلت الكائن الأغرّب والأشدّ ارتباطا بالأسرار والعجائب، وهو ما يجعله النصّ القرآني في حديثه عن الإبل<sup>(١)</sup>. وتبدو الناقة حيوانا عجيبا من خلال صفاتها وخاصة قدرتها على التأقلم مع معطيات الفضاء الذي تعيش فيه، فضاء الصحراء الممحلة وظروف الحياة القاسية التي تتطلب خصالا غير عادية لتحمل القميص الشديد والصبر على العطش والجوع في فلاة لا طعام فيها إلا من بعض نبات الصحراء الذي يغلب عليه النبات الشوكي. كما تبدو الناقة كائنا فريدا من خلال شكلها المختلف عن كل الحيوانات التي تعيش في ذلك الفضاء، وكذلك من خلال طباعها التي تقترب

١- انظر: الآية الكريمة: «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت». الغاشية: ١٧.

في بعض مظاهر سلوكها من الإنسان في حنينها على وَلَدِهَا وبكائها الذي لا يمكن معاينته في غيرها من الحيوان. ربّما كان هذا السَّبب في اصطفاء النَّاقَةِ مَطِيَّةَ الْعَرَبِيِّ في رحلته على جميع وُجُوْهَهَا التي ذُكِرَتْ.

يفيد في ذلك قول طرفة بن العبد من معلقته<sup>(١)</sup>: [من الطويل]

أُمُونٌ كَأَلْوَا حِ الْإِرَانِ نَصَاتُهَا      عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجِدٍ  
جُمَالِيَّةٍ وَجَنَاءَ تَرْدَى كَأَنَّهَا      سَفَنَجَةٌ تَبْرِي لِأَزْعَرَ أُرْبِدٍ  
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعْتُ      وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعْبِدٍ

وكان وصف طرفة للنَّاقَةِ متراوِحا بين صفاتها المتعلقة بعطائها في اليوميّ، وبين ما تعلق بدورها في الرِّحْلَةِ الوجوديّة للشَّاعر أو الإنسان العربيّ المهموم بقضايا الوجود الإنسانيّ عموما.

تجاوز طرفة بن العبد في تصويره النَّاقَةَ صورتها النَّمطِيَّةَ المعلومة في الطَّبيعة، فاستحالت في معلقته ناقةً عَجَائِبِيَّةً أسطوريَّةً لا تتحقّق إلّا في القصيدة، ولعلّ مردّد ذلك الاحتفاء الذي أجراه طرفة في تصوير النَّاقَةِ أنّها أملُّ الوحيد في الانعتاق من الواقع المتردّي الذي كان يعيشه، وكان الطَّلُّ سببًا غير مباشر فيه من خلال ما يضيفه من بؤس وفقدان أمل في الحياة. لقد مثّلت حياة طرفة بن العبد كما تروى في المصادر قصّة معاناة مزدوجة؛ معاناة عامّة وجماعيّة يشترك فيها مع سائر الشعراء العرب الذين وقفوا بالأطلال ووصفوها وبيّنوا أثرها من أنفسهم، ومعاناة فرديّة نتيجة لما كان يلقاه الشَّاعر من نبذ وإبعاد في مجتمعه المصغّر (القبيلة)، يقول من المعلقة<sup>(٢)</sup>: [من الطويل]

١- الزّوزني: شرح المعلقات السبع، لجنة التحقيق في الدّار العلميّة، معلقة طرفة بن العبد، بيروت- لبنان، ١٩٩٢. ص ٥٠.  
٢- نفسه: ص ٥٩.

إِلَى أَنْ تَحَامَتَنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمَعْبُدِ

كان الشاعر العربي من خلال نموذج طرفة وغيره من الشعراء القدامى<sup>(١)</sup> واعيا بأثر الطلل باعتباره من متعلقات الموت والفناء، فهو طلل يحو آثار الحياة وما يتعلق بها من البهجة والسرور والأمل في الوصال. وقد تجلّى فعله في معلّقة طرفة من خلال صورة الوشم الذي كاد يّحي رغم كونه رمزا للثبات ومحاولة لتخليد ذكرى الإنسان، يقول<sup>(٢)</sup>: [من الطويل]

لِخَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةِ تَهْمَدٍ تُلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

ولمواجهة آثار الموت الماثلة في الطلل، كان لا بد من فكرة الرّحيل للبحث عن عوالم أخرى ممكنة للحياة، وهو ما عبّر عنه الشاعر تصريحاً لا تلميحاً في قوله<sup>(٣)</sup>:

وَإِنِّي لِأَمْضِي إِلَيْهِمْ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعَوَجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

تستدعي فكرة الرّحيل مطيّة قويّة قادرة على تجاوز الصّعب وتبليغ الشّاعر هدفه من الرّحلة وتأمينه من أهوال الرّحيل المجهول في تلك المفازات المقفرة، فكانت النّاقة العجائبيّة التي صوّرها طرفة تصويراً طريفاً مختلفاً عن صورتها الأصليّة في المرجع الواقعيّ، فقد جاءت معادلة لسفينة البحر، اصطفى لها الشّاعر جودة الصّنع وعراقة الأصل «عدوليّة أو من سفين ابن يامن».

لقد استوت النّاقة على هيئة معمارٍ يُشيدُه الشّاعر فنّيّاً من خلال الصّورة

١- لا يقتصر استدعاء صورة النّاقة في تحقيق الرّحيل وتأمينه على طرفة بن العبد، بل هو أمر حاضر في أغلب الشعر القديم، والجاهليّ خاصّة، ولكنّ حدود موضوع البحث جعلت التركيز يكون على ناقة طرفة لاعتبارات من بينها أنّها تبدو أكمل تجليات تصوير النّاقة في الشعر الجاهلي، ومن الأمثلة من غير شعر طرفة، قول امرئ القيس:

[من الطويل]

وَمِنْهُمْ نَصُّ الْعَيْسِ وَاللَّيْلِ شَامِلٌ... تُيَمِّمُ مَجْهُولًا مِنَ الْأَرْضِ بَلَقَعَا

٢- الزّوزني: شرح المعلقات السّبع، مصدر مذكور، ص ٤٧.

٣- نفسه: ص ٥٠.

الشَّعرية متوسِّلاً بالوسائط البلاغية، فيقدِّم صورة لمطيَّة تُشَدُّ الكَمَالَ. تنافس هذه الناقَة مثيلاتها وتتفوق من خلال تتبُّع حركتها، يقول<sup>(١)</sup>:

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعْتُ  
وَضَيْفًا وَضَيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبِّدٍ

تبدو الناقَة وكأنَّها قد قَدَّتْ من معدن يأمن لها الخلود، ويواجه فعل الزَّمان. يقول في ذلك<sup>(٢)</sup>:

أَمُونٌ كَأَلْوَا حِ الْإِرَانِ نَسَاتُهَا  
عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجِدٍ

ومن صفات الناقَة أنَّها ممتلئة مكتنزة اللحم مما يوحي بأنَّها لا تحتاج إلى غذاء أو زاد يمكن أن يعطل البحث عنه وطلُّبُه أداء وظيفتها في نقل الشَّاعر مسافات طويلة، يقول الشَّاعر من القصيدة نفسها<sup>(٣)</sup>:

جَمَالِيَّةٍ وَجَنَاءَ تَرْدِي كَأَنَّهُا  
سَفَنَجَةٌ تَبْرِي لِأَزْعَرَ أَرْبَدٍ

تبدو صورة الاكتناز والامتلاء صورة ملحة في تصوير الناقَة عند القدامى الجاهليين خاصَّة، فلعلَّهم من خلالها يسعون إلى إبدال النَّقص وسدِّ الحاجة التي عندهم إلى القوت باعتباره عزيزا لا يتوفَّر في كلِّ حين، وهو أمر من متعلَّقات حياة البدو. وما يدعم هذه الفكرة وصف امرئ القيس للناقَة من معلقته<sup>(٤)</sup>: [من الطَّويل].

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَدَارِي مَطِيَّتِي  
فِيَا عَجَبًا مِنْ كَوْرِهَا الْمُتَحَمِّلِ  
فَظَلَّ الْعَدَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا  
وَشَحْمٍ كَهَدَّابِ الدُّمُقْسِ الْمَفْتَلِ

١- الزَّوزني: شرح المعلَّقات السَّبع، مصدر مذكور، ص ٤٧.

٢- نفسه: الصَّفحة نفسها.

٣- نفسه: الصَّفحة نفسها.

٤- نفسه: معلقة امرئ القيس. صص ١٦ / ١٧.

ويُشيدُّ طرفة معالم بِنِانِ النَّاقَةِ العِجائِبِيِّ من خلال تصوير تفاصيل هذا البِنِانِ (أطراف النَّاقَةِ) إلى أن يبلغ الكمالَ في وصفها، فيستدعي لها صورة كَلِيَّةَ يَنتقل بها من الخاصِّ إلى العامِّ، وهي صورة القنطرة عبر التَّشبيهِ، يقول<sup>(١)</sup>: [من الطَّويل]

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا      لَتُكْفَنَ حَتَّى تُشَادَ بِقِرْمِدِ

فتبدو النَّاقَةُ في تمام الكمال، وهو كمال تستدعيه المَهْمَةُ التي أوكلت لها، والهدفُ من استعمالها والتَّعويل عليها، أي الانتقال من عالم الموت إلى عالم الحياة. فالمطِيَّة من جنس المَهْمَةُ التي أُنيطت بها. يبدو الشَّاعر على وعي تامِّ بمتطلِّبات المطيَّة وصفاتها لذا فقد خصَّص لها حيزاً من التَّصوير تجاوز ما خصَّصه لوصف الطَّلل بكثير، وقد جعل الوصف دقيقاً مفصَّلاً، وهو ما يوحي بوجود خِطَّةٍ للخطاب الشَّعري تُبنى وفقها أقسام القصيدة وصوَّرها لتكون قادرة على نقل الشَّاعر إلى عوالم الأمل والحياة.

## ٢- إبدال المطيَّة وتخيل عوالمها في العصر العبَّاسي:

لا يمكن لطفرة النَّزوع إلى التَّجديد وموجة المغايرة والاختلاف التي وسمت شعر القرن الثَّاني للهجرة أن تخفي استمرار فكرة مركزية ثابتة في مسيرة الشَّعر العربيِّ باعتباره معبراً عن وجدان الإنسان وتصوِّراته، وهي فكرة الرِّحلة في مسارات الحياة ودروبها وما تعلق بهذه الرِّحلة من وسائط وأدوات سخَّرها العربيُّ لذلك، وأهمُّها مدار هذا البحث، وهي المطيَّة. حيث لم يغيب عن ذهن شعراء العصر العبَّاسي، وعلى رأسهم أبو نواس بوصفه من أشهر الشُّعراء المولِّدين، أهميَّة وجود مطيَّة تُحقِّق لِمُتَطِّبِهَا غايَتَهُ المُمثَّلة في فهم الوجود وتفسير العالم المحيط به وتحديد منزلته منه وأدواره وكيفيات ترسيخ فعله في هذا الوجود، وخاصَّة تحقيق فكرة الانتقال من واقع الألم والمعاناة الإنسانيَّة إلى

١- الرُّوزني: شرح المعلقات السَّبع، مصدر مذكور، معلقة طرفة بن العبد، ص ٥٣.

تحقيق اللذة وطلب الخلود. وبالنظر إلى تحوّل المِطْيَةِ من صورة محسوسة إلى فكرة ذهنيّة، فهي قابلة للاستمرار مع تعديل هيئات حضورها وأشكاله بما يقتضيه الإطار الحضاريّ والفنّي الجديد الذي توفّر في ذلك العصر. فكان - حسب ما يبدو - أن استبدل شاعر القرن الثّاني، وهو يبحث عن المغايرة ويتّبع مسارَ التّنوع على القصيدة القديمة، هيئةً جديدةً لحضور المِطْيَةِ في أشعاره، فكانت مع أبي نواس مثلاً الخمرة. ولا يقتصر حضور الخمرة مِطْيَةً في شعر أبي نواس على بعض النّصوص، بل يبدو ذلك جليّاً في قصائد كثيرة. أدّت الخمرة وظيفة المِطْيَةِ بوضوح وتجلّت أكمل ما يكون أداةً طوّعها أبو نواس لتكون وسيلته في رحلته الوجوديّة والفنّيّة في التّفكير في منزلة الإنسان في الحياة وبلوغه مدارات جديدة للشعر لا تتّاح، ربّما، بالتصوّر القديم للمِطْيَةِ، من ذلك قوله من قصيدته التي مطلعها<sup>(1)</sup>: [من مجزوء الرّمل]

غَرَدَ الدِّيكَ الصَّدُوحُ فَاسْقِنِي طَابَ الصَّبُوحُ

ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى الإجراء الفنّي الذي يعمد إليه أبو نواس، وهو التّخييل<sup>(2)</sup> بمعناه المخصوص القائم على انتقاء العلامات الشعريّة واختيارها من المرجع، وإعادة تشكيلها تشكيلاً جديداً لتكوين صورةٍ مُستحدثةٍ، لها أصلها باعتبار انتماء مكوناتها إلى مراجع واقعيّة، ولكنّها خياليّة في مستوى الصّورة الجديدة التي جمعت عليها تلك العناصر. والطّريف في هذا التّخييل ليس التّعويل عليه في حدّ ذاته بل كينيّات إجرائه، فالشاعر لم يُجره إجراءً عاديّاً كما أجراه القدامي، بل نوع في كينيّات الإجراء بأن جعل عمليّة الانتقاء تقع في ذهن المتقبّل وتجرى على صور ذهنيّة ليست موجودة في الأصل والمرجع، بل حفز ذهن المتقبّل

1- أبو نواس: الدّيونان، دار صادر، بيروت - لبنان، د-ت، ص 169.

2- أيزر (فولفغانغ): التّخييلي والخيالي، تعريب: حميد الحميداني والجيلالي الكدية، دار توبقال، الدّار البيضاء، 1998.

على إنتاجها بتوجيهه إليها انطلاقاً من صور متكررة راسخة في ذهنه ينتقي منها ما يلائم المشهد والمعنى المشتبه والمنشود، إنه تخيل في تشكيل الصورة الشعرية، ولكنه قبل ذلك كله تخيل لرغبة المتلقي وأهوائه، فهو تخيل عاطفي مبني على تخيل عرفاني يدفع فيه المتلقي إلى إنجاز عملية الانتقاء بين مستويين؛ مستوى المرجع العرفاني المكرس في ذهنه، ومستوى هواه ورغبته وتصوره لما سيكون في التمثيل الشعري. يتدخل الشاعر في هذه العملية ويبرز دوره من خلال تشييد سبيل التخيل وحسن إدارة عملية التمثيل بحصر إمكانات الاختيار والتقطيع والتركيب التي من المفترض أن يُجزها المتقبل في ذهنه، وهو منتش لتوهمه أنه هو من اختار عناصر الصورة ومآلها الدلالي. ويظهر دور الشاعر في سعيه إلى المواءمة في هذا الإجراء المبني على اختيار فني بين المتاح التليد والطارف المتجلي انطلاقاً من تنوع لطيف في مستوى العمليات الفنية التي يدخل بها أبو نواس إلى فضاءات أوسع وأرحب كالفضاء العرفاني والعاطفي، وهي فضاءات وتُخوم تفتح إمكانات الدلالة وتيسر الانفتاح على أفق أرحب للتعبير من خلال إشراك المتلقي في عملية إنتاج الصورة الشعرية بمراعاة هواه ورغباته وانتظاراته، وإن إيهاماً، وهو ما يُعدّ جدّة في طرائق النظم واختيارات الشعراء، ويكشف قدرة فائقة يتحوّز عليها أبو نواس يستثمر فيها القديم ويطوّعه لبناء جديد. يجعل هذا البناء الباحث يتبين ملامح التجديد في شعر أبي نواس في مستوى الخصائص الفنية للشعرية عنده، وهو أمر أبلغ من مجرد تتبع بعض مظاهر التنوع والمغايرة في ظاهر النص.

## ٢-١: تحوّل تخييل المطيية في نماذج من نصوص أبي نواس:

إن للمقام أحوالاً وإنّ للأحوال أقوالاً تناسبها، والأمر ينطبق على نظم الشعر، فمتى كان الشاعر قاصداً أمراً في تجربته الشعرية، وخلّت له المقامات من كلّ ما

يمكن أن يفرض عليه طَوْقًا وَيُنْفَذَ فِيهِ شَرْطًا، تَحْرَكَ عَمَّا كَانَ مُجْبَرًا عَلَى إِيْتَانِهِ وَتَحَيَّنَ فُرْصَةَ التَّحَرُّرِ مِنْ سُلْطَةِ الوَاجِبِ وَالمَفْرُوضِ وَوَاذَعَ الفِرْضَ وَالإِذْرَامَ وَمِرَاعَاةَ ظُرُوفِ المَقَامِ لِجَرِّبَ مَا تَهْفُو إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَتَرَى فِيهِ أَمْرًا يَقْتَضِي مَا يَفْعَلُ. كَذَلِكَ أَبُو نَوَاسِ الَّذِي أَعْيَنَتْهُ تَجْرِبَتُهُ المِتَارِجِحَةَ بَيْنَ رَغْبَةِ جَامِحَةٍ فِي المِجَاوِزَةِ مِتَلَازِمَةً مَعَ نَظَرٍ وَاعٍ بِضُرُورَةِ تَعْبِيرِ الشُّعْرِ عَنِ وَاقِعِ صَاحِبِهِ وَخَوْضِهِ فِي مَسَائِلِ تَتَعَلَّقُ بِزَمَانِهِ، وَبَيْنَ سَطْوَةِ القَدِيمِ وَجَبْرُوتِهِ فِي مَسْتَوَى المَقَامِ، المَقَامِ الرَّسْمِيِّ وَالمُرْتَبِطِ بِالإِطَارِ وَالدَّائِقَةِ التَّقْدِيدِيَّةِ وَصِرَامَتِهَا وَالخَشْيَةِ مِنَ الإِتْهَامِ بِالعِجْزِ عَنِ مِجَارَاةِ القَدَامِيِّ وَالخَوْفِ مِنَ التَّعْتِ بِالشُّعُوبِيَّةِ وَمُخَالَفَةِ الإِرْثِ العَرَبِيِّ. وَمَا انْفَكَ أَبُو نَوَاسِ يَقْتَنِصُ الفِرْصَ لِجَرِّبَ مَا يِرَاهُ عَتَقًا مِنْ قِيُودِ السَّنَةِ الشُّعْرِيَّةِ دُونَ الخُرُوجِ عَنِ إِطَارِهَا العَامِ، عَمُودِ الشُّعْرِ، وَفِي إِطَارِ الأَغْرَاضِ المَكْرَسَةِ تِلْكَ الَّتِي تَتِيحُ لَهُ تَجْرِيْبَ المِجَاوِزَةِ وَقد أَمِنَ الإِتْهَامَ؛ وَهُوَ مَا أُتِيحَ لَهُ مِنْ خِلَالِ تَجْرِيْبِ مَطِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، هِيَ الخُمْرَةُ.

لقد أطر الشاعر في أمثلة من قصائده<sup>(١)</sup> محاولة تجريب المِجَاوِزَةِ وَالمِغَايِرَةِ وَالتَّنْوِيْعَ عَلَى القَدِيمِ أَحْسَنَ تَأْطِيرَ بَأَنِ نَظْمِ قِصَائِدِهِ وَفَقِ نِظَامِ الشُّطْرَيْنِ وَعَلَى بَحُورِ الخَلِيلِ المَعْلُومَةِ، وَقَالَهَا كَثِيرًا مِنْهَا فِي غَرَضِ مَكْرَسِ رَاسِخٍ فِي الدَّائِقَةِ الشُّعْرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ. كَمَا أَجْرَى الشَّاعِرُ التَّصْرِيْعَ فِي أَمْثَلَةٍ مِنْ نِصُوصِهِ اسْتِدْعَاءً لِمَزِيدِ الضَّمَانَاتِ، وَلَكِنْ أَيْضًا تَجَاوَبًا مَعَ السِّيَاقِ الإِحْتِفَالِيِّ لِمِضْمُونِ القِصِيدَةِ. وَانْطَلَقَ مِنْ هَذِهِ الضَّمَانَاتِ لِجُرْيِ تَجْرِبَةِ التَّنْوِيْعِ بِأَشْكَالٍ وَأَسَالِيْبٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْهَا انْتِخَابُ إِيقَاعٍ سَرِيْعٍ وَخَفِيْفٍ يُتِيحُهُ البَحْرُ المَسْتَعْمَلُ.

لعلَّ من أَشَدِّ المِظَاهِرِ الشُّعْرِيَّةِ تَعْبِيرًا عَنِ طَلْبِ المِغَايِرَةِ وَالسَّعْيِ إِلَى اسْتِبْدَالِ الوَسَائِلِ القَدِيمَةِ بِأُخْرَى بَدِيلَةً تَغْيِيْبُ الوَقْفَةَ الطَّلِيلِيَّةَ الَّذِي يَبْدُو وَاضِحًا وَجَلِيًّا فِي المِثَالِ المَذْكُورِ مِنْ قِصَائِدِهِ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَمْثَلَةِ، ذَلِكَ أَنَّ افْتِتَاحَ القِصِيدَةِ الَّتِي أُشَارَ

١ - المَقْصُودُ قِصِيدَتَهُ المَذْكُورَةَ، الَّتِي مَطَّلَعَهَا: [مِنَ الرَّمَلِ] غَرَّدَ الدِّيكُ الصَّدُوحُ ... فَاسْقِنِي طَابَ الصَّبُوحُ

إليها البحث كان بنقل «صوت الديك»، لكانّه إيذان بانبلاج صبح جديد، قائم على الاستبشار بزمان غير زمن القدامى في الاستهلال وبناء النصّ، وهو صوت وُسم بالتهريد إيحاءً برغبة في الانتشاء والمرح والسعادة، فجوّ القصيدة في مطلعها جوّ احتفاليّ لا حزن فيه يسعى من خلاله الشاعر إلى إعلان القطع مع الموروث الشعري القائم على الاستهلال البكائيّ الحزين. يتأكّد هذا الاتجاه والتعلّق به من جهة أبي نواس في الصّفة «الصدوح» التي تتضمّن الدلالة على إفشاء المكنون من الرّغبة وإعلانها بصوت عال دون خشية أو مواربة. إنّّه توجّه الشاعر في تعامله مع نظم الشعر وعلاقته بالقديم المتواتر، فلقد اختار أبو نواس أن يصدح بسعيه إلى تجاوز القديم، ويجاهر برغبته عن النّسج على منوال السّابقين، خاصّة لما لم يكن ذا عيان لتلك الأطلال ومضاربها<sup>(١)</sup>. لكنّ الشاعر يظلّ محكوما بالخشية من التّجاسر كلياً على السنّة الشعريّة، فيجري التّصريح لغايتين كما سبق ذكره؛ وهما الإيهام بالتقيّد بسنن القدامى شكلاً وظاهراً، ولكن بما يتماشى وسياق القصيدة وما لا يقطع عليه سبيل التّنويع والمغايرة. فالوفاء للقديم الذي انتخبه تجلّى أساساً في مظهرين إيقاعيّين خدماً رغبته في المغايرة، فلا البحر السريع ممّا يركبه القدامى في أجود نصوصهم، على أنّه من البحور الخليليّة المعترف بها، ولا التّصريح يحدث إيقاعاً ولحنًا حزيناً يدعم تأييد فعل الطلّ، رغم حضور التّصريح سمةً لانسجام القصيدة وبعض شروط الشعريّة العربيّة القديمة. بل إنّها حرفة أبي نواس وقدرته على تطويع المتاح خدمة لخطة الخطاب عنده. إذ يبدو بعد الاطمئنان إلى توفير تلك الضّمانات مطلقاً العنان لرغبته الماثلة في الموضوع الذي أراد الخوض فيه، وهو ما تجلوه علامة الخمرة المهيمنة في تشكيل الصّورة الشعريّة؛ من خلال أدوات أولها فعل الأمر «فاسقني». ويدعم استعمال الفاء للنتيجة ما تبين فيما سبق ليسلك سبيل التّنويع والمغايرة. ويوحى نقل الأحوال الذي أجراه الشاعر من

١ - يُنظَرُ قصيدة أبي نواس، من الدّيون، ص ٥٣٩، التي مطلعها: [من الكامل]  
صِفَةُ الطُّلُولِ بِلَاغَةُ الْقَدَمِ ... فَاجْعَلِ صِفَاتِكَ لِابْنَةِ الْكُرْمِ

خلال تركيب إسنادي باستواء الأمر واستتباب حال النشوة ومقام اللذة للشاعر في هذه القصيدة، فالفعل «طَابَ» يدل على حال مثالية ترتبط بتوفر شروط المتعة ودواعي الحياة والفرح للشاعر الذي قرّن الفعل وأجراه على موعد من مواقيت شرب الخمرة، وهو الصّباح في قوله «الصّبوح»، فالعالم بيدو جميلا مؤنسا طيبا عند انبلاج الصّبح وابتداء النهار بالخمرة التي كانت مهمتها نقل الشاعر من عوالم الخوف والقلق إزاء المصير الإنساني إلى عالم اللذة التي تصرف انشغاله بانسراب الزّمان، ويتكرّر الأمر نفسه في قصائد كثيرة، منها قوله<sup>(١)</sup>: [من الكامل]

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَارْتَاخًا      وَأَمَلَهُ دِيكَ الصَّبَاحِ صِيَاخًا

ومن أمثلة ذكر خمرة الصّباح أيضا، قوله<sup>(٢)</sup>: [من الرّمّل]

بَاكِرِ الْيَوْمِ الصَّبُوحَا      وَعَاكِصِ فِي الْخَمْرِ النَّصُوحَا

## ٢-٢: صورة الخمرة مطيئة لرحلة الشاعر في الزّمان

يُعرف ما للزّمان من قيمة وأثر في حياة أبي نواس وشعره، فهو لا يكاد يحيط به ويحاول بسط شيء من النّفوذ عليه، وقد ألفاه كما الشعراء من قبله، عصياً على ذلك، فكأنه يقتنص لحظة غفلة من هذا الزّمان من خلال الإبداء<sup>(٣)</sup> والاستهلال بإدراج الخمرة منذ البواكير ولحظات الصّباح الأولى قبل أن يستقيم الأمر للزّمان لبسط نفوذه وحرمان الشاعر من تقرير مصير يومه. وقد ربط الطيّب بفعل السّقيا، سقيا الخمر وقدّم الأخير، إذ أن اليوم يكون ملكا لصاحبه إذا بادره بالإقبال على الخمرة في تصوّره. وهذه طريقة من طرق مواجهة الزّمان وفعله في

١- أبو نواس: الديوان، مصدر مذكور، ص ١٤٦.

٢- نفسه: ص ١٦١.

٣- المقصود باستعمال الإبداء مصدرا، وهو تجوّز، البداية المبكرة أو السّبق في الابتداء، وهو مستفاد من استعمال السّنفري في لامية العرب، من ديوانه. تحقيق وشرح إميل بديع يعقوب. ط ٢. دار الكتاب

البناني. ١٩٩٦. ص ٦٩. في قوله: [من الكامل]  
فَأَيَّمْتُ نِسْوَانًا وَأَيَّمْتُ إِدَّةً ... وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ الْيَلُّ

شعر أبي نواس، خاصة وأنّ الخمرة كما سبق مطيئة الشاعر في رحلته في الزّمان لتثبيت وجوده وأثره، كما هي مطيئة الفتيّة في الشعر لكونها العلامة الشعريّة الأبرز المهيمنة في نظام الإحالة، وهي كذلك الموضوع الشعري الأبرز في شعره. ولا يفوّت الشاعر الفرصة لاستغراق المتعة من خلال استغراق فعل الشّرب الذي يجلوّه استمرار طلب السّقيادون حدّ أو قيد، بل إنّ اللّامتناهي الذي يمثّل حدودا لطلب الخمرة عبر معاودة فعل الأمر «واسقني» واستعمال الدّلالة على استرسال الطّلب والفعل المتعلّق به في الزّمان إلى أن يبلغ حدود هذا الزّمان ويجاوزها فيكون خارج مداراته ويأمن بذلك الإفلات من سطوته، «حتّى» التي تُشفّع بالمتناقضات «حسنا عندي القبيح» ومكمن الطّرافة، عدا الجمع بين المتناقضات، أثر الخمرة التي تُحسّنُ القبيح وتجمّل القميء، فهي تقلب المواضع والأسس المتفقّ عليها، وتحلّ نظاما من الشّروط جديدا مغايرا لما هو سائد بفضل اعتاقها من سطوة الزّمان، وهو ما يؤكّده قول الشاعر في مثال آخر<sup>(١)</sup>: [من الوافر]

دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ      فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاؤُوا

ولكنّ هذا الرّأي لا ينفي أثر الزّمان وشدّة فعله في توجيه اختيارات أبي نواس الفتيّة، فلو لم يكن هاجس قطع اللذّة وفكرة سطوة الزّمان والاعتراف بقدرته جاثمة على كيان الشّاعر ما كان ليعطي بالألّه، ولا سعى إلى اقتناص فرصة لاستراق المتعة منه، ولعلّ هذا الأمر هو ما جعل أبا نواس يصطفي الخمرة من بين إمكانيات أخرى للمطيّة باعتبار طبيعتها المخاتلة التي تمكّن من المناورة مع الزّمان، وهو ما ستيبّه خطّة الخطاب الشعري.

١- أبو نواس: الدّيونان، مصدر مذكور، ص٧.

ويمكن مراجعة بحث: كلود أودبير: أبو نواس والفتية في: Bulletin d'études orientales. Tome LX.

Mai 2012.

يبنى أبو نواس خطابَه في قصائده وفق خِطَّة واضحة المعالم تخضع لتدرّج وانتقال من أمر إلى أمر انتقالاً منطقيّاً، فبعد إجراء المواجهة بين أداته في حربه وبين هادم اللذات وهو الزّمان في شعره، وبعد إثباته قدرة الخمرّة وأهليّتها بأن تكون سلاحه وتأكيد قدرتها في مواجهة فعل الزّمان، يُجْري الوصف للتغنيّ بها وتعدد صفاتها وشمائلها، من ذلك ما خصّصه لها من صفات طال تعديدها في قصيدته التي سبقت، وهو قوله<sup>(١)</sup>:

[من البسيط]

صَفْرَاءٌ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانَ سَاحَتَهَا      إِنَّ مَسَّهَا حَجْرٌ مَسَّتُهُ سَرَاءٌ

يعلن الشّاعر عن مطيئته دون مواربة، وقد أمن عين الزّمان عليها فصرّح باسمها «خمرّة» واختار لها أولى صفاتها ولوازمها، أنّها معتّقة قديمة ضاربة في الزّمان. ويلوح أثر الأخير هاجساً يقضّ راحة الشّاعر إذ يبدو وقد أملى عليه ترتيب صفات خمرته، فاستبق بذكر الخصلة الزّمنية لمزيد إحكام تحصين الخمرّة وشدّ أزرها في مواجهة الزّمان. وقد جاءت الخصلة الزّمنية مدعومة ببعد دينيّ يحمل دلالات أنثروبولوجيّة، فهي خمرّة في هيئة المقدّس لأنّها قرنت بزمن نبويّ، ولكن الأهمّ من ذلك ما تحمله الإحالة على التّعقيق والقَدَم من دلالات؛ منها مواجهة الزّمان بإحدى لوازمه - والمقصود القَدَم - وما يحيل عليه من عراقّة وأصل، فالخمرّة ضاربة جذورها في التّاريخ يعسر مَحْوُهَا<sup>(٢)</sup>، وإنّ أهمّ الدّلالات التي تفيض عن هذا الاختيار في الوصف ما اقترن بقصّة النبيّ نوح من تلاشي معالم الحياة وانحسار البقاء في ضرورات إنشاء حياة جديدة. فكأنّ الباحث، وهو يطّلع على

١ - أبو نواس: الدّيوان.

٢ - تظهر صفة التّعقيق ملازمة لخمرّة أبي نواس، يلحّ عليها الشّاعر في قصائده، من ذلك قوله، من الدّيوان،

ص ١٤: [من البسيط]

مَا فِي قُعودِكَ عُذْرٌ عَن مُعْتَقَةٍ ... كَاللَّيْلِ وَالِدُهَا وَالْأُمُّ خَضْرَاءُ

تلك القصة، يقرأ تكوّن حياة جديدة من رَحِم العَدَم. وكأنَّ التَّاريخ يبدأ هناك في تلك اللَّحظة الفاصلة بين موت وتلاش، وبين بَعثٍ جديدٍ كانت الخمرة حاضرة فيه أساساً من أسس تلك الحياة التي انبثقت وجاوزت أثر الزَّمان. تكتسب الخمرة حينذاك خصال الأزلية والخلق الأوّل وعناصر التَّكوين شأنها شأن الأسطقتسات<sup>(١)</sup> الأربعة في مقولة تكوّن العالم، وشأن الأزواج من الحيوانات التي ضَمِنَتْ استمرار نسل الكائنات الحيّة وانتصار الإرادة الإنسانيّة محمّيةً بالمباركة الإلهيّة في مواجهة الزَّمان في القصص القرآني. بل إنَّ هذه الخمرة ترنو إلى سمة زمنيّة أخرى وهي الأبدية لأنّها لا تزال حاضرة في زمان الشّاعر، لذلك جاءت الإشارة إلى تماثلها مع عناصر التَّكوين الأربعة التي لا تفنى بمرور الزَّمان. والطّريف من غير ما ذكّر أنّ الشّاعر يوظف القَدَمَ والتعلّق بالماضي على نحوٍ إيجابيٍّ مغاير لما تعودده القارئ لشعره في علاقته بالطلل وكلّ ما ارتبط بالمرور الشّعري والحضاري القديم. فهو يُخيّل المتاح من خلال انتقاء خصال وخصائص واتّجاهات في فهم منظومة القَدَم وتصريف تلك الخصائص في فهم مَخصوص يجعلها تواجه الزَّمان في صفّ أبي نواس. فكأنّه يوظف أحد جُند الزَّمان، وهو «القَدَم»، ليواجهه به من خلال تصريفه تصريفاً مغايراً لصالح الخمرة، التي يحاول الشّاعر من خلالها تأييد لحظة المتعة بعد تأصيل سببها، فتلوح الخمرة بذلك مطيّة مصطفاة بعناية كبيرة من خلال صفاتها التي تجعل الشّاعر من خلالها قادراً على بلوغ غاياته، فتجده يفاخر بقضاء عمره في شرب الخمرة متغلباً على أثر الزَّمان وفعله من خلال الذّهول عن هذا الفعل، يقول<sup>(٢)</sup>:

١ - الأسطقتسات الأربعة، أو عناصر التَّكوين: الماء والهواء والتّراب والنّار. ولمزيد التوسّع في هذا المبحث، راجع غاستون باشلار.

Bachelard (Gaston): La terre et les rêveries de la volonté. Les Massicotés. CORTI. 1945

٢ - أبو نواس: الديوان، مصدر مذكور، ص ٧٥.

[من الوافر]

وَلَكِنِّي فَتَى أَفْنَيْتُ عُمَرِي بِأَطْيَبِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّرَابِ

وهو تصريح يعلن فيه أنه اتخذ الخمرة مطيةً لإمضاء هموم الزّمان وما يخلفه عند بلوغ الإنسان مرحلة المشيب .

٢-٣: صور متعلّقات المطية في رحلة أبي نواس ودلالاتها

تشتمل الخمرة، انطلاقاً من هذه الصّفات القويّة التي ذكرت، على سجلّ من الخصائص شديدٍ ومتمينٍ، ولكنها، لوقوع صفة الخلود فيها وتمييزها بخصال تتجاوز الزّمان وترنو إلى المطلق، لا بدّ أن تجمع المتناقضات؛ فكان أن وسمها أبو نواس باللطافة واللين وذلك عبر سلسلة من المتعلّقات التي جاءت في صور شعريّة محكمة السبك تنادت إلى الخمرة لتجعلها تمتلكها، وأولها التمتع لندرته ونفاستها والخشية من ضياعها في قوله «نحن نخفيها» في القصيدة المذكورة آنفاً، وثانيها طيب الرائحة التي تضارع المسك الطيب ينتشر في المكان بمجرد حلوله به «طيب ريح، فتفوح»، وهي تضارع الأنثى التي تغنى بها القدّامى، فالحال أنّ أبا نواس يستحضر وسم القدّامى للمرأة المحبوبة ويكيّفه للخمرة التي ساوت المرأة عنده وفاقتهأ نفاسةً، فطيب الأولى فائح قويّ الرائحة لا يحده أيّ حاجز عن نشر عبّقه في الفضاء الذي يحوي الشّاعر ونداماه . يستعمل الشّاعر لذلك الفعل «يأبى» الذي يدلّ على مجاهدة الطيب للانتشار، وهو أيضاً فعل مستل من معجم الغزل العربي القديم الذي كان يُنسب للمرأة الفاتنة السيّدة التي تتمنّع عن الوصال ليكون هذا التمتع تمام صفات الكمال الأنثويّ عندها. ويظهر تعويل الشّاعر على جمع المتناقضات والأضداد في وسم الخمرة / المطية لتبلغ الكمال في نصّ آخر من نصوصه، وذلك في قوله<sup>(١)</sup>: [من البسيط]

١ - أبو نواس: الديوان، ص ٧.

دَع عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ      وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

ومن المهمّ الملاحظة أنّ أبا نواس لم يعمد إلى هدم المنوال الشعري القديم هدمًا كاملاً، بل اختار، ربّما لعدم قدرته على التّجاوز المطلق ووعيا منه بأهميّة الإفادة من ذلك المنوال في مستوى إثراء الصّورة الشعريّة عبر استدعاء عناصر من النّظام العلاميّ القديم، علاماتٍ مهيمنةً وأخرى فرعيّة من مثل ما جاء به في قصيدته التي يقول منها:

فَكَأَنَّ الْقَوْمَ نُهَبَى      بَيْنَهُمْ مِسْكٌ ذَبِيحٌ

فقد استدعى ثنائيّة (الأنثى / المسك) وأعاد إنتاجها بما يلائم حاجيات الشعريّة عنده، إذ عوّض المرأة بالخمرة وأبقى على متعلّقاتها (طيب المسك)، فحقّق الانتقال من مطيّة سابقة عليه في الزّمان وسمت شعر الغزل في العصر الأموي إلى مطيّة جديدة هي الخمرة من خلال علامة المسك التي يمكن أن تكون جامعا لنوعيّ المطيّة، باعتبار أنّ المسك يمكن أن يمثّل متعلّقا من متعلّقات المرأة، ومشبّها به للخمرة في آن. إنّها عمليّة تكشف عن قدرة في النّظم ظاهرة، إذ أنّ مجاوزة القديم المكرّس بالإفادة منه والتنوّع على الشعريّة التقليديّة من داخلها أمور ليست هيّنة، تتطلّب وعيا بأساليب النّظم ومعرفةً بكنه الشعريّة القديمة وإدراكا لما تطلّبه الشعريّة الرّاهنة فيما يمكن وسمّه بمواضع الوصل والفصل في الشعر، أي إدراك المساحات الممكنة في التّنوع والأسس الضّرورية التي ينبغي إقامتها انطلاقا من المتوارث القديم وحدود هذا وذاك، وتضمن التّعالق والارتباط والاستمرار في فكرة المطيّة باختلاف أشكال حضورها وصوره. وهي أمور ترفع شعر أبي نواس درجات في مراتب الشعريّة وإتقان سبيل الإجابة<sup>(١)</sup>. يرتفع البنيان المشيّد لتلك الصّورة الطريفة للخمرة عبر تشخيص المسك ونسبة الفعل

١- المناعي (مبروك): في إنشائيّة الشعر العربي، دار محمد علي، تونس، ٢٠٠٦. فصل: حجّة الشعر: قراءة في «دع عنك لومي».

إليه، بجعله يُذبح حتّى تتولّد رائحة الطّيب منه وتفوح في الأرجاء، وهو ضرب من التّصوير مخصوصٌ يجعل سامع شعر أبي نواس يتمثّل أمام ناظره صورة مجسّمة للمسك حتّى كأنّه يراه. ويمكن اعتبار التّصوير في هذا المقام مخصوصاً لأنّ الشّاعر يقدر على جعل السّامع يتمثّل عياناً صورة حسّية ليس لها أصل حسيّ في الواقع المرجعيّ، أي أنّ الملكة الشعريّة تظهر في استدعاء صورة لمجرّد هلاميّ يُدرّك بحاسة الشمّ ولا يُرى، وتشكيلها في هيئة حسّية تجعل المتقبّل يتمثّل الصّورة العينيّة دون أن يفطن إلى عدم وجود أصل استعاريّ لها، وهو إجراء يضيف إلى المِطْيَةِ صفة غير اللذّة، وهي الطّيب والنّفاسة.

لعلّ من أهمّ الملاحظات التي يمكن استخلاصها من النّظر في خطّة الخطاب وأهمّ سماته، وجود علامة مهيمنة كبرى (صورة غالبية) تحضر في أغلب قصائد أبي نواس. تبدو هذه العلامة المهيمنة متمثلة مرّة في (الاستغراق)، وهي علامة تجمع بين منحنى أسلوبيّ، وبين منحنى دلاليّ تؤدّيه في مختلف مضانّ النصّ؛ ومن أمثلتها ما ذكّر، من استغراق الزّمان بالإبداء، أي السّبق في الانطلاق في الفعل «الصّبوح»، ثمّ الاستغراق في كميّة الخمر وفي فعل الشّرب «حتّى تراني»، والاستغراق في القَدَم أو ان وصف الخمرة «خمرة تذكر نوحاً»، وكذلك الاستغراق في انتشار رائحة المسك «فتفوح، مسك ذبيح»، كما يمكن أن يُستشَفّ الاستغراق في خطّة الخطاب الشعري التي تؤطر القصيدة وتوجّه شعريّتها من خلال استقدام الموروث في بعض عناصره وتطعيمه بعناصر الجدّة التي يراها أبو نواس ضروريّة لجعل القصيدة «معبرة عن زمانها» قادرة على الإفصاح عمّا يختلج في ذات الشّاعر من مآرب وأهواء. ويمكن أن تكون العلامة المهيمنة (الخصب) في بعض القصائد، و(الحياة) في قصائد أخرى. يبدو أبو نواس واعياً بكيفيات التّشكيل الشعري للنصّ وشروطه، ومن أهمّها وجود خيط ناظم أسلوبياً ودلاليّاً

يسري في القصيدة بأكملها ليجعلها منسجمةً، مُتَّسِقَةً صُورُهَا مُنْسَجِمَةً مَعَانِيهَا،  
تتفرّع في القصيدة ولكنها تجتمع في إضفاء صفات القداسة والخلود والدَّيمومة  
للمطيّة التي تحتاج أن تشتمل على تلك الصّفات لتحققّ وظيفتها.

## الخاتمة

إنَّ النَّظْرَ إلى عناصر الشَّعر العربي قديمًا نظرًا دقيقًا يتجاوز اعتبارها تجلِّيات لصور المرجع الواقعيّ يُمْكِنُ الباحث من فهم معمَّق لتركيبه هذه العناصر ودورها في بناء عالم القصيدة، لأنَّ هَمَّ الشَّاعر العربيِّ القديم لم يكن أبداً تصوير واقعه أو التَّأريخ للأحداث التي تقع في زمنه، بل كانت غاياته أبعد من ذلك تتعلَّق بالتعبير عمَّا يعتَمَل في نفسه من أهواء وما تصبو إليه ذاته من عوالم يريد إدراكها، فإن لم يتحقَّق ذلك في مستوى الحياة التي يعيش، فإنَّه يسعى إلى إنشائه من خلال العبارة الشَّعرية والصُّورة التي يرسم في الفضاء الشَّعري للقصيدة. أُجْرِي هذا التَّصوُّر في البحث على مكوِّن أساسيِّ في فكر الشَّاعر العربيِّ القديم، وهو المِطِيَّة بكلِّ متعلِّقاتها، وذلك من خلال تتبُّع الفكرة في أصولها وتحديد مكانتها في حياة العربيِّ وكيفيَّات تطويعها في تلك الحياة، ثمَّ طُرُق استثمارها وتوظيفها في الشَّعر، لتبيِّن وجهة الحديث عن تحوُّلها من أداة انتقال في المكان إلى مِطِيَّة وجودية تدخل عوالم القصيدة من خلال التَّخييل. ونظر البحث في هيئات حضورها في الشَّعر الجاهلي، ثمَّ أشكال تحوُّلها في مسارات الشَّعر العربيِّ وإبدالاتها وما يعادلها في كلِّ تجربة شعريَّة. وقد ركَّز البحث على تجربتين؛ أولاهما القديمة التي كانت فيها النَّاقَةُ التَّمثيل الأَكْمَل للمِطِيَّة في الحياة وفي الشَّعر، وثانيتها الجديدة التي أبدلت فيها المِطِيَّة في مستوى صورتها المرجعية، فعوضتُ الخمرَةَ النَّاقَةَ وحافظت على منزلتها الاعتبارية والتَّخيلية في الشَّعر أداة تجريب لدخول عوالم وفضاءات وجودية وفكريَّة تلبِّي ما يهفو إليه الشَّاعر العربي في العصر العباسي من تطلَّعات وما يرغب في تحقيقه من آمال.

ومن أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث، أنّ:

فكرة المطيئة لم تغادر ذهن الشاعر العربي في مختلف الأزمنة التي مرّ بها الشعر العربي.

استبدال المواضيع المركزيّة في الشعر لا يستتبع إلغاء فكرة المطيئة، إنّما هي أشكال مختلفة لحضورها تتنوّع حسب الزّمان ومقتضيات التعبير الشعري عند كلّ شاعر أو جيل من الشعراء.

فكرة المطيئة ظلّت الأمل المنشود الذي يستصنعه الشاعر لنفسه للتّجاوز والعبور والانتقال من الواقع المؤلم إلى العالم المنشود الذي يحتوي مقوّمات الحياة والأمل واللذة.

صورة المطيئة قد استحوذت على الفضاءات النصّية في الشعر وسخر لها الشعراء إمكانات تعبيرية جعلتها ترتقي إلى نماذج للكمال، وذلك بحكم طبيعة المهمة التي تشغلها المطيئة، فشيد الشعراء نماذج فريدة لهذه المطيئة من خلال ما تعلّق بها من صفات بلغت بها مراتب عليا من الاكتمال والتّمام، وجعلتها مطيئة قادرة على أداء وظيفتها.

الشاعر العربي يبني نصوصه وفق حُطَطٍ للخطاب دقيقة ومضبوطة، وهي حطط تظهر وعيا في أعلى درجاته لما تتطلّبهُ الوظيفة الشعرية.

## قائمة المصادر والمراجع

### العربية:

- القرآن الكريم (١٤٢٩هـ)، مصحف المدينة المنورة.
- الأخطل: الديوان، تَح أَنطوان صالحاني، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩١.
- أودبير (كلود): أبو نواس والفتية في: Bulletin d'études orientales. Tome LX. : Mai 2012.
- أيزر (فولفغانغ): التَّخْيِيلِي وَالحَيَالِي. تعريب: حميد الحميداني والجليلاني الكدية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٨.
- بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط٥، د-ت.
- جاد المولى (محمد أحمد) والبجاوي (علي محمد) وإبراهيم (محمد أبو الفضل): أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٩٤٦.
- الحاج (حسن رائد): الناقية: الواقع والرمز: دراسة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، جامعة حلب، ٢٠٠٥.
- الحتي (حنّا): الإبل العربية الأصيلة، جروس بريس، لبنان، ١٩٩٠.
- رومية (وهب أحمد): شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، مارس ١٩٩٦.
- حسين (طه): حديث الأربعاء، الطبعة ١٤، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣.
- ستيتكيفتش (سوزان): القصيدة العربية وطقوس العبور: دراسة في البنية النموذجية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الستون، ج١، يناير ١٩٨٥.
- الضبي (الفضل): المنصليات، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، د.ت.

- عبد العالي (بشير): صورة الناقة في النصّ الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٦.
- ابن عبد ربّه: العقد الفريد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ابن علس (المسيّب): الديوان، جمع وتحقيق ودراسة عبد الرحمان محمد الوصيفي، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣.
- فرغلي (سعيد): أنسنة الخمر في شعر أبي نواس: مقارنة تأويليّة، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد. العدد ٢٥، يوليو ٢٠٢٣.
- الكندي (سلام): الرّاحل على غير هدى: شعر وفلسفة عرب ما قبل الإسلام، تعريب محمد بنعبود، دار الجمل، كولونيا - ألمانيا، ٢٠٠٨.
- المناعي (مبروك): في إنشائيّة الشعر العربي، دار محمد علي. تونس ٢٠٠٦.
- أبو نواس: الديوان، دار صادر، بيروت - لبنان، د - ت.

### الأجنبيّة:

- Bachelard, G: La terre et les rêveries de la volonté. Les Massicotés. CORTI. 1945.
- Barnes, J: Teleology. Aristotle: A Very Short Introduction, Very Short Introductions. Oxford Academy (17). 2000.
- <https://doi.org/10.1093/actrade/9780192854087.003.0017>
- Bruno (Paoli): Deux études sur la poésie bachique arabe: 1. Les précurseurs d'al-Hîra. Hal open science. 2008.
- Gueunier, N: La production littéraire: métaphore, concept ou champ problématique? Littérature, 14, 1974. <https://www.jstor.org/stable/41704366>
- Jacobi, R: The Camel-Section of the Panegyric Ode. Journal of Arabic Literature. (vol. 13). 1982. <https://www.jstor.org/stable/4183059>
- Titlestad M: Contesting Teleology as Literary Interpretation. In Research in African Literatures. (Vol 48. N2). 2017.
- <https://doi.org/10.2979/reseafritelite.48.2.06>.

**Bibliography:**

- The Holy Quran, the Qur'an of Medina. (1429 AH).
- Al-Akhtal: Al-Diwan, edited by Antoine Salhani, Catholic Press of the Jesuit Fathers, Beirut, 1891.
- Audibert (Claude): Abū Nuwās and the Boys in: Bulletin d'études orientales. Tome LX. May 2012.
- Iser (Wolfgang): The imaginary and imaginative. Translation: Hamid Al-Hamidani and Al-Jilali Al-Kudiya, Dar Toubkal, Casablanca, 1998.
- Bachelard, G: The earth and the reveries of the will. The Massicotés. CORTI. 1945.
- Brockelmann (Carl): History of Arabic Literature, translated by: Abdel Halim Al-Najjar, Dar Al-Maaref, Egypt, 5th edition. W. D.
- Bruno (Paoli): Two studies on Arabic Bacchic poetry: 1. The precursors of al-Hira. Hal open science. 2008.
- Gueunier, N: Literary production: metaphor, concept or problematic field? Literature, 14, 1974. <https://www.jstor.org/stable/41704366>
- Jad Al-Mawla (Muhammad Ahmed), Al-Bijjawi (Ali Muhammad), and Ibrahim (Muhammad Abu Al-Fadl): The Days of the Arabs in Pre-Islamic era, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyya, 2nd edition, 1946.
- Al-Hajj (Hassan Raed): The Camel: Reality and Symbol: A Study in Arabic Poetry until the End of the First Century AH, Master's Thesis, University of Aleppo, 2005.
- Al Hitti (Hanna): Purebred Arabian Camels, Gross Press, Lebanon, 1990.
- Rumiyah (Wahb Ahmed): Our Old Poetry and New Criticism, Alam Al Maarefa Series, National Council for Culture, Arts and Literature - Kuwait, March 1996.
- Hussein (Taha): Wednesday's discourse, 14th edition, Dar Al-Maaref, Egypt, 1993.
- Stetkevych (Susan): The Arabic Poem and Rites of Passage: A Study in the Typical Structure,» Journal of the Arabic Language Academy in Damascus, Volume Sixty, Part 1, January 1985.
- Early Islamic Poetry and Poetics, The formation of the classical islamic world. Routledge, London- New York. 2016. Volume 37.

- Al-dabby (almufddal): Al-mufaddaliyyāt, edited by Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Maaref, Egypt. W. D.
- Abdel-Aali (Bachir): The Image of the Camel in the Pre-Islamic Text, Arab Writers Union, 2006.
- Ibn Abd Rabbih: Al Ikd al farid, Dār al-Kutub al 'Imiyyah, Beirut, 1st edition, 1404 AH.
- Ibn 'Alas (al- musayyab): Al-Diwan, compiled, edited and studied by Abdul Rahman Muhammad Al-Wasifi, 1st edition, Library of Arts, Cairo, 2003.
- Farghaly (Saeed): The Humanization of Wine in Abu Nawas's Poetry: An Interpretive Approach, Journal of the Faculty of Arts, Port Said University. Issue 25, July 2023.
- Al-Kindi (Salam): The Departed Without Guidance: Poetry and Philosophy of the Pre-Islamic Arabs, Translated by Muhammad Ben Aboud, Dar Al-Jamal, Cologne - Germany, 2008.
- Al-Mannai Mabrouk: On the poeticity of Arabic Poetry, Dar Muhammad Ali. Tunisia 2006.
- Abū Nuwās: Al-Diwan, Dar Sader, Beirut - Lebanon. W. D.

التفسير في خطب كبار العلماء في  
المملكة العربية السعودية  
السعدي، وابن عثيمين، والفوزان أنموذجاً

**Interpretation of Holy Qur'an in the speeches  
of senior religious scholars in the  
Kingdom of Saudi Arabia; Al-Saadi, Ibn Uthaymeen  
and Al-Fawzan as a sample**

د. حمدان بن لافي بن جابر العنزي  
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك - قسم الدراسات الإسلامية  
كلية التربية والآداب - جامعة الحدود الشمالية

**Dr. Hamdan bin Lavi bin Jaber Al-Anzai**  
Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences  
Department of Islamic Studies College of Education and Arts  
Northern Border University

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.05>

تاريخ تسلم البحث 2022/02/09 - وصدر خطاب القبول 2022/06/08





## Abstract

The research aims to identify the interpretation of the Qur'an in Friday sermons through the speeches of senior scholars in the Kingdom of Saudi Arabia, namely: Sheikh Abdul Rahman Al-Saadi, Sheikh Muhammad Al-Uthaymeen, and Sheikh Saleh Al-Fawzan. The number of sermons of interpretation addressed by the research reached (21) sermons.

The problem of the research is to answer two questions: What are the areas of interpretation that the great scholars presented in the Friday sermons? What is their way of interpreting the Friday sermons? The research is applied the descriptive inductive method.

The research includes a brief definition of the great scholars, mentions the areas of interpretation that they presented in the Friday sermons and their method of interpretation.

Among the results of the research: that is to consider Sheikh Salih Al-Fawzan to be the most preacher in terms of the number of sermons of interpretation. His tafsir sermons amounted to (11) sermons, followed by Sheikh Muhammad Al-Uthaymeen and the number of sermons (6), then Sheikh Abdul Rahman Al-Saadi and the number of sermons (4).

**Keywords:** Interpretation - sermons - Friday - scholars - Saudi Arabia.

## ملخص البحث

يهدف البحث إلى معرفة تفسير القرآن في خطب الجمعة من خلال خطب كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وهم: الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ محمد العثيمين، والشيخ صالح الفوزان. وقد بلغ عدد خطب التفسير التي تناولها البحث (٢١) خطبة.

وتتمثل إشكالية البحث في الإجابة عن سؤالين هما: ما مجالات التفسير التي عرض لها كبار العلماء في خطب الجمعة؟ وما طريقتهم في التفسير في خطب الجمعة؟.

والمنهج المتبع في البحث: المنهج الاستقرائي الوصفي.

واشتمل البحث على تعريف موجز بكبار العلماء، وذكر مجالات التفسير التي عرضوا لها في خطب الجمعة، وطريقتهم في التفسير.

ومن نتائج البحث: أن الشيخ صالح الفوزان يعد أكثر الخطباء من حيث عدد خطب التفسير؛ حيث بلغت خطب التفسير عنده (١١) خطبة، يليه الشيخ محمد العثيمين وعدد الخطب (٦)، ثم الشيخ عبد الرحمن السعدي وعدد الخطب (٤).

الكلمات المفتاحية: التفسير - الخطب - الجمعة - العلماء - المملكة العربية السعودية.



## مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقد تنوعت الدراسات حول هذا الكتاب العظيم - القرآن الكريم -، وعلى كثرة ما كتب من هذه الدراسات لا يزال المجال مفتوحاً لمن أراد الكتابة في جانب من جوانب التأليف فيه.

وموضوع التفسير في خطبة الجمعة من الموضوعات التي لم يتناولها الباحثون في التأليف فيه استقلالاً.

وقد امتن الله سبحانه على بعض العلماء بالجمع بين التأليف في التفسير استقلالاً وبين التأليف في خطب الجمعة<sup>(١)</sup>، ومن هؤلاء العلماء: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -، والشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله -.

وكان من ضمن الخطب التي أودعوها مؤلفاتهم في الخطب، خطب في تفسير القرآن الكريم؛ لذا رأيت دراسة موضوع التفسير في خطبهم من خلال هذا البحث المختصر الذي جعلت عنوانه: «التفسير في خطب كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، السعدي، وابن عثيمين، والفوزان أنموذجاً».

١- قام الفريق العلمي للمساجد بوزارة الشؤون الإسلامية بإصدار موسوعة خطب الجمعة في أربعة أجزاء، وجاء في كلمة الفريق العلمي وعملهم في جمع الخطب وإعدادها ما نصه: "انتقاء الخطب المنشورة، لعدد من أصحاب الفضيلة العلماء". ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين لهم خطب في هذه الموسوعة: الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ محمد العثيمين، والشيخ صالح الفوزان. ينظر: الفريق العلمي للمساجد، موسوعة خطب الجمعة، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ) / ١ / ١٦.

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان.

### حدود البحث:

اقتصرت في هذا البحث على الخطب التي تناول فيها الخطباء تفسير سورة أو آية أو آيات من القرآن الكريم، واقتصرت كذلك على الخطب المطبوعة في مؤلفات مستقلة، وبعد النظر في كتب الخطب لكبار العلماء؛ فإن الكتب التي تناولت تفسير سورة أو آية أو آيات من القرآن الكريم هي الكتب الآتية:

١- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -.

٢- الضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -.

٣- الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ صالح بن فوزان الفوزان. أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- إن في البحث إبرازاً لجهود الخطباء المعاصرين في خدمة تفسير القرآن الكريم.

٢- احتواء المؤلفات التي جمعت خطب الجمعة على عدد من خطب التفسير تصلح لأن تفرد بدارسة مستقلة تُبرزُ الموضوع من خلالها.

٣- إن هذا الموضوع لم يبحث في دراسة مستقلة - فيما وقفت عليه -.

### أهداف البحث:

١- التعرف على مجالات التفسير التي عرض لها كبار العلماء في خطب الجمعة.

٢- التعرف على طريقة كبار العلماء في التفسير في خطب الجمعة.

## أسئلة البحث:

- ١- ما مجالات التفسير التي عرض لها كبار العلماء في خطب الجمعة؟.
- ٢- ما طريقة كبار العلماء في التفسير في خطب الجمعة؟.

## الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة متخصصة تناولت موضوع التفسير في خطب كبار العلماء في المملكة العربية السعودية؛ وإنما الذي وقفت عليه من الدراسات ولها تعلق بالموضوع دراسة بعنوان: (جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن)، للباحث: د. أحمد البريدي، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وطبعت في دار ابن الجوزي.

فقد ذكر الباحث - وفقه الله - في كلامه عن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بالتفسير ومجالات تلك العناية، المجال السادس: تفسير سور وآيات من خلال خطب الجمعة.

قال: «وهو يمثل القسم الثالث من القسم الثاني من كتابه الضياء اللامع من الخطب الجوامع، وقد اشتمل على خمس خطب: الخطبة الأولى: في تفسير آيات من سورة ق، الخطبة الثانية: في تفسير بعض الآيات من سورة الطور، الخطبة الثالثة: في تفسير آيات من سورة الواقعة، الخطبة الرابعة في تفسير سورة العصر، الخطبة الخامسة: في الحث على التمسك بكتاب الله والتحذير من مخالفته»<sup>(١)</sup>.

١- أحمد بن محمد البريدي، جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ) ص: ٦٥.  
وقد تم إضافة خطبتين إلى خطب التفسير في الطبعة الأخيرة من كتب الضياء اللامع من الخطب الجوامع هما: خطبة من سورة ق، وخطبة من سورة النساء.  
ينظر: محمد بن صالح العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، (دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ١ / ٤٩٦.

واكتفى الباحث بهذه الإشارة فقط؛ بينما في هذا البحث سأتناول طريقة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في تناول التفسير من خلال تلك الخطب .

### منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي .

خطة البحث: قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية، على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على: حدود البحث، أهمية البحث، أسباب اختياره، أهداف البحث، أسئلة البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث، خطة البحث، إجراءات البحث .

التمهيد: ويشتمل على الآتي:

أولاً: تعريف التفسير .

ثانياً: تعريف خطبة الجمعة .

المبحث الأول: التفسير في خطب الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - .

المطلب الثاني: تعريف موجز بكتاب الفواكه الشهية في الخطب المنبرية .

المطلب الثالث: مجالات التفسير في خطب الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - .

المبحث الثاني: التفسير في خطب الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - .

المطلب الثاني: تعريف موجز بكتاب الضياء اللامع من الخطب الجوامع .

المطلب الثالث: مجالات التفسير في خطب الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - .

المبحث الثالث: التفسير في خطب الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف موجز بالشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

المطلب الثاني: تعريف موجز بكتاب الخطب المنبرية في المناسبات العصرية.

المطلب الثالث: مجالات التفسير في خطب الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

المبحث الرابع: طريقة كبار العلماء في التفسير في خطب الجمعة، وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول: طريقة استيعاب التفسير من خلال خطبتي الجمعة.

المطلب الثاني: طريقة تناول التفسير في خطب الجمعة.

المطلب الثالث: تكرار خطب التفسير.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

## إجراءات البحث:

وتتلخص بالآتي:

- ١- استقراء كتب الخطب لكبار العلماء، واستخراج خطب التفسير منها.
- ٢- تصنيف تلك الخطب وتوزيعها حسب مجالات التفسير.
- ٣- دراسة تلك الخطب دراسة وصفية من خلال بيان طريقة كبار العلماء في استيعاب تفسير السورة أو الآيات من خلال خطبة الجمعة، وطريقتهم كذلك في تناول التفسير في خطبة الجمعة.
- ٤- عزو الآيات وترقيمتها.
- ٥- تخريج الأحاديث الواردة في البحث.
- ٦- ختم البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.
- ٧- تزويد البحث بفهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: ويشتمل على الآتي:

أولاً: تعريف التفسير:

التفسير في اللغة: مأخوذ من مادة (فَسَّرَ)، وهي تدل على ظهور الشيء وبيانه، ومنه الكشف عن المعنى الغامض<sup>(١)</sup>.

وعرّف العلماء التفسير<sup>(٢)</sup> بعد أن صار علماً على بيان معاني القرآن بعدة

١- ينظر: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، مادة فسر، ٤ / ٥٠٤.

٢- يمكن الاطلاع مجتمعة في: د. ناصر المنيع، معالم في أصول التفسير، (دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ)، ص: ١٤-١٦.

تعريفات قريبة المعنى من بعض<sup>(١)</sup>.

ومنها تعريف الإمام الزركشي - رحمه الله -: «علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد - ﷺ -، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه»<sup>(٢)</sup>.

وعرّف الزرقاني - رحمه الله - بقوله: «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»<sup>(٣)</sup>.

ولعل تعريف الزرقاني - رحمه الله - هو أرجح هذه التعريفات؛ لأنه يشير إلى تفسير القرآن بحسب الطاقة البشرية.

ثانياً: تعريف خطبة الجمعة:

ما يلقي من الكلام المتوالي الواعظ باللغة العربية قبيل صلاة الجمعة بعد دخول وقتها بنية (جهراً قياماً) مع القدرة على عدد يتحقق بهم المقصود<sup>(٤)</sup>.

- ١- ينظر: د. علي بن سليمان العبيد، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، (مكتبة التوبة، الرياض، ط٢، ١٤٣٠هـ)، ص: ١٦.
- ٢- محمد الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ)، ١ / ١٣.
- ٣- محمد الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٣، ١٣٦٢هـ)، ٢ / ٣.
- ٤- ينظر: عبد العزيز الحجيلان، خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، (مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ) ص: ٢٢.

المبحث الأول: التفسير في خطب الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله:

هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، من بني تميم.

ولد - رحمه الله - سنة (١٣٠٧هـ) في مدينة عنيزة، ونشأ نشأةً صالحةً، فحفظ القرآن عن ظهر قلب وعمره إحدى عشرة سنة ثم اشتغل بالعلم على يد علماء بلده ومنهم: الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، والشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، والشيخ صالح بن عثمان قاضي عنيزة - رحمهم الله -، وقد اجتهد في طلب العلم وجدّ فيه وسهر الليالي وواصل الأيام حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم.

كان - رحمه الله - ذا معرفة فائقة في الفقه وأصوله، وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسير ولغته، وغيرها من العلوم النافعة.

كما كان مرجع بلاده وعمدتهم في جميع أحوالهم وشؤونهم، فهو مدرس الطلاب وواعظ العامة وإمام الجامع وخطيبه، ومفتي البلاد و كاتب الوثائق ومحرر الأوقاف والوصايا وعاهد الأنكحة ومستشارهم في كل ما يهمهم.

اعتنى - رحمه الله - عناية بالغة بالتأليف فشارك في كثير من فنون العلم فألّف في التوحيد والتفسير والفقه والحديث والأصول والآداب وغيرها، ومن هذه المؤلفات: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» و «القول السديد في مقاصد التوحيد» و «القواعد الحسان في تفسير القرآن».

وبعد عمر دام تسعاً وستين سنة قضاه في التعلم والتعليم والتأليف وخدمة

الأمة الإسلامية وافاه الأجل المحتوم فتوفي سنة (١٣٧٦هـ) في مدينة عنيزة من بلاد القصيم، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته<sup>(١)</sup>.

المطلب الثاني: تعريف موجز بكتاب الفواكه الشهية في الخطب المنبرية:

الكتاب يقع في جزء واحد، وهو مشتمل على إحدى وسبعين خطبة من خطب الشيخ عبد الرحمن السعدي التي ألقاها - رحمه الله - على منبر الجامع الكبير بعنيزة في مجالات متنوعة ومطالب متفرقة، وقد ألحق به المحقق الخطب المنبرية على المناسبات للشيخ، ذكر فيه إحدى وثلاثين خطبة.

المطلب الثالث: مجالات التفسير<sup>(٢)</sup> في خطب الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله:

وهو مجال واحد؛ تفسير آية من كتاب الله والخطب فيه:

- الخطبة الأولى: في تفسير قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]<sup>(٣)</sup>.
- الخطبة الثانية: خطبة في معنى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]<sup>(٤)</sup>.
- الخطبة الثالثة: خطبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ [الأعراف: ٣٣]<sup>(٥)</sup>.
- الخطبة الرابعة: خطبة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا﴾

١- ينظر: عبد الرحمن آل الشيخ (ت: ١٤٠٦هـ)، مشاهير علماء نجد وغيرهم، (دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)، ص: ٢٥٦ - ٢٦١.

٢- والمراد بمجال التفسير هنا: نوع الخطبة أي تفسير سورة، أم آيات، أم آية من القرآن الكريم.

٣- ينظر: عبد الرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ) ص: ٣٤.

٤- ينظر: عبد الرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، الخطب المنبرية في المناسبات، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ) ص: ١٨١.

٥- ينظر: السعدي، الخطب المنبرية في المناسبات، ص: ١٨٥.

رَسُولِهِ ﷺ [الحديد: ٢٨] <sup>(١)</sup>.

المبحث الثاني: التفسير في خطب الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للشيخ محمد العثيمين - رحمه الله:

هو الشيخ العلامة محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان من آل مقبل من آل ريس الوهبي التميمي .  
ولد - رحمه الله - سنة (١٣٤٧هـ) في مدينة عنيزة وفيها نشأ وبدأ رحلته في العلم .

من مشايخه: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، والشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي وغيرهم .  
تولّى - رحمه الله - إمامة الجامع الكبير في عنيزة بعد وفاة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع، ثم التدريس في الجامع نفسه، كما تولّى التدريس في المعهد العلمي في عنيزة، والتدريس كذلك في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج والعمرة حتى توفاه الله، وهو أحد أعضاء هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية .

ويعدّ العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - من أكابر علماء هذا العصر الذين نصرّوا ورفعوا عقيدة السلف الصالح، والشيخ عالم من علماء أصول الفقه، وله مشاركة جيدة في علوم اللغة، كما كان مفسراً بارعاً، وله في التفسير وأصوله وقواعده كتابات رائعة .

وللشيخ - رحمه الله - مؤلفات كثيرة منها: «القواعد المثلى في صفات الله

١ - ينظر: السعدي، الخطب المنبرية في المناسبات، ص: ١٩٣ .

وأسمائه الحسنی» و «القول المفید علی کتاب التوحید» و «الشرح الممتع علی زاد المستقنع» وغيرها.

توفي الشيخ - رحمه الله - عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، بعد أن أصيب بمرض السرطان، وكان مضرب المثل في الصبر والاحتساب، وصلي عليه بعد عصر الخميس ١٥ / ١٠ / ١٤٢١هـ في المسجد الحرام، ودفن في مكة المكرمة<sup>(١)</sup>.

المطلب الثاني: تعريف موجز بكتاب الضياء اللامع من الخطب الجوامع:

يحتوي على الخطب التي ألقاها الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - على منبر الجامع الكبير بعنيزة، والكتاب يقع في ستة أجزاء، وقد قام الشيخ - رحمه الله - بجعل الخطب فيه على خمسة عشر قسماً، وكل قسم تحته فروع، وهذه الأقسام هي: العلم والإفتاء وأصول الدين والتفسير والعبادات والمعاملات والأمر بالمعروف والحدود والنفقات والأطعمة والسيرة النبوية والأخلاق والآداب وذكر الله عز وجل والفتن والتحذير منها ورعاية الأهل وتربية الأولاد ومواعظ عامة ومواضيع متفرقة والتاريخ وفضائل بعض الشهور والأيام.

المطلب الثالث: مجالات التفسير في خطب الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله:

وهما مجالان:

المجال الأول: تفسير آية من كتاب الله:

وفيه خطبة واحدة بعنوان: من سورة النساء<sup>(٢)</sup> تفسير لآية الحقوق العشرة قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَيَبْزُوا الْقُرْبَىٰ وَأَلْتَمَسُوا

١ - ينظر: وليد الزبيري مع آخرين، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم، (مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ٣ / ٢١١٨.

٢ - ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ١ / ٤٥٩.

وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

المجال الثاني: تفسير سورة من كتاب الله:

وعدد الخطب في هذا المجال خمس خطب هي:

- الخطبة الأولى: خطبة من سورة ق<sup>(١)</sup>.
- الخطبة الثانية: خطبة من سورة ق<sup>(٢)</sup>.
- الخطبة الثالثة: خطبة من سورة الطور<sup>(٣)</sup>.
- الخطبة الرابعة: خطبة من سورة الواقعة<sup>(٤)</sup>.
- الخطبة الخامسة: تفسير سورة العصر<sup>(٥)</sup>.

المبحث الثالث: التفسير في خطب الشيخ صالح بن فوزان الفوزان:

المطلب الأول: تعريف موجز بالشيخ صالح بن فوزان الفوزان:

هو الشيخ العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله ، من آل فوزان الوداعين من قبيلة الدواسر.

ولد عام ١٣٥٤هـ في مدينة الشماسية في منطقة القصيم، وتوفي والده وهو صغير، فتربى في أسرته، وتعلم القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد إمام مسجد البلد، ثم التحق بمدرسة الحكومة حين افتتاحها في الشماسية عام ١٣٦٩هـ، وأكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفيصلية ببريدة عام ١٣٧١هـ،

١- ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ١/ ٤٦٥.

٢- المصدر نفسه، ١/ ٤٧١.

٣- المصدر نفسه، ١/ ٤٧٥.

٤- المصدر نفسه، ١/ ٤٨١.

٥- المصدر نفسه، ١/ ٤٨٦.

وتعين مدرسا في الابتدائي، ثم التحق بالمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحه عام ١٣٧٣هـ، وتخرج منه عام ١٣٧٧هـ، والتحق بكلية الشريعة بالرياض، وتخرج منها عام ١٣٨١هـ، ثم نال درجة الماجستير في الفقه، ثم درجة الدكتوراه من هذه الكلية في تخصص الفقه أيضاً.

وبعد تخرجه في كلية الشريعة عين مدرساً في المعهد العلمي في الرياض، ثم نقل للتدريس في كلية الشريعة، ثم نقل للتدريس في الدراسات العليا بكلية أصول الدين، ثم في المعهد العالي للقضاء، ثم عين مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم عاد إل التدريس فيه بعد انتهاء مدة الإدارة، ثم نقل عضواً في اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية، كما أنه عضو في هيئة كبار العلماء، وعضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، ولا يزال على رأس العمل.

تتلمذ على أيدي عدد من العلماء، ومن أشهرهم: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -، وسماحة الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله -، وفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -، وفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله -.

وللشيخ مؤلفات كثيرة من أبرزها: «التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية»، و«أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية»، «شرح العقيدة الواسطية»<sup>(١)</sup>.

المطلب الثاني: تعريف موجز بكتاب الخطب المنبرية في المناسبات العصرية:

يحتوي على الخطب التي ألقاها الشيخ صالح بن فوزان الفوزان على منبر جامع الأمير متعب بن عبدالعزيز بالرياض، ويقع في ثمانية أجزاء، والخطب فيه ليست مرتبة على الأبواب، فكل جزء يحتوي على عدد من الخطب في مجالات

١ - ينظر: صالح الفوزان، دروس التفسير في المسجد الحرام، اعتنى بها: العياشي بن العربي براهمي، (دار الميراث النبوي، الجزائر: ط ١، ١٤٣٥هـ) ١ / ١١ - ١٦.

متنوعة ومطالب متفرقة.

المطلب الثالث: مجالات التفسير في خطب الشيخ صالح بن فوزان الفوزان:

وهي ثلاثة مجالات:

المجال الأول: تفسير آية من كتاب الله:

وعدد الخطب فيه ثلاث خطب، هي:

- الخطبة الأولى: خطبة في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]<sup>(١)</sup>.

- الخطبة الثانية: في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]<sup>(٢)</sup>.

- الخطبة الثالثة: خطبة حول آية من كتاب الله<sup>(٣)</sup>.

المجال الثاني: تفسير آيات من كتاب الله:

وعدد الخطب فيه خمس خطب، هي:

الخطبة الأولى: ثمرات الإيمان، والفرق بين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين، كما جاء في القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>.

- الخطبة الثانية: من صفات المؤمنين في القرآن<sup>(٥)</sup>.

- الخطبة الثالثة: بيان صفات المؤمنين وصفات المنافقين<sup>(٦)</sup>.

١- ينظر: صالح الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، (دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ)، ٢١٤/٣.

٢- المصدر نفسه، ٢١٨/٣.

٣- المصدر نفسه، ٢٢١/٣.

٤- المصدر نفسه، ٢٦/٢.

٥- المصدر نفسه، ٣٣٢/٣.

٦- المصدر نفسه، ١٩٩/٥.

- الخطبة الرابعة: صفات المؤمنين وصفات المنافقين في القرآن<sup>(١)</sup>.

- الخطبة الخامسة: وصايا من سورة آل عمران<sup>(٢)</sup>.

المجال الثالث: تفسير سورة من كتاب الله:

وفيه ثلاثة خطب، هي:

- الخطبة الأولى: تأملات في سورة الفاتحة<sup>(٣)</sup>.

- الخطبة الثانية: تأملات في سورة العصر<sup>(٤)</sup>.

- الخطبة الثالثة: تأملات في سورة الهمزة<sup>(٥)</sup>.

المبحث الرابع: طريقة كبار العلماء في التفسير في خطب الجمعة:

وسيكون الكلام عليها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: طريقة استيعاب<sup>(٦)</sup> التفسير من خلال خطبتي الجمعة:

ويمكن تقسيم الخطب في ذلك على قسمين:

القسم الأول: الاقتصار في التفسير على الخطبة الأولى فقط:

وعلى هذه الطريقة سار الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ محمد العثيمين -رحمهما الله- في جميع خطب التفسير التي تقدّم ذكرهما في المبحث الأول.

١- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٧/ ١٤٦.

٢- المصدر نفسه، ٨/ ٣٦٢.

٣- المصدر نفسه، ٦/ ٢٠١.

٤- المصدر نفسه، ٤/ ٤٤٨.

٥- المصدر نفسه، ٢/ ١٢٤.

٦- المراد به: توزيع التفسير من خلال خطبتي الجمعة.

وكذلك هي الطريقة التي سار عليها الشيخ صالح الفوزان في بعض خطب التفسير.

وهذه الخطب هي: خطبة تأملات في سورة الفاتحة<sup>(١)</sup>، وخطبة تأملات في سورة العصر<sup>(٢)</sup>، وخطبة تأملات في سورة الهمزة<sup>(٣)</sup>، وخطبة ثمرات الإيمان، والفرق بين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين، كما جاء في القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>، وخطبة من صفات المؤمنين في القرآن<sup>(٥)</sup>، وخطبة صفات المؤمنين وصفات المنافقين في القرآن<sup>(٦)</sup>، وخطبة وصايا من سورة آل عمران<sup>(٧)</sup>.

القسم الثاني: جعل التفسير مقسوماً بين الخطبتين:

وعلى هذه الطريقة سار الشيخ صالح الفوزان في بعض الخطب؛ فقد قام الشيخ بتفسير آيتين متتابعتين في الترتيب من سورة الذاريات كل في خطبة مستقلة، في الخطبة الأولى تفسير لقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]<sup>(٨)</sup>، وفي الخطبة الثانية تفسير لقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]<sup>(٩)</sup>.

وفي خطبة حول آية من كتاب الله<sup>(١٠)</sup> وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، جعل الشيخ تفسير الآية مقسوماً بين الخطبتين.

١- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٦/ ٢٠١.

٢- المصدر نفسه، ٤/ ٤٤٨.

٣- المصدر نفسه، ٢/ ١٢٤.

٤- المصدر نفسه، ٢/ ٢٦.

٥- المصدر نفسه، ٣/ ٣٣٢.

٦- المصدر نفسه، ٧/ ١٤٦.

٧- المصدر نفسه، ٨/ ٣٦٢.

٨- المصدر نفسه، ٣/ ٢١٤.

٩- المصدر نفسه، ٣/ ٢١٨.

١٠- المصدر نفسه، ٣/ ٢٢١.

وفي خطبة بيان صفات المؤمنين وصفات المنافقين<sup>(١)</sup>، جعل الشيخ التفسير فيها مقسوماً بين الخطبتين.

### المطلب الثاني: طريقة تناول التفسير في خطب الجمعة:

سلك العلماء طريقة يسيرة في إلقاء الخطب تناسب مقام الإلقاء والمستمعين لتلك الخطب، ويمكن وصف التفسير في غالب الخطب: بأنه يميل إلى الإيجاز مع وضوح المعنى، ويعتمد على المعنى الإجمالي للآيات؛ ويدل على هذا عنوانات الخطب؛ فمن الخطب من عنون لها ب: خطبة في معنى قوله تعالى<sup>(٢)</sup>، ومن الخطب من عنون لها ب: خطبة حول آية من كتاب الله<sup>(٣)</sup>، ومن الخطب من عنون لها ب: تأملات في سورة<sup>(٤)</sup>.

ويمكن تناول تقسيم طرق العلماء في تناول التفسير على حسب مجالات التفسير التي تقدم ذكرها من خلال الآتي:

أولاً: طرق تناول التفسير عند تفسير السورة:

الطريقة الأولى: التفسير الشامل لآيات السورة:

وهي الطريقة التي سلكها الشيخ محمد العثيمين في تفسير سورة العصر<sup>(٥)</sup>.

حيث ذكر إقسام الله تعالى بالعصر، وأن إقسامه بالعصر على أن كل إنسان خاسر إلا من جمع الأوصاف الأربعة: الإيمان والعمل الصالح والتواصي

- ١- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ١٩٩ / ٥.
- ٢- ينظر: السعدي، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، ص: ١٨١، الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٢١٤ / ٣ و ٢١٨.
- ٣- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٢٢١ / ٣.
- ٤- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ١٢٤ / ٢ و ٤٤٨ / ٤ (٢ / ١٢٤) و (٤ / ٤٤٨) و ٢٠١ / ٦.
- ٥- ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ٤٨٦ / ١.

بالحق والتواصي بالصبر، وقام بتفسير كل وصف، ثم ذكر أن التواصي بالحق والتواصي بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاحتها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها، ثم حث المستمعين على العناية بهذه الفضيلة.

وهي الطريقة أيضاً التي سلكها الشيخ صالح الفوزان في الثلاث السور التي قام بتفسيرها: وهي سورة الفاتحة<sup>(١)</sup>، وسورة العصر<sup>(٢)</sup>، سورة الهمزة<sup>(٣)</sup>.

وفي خطبة تأملات في سورة الفاتحة<sup>(٤)</sup>، قام الشيخ بتفسير آيات سورة الفاتحة آية آية في الخطبة الأولى، وجعل الخطبة الثانية في بعض الأحكام المتعلقة بقراءة سورة الفاتحة.

وفي خطبة تأملات في سورة العصر<sup>(٥)</sup>، ذكر إقسام الله تعالى بالعصر، وأن إقسامه بالعصر على أن كل إنسان خاسر إلا من جمع الأوصاف الأربعة: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وقام بتفسير كل وصف، وجعل الخطبة الثانية في الحث على حفظ الوقت من الضياع.

وفي خطبة تأملات في سورة الهمزة<sup>(٦)</sup>، قام الشيخ بتفسير آيات السورة كلها، وبيان الصفات التي رتبت عليها العقوبات المذكورة في السورة، ثم في ختامها الحث على الأخذ بأضداد هذه الصفات من صفات الخير.

**الطريقة الثانية: الاقتصار على موضوع من موضوعات السورة:**

وهي الطريقة التي سلكها الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - في خطبة من

١- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٦/ ٢٠١.

٢- المصدر نفسه، ٤/ ٤٤٨.

٣- المصدر نفسه، ٢/ ١٢٤.

٤- المصدر نفسه، ٦/ ٢٠١.

٥- المصدر نفسه، ٤/ ٤٤٨.

٦- المصدر نفسه، ٢/ ١٢٤.

سورة ق<sup>(١)</sup> الأولى، وخطبة من سورة الطور<sup>(٢)</sup>، وخطبة من سورة الواقعة<sup>(٣)</sup>.  
ففي خطبة سورة ق الأولى أبرز الشيخ - رحمه الله - موضوع البعث<sup>(٤)</sup>  
فقام بتفسير الآيات إلى قوله تعالى: ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾  
[ق: ١٥]<sup>(٥)</sup>.

وقد بدأ الشيخ - رحمه الله - الخطبة بذكر حديث أم هشام بنت حارثة بن  
النعمان، قالت: «لقد كان تنورنا وتنور رسول الله - ﷺ - واحداً، سنتين أو سنة  
وبعض سنة، وما أخذت ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] إلا عن لسان رسول - ﷺ -،  
يقرأها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس»<sup>(٦)</sup>، وسبب قراءة النبي - ﷺ -  
لهذه السورة يوم جمعة على المنبر، ثم سر بدء السورة بأحد الحروف المقطعة، ثم  
أجمل تفسير الآيات بجعلها على شكل مقاطع: المقطع الأول: في إنكار الله تعالى  
على المكذابين بالبعث وأنهم في أمر مريب، والمقطع الثاني: في ذكر آية مشهودة  
للمنكرين بالبعث وهي بناء السماء وتزيينها بالنجوم وسلامتها من العيوب  
والفطور، ثم مد الأرض وإلقاء الجبال الرواسي فيها وتزيينها بأصناف النبات  
للتبصرة والتذكرة، والمقطع الثالث: في ذكر آية أخرى مشهودة في قدرة الله  
على البعث وهي إنزال الماء المبارك من السماء، والمقطع الرابع: في ذكر أحوال

١- ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ١ / ٤٦٥.

٢- المصدر نفسه، ١ / ٤٧٥.

٣- المصدر نفسه، ١ / ٤٨١.

٤- والبعث والنشور هو محور السورة الذي ذكره مؤلفو موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن  
الكريم، وقاموا بتقسيم السورة إلى أربعة مقاطع: المقطع الأول: افتتاحية السورة (من الآية ١ إلى الآية  
٥)، والمقطع الثاني: التأمل في الأفاق (من الآية ٦ إلى الآية ١٥)، والمقطع الثالث: التأمل في الأنفس خلقاً  
وماً (من الآية ١٦ إلى الآية ٣٨)، والمقطع الرابع: الخاتمة (من الآية ٣٩ إلى آخر السورة).

ينظر: نخبة من العلماء بإشراف د. مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (جامعة الشارقة،  
الإمارات، ط ١، ١٤٣١هـ) ٧ / ٣٩٦.

٥- ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ١ / ٤٦٩.

٦- الحديث أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،  
(دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢ / ٥٩٥،  
رقم الحديث: ٨٧٣.

المكذبين تسلية للرسول - ﷺ - وتحذيراً لمن كذبه، والمقطع الخامس في ذكر الله تعالى دليلاً على قدرته على إحياء الموتى منكرأ على المكذبين ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]، ثم ختم الخطبة بقوله: وهنا ينتهي بنا الحديث هذه الجمعة عما في هذه السورة، سورة ق، من المواعظ العظيمة والتذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد<sup>(١)</sup>.

وفي خطبة من سورة الطور اقتصر الشيخ - رحمه الله - على تفسير الآيات التي فيها دفاع عن النبي - ﷺ - لما قال عنه الكفار إنه كاهن ومجنون وشاعر؛ من أجل تنفير الناس عن دعوته، من قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤] يقف معها آية آية ويقوم بالربط بين الآيات.

وفي خطبة سورة الواقعة أبرز الشيخ موضوع أصناف الناس يوم القيامة، وأقسامهم حال الاحتضار كما ورد في السورة.

حيث ابتداء - رحمه الله - الخطبة عن سر ابتداء الله تعالى السورة بالجملة الشرطية، ثم الأحوال التي تكون يوم القيامة من رج الأرض، وبسّ الجبال حتى تصبح هباء منبثا، ثم انقسام الناس على ثلاثة أصناف: سابقون وأصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة، ثم قام بتفسير كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة وجزاء كل صنف، ثم ختم الخطبة بذكر أقسام الناس في آخر السورة عند حضور الأجل: وهم المقربون، وأصحاب اليمين، والمكذبون الضالون<sup>(٢)</sup>.

١ - ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ١ / ٤٦٩.

٢ - المصدر نفسه، ١ / ٤٨١.

## الطريقة الثالثة: تفسير أكثر آيات السورة:

وهي الطريقة التي سلكها الشيخ محمد العثيمين في خطبة تفسير سورة ق<sup>(١)</sup> الثانية؛

فذكر سبب قراءة النبي - ﷺ - لسورة ق يوم الجمعة على المنبر، ثم أجمل تفسير الآيات بجعلها على شكل مقاطع، وذكر المقاطع الخمسة التي ذكرها في الخطبة الأولى، ثم قام بتقسيم الآيات من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلُومَا نُوسُوسُ بِهِ نَفْسَهُ ۗ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، إلى قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۗ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤] على مقطعين: الأول في حال الإنسان من أول خلقه إلى نهاية خلقه، والمقطع الثاني في بيان حال يوم القيامة وحال الغافل في الدنيا عن ذلك اليوم، وجزاء الأعمال وإلقاء الكفار في جهنم، وتقريب الجنة للمتقين.

## ثانياً: طرق تناول تفسير الآيات:

والخطب في مجال تفسير الآيات كلها للشيخ صالح الفوزان، ويمكن تقسيم طرائق تناول الشيخ لها في التفسير على طريقتين:

الطريقة الأولى: أن تكون الآيات المفسرة في أكثر من سورة:

وهي الطريقة التي سلكها الشيخ صالح الفوزان في خطبة ثمرات الإيمان، والفرق بين مواقف المؤمنين ومواقف المنافقين كما جاء في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>؛ حيث قام بالمقابلة بين أربعة مواقف من مواقف المؤمنين والمنافقين.

الأول: موقف الفريقين عندما يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فيما تنازعوا فيه، المذكور في سورة النور الآيات ٤٧-٥٠، والموقف الثاني: موقف

١ - ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ١ / ٤٧١.

٢ - ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٢ / ٢٦.

الفريقين عند سماع القرآن الكريم وعند تلاوته، المذكور في ختام سورة التوبة الآيات ١٢٤ - ١٢٧، والموقف الثالث: موقف الفريقين عند الجهاد في سبيل الله، المذكور في سورة محمد الآيات ٢٠-٢١، والموقف الرابع: موقف الفريقين عند مضايقة الكفار للمسلمين في سورة الأحزاب، موقف المؤمنين في الآيات ٢٢-٢٣ وموقف المنافقين الآيات ١٢-١٣.

### الطريقة الثانية: أن تكون الآيات المفسرة في سورة واحدة:

وهي الطريقة التي سلكها الشيخ صالح الفوزان في خطبة من صفات المؤمنين في القرآن<sup>(١)</sup>، حيث قام بتفسير الآيات الواردة في صفات المؤمنين في أول سورة المؤمنون: من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١] يقف معها صفة صفة.

وفي خطبة صفات المؤمنين وصفات المنافقين في القرآن<sup>(٢)</sup>، قام الشيخ بالمقابلة بين صفات المنافقين وجزائهم المذكورة في قوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٦٧)</sup> وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكَافِرَاتِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨]، وصفات المؤمنين وجزائهم المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٧١)</sup> وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] يقف مع الصفات المذكورة في الآيات صفة صفة.

١ - ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٣ / ٣٣٢.

٢ - المصدر نفسه، ٧ / ١٤٦.

وفي خطبة وصايا من سورة آل عمران<sup>(١)</sup>، قام الشيخ بتفسير الآيات ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١٠٢)</sup> وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(١٠٣)</sup> وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١٠٤)</sup> وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرُّوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

يقف مع الآيات المذكورة آية آية.

وفي خطبة في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]<sup>(٢)</sup>، قام الشيخ بتفسيرها في الخطبة الأولى، والخطبة على جزأين، الأول: نقل مطول عن ابن القيم في صفات الأرض<sup>(٣)</sup> من كتاب التبيان في أقسام القرآن<sup>(٤)</sup>، والجزء الثاني من الخطبة: أن من آيات الله في الأرض ما أوقعه الله بالأمة السابقة وبقاء آثارهم الدالة عليهم<sup>(٥)</sup>.

وفي خطبة في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ ءَآفَآلٌ لِّبَصُرُون﴾ [الذاريات: ٢١]<sup>(٦)</sup>، قام الشيخ بتفسيرها في الخطبة الثانية، وجعلها تأملاً في خلق الله للإنسان.

- ١- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٨ / ٣٦٢.
- ٢- المصدر نفسه، ٣ / ٢١٤.
- ٣- المصدر نفسه، ٣ / ٢١٥.
- ٤- ينظر: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، (دار المعرفة بيروت، (د.ت) ص: ٢٩٩.
- ٥- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٣ / ٢١٦.
- ٦- المصدر نفسه، ٣ / ٢١٨.

## ثالثاً: طرق تناول تفسير الآية:

وهما طريقتان:

الطريقة الأولى: تفسير كامل الآية في خطبة واحدة:

وهي الطريقة التي سلكها الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - في خطبة في تفسير قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]<sup>(١)</sup>، وخطبة في معنى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]<sup>(٢)</sup>، وخطبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رِجْيَ الْفَوَاحِشِ﴾ [الأعراف: ٣٣]<sup>(٣)</sup> وخطبة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]<sup>(٤)</sup>.

وطريقة الشيخ - رحمه الله - في التفسير في جميع الخطب: أنه يبدأ بذكر الآية في مطلع كل خطبة ثم يقوم بتفسيرها بإيجاز، وبأسلوب وعظي يناسب مقام الخطابة، يقرب من أسلوبه في كتابه في التفسير: تيسير الكريم الرحمن.

وهي الطريقة التي سلكها الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله - في خطبة من سورة النساء<sup>(٥)</sup> تفسير لآية الحقوق العشرة قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

حيث قام - رحمه الله - بتفسير كل حق من الحقوق العشرة الواردة في الآية بإيجاز.

١ - ينظر: السعدي، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، ص: ٣٤.

٢ - المصدر نفسه، ص: ١٨١.

٣ - المصدر نفسه، ص: ١٨٥.

٤ - المصدر نفسه، ص: ١٩٣.

٥ - ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ١ / ٤٥٩.

## الطريقة الثانية: جعل تفسير الآية مقسوماً بين الخطبتين:

وهي الطريقة التي سلكها الشيخ صالح الفوزان في خطبة حول آية من كتاب الله<sup>(١)</sup> وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

حيث جعل الشيخ تفسير الآية مقسوماً بين الخطبتين؛ ففي الخطبة الأولى: قام بتفسير الصفات الثلاث الواردة في الآية، وهي: تلاوة القرآن الكريم، وإقام الصلاة، والإنفاق في وجوه الخير، وفي الخطبة الثانية: قام الشيخ بتفسير الجزء الأخير من الآية وهو قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.

## المطلب الثالث: تكرار خطب التفسير:

التذكير مأمور به في قوله تعالى: ﴿وَذَكَرْنَا لَكَ الْذِكْرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ لَنَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وتكرار التذكير من باب أهمية الشيء والعناية؛ ولذا قد يكرر الخطيب الخطبة في أكثر من مناسبة.

يقول الشيخ صالح الفوزان في مقدمة كتابه الخطب المنبرية: «وسيالاحظ القارئ الكريم أنه ربما تتكرر عدة خطب في موضوع واحد؛ وهذا راجع لأهمية هذا الموضوع ووجوب العناية به، ولأن تنويع التذكير وتكراره قد يكون أبلغ في التأثير»<sup>(٢)</sup>.

وقد قام الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بتكرار تفسير سورة ق في خطبتين مختلفتين.

انتهى في الخطبة الأولى إلى تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ

١ - ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٣ / ٢٢١.

٢ - المصدر نفسه، ٣ / ١.

مَنْ حَلَقَ جَدِيدًا ﴿ق: ١٥﴾<sup>(١)</sup>، وفي الخطبة الثانية: إلى تفسير قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلْمٍ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ ﴿ق: ٣٤﴾<sup>(٢)</sup>.

كما قام الشيخ صالح الفوزان بتكرار خطبة بيان صفات المؤمنين وصفات المنافقين<sup>(٣)</sup> المذكورة في قوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ابْنَ الِّمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكٰفِرَ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لِّلْعٰنَةِ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

إلا أنه في الخطبة الأولى قام باستيعاب تفسير الآيات في الخطبة الأولى، وفي الخطبة الثانية: جعل تفسير الآيات مقسوماً بين الخطبتين.

١- ينظر: العثيمين، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ١/ ٤٦٩.  
٢- المصدر نفسه، ١/ ٤٧٤.  
٣- ينظر: الفوزان، الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، ٧/ ١٤٦ و ٥/ ١٩٩.

## الخاتمة

أحمد الله تعالى الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث ، وفيما يلي أوجز ما توصلت إليه من نتائج:

١- بلغ عدد خطب التفسير التي تناولها البحث (٢١) خطبة، ويعد الشيخ صالح الفوزان أكثر الخطباء من حيث عدد خطب التفسير حيث بلغ عدد خطب التفسير عنده (١١) خطبة، يليه الشيخ محمد العثيمين -رحمه الله- وعدد الخطب (٦)، ثم الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- وعدد الخطب (٤).

٢- مجالات التفسير في خطبة الجمعة التي تناولها البحث هي: تفسير سورة من القرآن الكريم، وتفسير آيات، وتفسير آية، وفيما يأتي جدول توضيحي لذلك:

م	الخطيب	مجال التفسير	عدد الخطب	المجموع
١	الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -	تفسير آية	٤	٤
٢	الشيخ محمد ابن عثيمين - رحمه الله -	تفسير آية	١	٦
		تفسير سورة	٥	
٣	الشيخ صالح الفوزان	تفسير آية	٣	١١
		تفسير آيات	٥	
		تفسير سورة	٣	
المجموع الكلي للخطب			٢١	

٣- اشترك الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله-، والشيخ صالح الفوزان في تفسير سورة العصر.

٤- سلك العلماء طريقة يسيرة في إلقاء الخطب تناسب مقام الإلقاء والمستمعين لتلك الخطب، ويمكن وصف التفسير في غالب الخطب: بأنه يميل إلى الإيجاز مع وضوح المعنى، ويعتمد على المعنى الإجمالي للآيات.

٥- لم تكن الطريقة التي سلكها العلماء في استيعاب التفسير من خلال خطبة الجمعة واحدة؛ فمنهم من يجعل التفسير في الخطبة الأولى فقط، وعلى هذه الطريقة سار الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ محمد العثيمين -رحمهما الله- في جميع خطب التفسير، وسار عليها الشيخ صالح الفوزان في بعض خطب التفسير، وفي بعض الخطب جعل التفسير مقسوماً بين الخطبتين.

٦- يمكن تقسيم تناول تفسير العلماء للسورة إلى: التفسير الشامل لآيات السورة، والاقتصار على موضوع من موضوعات السورة، وتفسير أكثر آيات السورة.

٧- يمكن تقسيم تناول تفسير العلماء للآيات إلى: أن تكون الآيات المفسرة في أكثر من سورة، وأن تكون الآيات المفسرة في سورة واحدة.

٨- يمكن تقسيم تناول تفسير العلماء للآية إلى: تفسير كامل الآية في خطبة واحدة، وجعل تفسير الآية مقسوماً بين الخطبتين.

٩- قام الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- بتكرار تفسير سورة ق في خطبتين مختلفتين، وكذلك قام الشيخ صالح الفوزان بتكرار خطبة بيان صفات المؤمنين وصفات المنافقين المذكورة في سورة التوبة في خطبتين مختلفتين.

وختاماً، يوصي الباحث بـ:

ضرورة العناية من خطباء المساجد بموضوع التفسير من خلال خطبة الجمعة، ومحاولة تقريب التفسير للناس من خلال ذلك، ولو أقيم مشروع علمي مشترك ما بين وزارة الشؤون الإسلامية وأحد المراكز البحثية في الجامعات السعودية في كتابة موسوعة في خطب التفسير يعد مشروعاً رائداً.

## المصادر والمراجع

- ابن فارس، أحمد بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ): التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف (ت: ١٤٠٦هـ): مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- البريدي، أحمد بن محمد: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- الحجيلان، عبد العزيز بن محمد: خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- الزيري، وليد بن أحمد الحسين وآخرين: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الزرقاني، محمد بن عبد العظيم (ت: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٣، ١٣٦٢هـ.
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ): الخطب المنبرية في المناسبات، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، عبد الرحمن بن ناصر (ت: ١٣٧٦هـ): الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

- العبيد، علي بن سليمان: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.
- العثيمين، محمد بن صالح(ت: ١٤٢١هـ): الضياء اللامع من الخطب الجوامع، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- الفريق العلمي للمساجد: موسوعة خطب الجمعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.
- الفوزان، صالح بن فوزان: الخطب المنبرية في المناسبات العصرية، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- الفوزان، صالح بن فوزان: دروس التفسير في المسجد الحرام، اعتنى بها، العياشي بن العربي براهمي، دار الميراث النبوي، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.
- القشيري، مسلم بن الحجاج(ت: ٢٦١هـ): صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المنيع، ناصر بن محمد: معالم في أصول التفسير، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
- نخبة من العلماء بإشراف د. مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

## Sources and References:

- Ibn Fares, Ahmed bin Zakaria(d. 395 AH): Mqayees allugah, investigated by: Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Jeel, Beirut, second edition, 1420 AH / 1999 AD.
- Ibn Qayyim al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr(d. 751 AH): Al-Tibyan fi aqsam AlQur'an, investigated by: Muhammad Hamid al-Fiqi, Dar al-Maarifa, Beirut.
- Al-Sheikh, Abd al-Rahman ibn Abd al-Latif(d. 1406 AH): Famous scholars of Najd and others, Dar al-Yamamah, Riyadh, first edition, 1392 AH / 1972 AD.
- Al-Baridi, Ahmed bin Muhammad: The Efforts and Views of Sheikh Ibn Uthaymeen in Interpretation and the Sciences of the Qur'an. Al-Rushd Library, Riyadh, first edition, 1426 AH.
- Al-Hujailan, Abdul Aziz bin Muhammad: Friday sermon and its jurisprudential rulings, Center for Islamic Research and Studies at the Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance. Riyadh, first edition, 1423 AH.
- Al-Zubayri, Walid bin Ahmed Al-Hussein and others: The easy encyclopedia in the translations of the imams of interpretation, reading, grammar and language from the first century to contemporary with a study of their beliefs and some of their anecdotes, Al-Hikma Magazine. Britain, first edition, 1424 AH / 2003 AD.
- Al-Zarqaani, Muhammad bin Abdil <Adheem (d. 1367 AH), Manaahil Al-Irfaan fi Uluum Al-Qur'an, Isa Al-Baabi Al-Halabi Press, Cairo, 3rd., 1362 AH.
- Al-Zarkashi, Muhammad bin Bahaafir bin AbdilLaah (d. 794 AH), Al-Burhaan fi Uluum Al-Qur'an, Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Daar Al-Ma'rifah, Beirut, 2nd ed., 1391 AH
- Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser(d. 1376 AH): Sermons on Occasions, General Presidency of the Departments of Scholarly Research, Ifta, Call and Guidance. Riyadh, first edition, 1412 AH.
- Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser(d. 1376 AH): «Alfawakih alshahyah fi alkhutub almanbariah». General Presidency of the Departments of Scientific Research, Ifta, Call and Guidance. Riyadh, first edition, 1412 AH.
- Al-Obaid, Ali bin Suleiman: Interpretation of the Noble Qur'an, its Origins and Controls. Al-Tawbah Library. Riyadh, second edition, 1430 AH.
- Al-Uthaymeen, Muhammad bin Saleh(d. 1421 AH): «aldhya allamie min alkhutub al - ljawamie». Dar Al Thuraya, Riyadh, first edition, 1425 AH / 2004 AD.

- The Scientific Team for Mosques: Encyclopedia of Friday Sermons, Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Call and Guidance. Riyadh, first edition, 1435 AH.
- Al-Fawzan, Saleh bin Fawzan: Alkhutub almanbariah fi almunasabat alasryah. Dar Al-Assimah, Riyadh, first edition, 1427 AH.
- Al-Fawzan, Salih bin Fawzan: «Droos altafsir fi almasjid alharam», collected by: Al-Ayashi bin Al-Arabi Brahim, Dar almirath alnabawy. Algeria, first edition, 1435 AH.
- Al-Qushayri, Muslim bin Al-Hajjaj(d. 261 AH): Sahih Muslim, investigated by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi. Dar ehya alturath alarabi, Beirut.
- Al-Manea, Nasser bin Muhammad: «Maalim fi isool altafsir. Dar Al-Sumaei, Riyadh, first edition, 1433 AH.
- A group of scholars under the supervision of Dr. Mustafa Muslim: The Objective Interpretation of the Surahs of the Noble Qur'an. University of Sharjah, UAE, first edition, 1431 AH.

دراسة تفسيرية تحليلية للآيات المشتملة  
على قوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ)

**An Interpretive Study of the Verses that  
Include the Almighty's Saying  
(And Who Is More Unjust)**

د. سامية بنت عطية الله المعبدي

كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

**Dr. Samiah Bint Atiyatullah Almaabdi**

College of Da`wa (Islamic Call) and Fundamentals of Religion  
Umm Al-Qura University- Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.06>

تاريخ تسلم البحث 2023/10/03 - وصدر خطاب القبول 2024/08/21





## Abstract

This research dealt with the study of the verses that included the saying (and who is more unjust) an analytical interpretive study. It aims to determine the meanings of the verses and reveal who deserves to be described in the Book of God Almighty as the more unjust; In order to avoid falling into what those described did, it also aims to deduce the benefits contained in those verses, relying on the analytical and deductive approach.

One of the most important results of this research is that this method was repeated in the Holy Qur'an in fifteen places, all of which were in the Meccan surahs, except for two places among them, and that the matters whose perpetrator was described as saying that no one is more unjust than him are mostly related to the principles of religion and belief, so the verses included warnings and threats that show the bad fate of those described.

**Keywords:** unjust - interpretation - contradiction.

## ملخص البحث

تناول هذا البحث دراسة الآيات التي اشتملت على قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ) دراسة تفسيرية تحليلية، وهو يهدف إلى الوقوف على معاني الآيات، والكشف عن من استحق أن يوصف في كتاب الله تعالى بأنه الأظلم؛ ترهيباً من الوقوع فيما وقع فيه أولئك الموصوفون، كما يهدف إلى استنباط الفوائد التي تضمنتها تلك الآيات، معتمدة في ذلك على المنهج التحليلي والاستنباطي.

ومن أهم نتائج هذا البحث: أن هذا الأسلوب تكرر في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً، كانت كلها في السور المكية عدا موضعين منها، وأن الأمور التي وصف فاعلها بأنه لا أحد أظلم منه يتعلق غالبها بأصول الدين والاعتقاد، لذا تضمنت الآيات الوعيد والتهديد بما يبين سوء مصير أولئك الموصوفين.

كلمات مفتاحية: أظلم - تفسير - تحليل -

تعارض.



## المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثره وبعد: فقد جاء القرآن الكريم محذراً من الظلم، ناهياً عنه، محرماً إياه؛ إذ إنه سبب كل شر وفساد، لا يفشو في أمة إلا أذن الله برحيلها، ولا يشيع في بلدة إلا وبدأت أسباب زوالها، به تفسد الديار وتخرب الأوطان وتُدمر الأمصار، وبه ينزل غضب الواحد القهار وعذاب الملك الديان قال الله ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩] وما يلحظ في القرآن أن الله قد ذم أقواماً بأنه لا أحد أظلم منهم مما يدل على شناعة ما ارتكبوا، وقبيح ما فعلوا، من هنا جاء اختياري لهذا البحث الذي وسمته بـ(دراسة تفسيرية تحليلية للآيات المشتملة على قوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ)).

أهمية البحث وأسباب اختياره: مما يبرز أهمية هذا الموضوع تكرره في غير موضع من كتاب الله تعالى، واختلاف الموصوفين به مما يدفع إلى البحث عن أولئك الذين وصفهم الله ﷻ بقوله (وَمَنْ أَظْلَمُ)، للوقوف على عظم جرمهم الذي استحقوا به ذلك الوصف، تريباً مما فعلوا، وتوقياً من الوقوع فيما وقعوا، إلى جانب أن البحث عن معاني الآيات والوقوف على فوائدها ولطائفها مما أمر الله تعالى به حيث قال سبحانه ﷻ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

مشكلة البحث: تبرز مشكلة البحث في إجابته عن الأسئلة التالية:

١- كم مرة ورد قوله (ومن أظلم) و (فمن أظلم) في القرآن؟

٢- ما هي موجبات الوصف بالأظلمية؟

٣- ما الفوائد التي حوتها الآيات؟

٤- كيف ندفع موهم التعارض بين الآيات المشتملة على هذا الوصف؟

### أهداف البحث:

- ١- جمع الآيات المشتملة على قوله (ومن أظلم) أو (فمن أظلم)، ودراستها دراسة تفسيرية.
- ٢- العلم بمن استحق أن يوصف في كتاب الله تعالى بأنه الأظلم، والكشف عن عظيم جرمهم.
- ٣- الوقوف على ما حوته الآيات القرآنية من فوائد.
- ٤- دفع ما يتوهم من تعارض بين هذه الآيات.

حدود البحث: كل آية اشتملت على قوله (ومن أظلم) أو (فمن أظلم).

منهج البحث: استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي، وذلك عند دراسة الآيات دراسة تفسيرية وتحليل معانيها، كذا المنهج الاستنباطي حال استنباط فوائدها.

### الدراسات السابقة:

- الظلم في ضوء القرآن الكريم، للباحثة نورة بن حسن، وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة باتنة، تخصص الكتاب والسنة، عام ٢٠٠٨-٢٠٠٩م. وقد تناول البحث موضوع الظلم مبيئاً أنواعه ودوافعه، كاشفاً عن آثاره، وطرق الوقاية منه، وقد تقاطع هذا البحث في مطلبه الثالث الذي جاء بعنوان الظلم الأعظم مع هذه الدراسة في بيان معاني الآيات، وفارقت الدراسة ببيان صلة الآيات بما قبلها، والوقوف على ما دلت عليه الآيات من فوائد.

- أسلوب (ومن أظلم) في القرآن دراسة نظرية تطبيقية، للباحثة نور محمد مكايي، بحث محكم نشر في المجلة العلمية لكلية الدعوة وأصول الدين بالزقازيق، عام ٢٠١٧م، وقد عني البحث ببيان هذا الأسلوب القرآني من خلال الآيات التي ورد فيها، وتطرق لتفسير الآيات إلا أنه لم يفصل ما حوته الآيات من الفوائد ولم يقف على ما فيها من الهدايات التي ذكرتها هذه الدراسة.

- آيات (ومن أظلم) في القرآن الكريم، للباحث محمد حازم العبيدي، بحث محكم نشر في مجلة أبحاث - كلية التربية، ٢٠٢١م، وقد تناول البحث موضوع الظلم بشكل عام من حيث تعريفه وأقسامه ومرادفاته، ولم يفسر الباحث الآيات موضوع الدراسة.

- أظلم الناس في القرآن الكريم، للباحث محمد رزيق الرحيلي، بحث محكم نشر في مجلة كلية دار العلوم، ٢٠١٩م، وقد جعل الباحث أفعال الموصوفين بقوله (ومن أظلم) عناوين رئيسة لمباحثه ثم تكلم عنها بشكل عام دون الخوض في تفسير الآيات.

**خطة البحث:** اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم إلى مقدمة، وتمهيد، وعشرة مباحث.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، ومنهج البحث، وخطته. التمهيد: وفيه التعريف بالظلم. المبحث الأول: السعي في تخريب المساجد، ومنع ذكر اسم الله فيها. المبحث الثاني: كتمان الشهادة. المبحث الثالث: افتراء الكذب على الله تعالى. المبحث الرابع: افتراء الكذب على الله، والتكذيب بآياته. المبحث الخامس: افتراء الكذب على الله، وادعاء النبوة. المبحث الثامن: افتراء الكذب على الله، والتكذيب بالحق وقائله. المبحث التاسع:

الإعراض عن التذكرة بآيات الله. المبحث العاشر: إشكال ورده.

تلته الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته، ثم قائمة بالمصادر.

تمهيد: التعريف بالظلم «الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والثاني: وضع الشيء غير موضعه تعدياً.»<sup>(١)</sup> والعلاقة بينهما ظاهرة فالظلم ظلمة كما قال ﷺ (الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(٢)</sup>، وكما أن الظلام يمنع الرؤية، فكذا الظلم يمنع صاحبه من رؤية الحق وأداء الحقوق إلى أهلها، ووضع الأمور في مواضعها. قال ابن دريد: «الظلم مصدر ظلمته أظلمه ظُلمًا، وأصل الظلم وضعك الشيء في غير موضعه ثم كثر ذلك حتى سمي كل عَسَفَ ظلمًا»<sup>(٣)</sup>، ويطلق لفظ الظلم على مجاوزة الحد بالنقصان أو الزيادة ومنه قوله تعالى ﴿كَلْنَا الْجَنَيْنَ آئَاتُ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٢٣٣] أي لم تنقص منه شيئًا من هنا عرفه الراغب بأنه «وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه»<sup>(٤)</sup>، ومن معاني الظلم أيضًا الميل عن القصد أو العدول عن الحق إلى الباطل قال الجرجاني في تعريفه للظلم: «وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد»<sup>(٥)</sup>.

- ١- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥ م، (٤٦٨/٣).
- ٢- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والقصد، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، (١٢٩/٣)، ح (٢٤٤٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والآداب والصلة، باب تحريم الظلم، (١٩٩٦/٤)، ح (٢٥٧٩).
- ٣- محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧ م، (٩٣٤/٢).
- ٤- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢ هـ، ص ٥٣٧.
- ٥- الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م، ص ١٤٤.

## المبحث الأول: السعي في تخريب المساجد، ومنع ذكر اسم الله فيها

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِيَةً لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

### المطلب الأول: وجه اتصال الآية بما قبلها

حوت الآيات السابقة دعوى أهل الكتاب أنهم هم وحدهم أهل الجنة والأحق بها؛ فردّ الله عليهم قولهم وأنكر دعواهم بهذه الآية، وهذا القول مبني على أن المراد بمساجد الله كل المساجد، ومنع ذكر اسمه فيها ما قامت به النصارى من تخريب لبيت المقدس، يقول الرازي: «فأما من حملها على النصارى وخراب بيت المقدس قال تتصل بما قبلها من حيث إن النصارى ادعوا أنهم من أهل الجنة فقط، فليل لهم كيف تكونون كذلك مع أن معاملتكم في تخريب المساجد والسعي في خرابها هكذا»<sup>(١)</sup>، ومن المفسرين من حمل الآية على المسجد الحرام خاصة، وفسر المنع بصد الرسول ﷺ عن المسجد الحرام عام الحديبية، ومنهم من حملها على المسجد الحرام وغيره من مساجد مكة، وعليه جعلوها متصلة بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣] يقول الرازي: «وأما من حملة على المسجد الحرام وسائر المساجد قال: جرى ذكر مشركي العرب في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ وقيل: جرى ذكر جميع الكفار وذمهم، فمرة وجه الذم إلى اليهود والنصارى ومرة إلى المشركين»<sup>(٢)</sup>، قال أبو حيان: «ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه جرى ذكر النصارى في قوله (وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ)، وجرى ذكر المشركين في قوله ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ

١- محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،

(١٠ / ٤).

٢- المصدر نفسه.

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَثَلِ قَوْلِهِمْ ﴿﴾، وفي أي نزلت منهم كان ذلك مناسباً لذكرها تلي ما قبلها»<sup>(١)</sup>

### المطلب الثاني: سبب نزول الآية

للمفسرين في سبب نزول هذه الآية أقوال، أولها: أنها نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس<sup>(٢)</sup>. ثانيها: أنها نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس، وأعانه على ذلك النصارى من أهل الروم<sup>(٣)</sup>، قال قتادة: حملهم بغض اليهود على معاونة بختنصر<sup>(٤)</sup> وهذا ما رجحه الطبري في تفسيره<sup>(٥)</sup>، في حين عارضه الجصاص بقوله: ما روي في خبر قتادة يشبه أن يكون غلطاً من راويه لأنه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين إن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل، والنصارى إنما كانوا بعد المسيح، وإليه ينتمون، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، ومع ذلك فإن النصارى تعتقد من تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود فكيف أعانوا على تخريبه مع اعتقادهم فيه؟!<sup>(٦)</sup>.

- ١- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (١/ ٥٢٧).
- ٢- روى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ططوس الرومي وأصحابه من النصارى، ذلك أنهم غزوا بني إسرائيل، فقتلوا مقاتلتهم، وسبوا ذراريهم، وحرفوا التوراة، وخربوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف. علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص٣٦.
- ٣- ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (١/ ٢٦٤)؛ أحمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، (٤/ ٣٨)؛ علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص٣٦.
- ٤- رواه عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تفسير القرآن، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠ هـ، (١/ ٢٨٧) ومن طريقه محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٢/ ٥٢٠)، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي، المحقق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ، (١/ ٢١٠)، ورواه محمد بن جرير الطبري، في جامع البيان في تأويل القرآن، (٢/ ٥٢٠) من غير طريق عبد الرزاق.
- ٥- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢/ ٥٢١).
- ٦- ينظر: أحمد بن علي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ، (١/ ٧٥).

ثالثها: أنها نزلت في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت، قاله أبو مسلم واستشهد بقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [من الفتح: ٢٥] وقوله ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعُدُّهُمْ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [من الأنفال: ٣٤] وحمل قوله ﴿إِلَّا خَافِيَتِ﴾ بما يعلي الله من دينه، ويظهر من كلمته. <sup>(١)</sup> وقد ضعف الطبري هذا القول من جهة أن المشركين لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، بل كانوا يفخرون بعمارتها في الجاهلية، وإن كانوا قد منعوا في بعض الأوقات رسول الله ﷺ وأصحابه من الصلاة فيه، وبأنه لم يجز لهم ذكر. <sup>(٢)</sup> وأجيب عن ذلك بأن قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ منع المسلمين أن يقيموا بها أمر الدين فهو خراب معنوي <sup>(٣)</sup>، وإلى هذا مال ابن كثير في تفسيره <sup>(٤)</sup>، يشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [من الفتح: ٢٥] رابعها: أنها نزلت في مشركي مكة الذين منعوا الرسول ﷺ من الدعوة إلى الله بمكة وألجأوه إلى الهجرة، فصاروا مانعين له ولأصحابه أن يذكروا الله في المسجد الحرام. <sup>(٥)</sup>

خامسها: وهو قول ابن عباس، ورجحه ابن العربي والرازي <sup>(٦)</sup> أنها نزلت في صلاة النبي ﷺ قبل بيت المقدس، ثم عاد فصلّى إلى الكعبة، فاعترضت عليه

- ١- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٤ / ٩).
- ٢- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢ / ٥٢٢).
- ٣- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (١ / ٤٣).
- ٤- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (١ / ٣٨٨)، وانتصر أحمد شاکر لترجيح الطبري ورد كلام ابن كثير في تفسيره فينظر: ما قال (٢ / ٥٢٢-٥٢٣).
- ٥- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١ / ٣٨٨)، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ) الآية. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (١ / ٢١٠)، وأورده السيوطي، الدر المنثور، (١ / ٢٦٤) وعزاه لابن إسحاق وابن أبي حاتم. وإسناده ضعيف.
- ٦- ينظر: ابن العربي محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، (د.ت)، (١ / ٢٨٠)، الرازي، مفاتيح الغيب، (٤ / ٩-١٠).

اليهود، فأنزلها الله تعالى له كرامة، وعليهم حجة.

وهذا القول برأيي أقوى الأقوال وأرجحها من حيث إنه لا معارض له من جهة، ومن جهة أخرى اتساقه مع الآيات التي قبلها وبعدها، فالآيات التي قبل قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ جاءت إخباراً عن أهل الكتاب وذمّاً لأفعالهم، والتي بعدها نهبت بدمهم والخبر عن افتراءهم على ربهم، فكان الأليق بالسياق أن يكون قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ فيهم عملاً بالقاعدة الترجيحية التي تنص على أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له، قال الرازي: «وهو أقرب إلى رعاية النظم... ذلك لأن الله تعالى لم يذكر في الآيات السابقة على هذه الآية إلا قبائح أفعال اليهود والنصارى، وذكر أيضاً بعدها قبائح أفعالهم فكيف يليق بهذه الآية الواحدة أن يكون المراد منها قبائح أفعال المشركين في صدهم الرسول ﷺ عن المسجد الحرام»<sup>(١)</sup>، وقال القاسمي: «الآية في ذم اليهود، تبعاً للسابق واللاحق، وما جنوه بكفرهم على بيت المقدس من خرابه وتسليط عدوهم عليهم حتى خربه ودمر مدينتهم، وقتل وسبى منهم وأسره... كل ذلك كان برفضهم كتاب الله والعمل بشريعته.»<sup>(٢)</sup> ونزول الآية لسبب خاص لا يمنع أن يكون حكمها عاماً ينطبق على كل من اتصف بالصفات المذكورة فيها؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وسواء أكان نزولها في بيت المقدس أم المسجد الحرام، فإن حكمها يشمل كل مسجد قال أبو حيان: «وظاهر الآية العموم في كل مانع، وفي كل مسجد، والعموم وإن كان سبب نزوله خاصاً فالعبرة به لا بخصوص السبب»<sup>(٣)</sup>، وقال القرطبي: «وأراد بالمساجد هنا بيت المقدس ومحاربه، وقيل الكعبة، وجمعت

١- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤ / ١٠).

٢- محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ، (١ / ٣٧٩).

٣- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، (١ / ٥٢٦).

لأنها قبلة المساجد أو للتعظيم. وقيل المراد من منع من كل مسجد إلى يوم القيامة، وهو الصحيح، لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: تفسير الآية

مما تجدر الإشارة إليه ابتداءً أن هذه الآية لم تأت لبيان الشرط وجزاءه، بل جاءت مخبرة عن وقوع الأمر، مبينة جزاء فاعليه، يقول الرازي: «أجمع المفسرون على أنه ليس المراد من هذه الآية مجرد بيان الشرط والجزاء... بل المراد بيان أن منهم من منع عمارة المساجد وسعى في خرابها، ثم إن الله تعالى جازاهم بما ذكر في الآية»<sup>(٢)</sup>، هذا وقد صُدّرت الآية بالاستفهام المتضمن معنى النفي والاستبعاد أن يكون أحد أظلم وأشدّ اعتداء وجرأة على الله ومخالفة لأمره، ممن منع المساجد التي هي أماكن العبادة لله ومواضع السجود له أن يعبد الله فيها، وبذل جهده وسعى في خرابها حسيًا بهدمها وتخريبها، أو تقديرها، أو إغلاقها. أو معنويًا بمنع ذكر الله في المساجد من إقام الصلاة، وتلاوة القرآن، ونحو ذلك، ومنع المؤمنين منها وصدّهم عن دخولها. قال الشوكاني: «هذا الاستفهام فيه أبلغ دلالة على أن هذا الظلم متناه، وأنه بمنزلة لا ينبغي أن يلحقه سائر أنواع الظلم، أي لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عاشور: «وقد عدل عن صوغ الحكم عليهم بصيغة الإخبار إلى صوغه في صورة الاستفهام للإيماء إلى أن السامع لا يسعه إلاّ الجواب بأنهم أظلم»<sup>(٤)</sup>.

- ١- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، (٧٧/٢).
- ٢- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤/١٠).
- ٣- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، (١/١٣١).
- ٤- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، (٥/٢٤).

ولكون الجزاء في الإسلام من جنس العمل جازاهم الله، بأن منعهم دخولها شرعاً وقدرًا، إلا خائفين أن تضرب أعناقهم أو أخيفوا بفرض الجزية عليهم فهم يؤدونها، قال ابن كثير: «هذا خبر معناه الطلب أي لا تمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية»<sup>(١)</sup>، وقال النسفي: «ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلًا عن أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين عنها»<sup>(٢)</sup>. ثم بين سبحانه ما أعد لهم من العقوبة فقال ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي للمانعين فإن مما ثبت في الشرع أن لا يُمكنَ مشرك من دخول الحرم<sup>(٣)</sup>، لهم في الدنيا خزي الذل والهوان والقتل والسبي والنفي، فمن جعل الآية في النصارى قال: الخزي قتل الحربي وجزية الذمي، وقيل: الفتوح الكائنة في الإسلام كعمورية<sup>(٤)</sup> وغيرها، ومن جعلها في قريش جعل الخزي غلبتهم في الفتح وقتلهم والعذاب في الآخرة لمن مات منهم كافرين.<sup>(٥)</sup> قال الرازي: «واعلم أن كل ذلك محتمل فإن الخزي لا يكون إلا ما يجري مجرى العقوبة من الهوان والإذلال فكل ما هذه صفته يدخل تحته، وذلك ردع من الله تعالى عن ثباتهم على الكفر؛ لأن الخزي الحاضر يصرف عن التمسك بما يوجبه ويقتضيه»<sup>(٦)</sup>، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي النار و«قد وصفه الله تعالى بما جرى مجرى النهاية في المبالغة؛ لأن الذين قدّم ذكرهم

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/ ٣٨٩).

٢- عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المحقق: يوسف بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (١/ ١٢٢).

٣- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٨/ ١٠٤).

٤- عمورية: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، بلد في بلاد الروم، وهي التي فتحها المعتصم بسبب أسر المرأة العلوية، في قصة طويلة، وكانت من أعظم فتوح الإسلام. ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م، (٤/ ١٥٨).

٥- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، (١/ ١٩٩)؛ وينظر علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، المحقق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت)، (١/ ١٧٤).

٦- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤/ ١١).

وصفهم بأعظم الظلم، فبين أنهم يستحقون العقاب العظيم<sup>(١)</sup>. وقد اختلف المفسرون في معنى قوله ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ فمنهم من ذهب إلى أنه خبر بمعنى الطلب، وهو ما رجحه ابن كثير<sup>(٢)</sup>، واستبعده أبو حيان بقوله «ومعنى حملها على الأمر ودلالتها على الأمر لنا بالإخافة لهم بعيدة جداً»<sup>(٣)</sup>. ومنهم من عدّه بشارة للمسلمين بظهورهم على المسجد الحرام بحيث يخافهم المشركون، قال ابن كثير: «وقيل إن هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد إلا خائفاً يخاف أن يؤخذ فيعاقب، أو يقتل إن لم يسلم وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام»<sup>(٤)</sup>، وقال السعدي: «وهذا من الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر»<sup>(٥)</sup>. في حين ذهب بعض المفسرين إلى أنه وصف لما ينبغي أن يكون، والمعنى «ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع، فضلاً عن الاجترار على تخريبها أو تعطيلها»<sup>(٦)</sup>، لولا ظلم الكفرة وعتوهم. ورجّحه النسفي<sup>(٧)</sup>. وقيل معناه أنه يحرم عليهم دخول المسجد الحرام، إلا في أمر يتضمن الخوف نحو أن يدخلوا للمُخَاصَمة والمُحَاكَمَة والمُحَاجَجة<sup>(٨)</sup> وحمل بعض المفسرين الآية على ظاهرها، وأنها فيمن صدر عنه ذلك من المسلمين، فهم الذين يحرم عليهم دخوله إلا خائفين، قال أبو حيان: «والظاهر أن المعنى أولئك ما ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا وهم خائفون من الله وجلون من عقابه، فكيف لهم أن يلتبسوا

١- المصدر نفسه.

٢- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١ / ٣٨٩).

٣- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، (١ / ٥٢٩).

٤- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١ / ٣٨٩).

٥- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٦٣.

٦- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١ / ١٨٧).

٧- ينظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (١ / ١٢٢).

٨- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤ / ١٢)؛ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، (١ / ٥٢٨).

بمنعها من ذكر الله والسعي في تخريبها، إذ هي ﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦] وما هذه سبيله ينبغي أن يعظم بذكر الله فيه، ويُسعى في عمارته، ولا يدخله الإنسان إلا وجلاً خائفاً، إذ هو بيت الله أمر بالمثل فيه بين يديه للعبادة... ففي ذلك تقبيح عظيم على ما وقع منه، إذ كان ينبغي أن يقع ضده، وهو التبجيل والتعظيم ولما لم يقع هذا المعنى الذي ذكرناه للمفسرين، اختلفوا في الآية على تلك الأقوال التي ذكرناها عنهم. ولو أريد ما ذكره، لكان اللفظ أولئك ما يدخلونها إلا خائفين، ولم يأت بلفظ ما كان لهم الدالة على نفي الابتغاء»<sup>(١)</sup>، ووافق الرأزي فيما ذهب إليه حيث قال: «ظاهر الكلام أن الذين آمنوا وسعوا في تخريب المسجد هم الذين يحرم عليهم دخوله إلا خائفين»<sup>(٢)</sup>.

والآية الكريمة إذ تحذر من منع عمّار المساجد أن يعمروها؛ فإنها تدلّ بمفهوم المخالفة على فضل عمارة المساجد، سواء أكانت عمارة حسية أم معنوية، قال السعدي: «وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيماناً ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية»<sup>(٣)</sup> وهو ما دلّ عليه قوله ﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦] بل قد جعل سبحانه عمارتها دليل إيمان قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨] قال القرطبي: «قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ دليل على أن الشهادة لعمار المساجد بالإيمان صحيحة؛ لأن الله سبحانه ربطه بها وأخبر عنه بملازمتها»<sup>(٤)</sup>، وعمارة

١- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، (١ / ٥٢٨).

٢- الرأزي، مفاتيح الغيب، (٤ / ١١).

٣- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٣.

٤- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٨ / ٩٠).

المساجد من أجل أعمال البرِّ، وأجزلها أجرًا فمن عمّر المساجد العمارة الحسيّة أو المعنوية له في الدنيا أحسن الجزاء وفي الآخرة أحسن العاقبة قال النبي ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث (مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لَبَيَّضَهَا<sup>(٢)</sup>) بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ<sup>(٣)</sup>، وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نَزْلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»<sup>(٤)</sup>، ومن حديثه ﷺ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»<sup>(٥)</sup> وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَشِّرِ الْمُشَائِنِينَ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٦)</sup>، وغير ذلك من الأحاديث الدالة على فضل عمارة المسجد لاسيما عمارته بالذكر والصلاة، وحلق العلم وغيرها.

- ١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (١/ ١٣٣)، ح [٦٦٠]، وكتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، (٢/ ١١١)، ح [١٤٢٣]، وكتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش، (٨/ ١٦٣)، ح [٦٨٠٦]، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، (٢/ ٧١٥)، ح [١٠٣١].
- ٢- المفحص: الحفرة التي تحفرها القطاة في الأرض لتبيض وترقد فيها، والقطاة: نوع من اليمام. ينظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١/ ٥٤٥).
- ٣- أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٤/ ٤٨٩)، ح [١٦١٠]، وابن ماجه في سننه، باب تشييد المساجد، (١/ ٤٧٥)، برقم (٧٣٨)، وأحمد في المسند، (١/ ٢٤١)، ح [٢١٥٧]، وقال محققوه: «صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف جابر الجعفي»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦١٢٨).
- ٤- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، (١/ ١٣٣)، ح [٦٦٢]، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من غدا إلى المسجد أو راح، (١/ ٤٦٣)، ح [٦٦٩].
- ٥- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، (١/ ٢١٩)، ح [٢٥١].
- ٦- رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، (١/ ٢٩٩)، ح [٢٢٣]، وأبو داود في سننه، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم، (١/ ٤٢١)، ح [٥٦١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم [٢٨٢٣]، وأخرج الحاكم في المستدرک على الصحيحين، (١/ ٣٣١)، مثله من حديث سهل بن سعد، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الذهبي: على شرطهما.

## المطلب الرابع: فوائد الآية

- ١- لفظ المساجد يشمل كل موضع عُبد الله فيه، «وهذه الآية تتناول كل من منع من مسجد إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام؛ لأنها مساجد وإن لم تكن موقوفة، إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة»<sup>(١)</sup>.
- ٢- مجيء الاستفهام بمعنى النفي أبلغ من النفي المجرد.
- ٣- إضافة المساجد إلى الله ﷻ فيه دليل على شرفها وعلو مكانتها؛ فهي مواطن الذكر والعبادة، وهي شعيرة من شعائر الدين ينبغي تعظيمها وتطهيرها وصيانتها من كل دنس قولي أو فعلي، حسي أو معنوي. قال ابن تيمية رحمه الله: «وكانت مواضع الأئمة، ومجامع الأمة هي المساجد؛ فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة، والقراءة، والذكر، وتعليم العلم، والخطب، وفيه السياسة، وعقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم»<sup>(٢)</sup>.
- ٤- تخريب المساجد إما أن يكون حسيًا أو معنويًا، قال الإمام القرطبي: «خراب المساجد قد يكون حقيقياً كتخريب بختنصر والنصارى بيت المقدس... ويكون مجازاً كمنع المشركين المسلمين حين صدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها»<sup>(٣)</sup>، وكلاهما مترتب عليه الوعيد المذكور في الآية، بل إنهم موعودون بالعقوبة العاجلة في الدنيا، مع ما يدخره الله لهم من

١- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١ / ١٩٩).

٢- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، (٣٥ / ٣٩).

٣- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٢ / ٧٧).

## العذاب العظيم في الآخرة.

٥- مجيء هذه الآية عقب دعاوى أهل الكتاب فيه ردّ لدعواهم، وتكذيب لهم؛ إذ إنه جعل أظلم الظالمين من يعطل مساجد الله فلا يذكر فيها اسمه، بل يسعى في خرابها، وهو عين ما يفعله أهل الكتاب إذ إنهم يخربون المساجد ولا يتوجهون لله فيها بالعبادة الخالصة؛ فإذا دعاواهم باطلة. إلا أن سياق الآية لم يأت بنقض دعاوى أهل الكتاب بشكل مباشر، بل قرر حقائق مطلقة وجد من يدعي أو لم يوجد.

٦- استدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد، يقول الرازي: «فصونه -أي المسجد- عما يوجب تحقيره واجب، وتمكين الكفار من الدخول فيه تعريض للبيت للتحقير لأنهم لفساد اعتقادهم فيه ربما استخفوا به وأقدموا على تلويثه وتنجيسه»<sup>(١)</sup>.

٧- تشير الآية إلى عظم أمر الصلاة؛ ببيانها أنه لا أحد أظلم من الذين منعوا ذكر الله في المساجد من إقام الصلاة، وتلاوة القرآن، ونحو ذلك، قال ابن العربي: «فائدة هذه الآية تعظيم أمر الصلاة فإنها لما كانت أفضل الأعمال وأعظمها أجراً كان منعها أعظم إثماً، وإخراب المساجد تعطيل لها وقطع بالمسلمين في إظهار شعائرهم وتأليف كلمتهم»<sup>(٢)</sup>.

٨- يستدل بمفهوم الآية على أن العلو والتمكين في الأرض إنما يكون للمؤمنين؛ إذ هم حماة الدين وعمّار المساجد، وأن غيرهم من أهل الكفر لا ينبغي أن يكون لهم السلطان لكونهم غير مؤتمنين على حرمة أماكن العبادة.

٩- يؤخذ من قوله: (أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ) أن المشروع في ذكر الله -تبارك

١- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤ / ١٧).

٢- ابن العربي، أحكام القرآن، (١ / ٥٠-٥١).

وتعالى - أن يكون باللسان باسمه ﷻ قال تعالى ﴿سَبِّحْ أَسْرَرَتِكَ الْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى: ١] أي سبحانه ذاكراً اسمه، لا كما يفعل البعض بذكره بالضمير هو. قال ابن تيمية: «فأما الاسم المفرد مظهراً مثل «الله، الله» أو مضمراً مثل «هو»، هو» فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين»<sup>(١)</sup>.

١٠- يستدل بمفهوم الآية على أن عمّار المساجد هم المؤمنون حقاً، بل قد حصر سبحانه الإيمان فيهم بقوله ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِيرِ﴾، يقول الرازي: «فإذا كان الساعي في تخريبه في أعظم درجات الفسق وجب أن يكون الساعي في عمارته في أعظم درجات الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

١١- ضَمَّنَ تعالى قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾، أمر المسلمين بجهاد الكافرين وقتالهم حتى يسلموا أو تكسر شوكتهم فيذلوا ويهونوا.<sup>(٣)</sup>

١٢- مما يشكل على هذه الآية أن الله سبحانه جعل هذا الفعل أعظم الظلم وأشدّه، في حين أن الشرك بالله تعالى يعدّ ظلماً، كما قال سبحانه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [من لقمان: ١٣] وهو أعظم من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه فكيف نجمع بين الآيتين؟ يقول الرازي جواباً لذلك: «أقصى ما في الباب أنه عام دخله التخصيص فلا يقدح فيه»<sup>(٤)</sup>.

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٠/٥٥٦).

٢- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤/١٢).

٣- أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط ٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (١/١٠).

٤- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤/١١).

## المبحث الثاني: كتمان الشهادة

﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

## المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

للآية تعلق ظاهر بما قبلها من جهة أن فيها إبطالاً لما ادّعاه أهل الكتاب من أن الأنبياء الذين كانوا قبلهم كانوا على دينهم؛ ولكونهم على الدين الحق الموافق لدين الأنبياء فهم أهل الجنة والأحق بها، فأبطل سبحانه دعواهم بأمر من جملتها ما ورد في هذه الآية يقول البقاعي: «ولما كان قد بقي من مباحثاتهم أنهم يدّعون أن أسلافهم كانوا على دينهم فتكون دعواهم الاختصاص بالجنة صحيحة أبطلها سبحانه بقوله (أم) أي أرجعوا عن قولهم ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥] لما ثبت من مخالفة ذلك لملة إبراهيم وآله»<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني: سبب نزول الآية

لم يرد في سبب نزول الآية حديث صحيح، أو قول مسند معتبر بل قد ذُكر فيه قول لم يثبت<sup>(٢)</sup>، يقول الألوسي: ما روي في سبب النزول ليس مذكوراً في شيء من كتب الحديث ولا التفاسير المعتبرة كما نص على ذلك الإمام السيوطي وكفى به حجةً في هذا الشأن<sup>(٣)</sup>.

- ١- إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، (١/ ٢٥٧).
- ٢- روي في سبب نزول هذه الآيات أن اليهود والنصارى قالوا: يجب أن يكون الناس لنا تبعاً في الدين؛ لأن الأنبياء منا والشريعة نزلت علينا ولم يعهد في العرب أنبياء ولا شرائع، فردّ الله عليهم بهذه الآية. المرجع نفسه، نفس الجزء والصفحة.
- ٣- محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، (١/ ٣٩٦).

## المطلب الثالث: تفسير الآية

ورد في قوله (أم يقولون) قراءتان متواترتان<sup>(١)</sup> (تقولون) بالتاء و(يقولون) بالياء، وعلى قراءة التاء تكون (أم) متصلة بما قبلها، أي أنها تكون معادلة للهمزة في قوله: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [من البقرة: ١٣٩] والمعنى: أي هذين الأمرين تفعلون أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم، أم تقولون إن إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط<sup>(٢)</sup> كانوا على دينكم؟ أي الأمرين واقع منكم؟ وفائدة هذا الأسلوب - مع أن العلم حاصل بثبوت الأمرين - الإشارة إلى أن أحدهما كاف في الذم فكيف إذا اجتمعا.<sup>(٣)</sup> وعلى القراءة الأخرى: (أم يقولون) تكون أم منقطعة «مقدرة ببل، والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»<sup>(٤)</sup>، وعلى كلا القراءتين فالآية واردة على سبيل الإنكار، فهي تُنكر عليهم قولهم وتبطل زعمهم بأن أولئك الأنبياء كانوا هودًا أو نصارى.

فإن أدعوا ذلك فليقال - في معرض الرد عليهم وتفنيد قولهم وبيان سفههم وجهلهم - ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ أي أنتم أعلم بالمرضى عند الله، أم الله أعلم بما يرضيه وما يتقبله؟ والاستفهام «تقرير على فساد دعواهم إذ لا جواب لمفطور إلا أن الله تعالى أعلم»<sup>(٥)</sup> فقد أخبر ﷺ في كتابه أن أولئك الرسل لم يكونوا على دين

- ١- قرأ حفص وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بالتاء، والباقون بالياء. ينظر: ابن الجزري محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (٢ / ٢٢٣)، أحمد بن موسى البغدادي، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ، ص ١٧١.
- ٢- السَّبَطُ الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد، والأسباط هم أولاد يعقوب عليه السلام اثنا عشر سبطا كل سبط قبيلة. محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، (١ / ٣٣٦).
- ٣- ينظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (١ / ٣٥١)، الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١ / ٣٩٧).
- ٤- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١ / ٣٩٧).
- ٥- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١ / ٢١٧).

اليهودية ولا النصرانية بل كانوا حنفاء لله موحدين له قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٦٧]، وكيف يكونون هودًا أو نصارى وما حدثت تلك الأديان إلا بعدهم؟ يقول الطبري «إن اليهود والنصارى، إن ادَّعوا أنَّ إبراهيم ومن سَمِّي معه في هذه الآية، كانوا هودًا أو نصارى، تبين لأهل الشرك الذين هم نصراؤهم، كذبهم وادَّعائهم على أنبياء الله الباطل؛ لأن اليهودية والنصرانية حدثت بعدهم، وإن هم نفوا عنهم اليهودية والنصرانية، قيل لهم فهلّموا إلى ما كانوا عليه من الدين، فإننا وأنتم مقرُّون جميعًا بأنهم كانوا على حق، ونحن مختلفون فيما خالف الدين الذي كانوا عليه.»<sup>(١)</sup>

قوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ استفهام متضمن معنى النفي أي لا أحد أظلم من المتصفين بتلك الصفة. وللمفسرين في المراد بالشهادة قولان: الأول هي ما أخبرهم به سبحانه في كتبهم من أن الأنبياء عليهم السلام على الحنيفية لا على ما ادَّعوا هم، قال الطبري: «الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم، ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل، وأمرهم فيها بالاستئذان بسنتهم واتباع ملتهم، وأنهم كانوا حنفاء مسلمين. وهي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها، حين دعاهم نبي الله ﷺ إلى الإسلام فقالوا له: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، وقالوا له ولأصحابه: كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا، فأنزل الله فيهم هذه الآيات، في تكذيبهم، وكتمانهم الحق، وافتراءهم على أنبياء الله الباطل والزُّور.»<sup>(٢)</sup>

الثاني: أنها ما عندهم من الأمر بتصديق الرسول ﷺ واتباعه، يقول ابن تيمية: «كان عند أهل الكتاب من البيئات الدالة على نبوة محمد ﷺ وصحة ما جاء به

١ - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٣ / ١٢٥).

٢ - المصدر السابق، (٣ / ١٢٧).

أمور متعددة؛ لبشارات كتبهم وغير ذلك؛ فكانوا يكتمونهم»<sup>(١)</sup>. ورجح الطبري القول الأول، لمناسبته سياق الآية «لأن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، في إثر قصة من سمى الله من أنبيائه، وأمام قصته لهم، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره.»<sup>(٢)</sup>، وهو ما رجحه ابن عطية، والرازي، والقرطبي<sup>(٣)</sup>، وهذه الشهادة متحصلة عندهم من الله، استودعهم الله تعالى إياها ولذلك قال: من الله<sup>(٤)</sup>؛ مما يستوجب آدائها على وجهها، ويزجر عن كتمانها، وقيل المعنى «ومن أظلم ممن عنده شهادة فلم يقيمها عند الله بل كتمها وأخفاها»<sup>(٥)</sup>.

قوله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد ووعيد شديد، وإعلام بأن الله لن يترك عقوبتهم على ظلمهم وسيجازيهم بأعمالهم؛ لذا أمر ﷺ نبيه أن يقول لهؤلاء المحاجين له «وما الله بغافل عما تعملون، من كتمانكم الحق فيما ألزمكم في كتابه بيانه للناس... ولا هو ساه عن عقابكم على فعلكم ذلك، بل هو مُحْصٍ عليكم حتى يُجازيكم به من الجزاء ما أنتم له أهل في عاجل الدنيا وأجل الآخرة. فجازاهم عاجلاً في الدنيا، بقتل بعضهم، وإجلائه عن وطنه وداره، وهو مُجازيهم في الآخرة العذاب المهين.»<sup>(٦)</sup>، يقول السمرقندي: «هذا القول وعيد للظالم وتعزية للمظلوم»<sup>(٧)</sup>، ولما كان الفعل المضارع يفيد الحال والاستقبال جاء التعبير به في قوله (تعملون) «إشعاراً بتماديهم بعد هذا كله على سوء أعمالهم وتحذيراً

- ١- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (٢ / ٦٤١).
- ٢- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٣ / ١٢٦).
- ٣- ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١ / ٢١٧)، الرازي، مفاتيح الغيب، (٤ / ٨١)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٢ / ١٤٧).
- ٤- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١ / ٢١٧).
- ٥- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤ / ٨١).
- ٦- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٣ / ١٢٧).
- ٧- نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (١ / ١٢٥).

من مثل ذلك». (١)

### المطلب الرابع: فوائد الآية

١- في الآية تعريض بأهل الكتاب وذم لهم؛ لكتمانهم العلم الذي بينه الله لهم في كتبهم، وأخذ عليهم الميثاق أن يبينوه، وهو «ما عندهم من الخبر والشهادة لإبراهيم وأهل بيته، وكنتموا إسلامهم وما عندهم من الأخبار بمثل ما أخبر به محمد ﷺ وبصفته وغير ذلك» (٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَانَا مِنْ بَيْنَتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

٢- ما ادعاه أهل الكتاب في حق الأنبياء السابقين هو قول بلا بينة، فأكذبهم الله وأنكر عليهم قولهم، وقرر في نفوسهم كذبهم يقول الرازي: «ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم الله تعالى على الكلام في معرض الاستفهام على سبيل الانكار والغرض منه الزجر والتوبيخ، وأن يقرر الله في نفوسهم أنهم يعلمون أنهم كانوا كاذبين فيما يقولون» (٣)، وأقام سبحانه في هذه الآية والتي قبلها ثلاث حجج تدحض دعواهم، وهي قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ وقوله: ﴿أَمْ نَقُولُ أَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾.

٣- لم تنص الآية على جواب قوله ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ لظهوره، وعلمه لكل أحد، يقول السعدي: «وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه من وضوحه لم يحتج أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق،

١- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١ / ٢٥٨).

٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٤ / ١٨٦).

٣- الرازي، مفاتيح الغيب، (٤ / ٨١).

ونحو ذلك؛ لانجلائه لكل أحد»<sup>(١)</sup>.

٤- جاءت الآية دامة لمن كتم الشهادة ولم يبينها؛ لأن الشهادة مبنية على علم الشاهد وصدقه وبيانه، فمتى أخلّ بذلك لم يحصل مقصود الشهادة ولم تتحقق الغاية منها، وترتب على كتمانها ضياع الحق، يقول ابن تيمية: «إن المخلوق إذا كانت عنده شهادة لم يبينها، بل كتمها لم ينتفع أحد بها، ولم تقم بها حجة ولهذا ذم سبحانه من كتم العلم الذي أنزله وما فيه من الشهادة»<sup>(٢)</sup>.

٥- علّقت الأظلمية بمطلق الكتمان؛ «للإيماء إلى أن مرتبة من يردّها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان»<sup>(٣)</sup>.

٦- دلت الآية على أن كلام الله ﷻ الذي أنزله، وأخبر فيه بما أخبر شهادة منه سبحانه؛<sup>(٤)</sup> وقد شهد الله تعالى لأنبيائه في التوراة والإنجيل والقرآن أنهم كانوا مسلمين مبرئين عن اليهودية والنصرانية.

٧- استحق أهل الكتاب أن يكونوا الأظلم لكتمانهم الشهادة، وليست أي شهادة فهي شهادة عندهم من الله فكيف يكتمونها مع تقرير الله لهم، واستخبارهم عنها، ونهيه لهم عن كتمانها وما يقاربه بقوله ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]، ولم يقتصروا على ذلك بل بدلوا وادعوا الباطل، يقول السعدي: «كان ظلمهم أعظم الظلم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها وأظهروا ضدها، جمعوا بين

١- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٩.

٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٤ / ١٨٦).

٣- أبو السعود العمادي محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، (١ / ١٧٠)، الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١ / ٣٩٧).

٤- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٥ / ٦٦).

كتم الحق وعدم النطق به، وإظهار الباطل والدعوة إليه»<sup>(١)</sup>.

٨- «ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يُجازى عليها يفيد الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب»<sup>(٢)</sup>، ففي الآية وعيد وإعلام أنه ﷺ لا يترك أمرهم سدى، وأن أعمالهم تحصل ويجازون عليها. وذلك في قوله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ومن استشعر مراقبة الله له، وأنه سبحانه مطلع عليه، عالم بسره وجهره، لا تخفى عليه خافية، وأنه تعالى محصص عليه أعماله، مجازيه عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، كان دائم الخوف والحذر، يرجو رحمة الله ويخشى عذابه.

المبحث الثالث: افتراء الكذب على الله تعالى، وفيه ثلاث آيات

الآية الأولى: قوله تعالى ﴿ثُمَّ نَبِيَّةً أَرْوَاهُ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أُشْتِمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أُشْتِمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ ظَلَمَ مَعَنَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤].

المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها قال المراغي:

«بعد أن ذكر سبحانه أن الأنعام إما حمولة وإما فرشاً، فصلها وقسمها ثمانية أزواج، فإن الحمولة إما إبل وإما بقرة، والفرش إما ضأن وإما معز، وكل من الأقسام الأربعة إما ذكر وإما أنثى، وكل هذا لإيضاح المحال التي تقولوها على الله تعالى بالتحريم والتحليل ثم تبكيهم بإظهار كذبهم وافتراءهم في كل محل من

١- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٩.

٢- المصدر السابق، نفس الصفحة.

هذه المحال بتوجيه الإنكار إليها مفصلة»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: سبب نزول الآية

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حين أتاه عوف بن مالك، فقال له: أَحَلَّلتَ ما حرمة أبائنا، يعني من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام<sup>(٢)</sup>، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: ﴿الَّذِينَ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ فسكت عوف لظهور الحجة عليه.<sup>(٣)</sup>

### المطلب الثالث: تفسير الآية

امتن الله سبحانه على عباده بإحلال الطيبات، ومنها بهيمة الأنعام فأحل الله ﷻ الأكل منها والانتفاع بها، قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَنَّى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وفي هذه الآية إبطال لما حرمه المشركون منها، وتفنيداً لزعمتهم أنهم حرموها بأمر الله، قال القرطبي: «قال العلماء: الآية في أمر البحيرة وما ذكر معها»<sup>(٤)</sup>.

قوله ﴿ثُمَّ نَبَيْتُ أَزْوَاجَهُنَّ مِنَ الضَّكَّانِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْمُعْزِرِ أَثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِينَ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَّيْنَ أَمَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ «تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم

١- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، (د.ت)، (٥٤ / ٨).

٢- البحيرة ناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً، نحروا أذننها - أي شقوها - وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها المعبي لم يركبها. والسائبة كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك قال ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أنه لا ينتفع بها وأن لا تجلى عن ماء ولا تمنع من مرعى. وأما الوصلة ففي الغنم، كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهمهم. وأما الحامي فالذكر من الإبل، كانت العرب إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن، حُمي ظهره فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى. الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (٢ / ٢١٣).

٣- الماوردي، النكت والعيون، (٢ / ١٨١).

٤- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٧ / ١١٤).

على الله، أي لا بد أن يكون حرّم الذكّرين فيلزمكم تحريم جميع الذكور أو الأنثيين فيلزمكم تحريم جميع الإناث، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فيلزمكم تحريم الجميع وأنتم لم تلتزموا شيئاً مما يوجبه هذا التقسيم»<sup>(١)</sup> فدل على انتقاص علتهم وفساد قولهم، وعلى أن التحريم لم يقع وأن ما قالوه افتراءً عليه جَلَّالَهُ. قوله ﴿نَبِّؤُنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في نسبة ذلك التحريم إلى الله، «فأخبروني عن الله بعلم لا بافتراء ولا بتخرُّص، وأنتم لا علم لكم بذلك إذ لم يأتكم بذلك وحي من الله تعالى، فلا يمكن منكم تنبئة بذلك. وفصل بهذه الجملة المعترضة بين المتعاطفين على سبيل التقريع لهم والتوبيخ حيث لم يستندوا في تحريمهم إلا إلى الكذب البحت والافتراء»<sup>(٢)</sup> وقوله ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ كسابقتها. ثم لما وبخهم الله بنفي العلم عنهم، انتقل إلى توبيخهم بنفي شهادتهم وقت توصية الله لهم بذلك فقال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾ وهو «استفهام على جهة التوبيخ، إذ لم يبق لهم الا ادعاء المحال والتقوّل أنهم شاهدوا وصية الله لهم بهذا»<sup>(٣)</sup>، فلما انتفى عنهم الإدراك عقلاً بنفي العلم المستند إلى خبر الوحي لكونهم مكذّبين برسولهم، وحساً بنفي مشاهدتهم ربهم فوصّاهم بهذا التحريم مشافهة بغير واسطة، تبين أن ما قالوه ما هو إلا محض افتراء على الله يقلد فيه بعضهم بعضاً. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الفاء في قوله (فمن) لترتيب ما بعدها على معنى ما قبلها، والمعنى لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً فنسب إليه تحريم ما لم يحرم. ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ اللام للتعليل أي لأجل إضلال عباد الله عن سبيل الله، بغير بينة منه ولا برهان، ولا عقل ولا نقل. فلم يقتصر على افتراء الكذب في حق نفسه وضلالها حتى قصد بذلك ضلال غيره، قال ابن عطية: «قال السدي: كان الذين سببوا وبّحروا يقولون الله أمرنا

١- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٥٥).

٢- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، (٤/ ٢٤٢).

٣- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٥٥).

بهذا ثم بين تعالى سوء مقصدهم بالافتراء لأنه لو افترى أحد فرية على الله لغير معنى لكان ظلماً عظيماً فكيف إذا قصد بها إضلال أمة<sup>(١)</sup>، ووصفهم بعدم العلم مع أنهم عالمون بعدم صدور ذلك التحريم عن الله؛ «إيدانا بخروجهم في الظلم عن حدود النهايات، لأنه إذا كان المفتري بغير علم يكون ظالماً فكيف بمن يفترى الكذب وهو عالم بذلك»<sup>(٢)</sup>. والموصوفون في هذه الآية المشركون كما دل عليه السياق، وقيل الموصوف واحد وهو عمرو بن لحيّ لأنه أول من غير دين الأنبياء وسيب السوائب. قال أبو السعود: «المراد كبارهم المقرون لذلك، أو عمرو بن لحي وهو المؤسس لهذا الشر، أو الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه، ولا يقدر في أظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له، وبعضهم مقتدين بهم»<sup>(٣)</sup>. قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين لا إرادة لهم في غير الظلم والجور، والافتراء على الله. وهو وعيد لهم ولكل من سلك طريقهم فأدخل في دين الله ما ليس منه.

#### المطلب الرابع: فوائد الآية

- ١- كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه، فقد افترى على الله الكذب.
- ٢- التحريم بغير دليل من أشنع الظلم، وهو افتراء وإضلال.
- ٣- إذا ثبت أن من افترى على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد، فمن افترى على الله الكذب في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والنبوات والملائكة ومباحث المعاد كان وعيده أشد وأشق<sup>(٤)</sup>.

١- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٥٥).

٢- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ١٩٤)؛ وينظر الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (٤/ ٢٨٦).

٣- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ١٩٤).

٤- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٣/ ١٧٨).

- ٤- إثبات المناظرة في العلم؛ لأنَّ الله تعالى أمر نبيه ﷺ بأن يناظرهم، ويبين لهم فساد قولهم، وكذا إثبات القول بالنظر والقياس. (١)
- ٥- يستدل بالآية على أنه يبطل القول بالقياس إذا ورد عليه النص.
- ٦- أكدت الآية على إباحة أكل الأنعام والانتفاع بها يقول النسفي: «أن الله تعالى منَّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيداً للتحليل». (٢)
- ٧- ذم التقليد المحض الذي يكون من غير عقل ولا هدى.
- ٨- جواز الجدل والحجاج لإحقاق الحق أو إبطال الباطل.
- ٩- نفى الله تعالى الهداية عنهم؛ «لأنهم سدّوا باب الهداية عن أنفسهم، ولأنهم يعاونون بعضهم على الظلم ويبررونه ويرتضونه، ويشجعون عليه، ويتعاونون فيه على الإثم والعدوان». (٣)

الآية الثانية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

#### المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

لما انقضى الكلام من إبطال زعمهم أن النبي ﷺ افترى القرآن ونسبه إلى الله، وتعجزهم عن برهان لما زعموه، كرّر عليهم أن قد وضح أنهم المفترون على الله عدة أكاذيب، منها نفيهم أن يكون القرآن منزلاً من عنده. (٤)

١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ١١٤).

٢- النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (١/ ٥٤٤).

٣- أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت)، (٥/ ٢٧٠٩).

٤- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، (٣٢/ ١٢).

## المطلب الثاني: تفسير الآية

قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي لا أحد أظلم، وأشد في كفره من اختلق على الله كذبا فنسب إليه ما لا يليق به من الولد، واتخذ معه الهبة، وكذب ما جاء به رسله من دينه، وحرّم وحلّ من غير شرعه، ثم بين وعيدهم بقوله ﴿أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي يوم القيامة «وما وصفهم بذلك لأنهم مختصون بذلك العرض، لأن العرض عام في كل العباد كما قال: ﴿وَعُرْضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]، وإنما أراد به أنهم يعرضون فيفتضحون بأن يقول الأَشهاد عند عرضهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) فحصل لهم من الخزي والنكال ما لا مزيد عليه.<sup>(١)</sup> ويراد بالأشهاد الملائكة والنبين الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون<sup>(٢)</sup>، يشهد لذلك قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]. وقيل: الأشهاد الناس. وقيل: ما يشهد عليهم من أعضائهم<sup>(٣)</sup>، وإنما اعتبر قول الأشهاد للمبالغة في إظهار الفضيحة<sup>(٤)</sup>، والإشارة إليهم ب (هؤلاء) حال الشهادة عليهم «إشارة إلى تحقيرهم وإصغارهم بسوء مرتكبهم»<sup>(٥)</sup>، والتعبير ب (ربهم) فيه «إيماء إلى بطلان رأيهم في اتخاذهم أرباباً من دون الله»<sup>(٦)</sup>. ثم لما بين وعيدك حالهم يوم القيامة بين حالهم في الدنيا وأنهم ملعونين فقال ﴿أَلَا

١- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٧ / ١٦٣).

٢- الطبري، في جامع البيان في تأويل القرآن، (١٥ / ٢٨٢)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣ / ١٥٩).

٣- أبو حيان، البحر المحيط، (٥ / ٢١٢).

٤- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (١٧ / ١٦٣).

٥- أبو حيان، البحر المحيط، (٥ / ٢١٢).

٦- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ١٩٦).

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١﴾، وقد يكون هذا القول من تمام كلام الأَشْهَادِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. <sup>(١)</sup> وتصدير الجملة بـ (ألا) لتأكيد الدعاء عليهم بالطرد والإبعاد عن رحمة الله بسبب افتراءهم الكذب. <sup>(٢)</sup> ثم عرج على ذكر صفات أولئك الظالمين وعرف بهم بأوصافهم فقال سبحانه ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي يصرفون الناس عن الإيمان بالله وإخلاص العبادة له، ويردونهم عن اتباع الحق، وسلوك طريق الهدى الموصل إلى الجنة ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون بجملة الإسلام زيغاً وميلاً عن الاستقامة، أو يبيغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ أي يجحدون بالآخرة وينكرون البعث. <sup>(٣)</sup> وكرر الضمير (هم) لتوكيد كفرهم، واختصاصهم به قال الرازي: «قال الزَّجَّاجُ: كلمة (هم) كرّرت على جهة التوكيد لثباتهم في الكفر» <sup>(٤)</sup>، وهذه الأوصاف تشير إلى أن أولئك الموصوفين قد جمعوا بين الضلال والإضلال يقول الرازي: «كما ظلموا أنفسهم بالتزام الكفر والضلال، فقد أضافوا إليه المنع من الدين الحق وإلقاء الشبهات، وتعويج الدلائل المستقيمة» <sup>(٥)</sup> (أُولَئِكَ) الموصوفون بما تقدم ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ليسوا بمعجزتي الله أن يعاقبهم وينتقم منهم فهم تحت قبضته وقهره، وفي ملكه وسلطانه، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ولا يفوتونه، ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ﴾ فلا أنصار ينصرونهم ولا أولياء يتولونهم ويمنعون عنهم العذاب، إذ لو أراد الله أن ينزله بهم أنزله، لكنه أراد أن يؤخر عقوبتهم إلى يوم تشخص فيه الأبصار. يقول الرازي: «فجمع تعالى بين ما يرجع إليهم وبين ما يرجع إلى غيرهم وبين ذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا والآخرة» <sup>(٦)</sup>.

- ١- ينظر: الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير، (٢/ ٥٥٦).
- ٢- ينظر: أبا السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤/ ١٩٦)، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، (٧/ ٢٨٧).
- ٣- ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٥/ ٢٨٥) السمرقندي، بحر العلوم، (١/ ٥٣٣).
- ٤- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٧/ ٣٣٢).
- ٥- المرجع نفسه، (١٧/ ١٦٣).
- ٦- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٧/ ١٦٤).

والجمعُ في (لهم) إما باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان لأحد منهم من وليٍ أو باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بياناً لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية»<sup>(١)</sup>. قوله ﴿يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي يزداد لهم فيه، وعلّة مضاعفة عذابهم؛ أنهم جمعوا بين الضلال في أنفسهم والإضلال لغيرهم قال السمرقندي: «الرؤساء يكون لهم العذاب بكفرهم وبما أضلوا غيرهم»<sup>(٢)</sup>، وقيل ضعف لهم العذاب لأنهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، هذا وقد اختلف المفسرون في معناه على أقوال<sup>(٣)</sup>، رجح بينها الطبري بقوله «والصواب من القول في ذلك عندنا، ما قاله ابن عباس وقتادة، من أن الله وصفهم بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحقّ سماع منتفع، ولا يبصرونه إبصار مهتد، لا اشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماعٌ وأبصارٌ»<sup>(٤)</sup>. ثم حكم عليهم ﷺ بالخسران فقال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث حُرِموا أعظم الثواب واستحقوا أشد العذاب، «وخسرانهم أنفسهم كونهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى، فخسروا في تجارتهم خسرانا لا خسران أعظم منه، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي وبطل عنهم ما افتروه من عبادة الآلهة، وكونهم يعتقدون شفاعتها إذا رأوا أنها لا تشفع ولا تنفع»<sup>(٥)</sup> قوله ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ أي حقاً وصدقاً أنهم هم الأخرس في

١- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤/ ١٩٧).

٢- السمرقندي، بحر العلوم، (٢/ ١٤٤).

٣- أولها أن معنى قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) يعني ما كانوا في العذاب يستطيعون السمع، يعني لا يقدر أن يسمعوا وما كانوا يبصرون في النار شيئاً، ثانيها أن يكون الموصوفون بهذا آلهتهم أي ما كان هؤلاء الأولياء يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف ينفعونهم فيجلبون لهم نفعاً أو يدفعون عنهم ضرراً، الثالث: أن الآية إخبار عن حالهم في الدنيا على سبيل المبالغة يعني السمع للقرآن، ولما جاء به الرسول ﷺ. وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أي ينظرون إليه لبغضهم فيه، الرابع: ما كانوا يستطيعون السمع لأن الله أضلهم في اللوح المحفوظ. ينظر: أبا حيان، البحر المحيط، (٥/ ٢١٣)، الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير، (٢/ ٤٩١).

٤- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٥/ ٢٨٧).

٥- أبو حيان، البحر المحيط، (٥/ ٢١٣).

الآخرة من كل خاسر. قال السعدي: «حصر الخسار فيهم، بل جعل لهم منه أشده لشدة حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة والعذاب»<sup>(١)</sup>.

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿ هَتُولَاءِ قَوْمَنَا أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف: ١٥].

#### المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

لما ذكر أهل الكهف وهم الفتية الذين آمنوا بربهم ما من الله به عليهم من الإيمان والهدى، التفتوا إلى ما كان عليه قومهم، من عبادتهم آلهة من دون الله، فذموهم. قال أبو حيان: «ولما وحدوا الله تعالى ورفضوا ما دونه من الآلهة أخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم، وأنهم لا حجة لهم في عبادة غير الله»<sup>(٢)</sup>.

#### المطلب الثاني: تفسير الآية

قوله ﴿ هَتُولَاءِ قَوْمَنَا ﴾ الإشارة إليهم بقصد تمييزهم بما سيخبر به عنهم، وللتعجيب من حالهم، وتحقير شأنهم.<sup>(٣)</sup> ﴿ أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ أي عملوها لأنها أصنام، أو صيروها آلهة يعبدونها من دون الله، «فأشركوها معه لشبهة واهية أغواهم بها الشيطان»<sup>(٤)</sup>، وهو إخبار بمعنى الإنكار. قوله ﴿ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ أي هلاً أقاموا دليلاً صحيحاً، وأتوا بحجة ظاهرة بينة على صحة عبادتهم إياها واتخاذهم لها آلهة من دون الله. وهو «تخصيص بمعنى التعجيز؛ لأنه تخصيص على ما لا يمكن، وإذا لم يمكنهم ذلك لم يجب أن يلتفت إلى دعواهم»<sup>(٥)</sup>. فلما عجزوا عن إقامة الدليل تبين عظم ظلمهم؛ لافتعالهم الكذب

١- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٧٩.

٢- أبو حيان، البحر المحيط، (١٠٢/٦).

٣- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥ / ٢٧٤).

٤- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤ / ٤٥٠).

٥- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣ / ٥٠٠)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٦ / ١٠).

عن الله، ووضعهم العبادة في غير موضعها لذلك قالوا ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ والاستفهام متضمن معنى النفي، أي لا أحد «أشدَّ اعتداءً وإشراكًا بالله، ممن اختلق، فتخرَّص على الله كذبًا، وأشرك مع الله في سلطانه شريكًا يعبده دونه، ويتخذها إلهًا». <sup>(١)</sup> «وهذه المقالة يحتمل أنهم قالوها في مقامهم بين يديَّ الملك تقيبيحًا لما هو وقومهم عليه؛ وذلك أبلغ في التبرِّي من عبادة الأصنام، وأفت في عضد الملك إذا اجترؤوا عليه بدم ما هو عليه، ويحتمل أنهم قالوا ذلك عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه» <sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثالث: فوائد الآيتين

- ١- عظم جرم من يصد عن الإسلام بلسان حاله أو مقاله أو بسلطانه.
- ٢- اختيار وصفه تعالى بالربوبية في قوله ﴿كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيه إشعار بمنته عليهم بالخلق والرزق والملك والتدبير والإحسان؛ فكان الأخرى مقابلة إحسانه بالشكر والثناء لا أن يكذبوا عليه.
- ٣- الإفراط في الإعراض عن الحق وبغضه، يؤدي إلى التعامي عن الصواب.
- ٤- إن الله يمهّل ولا يمهّل ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِتْهُ» قال: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] <sup>(٣)</sup>.

٥- بالغ القرآن في نفي السمع عنهم حيث نفى عنهم استطاعته وذلك في قوله

١- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٧ / ٦١٧).

٢- أبو حيان، البحر المحيط، (٦ / ١٠٢).

٣- رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، (٦ / ٧٤)، ح [٤٦٨٦]، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٤ / ١٩٩٧)، ح [٢٥٨٣].

تعالى ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ، بينما اكتفي بنفي الأبصار ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ؛ «لأن قبْح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقّيه السمع أشدّ منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالإبصار»<sup>(١)</sup>.

٦- لا خسارة أعظم من خسارة النفس؛ من هنا جاء وصفهم في الآيات بأنهم (هُمُ الْأَخْسَرُونَ)، قال أبو حيان «ولما كان خسران النفس أعظم الخسران، حُكِمَ عليهم بأنهم هم الزائدون في الخسران على كل خاسر، مَنْ سواهم من العصاة مآله إلى الراحة، وإلى انقطاع خسرانه بخلاف هؤلاء، فإن خسرانهم لا انقطاع له»<sup>(٢)</sup>.

٧- فساد التقليد في أصول الدين وأنه لا مقنع فيه بدون القطع، قال أبو حيان: «في قوله ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ بَيْنَ﴾ دليل على أن الدين لا يؤخذ إلا بالحجة، والدعوى إذا لم يكن عليها دليل فاسدة، وهي ظلم وافتراء على الله وكذب بنسبة شركاء الله»<sup>(٣)</sup>.

٨- بطلان عبادة غير الله لعدم وجود دليل عقلي أو نقلي عليها.

٩- الاستفهام إذا ضُمن معنى النفي صار فيه زيادة فائدة، وهي أنه يكون مُشرباً معنى التحدي لأن النفي المجرد لا يدل على التحدي.<sup>(٤)</sup>

المبحث الرابع: افتراء الكذب على الله، والتكذيب بآياته، وفيه أربع آيات

الآية الأولى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

١- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ١٩٧).

٢- أبو حيان، البحر المحیط، (٥ / ٢١٤).

٣- المرجع نفسه، (٦ / ١٠٣).

٤- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ، ص ٢٨.

## المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام ٢٠] فلما حكم على أولئك المنكرين بالخسران؛ بين في هذه الآية سبب ذلك الخسران وهو أمران، أحدهما أن يفترى على الله كذباً، والآخر تكذيبه بآيات الله، قال ابن عطية: «جاء في هذه الآية التوقيف على عظم جرم المفترى على الله بعد تقدم التنصل من ذلك قبل، فاتسق القول واطردت فصاحته»<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني: تفسير الآية

قررت الآية الكريمة بأسلوب الاستفهام أنه لا أحد أشد ظلماً ممن جمع بين أمرين، أحدهما: اختلاق الأكاذيب على الله ﷻ مما لا حجة لهم به، ووصفه سبحانه بما لا يليق افتراء عليه<sup>(٢)</sup>، والثاني: تكذيبهم بما ثبت بالحجة ومن ذلك «قدحهم في معجزات محمد ﷺ وطعنهم فيها، وإنكارهم كون القرآن معجزة قاهرة بينة»<sup>(٣)</sup>. «وكلمة (أو) للإيدان بأن كلاً من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فأثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما أثبتته

١- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣/١٢٦).

٢- يقول الرازي: «وهذا الافتراء يحتمل وجوهاً، الأول: أن كفار مكة كانوا يقولون هذه الأصنام شركاء الله، والله سبحانه وتعالى أمرهم بعبادتها والتقرب إليها، وكانوا أيضاً يقولون الملائكة بنات الله، ثم نسبوا إلى الله تحريم البحائر والسوائب. وثانيها: أن اليهود والنصارى كانوا يقولون: حصل في التوراة والإنجيل أن هاتين الشريعتين لا يتطرق إليهما النسخ والتغيير، وأنهما لا يجيء بعدهما نبي. وثالثها: ما ذكره الله تعالى في قوله (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا) [الأعراف: ٢٨] ورابعها: أن اليهود كانوا يقولون (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) [المائدة: ١٨] وكانوا يقولون (لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً) [البقرة: ٨٠]، وخامسها: أن بعض الجهال منهم كان يقول إن الله فقيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، وأمثال هذه الأباطيل التي كانوا ينسبونونها إلى الله كثيرة، وكلها افتراء منهم على الله الرازي، مفاتيح الغيب، (١٢/١٤٩-١٥٠).

٣- المصدر نفسه.

قاتلهم الله أنى يُؤفكون»<sup>(١)</sup>، ثم قرر سبحانه عدم فلاحهم وأكده بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي الأمر والشأن أنهم لا يفلحون ولا يظفرون ببغيتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ وكيف يفلحون وقد جمعوا بين أمرين باطلين؟! قال الطبري: «لا يفلح القائلون على الله الباطل، ولا يدركون البقاء في الجنان، والمفترون عليه الكذب، والجاحدون بنبوة أنبيائه»<sup>(٢)</sup>، وقال أبو السعود: «لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب وإذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم»<sup>(٣)</sup>. ووصفهم بالظالمين فيه بيان علة عدم فلاحهم حيث ظلموا أنفسهم بافترائهم على الله الكذب، وتكذيبهم بآياته، قال الزركشي: «صرح بالظلم تنبيهاً على أن علة عدم الفلاح الظلم»<sup>(٤)</sup>.

الآية الثانية: قوله تعالى ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً مِّنْ أَظْمُرٍ مِّمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا إِنَّا سُوءُ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

### المطلب الأول: صلة الآية

عطفت الآية على قوله ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦] وذلك لإزالة الحجة عن كفار قريش وسائر العرب بأنه لم يكن لهم كتاب وإلا لكانوا أول المؤمنين، إذ أن ما أنزل قبل من كتب نزل بغير لسانهم، وعلى غيرهم فدحض حججهم بما جاءهم من البيّنات.

١- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣ / ١١٩).

٢- الطبري، في جامع البيان في تأويل القرآن، (١١ / ٢٩٦).

٣- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣ / ١١٩).

٤- الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، (٢ / ٤٩٣).

## المطلب الثاني: تفسير الآية

قوله ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ جاءت هذه الآية لإقامة الحجة على المشركين، وقطع احتجاجهم بانحصار إنزال الكتاب على الطائفتين، وبكونهم لم ينزل عليهم كتاب بلسانهم، وأنه لو جاءهم لكانوا أول المهتدين، قال ابن عطية: «وهي في غرضها من الاحتجاج على الكفار وقطع تعلقهم في الآخرة بأن الكتب إنما أنزلت على غيرهم وأنهم غافلون عن الدراسة والنظر في الشرع وأنهم لو نزل عليهم كتاب لكانوا أسرع إلى الهدى من الناس كلهم»<sup>(١)</sup> قوله تعالى ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ جواب شرط محذوف، والمعنى «إن كنتم كما تزعمون إذا نزل عليكم كتاب تكونون أهدى من اليهود والنصارى فقد جاءكم بينة»<sup>(٢)</sup>، والبينة ههنا هي القرآن الكريم الذي أنزل بلسان عربي مبين، جعله الله تعالى حجة واضحة على العباد، فيه الهدى من الضلال والبيان للحق، والفرقان بينه وبين الباطل، من عمل به واتبعه كان له رحمة. «وفي التعرُّض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم (مَنْ رَبُّكُمْ) مزيدٌ تأكيدٌ لإيجاب الاتباع»<sup>(٣)</sup>، ثم «لما تقرر أن البينة قد جاءت والحجة قد قامت حَسُنَ بعد ذلك أن يقع التقرير»<sup>(٤)</sup> فقال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ الظلم ههنا وضع التكذيب بالآيات موضع التصديق والإيمان بها، فلا أحد أظلم ممن أعرض عن تلکم البينة بعد ما أتته، فلم يؤمن بها، ولم يصدق بحقيقتها بل كذب بها وصدف عنها، وهذا الوصف لهم مبالغة في ذمهم؛ لكونهم جمعوا بين الضلال والإضلال، قال ابن كثير: «أظهر الأقوال وأقواها في معنى هذه الآية ما قاله السدي: أي لم ينتفع بما جاء به الرسول، ولا اتبع ما أرسل به، ولا ترك غيره، بل صدف عن اتباع آيات الله

١- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٦٥).

٢- أبو حيان، البحر المحیط، (٤/ ٦٩٧).

٣- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣/ ٢٠٢).

٤- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٦٦).

أي صرف الناس وصددهم عن ذلك»<sup>(١)</sup>، والمراد بهم المشركون المكذبون بحجج الله وآياته<sup>(٢)</sup> فلا أحد أشد ظلماً وعدواناً منهم. ثم أخبر سبحانه بأنه سيجزي الصادف عن آياته مطلقاً - سواء أكان مكذباً أم لم يكن - سوء العذاب أي شديده، وهو الذي يسوء صاحبه ويشق عليه. وفي قوله ﴿يَمَّا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ علق الجزاء على الصدوف؛ لأنه ناشئ عن التكذيب،<sup>(٣)</sup> والمراد أنه تعالى يعاقبهم أشد العقاب جزاء إعراضهم عن آياته في الدنيا.

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ صَيْدُهُمْ مِنَّا وَلَكِنَّا نَصَدِقُهُمْ فَإِذَا كَانُوا لِنَا نَصَدِقُهُمْ قَالَُوا لَوْلَا أَلَمْنَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَا ۗ أُولَٰئِكَ قَالَُوا صَلُّوا عَلَيْنَا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧].

#### المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

جاءت هذه الآية عقب قوله: ﴿يَبْنَئِ ۗ آدَمَ ۖ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ۗ إِنَّمَا مِمَّنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥-٣٦] وفيها بين سبحانه أن من الناس من يكذب بالرسول وبما جاءه به من التشريع، وأن أولئك مصيرهم الخلود في النار، ثم أورد في الآية بعدها علة الحكم بخلودهم فيها وهو أن أولئك المكذبين هم أشد الناس ظلماً بافترائهم على الله وتكذيبهم شرعه، يقول البقاعي: «ولما كان تكذيب الرسل تارة يكون بشرع شيء لم يشرعه، وتارة برد ما شرعه قولاً وفعلاً، واخبر أن المكذبين أهل النار، علل ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾»<sup>(٤)</sup>.

١ - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣ / ٣٧٠).

٢ - الطبري، في جامع البيان في تأويل القرآن، (١٢ / ٢٤٣).

٣ - أبو حيان، البحر المحيط، (٤ / ٢٥٨).

٤ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٣ / ٣٠).

## المطلب الثاني: تفسير الآية قوله

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي لا أحد أشد ظلماً، وأبعد عن الحق ممن تقول على الله ما لم يُقله؛ «بأن أوجب على عباده من العبادات ما لم يوجبه، أو حرم عليهم من الدين ما لم يحرمه، أو عزا إلى دينه أحكاماً لم تنزل على رسله»<sup>(١)</sup>، أو اختلق على الله زوراً من القول، أو نسب له ما لا يليق بجلاله من الولد والشريك، ونحو ذلك من صور الافتراء. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ «المنزلة على رسله، سواء أكان بالقول أو بما هو أدل منه كالاستهزاء بها أو الاستكبار عن اتباعها أو بتفضيل غيرها عليها بالعمل بها»<sup>(٢)</sup> (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُتُبِ﴾ وللمفسرين في معنى الآية أقوال، أرجحها والذي عليه أكثرهم أن معناها يصيبهم حظهم مما كتب لهم من الرزق والعمر وغير ذلك، مع ظلمهم وافتراءهم وتكذبيهم، لا يحرمون ما قدر لهم إلى انقضاء آجالهم<sup>(٣)</sup>؛ وقد علل الطبري ترجيحه هذا القول في معنى الآية بقوله «ذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فأبان ياتباعه ذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُتُبِ﴾ أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضياً عليهم في الدنيا أن ينالهم، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم. ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب، أو مما قد أعد لهم في الآخرة، لم يكن محدوداً بأنه ينالهم إلى مجيء رسل الله لوفاتهم، لأن رسل الله لا تحييهم للوفاة في الآخرة، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء، فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه. فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه»<sup>(٤)</sup>، وقال الرازي: «قال بعض المحققين حملة على

١- المراغي، تفسير المراغي، (١٤٧/٨).

٢- المصدر نفسه.

٣- ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٢/٤١٤)، القاسمي، محاسن التأويل، (٥/٥٢).

٤- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٢/٤١٤).

العمر والرزق أولى؛ لأنه تعالى بين أنهم وإن بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم إلا أن ذلك ليس بمانع من أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلاً من الله تعالى لكي يُصلحوا ويتوبوا، وأيضا فقله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يدل على أن مجيء الرسل للتوفي كالغاية لحصول ذلك النصيب متقدما على حصول الوفاة، والمتقدم على حصول الوفاة ليس إلا العمر والرزق»<sup>(١)</sup>.

والمراد بالرسول في قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح، فهؤلاء الكفار ينالون ما كتبه الله لهم حتى انتهاء آجالهم، فإذا انتهت آجالهم جاءتهم رسل الله لتتوفاهم وحينئذ يسألونهم ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ أين الشركاء الذين كنتم تدعونهم لقضاء الحاجات ودفع المضرات؟ فلتدعوهم ليكونوا لكم شفعا، ولينجوكم مما أنتم فيه من شدة وعذاب. و«فائدة السؤال وجهان: توبيخ وتبكيث لهم يزيدهم غمًا إلى غم، ولطف بالمكلف لأنه إذا تصور ذلك صرفه عن التكذيب». <sup>(٢)</sup> وقوله ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ «استئناف وقع جوابًا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل، كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾، أي غابوا وذهبوا، فلا ندرى أين مكانهم»<sup>(٣)</sup> ولا نرجو منهم النفع ولا دفع الضر. ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ﴾ اعترفوا بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه، وأنهم عابدين لما لا يستحق العبادة؛ حيث شاهدوا ضلال تلك الأصنام وعجزها، يقول المراغي: «واعترفوا على أنفسهم بأنهم كانوا بدعائهم إياهم وعبادتهم لهم كافرين، إذ هم قد زعموا أنهم عنده تعالى كأعوان الأمراء والسلاطين، وحاشا لله أن يتخذ الأعوان والمساعدين، فالله غنى بعلمه المحيط وقدرته الكاملة عن أن يحتاج إلى الأعوان، وإنما يحتاج إليها من يجهل أمور الناس ويعجز عن معرفة

١- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٤ / ٥٩).

٢- القاسمي، محاسن التأويل، (٥ / ٥٢).

٣- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٣ / ٢٢٦).

أحوالهم.»<sup>(١)</sup>

الآية الرابعة: قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

لما قال المشركون لرسول الله ﷺ ﴿أَنْتَ بِفِرْعَانَ عَيْرٍ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ﴾ [من يونس: ١٥] دلّ قولهم على عدم إيمانهم بأن هذا القرآن من عند الله، واعتقادهم بأنه اختلاق، فلا أحد أظلم منهم إذ أنكروا القرآن وافتروا على الله الكذب يقول الرازي: «واعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها ظاهر، وذلك لأنهم التمسوا منه قرآنا يذكره من عند نفسه، ونسبوه إلى أنه إنما يأتي بهذا القرآن من عند نفسه، ثم إنه أقام البرهان القاهر الظاهر على أن ذلك باطل، وأن هذا القرآن ليس إلا بوحى الله وتنزيله، فعند هذا قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾»<sup>(٢)</sup>.

المطلب الثاني: تفسير الآية

قوله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي لا أحد أظلم من هؤلاء الموصوفين في الآية، ومعنى الافتراء في هذه الآية مغاير لمعناه في الآيتين السابقتين، فيحمل في كل منها على ما يتناسب مع السياق الذي وردت فيه الآيات يقول أبو السعود: «والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيئته تعالى وأمره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك أي وإذا كان الأمر كذلك فمن افتري عليه تعالى بأن يخلق كلامًا فيقول هذا من عند الله أو يبدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شأني وكذلك من كذب بآياته تعالى كما تفعلونه أظلم من كل ظالم»<sup>(٣)</sup>، هذا وقد ذهب بعض

١- المراغي، تفسير المراغي، (٨ / ١٤٨).

٢- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٧ / ٤٨).

٣- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ١٣١).

المفسرين إلى أن هذا القول مما أمر رسول الله ﷺ أن يقوله للمشركين، جواباً لدعواهم أن القرآن إنما جاء به من قبل نفسه، أي «لو كنت متقولاً لكنت أظلم الناس، وفاتني الفلاح، ولم تخف عليكم حالي، ولكنني جئتكم بآيات الله، فكذبتم بها، فتعين فيكم الظلم، ولا بد أن أمركم سيضمحل، ولن تنالوا الفلاح، ما دمتم كذلك»<sup>(١)</sup>، وقال بعضهم إنه من قول الله ابتداءً.

وقوله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ وصف للمشركين الذين كذبوا بالقرآن، وأنكروا أنه من عند الله مع قيام الدليل القاطع على ذلك، يقول الرازي: «والمراد أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان في الدنيا أحد أظلم على نفسه مني، حيث افتريته على الله، ولما أقمت الدلالة على أنه ليس الأمر كذلك، بل هو بوحى من الله تعالى وجب أن يقال إنه ليس في الدنيا أحد أجهل ولا أظلم على نفسه منكم، لأنه لما ظهر بالبرهان المذكور كونه من عند الله، فإذا أنكروا كونه من عند الله، فوجب أن تكونوا أظلم الناس.»<sup>(٢)</sup>

قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي الكافرون المقترفون أوزاراً توجب هلاكهم في الدنيا وإهلاكهم في الآخرة، قال أبو السعود: «لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجاً أولياً»<sup>(٣)</sup>.

#### المطلب الرابع: فوائد الآيات

١ - من افترى على الله كذباً، أو كذب بآياته بعد بيانها، أولئك أعظم جرماً على الله وأكثر استشرافاً إلى عذابه.<sup>(٤)</sup>

١ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٥٩.

٢ - الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (١٧ / ٤٨).

٣ - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ١٣١).

٤ - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣ / ١١١).

٢- دلت الآيات على أن الكاذب على الله، والمكذب بآياته في الكفر سواء، لكنه قدّم النوع الأول على الثاني؛ لشناعته وقبحه، ولما فيه من تعمد لارتكاب الإثم، واختلاق أمورٍ ينسبها المفترى إلى الله ﷻ وهو يعلم يقيناً أنه كاذب فيها.

٣- وعيد من كذب بآيات الله، واستكبر عن سماعها.

٤- وصف القرآن بأنه بينة وهدى، وليس مترادفين فيكون تكراراً، بل القرآن بينة فيما يعلم سمعاً وهو هدى فيما يعلم سمعاً وعقلاً.<sup>(١)</sup>

٥- في قوله ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ «دليل على أن علم القرآن أجل العلوم وأبركها وأوسعها، وأنه به تحصل الهداية إلى الصراط المستقيم، هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخرص المتكلمين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأولين والآخرين»<sup>(٢)</sup>.

٦- «كل من لم يقرّ بما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر، سواء اعتقد كذبه، أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه اتباعاً لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء به، فكل مكذب بما جاء به فهو كافر»<sup>(٣)</sup>.

٧- من غاب عنه الدليل، جهل بالحق وغلب عليه الباطل فضلّ عن سواء السبيل، فإن «من لم يقبل الدليل من الكتاب والسنة، امتنع عليه معرفة الحق من الباطل؛ فإذا لم يعرف الحق بدليله، لم يبق هناك ما يمنعه من عقائد أهل الأهواء والضلال»<sup>(٤)</sup>.

١- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٤/ ١٨٧).

٢- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٨٠.

٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١/ ١٤٤).

٤- علماء نجد الأعلام، الدرر السننية في الأجوبة النجدية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد، ط ٦، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، (١١/ ٣٥٢).

- ٨- تضمن قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ نفي النبي ﷺ الكذب عن نفسه.
- ٩- دل وصفهم بعدم الفلاح أن المقصودين بالآية هم الكافرون، يقول الشنقيطي: «عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظة لا يُفْلح يراد بها الكافر»<sup>(١)</sup>.
- ١٠- «يُفْهَم من مفهوم مخالفة الآيات المذكورة أن مَنْ جانب تلك الصفات التي استوجبت نفي الفلاح... أنه ينال الفلاح، وهو كذلك كما بينه جل وعلا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، والآيات بمثل ذلك كثيرة»<sup>(٢)</sup>.
- ١١- «في الآيات حجة على القدرية والمعتزلة، لأنه ﷺ نسب الافتراء والكذب إليهم وسماهم بذلك ظالمين، ثم أخبر عما ينالهم من نصيبهم من الكتاب وليس يخلو هذا النصيب المضاف إليهم من أن يكون نفس ما أتوه أو عقوبته وأيهما كان فهو قبل العمل، والعمل جار عليه لا محيص لفاعله»<sup>(٣)</sup>.
- ١٢- كفر الكافر وإن عظم لا يكون مانعا من أن يصيبه ما كتب له من الرزق والأجل، يشهد لذلك قوله ﷺ ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].
- ١٣- من حكمة التوسعة على الكافر في أمور الدنيا وعدم معاجلته العقوبة؛ لعله يصلح عمله ويتوب إلى الله.
- ١٤- يؤخذ من قوله تعالى ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ «زجر

١- الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٤ / ٣٩).

٢- المرجع نفسه، (٤ / ٤٠).

٣- أحمد محمد بن علي الفصّاب، النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تحقيق: علي التويجري، دار ابن عفان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (١ / ٤١٦).

الكافرين عما هم عليه من الكفر وحملهم على النظر والتأمل في عواقب أمورهم، والتحذير من التقليد الذي سيرديهم في الهاوية»<sup>(١)</sup>.

١٥- مجيء الواو في أول الآية الأولى (ومن أظلم)، والفاء في أول الآية الرابعة (فمن أظلم)؟ لأن الآيات التي تقدمت في سورة الأنعام عطف بعضها على بعض بالواو، وأما في سورة يونس فالآيات التي تقدمت عطف بعضها على بعض بالفاء، فافتتحت كل آية بما يتناسب مع ما قبلها.

١٦- وجه اختصاص آخر آية الأنعام بوصف (الظالمون) وآخر آية يونس بوصف (المجرمون) مع أنهما وصفين لفريق واحد؛ ليكون آخر كل آية موافق لأولها، يقول الأصبهاني: «أنه لما قال في الآية الأولى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وكان المعنى أنه لا أحد أظلم لنفسه ممن وصف الله تعالى بخلاف وصفه فأوردها العذاب الدائم، كان قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ عائداً إلى من فعل هذا الفعل، أي: لا يظفر برحمه الله ولا يفوز بنجاة نفسه من كان ما ذكر من فعله، فبناء الآخر على الأول اقتضى أن يكون ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، أما الآية الثانية التي في سورة يونس فلأنها تقدمتها الآية التي تضمنت وصف هؤلاء القوم بما عاقبهم به فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣] فوصفهم بأنهم مجرمون عند تعليق الجزاء بهم، وقال بعده: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤] إلى الموضع الذي أبطل فيه حجبتهم ودفعت سؤالهم وهو ﴿أَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلِي﴾ [من يونس: ١٥] فقال تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ليعلم أن هؤلاء سبيلهم في الضلال سبيل القوم الذين أخبر عن هلاكهم وقال: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي

١- المراغي، تفسير المراغي، (٨/ ١٤٨).

الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾؛ ليوقع التسوية بينهم في الوصف كما أوقع التسوية بينهم في الوعيد<sup>(١)</sup>.

المبحث الخامس: افتراء الكذب على الله، وادعاء النبوة.

قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

بعد أن بين الله سبحانه أن القرآن الكريم كتاباً من عنده، وردّ على منكري إنزاله على محمد ﷺ بدعوى بشريته، من جهة أن هذا القرآن كالتوراة التي آمنتم بإنزالها على موسى وهو بشر، شرع في هذه الآية بذكر وعيد من كذب على الله، وادعى النبوة، أو ادعى أنه قادر على أن يأتي بمثل هذا القرآن. قال الرازي: «اعلم أنه تعالى لما شرح كون القرآن كتاباً نازلاً من عند الله وبين ما فيه من صفات الجلالة والشرف والرّفعة، ذكر عقبيه ما يدل على وعيد من ادعى النبوة والرسالة على سبيل الكذب والافتراء فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال الشوكاني: «هذه الجملة مقررة لمضمون ما تقدم من الاحتجاج عليهم بأن الله أنزل الكتب على رسله أي كيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء وذلك يستلزم تكذيب الأنبياء عليهم السلام ولا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً فزعم أنه نبي وليس بنبي أو كذب على الله في شيء من الأشياء.»<sup>(٣)</sup>

١- محمد بن عبد الله الأصبهاني، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (٢ / ٥٠١-٥٠٢).

٢- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٣ / ٦٨).

٣- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير، (٢ / ١٣٩).

## المطلب الثاني: سبب نزول الآية

نزلت الآية في مسيلمة الكذاب الحنفي، وكان يسجع ويتكهن، ويدعي النبوة، ويزعم أن الله أوحى إليه، وكان قد أرسل إلى رسول الله ﷺ رسولين، قال نعيم، سمعتُ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول لهما حين قرأ كتابَ مُسَيْلِمَةَ: «ما تقولان أنتما؟» قالوا: نقولُ كما قال، قال: «أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتلُ لضربتُ أعناقكما»<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثالث: تفسير الآية

بينت الآية أنه لا أحد أعظم ظلماً وأشد جرمًا ممن كذب على الله، وزعم أنه نبيًا مرسلًا وليس كذلك؛ حيث تقول على الله ما لم يقله، ونسب إليه ما هو منه بريء؛ «وإنما كان هذا أظلم الخلق؛ لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله وهو من أكبر المفاسد»<sup>(٢)</sup>، ويدخل في حكم هذه الآية كل من افتري على الله كذبا بادعاء النبوة، والزعم بوحي الله إليه «فإنه مع كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه، يوجب على الخلق أن يتبعوه. ويجاهدتهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم»<sup>(٣)</sup> ومعلوم أن ادعاء النبوة بعده ﷺ تكذيب بما جاء في القرآن، فقد نص القرآن نصًا قطعيًا ظاهرًا على أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٠] قال ابن كثير:

١ - أخرجه أحمد في مسنده، (٥ / ٤٨٩)، رقم (١٥٩٨٩)، وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الرسل، (٤ / ٣٩٩)، (٢٧٦١) والحاكم في المستدرک على الصحيحين، (٢ / ١٥٥)، كلهم من طرق عن مسلمة بن فضل الأنصاري، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني سعد بن طارق الأشجعي، وهو أبو مالك، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم به، وقال الحاكم، (٢ / ١٥٥): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وفي إسناده مسلمة بن الفضل وفيه كلام، إلا أنه قوي في المغازي وقد توبع من يونس ابن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق، أخرج طريقه البيهقي (٩ / ٢١١) وغيره، فالحديث بهذه المتابعة حسن.

٢ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٦٤

٣ - المرجع نفسه.

«هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بالطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس»<sup>(١)</sup>، وقال الألوسي: «والمراد بكونه ﷺ خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقليين بعد تحليه ﷺ بها في هذه النشأة»<sup>(٢)</sup>. كما دلت السنة المتواترة عنه ﷺ أنه خاتم النبيين، فادعاء النبوة بعده إنكار لما تواتر من سنته وذلك كفر يقول عبد القاهر البغدادي: «كل من أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ، أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل، وأقر بتأييد شريعته، ومنع من نسخها، وقد تواترت الأخبار عنه بقوله: «لا نبي بعدي»<sup>(٣)</sup> ومن رد حجة القرآن والسنة فهو الكافر»<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن كثير: «قد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك دجال ضال مضل»<sup>(٥)</sup>. كذا في ادعاء النبوة مخالفة لإجماع الأمة، فقد أجمع المسلمون على أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه لا نبي بعده، كما أجمعوا على تكفير من ادعى النبوة لأحد بعد رسول الله ﷺ قال ابن حزم: «من ادعى نبوة لأحد بعد رسول الله ﷺ - حاشا عيسى ابن مريم - فهو كافر، ولا خلاف في ذلك من أحد من أهل الإسلام، وذلك لخلافه القرآن، والثابت عن رسول الله ﷺ»<sup>(٦)</sup>، ويقول ملا علي قاري: «ودعوى النبوة بعد نبينا ﷺ كفر بالإجماع»<sup>(٧)</sup>، قوله (وَمَنْ قَالَ

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦/ ٤٢٨).

٢- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١١/ ٢١٣).

٣- جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (٤/ ١٦٩)، ح [٣٤٥٥]، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، (٣/ ١٤٧١)، ح [١٨٤٢].

٤- عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أصول الدين، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص ١٦٢-١٦٣ بتصرف.

٥- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦/ ٤٣٠).

٦- ابن حزم علي بن أحمد، كتاب الدرّة فيما يجب اعتقاده، تحقيق: أحمد بن ناصر، مكتبة التراث، مكة، ١٩٨٨م، ص ٢٠٦.

٧- ملا علي قاري، شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ص ٢٤٤.

سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) أي ولا أظلم «من ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي بما يفتره من القول»<sup>(١)</sup>. هذا وقد اختلف المفسرون فيمن نزلت الآية على أقوال ثلاث: أحدها: من تقدم ذكره من مدعي الوحي والنبوة، والثاني أنها نزلت في عبد الله بن أبي السرح، والثالث: أنها نزلت في النضر بن الحارث؛ لأنه عارض القرآن<sup>(٢)</sup>، وكما هو مقررٌ فالعبرة بعموم اللفظ فيدخل كل من اتصف بذلك يقول ابن عطية: «فخصص المتأولون في هذه الآيات ذكر قوم قد يمكن أن كانوا أسباب نزولها ثم هي إلى يوم القيامة تتناول من تعرض شيئاً من معانيها»<sup>(٣)</sup>. قوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ وهم الموصوفون بالصفات المذكورة قبل ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده وسكراته، وحذف جواب (لو)؛ لأن في الكلام ما يدل عليه، والتقدير: ولو تراهم في هذه الحال، لرأيت عجباً.<sup>(٤)</sup> «وحذف هذا الجواب أبلغ من نصه؛ لأن السامع إذا لم ينص له الجواب يترك مع غاية تخيله»<sup>(٥)</sup>.

قوله ﴿وَأَلْمَلِكُ بِسَطْوًا أَيْدِيَهُمْ﴾ بسط اليد كناية عن مدها بالمكروه لا لقبض النفس فقط، فهو أمر مشترك بين الخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم<sup>(٦)</sup>، والمعنى: يبسطون أيديهم بالعذاب والضرب كقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمَلِكُ يَضْرِبُ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، يقولون ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم «عند معاينة الموت إرهاباً لهم وتغليظاً عليهم، وإن كان إخراجها من فعل غيرهم»<sup>(٧)</sup>،

١- القاسمي، محاسن التأويل، (٤/ ٤٣٢).

٢- ينظر: الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، (٢/ ١٤٤)، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٢٢).

٣- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٢٣).

٤- ينظر: تفسير السمرقندي، الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (١٢/ ١٥٠)، القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٤١).

٥- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٢٣).

٦- المصدر السابق.

٧- الماوردي، النكت والعيون، (٢/ ١٤٤).

أو قد يراد بقوله أخرجوا أنفسكم أي خلصوها مما هي فيه من عذاب وشدة إن استطعتم، وإنما يقال لهم ذلك تقريراً وتوبيخاً وتوقيفاً لهم على ما سلف منهم من قبائح أفعالهم.<sup>(١)</sup> قوله ﴿أَيُّومَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ المراد باليوم وقت الإماتة، وهذا قول الملائكة لهم حين تنزل لقبض أرواحهم، أو أريد باليوم الوقت الذي يعذبون فيه الذي مبدؤه عذاب القبر، وعذاب الهون هو العذاب الذي يصيرون به في هوان شديد وذلة، فجمع لهم بين الإيلام والإهانة.<sup>(٢)</sup> ولكون الجزء من جنس العمل فإن هذا العذاب ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ من أن له شريكاً أو ولداً، أو أنه لم يرسل رسلاً ولم ينزل كتباً، أو تزعمون أنه أنزل عليكم ولم ينزل ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تأنفون عن قبول آياته، فلا تؤمنون بها ولا تنقادون لها. يقول ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ لفظ جامع لكل نوع من الكفر ولكنه يظهر منه ومن قوله ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ «الإنحاء على من قرب ذكره من هؤلاء الذين ادعوا الوحي وأن ينزلوا مثل ما أنزل الله، فإنها أفعال بين فيها قول غير الحق على الله، وبين فيها الاستكبار»<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الرابع: فوائد الآية

- ١- «كل من نسب إلى الله تعالى ما هو بريء منه، إما في الذات، وإما في الصفات، وإما في الأفعال كان داخلاً تحت هذا الوعيد»<sup>(٤)</sup>.
- ٢- هذه الآية وإن نزلت في أقوام معينين لكن حكمها عام كما يفيدته عموم ألفاظها، قال ابن عطية: «هذه ألفاظ عامة فكل من واقع شيئاً مما يدخل تحت

١- ينظر: الماوردي، النكت والعيون، (٢ / ١٤٥)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢ / ٣٢٣).

٢- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (١٣ / ٧٠)، الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير، (٢ / ١٦٠).

٣- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢ / ٣٢٣).

٤- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٣ / ٦٩).

هذه الألفاظ فهو داخل في الظلم الذي قد عظمه الله تعالى بقوله (وَمَنْ أَظْلَمُ)»<sup>(١)</sup>.

٣- يدخل في حكم الآية كل مدع للنبوّة كمسيلمّة، والأسود العنسي وغيرهما، يقول ابن تيمية: «ومن ادعى النبوّة وهو كاذب، فهو من أكفر الكفار، وأظلم الظالمين، وشر خلق الله تعالى»<sup>(٢)</sup>، وقال الرازي: «الذي يفترى على الله الكذب يدخل فيه من يدعي الرسالة كذباً، ولكن لا يقتصر عليه؛ لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»<sup>(٣)</sup>.

٤- مدعي النبوّة كافر مستباح الدم؛ لمخالفته الكتاب والسنة والإجماع، يقول الألوسي: «وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافة، ويقتل إن أصر»<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن تيمية: «ومعلوم أن من كذب على الله بأن زعم أنه رسول الله أو نبيه، أو أخبر عن الله خبراً كذب فيه... فإنه كافر حلال الدم»<sup>(٥)</sup>.

٥- مدعي النبوّة يناقض بدعواه حكم الله سبحانه بكمال الدين وتمامه قال ﷺ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [من المائدة: ٣]، قال ابن كثير: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى

١- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٢٢).

٢- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن ناصر وآخرون، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ، (٨/ ٥٢).

٣- الرازي، مفاتيح الغيب، (١٣/ ٦٨-٦٩).

٤- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١١/ ٢١٩-٢٢٠).

٥- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، المحقق: محمد محي الدين، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص ١٧١.

الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه»<sup>(١)</sup>، وقال ابن حزم: «اتفقوا أن دين الإسلام هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخه دين بعده أبداً، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد في النار أبداً»<sup>(٢)</sup>.

٦- في ادعاء الإتيان بمثل القرآن ادعاء للألوهية قال القاسمي: «قال المهامي<sup>(٣)</sup>: من أنكر إعجاز القرآن حتى قال سأنزل مثل ما أنزل الله، مع أنه قد عرف إعجازه، فكأنه ادعى لنفسه قدرة الله، فكأنه ادعى الإلهية لنفسه، ولا يجترئ على هذه الوجوه من الظلم من يؤمن بالآخرة»<sup>(٤)</sup>.

٧- في قوله ﴿وَأَلْمَلِكَةَ بِسُطُوْأِ أَيْدِيهِمْ﴾ تصوير لما يلقاه أولئك الظالمين من التشديد في نزع أرواحهم من غير تنفيس وإمهال، وما يعذبون به من شدة ذلك النزاع.

٨- دلت الآية على أن العذاب الشديد إنما حصل بسبب مجموع الأمرين الافتراء على الله، والتكبر على آيات الله.

٩- الوعيد المذكور في الآية يتضمن الشهادة بصدق النبي ﷺ «ذلك أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر إذا لم يكن له بد من الإيمان بأن القرآن من عند الله، ومن الاهتداء به، فأكمل الناس إيماناً بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء وهو محمد ﷺ لا يمكن أن يعرض نفسه لمنتهاى الظلم الذي يستحق عليه أشد

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٦/٣).

٢- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص ١٧٢-١٧٣.

٣- علي بن أحمد بن علي المهامني الهندي، المعروف بالمخدوم، باحث مفسرن كان يقول بوحدة الوجود. من مصنفاته تبصير الرحمن وتبصير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، شرح النصوص للقونوي، أدلة التوحيد، خصوص النعم في شرح فصوص الحكم وغيرها توفي سنة ٧١٤هـ. ينظر الزركلي، خير الدين بن محمود، دار العلم، بيروت، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢م.

٤- القاسمي، محاسن التأويل، (٤/٤٣٢).

العذاب»<sup>(١)</sup>.

١٠- في الاستكبار عن الإيمان بما أنزل الله من آيات، احتقار لمن أكرمه الله بإنزالها عليه، وإظهارها على يده ولسانه.

١١- دلت الآية على إثبات عذاب القبر ونعيمه؛ حيث إن الخطاب في قوله ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده.<sup>(٢)</sup>

١٢- في الآية «دليل على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن الجسد، ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ».<sup>(٣)</sup>

المبحث الثامن: افتراء الكذب على الله،  
والتكذيب بالحق وقائله، وفيه ثلاث آيات

الآية الأولى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

بعد أن امتن الله ﷻ على المشركين بجملة من النعم، كجعلهم بلدهم حرماً آمناً، وإنجائهم مما وقعوا فيه من شدة وبلاء، بين في هذه الآية عظم ظلمهم؛ حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة شركهم بعبادة غيره وهذا ظلم؛ إذ الظلم في حقيقته وضع الشيء في غير موضعه. قال المراغي: «لما استنارت الحجة، وظهر الدليل، ولم يكن لهم فيه مقنع، بين أنهم قوم ظلمة مفترون، وضعوا الأمور في

١- المراغي، تفسير المراغي، (٧/١٩٣).

٢- ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٦٤.

٣- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

غير مواضعها بكذبهم على الله»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: تفسير الآية

قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ) أي لا أحد أعظم ظلماً ممن افتري على الله الكذب فنسب إليه ما لا يليق به سبحانه من الشريك والولد، وإذا فعل فاحشة قال: وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، أو شرع من الدين ما لم يشرعه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ وفي معنى الحق ثلاثة تأويلات، أحدها التوحيد، قاله السدي. الثاني القرآن، قاله يحيى بن سلام. الثالث محمد صلى الله عليه وسلم. وهذه الأقوال لا تعارض بينها فمن كذب بالقرآن فقد كذب بالتوحيد الذي أوجبه، وبمحمد ﷺ الذي أنزل عليه. قوله ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ الاستفهام للتقرير، أي في النار مثوى ومسكن لمن كفر بالله، وجحد توحيد، وكذب رسوله ﷺ.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

### المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

بعد أن ذكر الله ﷻ بعض قبائح الكفار وبين وعيدهم على سبيل الاستقصاء، وأعقبه بمثل يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم، أتى في هذه الآية على ذكر نوع آخر من قبائح أفعالهم وسوء معتقداتهم، وهو افتراءهم الكذب على الله بإثبات الولد له والشريك، وتكذيبهم القائل المحق، فيكذبون رسول الله ﷺ بعد قيام الأدلة القاطعة على صدقه<sup>(٢)</sup>. بينما يرى أبو السعود أن الآية مسوقة «لبيان حال كل من طرفي الاختصاص الجاري في شأن الكفر والإيمان لا غير»<sup>(٣)</sup>، يشير بذلك لقوله ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

١- المراغي، تفسير المراغي، (٢٤ / ٢١).

٢- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٦ / ٢٤١)؛ المراغي، تفسير المراغي، (٤ / ٢٤).

٣- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٧ / ٢٥٤).

## المطلب الثاني: تفسير الآية

قوله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا أحد أعظم ظلماً ممن كذب على الله فادعى له الصاحبة والولد والشريك، أو حرم شيئاً لم يحرمه الله، أو أحل ما حرم الله افتراءً عليه ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أي بالقرآن الذي جاء به رسول الله ﷺ وهو الصدق عينه، وفي تكذيبهم بالقرآن تكذيب بما فيه من الدعوة إلى التوحيد، وما أمر الله به من الشرائع، وما نهى عنه من محارم وما أخبر عنه من البعث والنشور. وفي قوله ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ إشارة إلى أنه سارع إلى تكذيبه وقت مجيئه دون تأن أو إعمال فكر ونظر فيما جاءه، أو تمييز بين الحق والباطل، لذا توعدهم الله توعداً فيه احتقارهم فقال ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ وقوله (أَلَيْسَ) لفظ استفهام يراد به التحقيق، أي النار مأوى لهؤلاء الذين افتروا على الله ﷻ وسارعوا إلى التَّكْذِيبِ بِالصِّدْقِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ.<sup>(١)</sup>

الآية الثالثة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧].

## المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦] «ولما كان التقدير إعلماً بأنهم أظلم الناس لتعمدهم للكذب، فمن أظلم منهم لتهمتهم في ذلك، عطف عليه قوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ) وعم كل من اتصف بوصفهم (مَنْ افْتَرَى)»<sup>(٢)</sup>.

١ - ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢١ / ٢٨٨)، أبو حيان، البحر المحيط، (٧ / ٤١١).

٢ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٧ / ٥٨٢).

## المطلب الثاني: تفسير الآية

في قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ) تعجب وتقرير، أي لا أحد أشد ظلماً ممن دعي إلى الإسلام الذي هو خير الأديان وأشرفها، الدين الظاهر حقيقته، فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحقّ هذا سحرٌ، وتكذيب رسوله. <sup>(١)</sup> يقول ابن عطية: «افتراء الكذب هو قولهم هذا سحرٌ، وما جرى مجرى هذا من الأقوال التي هي اختلاق وبغير دليل» <sup>(٢)</sup>، وقال ابن عاشور: «وإنما جعل افتراءهم الكذب على الله؛ لأنهم كذبوا رسولاً يخبرهم أنه مرسل من الله، فكانت حرمة هذه النسبة تقتضي أن يُقبلوا على التأمل والتدبر فيما دعاهم إليه ليصلوا إلى التصديق، فلما بادروها بالإعراض وانتحلوا للداعي صفات النقص كانوا قد نسبوا ذلك إلى الله دون توقيف» <sup>(٣)</sup>. من هنا استحق أولئك بكفرهم ألا يخلق الله الهداية في قلوبهم فقال ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: «والله لا يوفّق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به لإصابة الحق» <sup>(٤)</sup>.

## المطلب الثالث: فوائد الآيات

- ١ - من قبائح أفعال المشركين والتي بينها الآيات، أنهم إلى جانب كذبهم، يكذبون القائل المحقّ، قال ابن كثير: «لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب رسول الله، قالوا الباطل وردوا الحق» <sup>(٥)</sup>.
- ٢ - في قوله ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ وضع الاسم الظاهر (للكافرين) موضع الضمير (لهم)؛ فيه تنبيه على علة كذبهم وتكذبيهم، وهو الكفر.

١ - ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٤ / ٢٨٢).

٢ - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٥ / ٢٧٨).

٣ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٨ / ١٨٨).

٤ - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٣ / ٣٥٩).

٥ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧ / ٩٨).

- ٣- الكذب عظيم القباحة في نفسه؛ فكيف لو كان على ملك الملوك سبحانه؟؟<sup>(١)</sup>
- ٤- من أعظم أنواع الظلم دفع الحق المؤيد بالبينات ورده .
- ٥- الآية الثالثة إما مستأنفة رسالة النبي ﷺ طليعة للآيات بعدها، وإما متممة لما قبلها، لتقبيح ما بهت به الإسرائيليون عيسى عليه السلام مع الإشارة بعمومها إلى ذم كل من كان على شاكلتهم؛ لذا قال القرطبي: «هذا تعجب ممن كفر بعيسى ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما»<sup>(٢)</sup>.
- ٦- الهداية نوعان، هداية إرشاد ودلالة وهي عامة لجميع الخلق، وهداية توفيق لقبول الحق وهي خاصة بالمؤمنين، أما مَنْ كان في حكم الله أن يُختم له بالضلالة فلن يشرح صدره للإسلام ولن يوفقه لقبول الحق .
- ٧- حرمان الظلمة المتوغلين في الظلم من الهداية .
- ٨- الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل الله ديناً غيره قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقد أقام سبحانه البراهين الدالة على ذلك، فمن قابل الدعوة إليه بالكفر وتكذيب الرسول الداعي إليه، ووصف آياته بما لا دليل لهم عليه فلن يوفق لقبول الحق؛ لإثباته المنفي ونفيه الثابت .

### المبحث التاسع: الإعراض عن التذكرة بآيات الله، وفيه آيتان:

الآية الأولى: قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

١- ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦/ ٤٤٦).  
 ٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٨/ ٨٤)، وينظر: القاسمي، محاسن التأويل، (٩/ ٢٢٣).

## المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

لما حكى سبحانه وتعالى في الآيات السابقة عن الكفار جدالهم بالباطل، واستهزائهم وضلالهم، وصفهم في هذه الآية بما يوجب الخزي والخذلان من الصفات، فقال (وَمَنْ أَظْلَمُ)<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني: تفسير الآية

يخبر سبحانه أنه لا أحد أظلم وأشد كفرةً ممن ذكر بآيات القرآن فأعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتعظ بها، ونسي ما أسلف من الذنوب، ولم يتفكر في عواقب كفره ومعاصيه فلم يتب، قال الطبري: «وأى الناس أوضع للإعراض والصد في غير موضعهما ممن ذكره بآياته وحججه، فدل به على سبيل الرشاد، وهداه بها إلى طريق النجاة، فأعرض عن آياته وأدلته التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك ونسي ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب، ولم ينب»<sup>(٢)</sup>، ثم قال ﷺ تعليلاً لإعراضهم ونسيانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي جعل عليها أغطية لئلا يفقهوا ما ذكروا به (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) أي ثقلاً لئلا يسمعه؛ مجازة لهم على كفرهم.

وفي قوله ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ خطاب من الله لنبيه ﷺ بطريق الالتفات أي إن تدع يا محمد أولئك المعرضين عن الآيات إلى الإيمان بالله وما جئتهم به، والاستقامة على طريق الحق، فلن يؤمنوا بما دعوتهم إليه، ولن يستقيموا لك أبداً؛ ذلك أن الله ختم على قلوبهم وسمعهم. قال المراغي: «فقدوا الاستعداد لقبول الرشاد، بما دنسوا به أنفسهم من قبيح الأفعال والأقوال، وبما اجترحوا من الكفر والفسوق والعصيان، فأصبح بينهم وبين سماع الحق حجاب

١ - ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤/ ٤٨٣)، الرازي، مفاتيح الغيب، (٢١/ ١٢١).

٢ - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (١٨/ ٥١).

غليظ، فلا ينفذ إلى السمع شيء مما يسمع سماع تدبر واتعاض، ولا إلى القلب شيء مما يقال فيعيه وينتفع به كما قال ﷺ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] وقال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]<sup>(١)</sup>.

الآية الثانية: قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقَمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

### المطلب الأول: صلة الآية بما قبلها

بعد أن بين ﷺ في الآيات السابقة حال المؤمنين عند تلقيهم آيات الله، ذكر في هذه الآية حال من قبلها بالتولي والإعراض، قال أبو السعود: «بيان إجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالإعراض بعد بيان حال من قبلها بالسجود والتسبيح والتحميد»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: تفسير الآية

قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام معناه النفي، أي لا أحد أظلم ممن هذه صفته، وجاء الفعل (ذُكِّرَ) بصيغة المبني للمجهول ليعم كل مذكر، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (بِآيَاتِ رَبِّهِ) آيات الله هي القرآن العظيم، و«أتى بالربوبية المقتضية للانقياد؛ لأنه ما دام التذكير بآيات ربِّ لك فأنت مربوب عبد، والمربوب في تدبير ربه»<sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي تولى عنها ولم يتدبر فيها وأتى ب (ثم) للاستبعاد، أي إن الإعراض عن مثل هذه الآيات مع وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل، وقد تكون

١- المراغي، تفسير المراغي، (١٦٨/١٥).

٢- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٨٦/٧).

٣- العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ص ١٠٤.

(ثم) على بابها للتراخي وحسنه البقاعي، فيكون المعنى إن من وقع له التذكير بها في وقت ما، فأخذ يتأمل فيها ثم أعرض عنها بعد ذلك ولو بألف عام فهو أظلم الظالمين.<sup>(١)</sup> ثم توعد ﷺ الْمُجْرِمِينَ وهم الكفار بالنقمة فقال ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾، والمعنى: إن من الذين اكتسبوا الآثام، واجترحوا السيئات منتقمون.<sup>(٢)</sup> وإذا كان هذا وعيد المجرمين فكيف بمن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرمًا من كل مجرم يقول النسفي: «ولم يقل منه لأنه إذا جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم، فقد دل على إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام»<sup>(٣)</sup>، وقد يكون المراد بالمجرمين من أعرض عن آيات ربه، ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير؛ ليبين علة الانتقام منه، يقول الألوسي: «ويجوز أن يراد بالمجرم المعرض المذكور، وقد أقيم المظهر مقام المضمرة الراجع إلى مَنْ باعتبار معناها وكان الأصل إننا منهم منتقمون؛ ليوذن بأن علة الانتقام ارتكاب هذا المعرض مثل هذا الجرم العظيم»<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الثالث: فوائد الآيات

- ١- قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام على سبيل التقرير، ولكنه أظهر للتنبيه على الوصف الموجب للإنكار على من شك في أنهم أظلم.<sup>(٥)</sup>
- ٢- قوله ﴿مَنْ ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ استعير التذكير للتبليغ لأن هذا التبليغ لوضوح وقوة ظهوره كان ينبغي أن يكون حاضرًا في الأذهان لوجوب الإيمان والعمل به. وإضافة الآيات إلى (رب) دون غيره من الأسماء الحسنى وإضافته إلى

١- ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦/ ٦١)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٣/ ١٠).

٢- الطبري، في جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٠/ ١٩٣).

٣- النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٣/ ١٠).

٤- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١١/ ١٣٤).

٥- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤/ ٤٨٣).

ضمير المتحدّث عنه إشارة إلى قبح الإعراض المذكور لما في كلمة (رب) من معاني الإنعام والإحسان. وحذف الفاعل من فعل (ذَكَرَ) فيه تكثير للمعنى حتى لا ينحصر الإعراض عن تذكير الرسل فقط وإنما يشمل كلَّ مُذَكَّرٍ سواء أكان من الرسل أم الدعاة بعدهم.

٣- ورود (أَكَنَّة) و (وَقْرًا) نكرة للدلالة على التكثير والتكثيف فكأنها أغطية فوق أغطية وحُجِبَ فوق حُجِبَ فلا ينفذ منها شيء من الهدى ولذلك ختمت الآية بقوله (فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا) توكيداً لنفي الإيمان والاهتداء باستخدام (لن).

٤- من عواقب الإعراض التي بينها الله تعالى في الآيتين، جعل صاحبه من أعظم الناس ظلماً، وانتقام الله تعالى منه، وجعل الأكنة على قلبه حتى لا يفقه الحق، وعدم الاهتداء أبداً، هذا وقد أورد الشنقيطي جملة من عواقبه المذكورة في كتاب الله منها: كون المعرض كالحمار لقوله تعالى ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَتَ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥٠]، ومنها الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودٍ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، ومنها تقييض القرناء من الشياطين وذلك قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿١١﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] (١).

٥- الإعراض عن كتاب الله من نواقض الإيمان؛ فالإيمان يتضمن الطاعة والانقياد والتسليم والخضوع، والإعراض ضد ذلك وينافيه، فهو تولٍ وصدود، وتركٍ وامتناع، وهو إعراض عن الهدى وعدم إرادته والعمل به وبموجبه؛ لذا نفى الله تعالى الإيمان عمن أعرض وتولى عن دينه يقول تعالى ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقًا مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ وإذا

١- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٣/ ٣٠٩).

دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِقُوا مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٧-٤٨﴾ [النور: ٤٧-٤٨] يقول ابن تيمية: «فنفى الإيمان عن من تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول»<sup>(١)</sup> فكيف بمن تولى عنهما معاً؟؟

٦- الجزاء من جنس العمل فهو لاء لما ذكروا بآيات ربهم فأعرضوا عنها، كان عقابهم أن جعل الله تعالى على قلوبهم أكنة وأغطية حاجبة لقلوبهم عن التأثير، وثقلاً مانعاً لأسماعهم من السمع تقييحاً لهم.

٧- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُولَى ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾، وفي الآية الأخرى ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ والفرق بينهما أن قوله ﴿فَأَعْرَضَ﴾ يفيد أنه بادر بالإعراض، أما الإتيان ب (ثم) دل على أنه أعرض بعدما فكر وقدر، وهذا يدل على أن المعرضين على قسمين، فمنهم من أعرض مباشرة دون التفات وتفكير، ومنهم من أعرض بعد تفكير وتدبر فكان أقبح حالاً.<sup>(٢)</sup>

٨- بيان أنه لا أظلم ممن ذكر بآيات الله فيعرض عنها مستكبراً جاحداً معانداً.

### المبحث العاشر: إشكال ورده

صدرت الآيات كلها بأسلوب الاستفهام الذي هو بمعنى النفي، فيؤول إلى الخبر، ولما كان خبراً توهم بعض الناس أنه إذا أخذت هذه الآيات على ظواهرها فهي متناقضة، فإن الله ﷻ يخبر في موضع أنه لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله، وفي موضع آخر ممن ذكر بآياته وأعرض عنها، وفي موضع ثالث ممن افتري عليه كذباً، إلى غير ذلك من آيات. فكل موضع منها يقتضي أن المذكور فيه لا يكون أحد أظلم منه، فكيف يوصف غيره بذلك؟.

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٤٢/٧).

٢- ينظر: العثيمين محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم، ص ١٠٤.

وللعلماء في الإجابة عن هذا الإشكال أقوال، أولها: أن تختص كل آية بابها، وتؤول بمعنى صلتها ففي المانعين لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وفي المعرضين لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، وفي المفترين لا أحد أظلم ممنى افترى على الله كذباً، وكذلك باقي الآيات، فإذا تخصصت بالصلوات زال التناقض عند من توهمه. ثانيها: خصهم بأنهم الأظلم باعتبار سبقتهم، فإنه لما لم يسبق أحدٌ إلى مثله، حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم، سالكاً طريقتهم في ذلك، وهذا يؤول معناه إلى السبق في المانعية، أو الافتراضية.<sup>(١)</sup> واعترض أبو حيان على هذين الجوابين بقوله: «وهذا كله بعد عن مدلول الكلام ووضعه العربي، وعُجمة في اللسان يتبعها استعجاب المعنى»<sup>(٢)</sup>.

ثالثها: إن الاستفهام قصد به نفي الزيادة في الظلم دون نفي المساواة<sup>(٣)</sup>، فهؤلاء كلهم قد بلغوا في الظلم غايته، ولا ضير من تساويهم إذ أن أفعالهم تؤدي إلى الكفر، وهو أمر واحد لا يمكن فيه الزيادة بالنسبة إلى أفراد، وهذا الوجه صوبه أبو حيان فقال: «هذا نفي للأظلمية، ونفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية، لأن نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق.. وإذا لم يدل على نفي الظالمية لم يكن تناقضاً، لأن فيها إثبات التسوية في الأظلمية، وإذا ثبتت التسوية في الأظلمية لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر، لأنهم يتساوون في الأظلمية. وصار المعنى لا أحد أظلم ممن منع، وممن افترى، وممن ذكر. ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر... فلا يقال: إن من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها، ولم يفتر على الله الكذب،

١- ينظر: أبا حيان، البحر المحيط، (١/٥٢٧)؛ السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٢/٧٧-٧٨)، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٤/٧٦)؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، (٣/٩٩).

٢- أبو حيان، البحر المحيط، (١/٥٢٧).

٣- ينظر: أبا حيان، البحر المحيط، (١/٥٢٧)، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، (٣/٩٩)، محمد عزيمة، دراسات في أسلوب القرآن، دار الحديث، القاهرة، (د.ت)، (٣/٢٧٨).

أقلّ ظلماً ممن جمع بينهما، فلا يكون مساوياً في الأظلمية، لأن هذه الآيات كلها إنما هي في الكفار، فهم متساوون في الأظلمية، وإن اختلفت طرق الأظلمية. فكلها صائرة إلى الكفر فهو شيء واحد لا يمكن فيه الزيادة بالنسبة لأفراد من اتصف به، وإنما تكون الزيادة في الظلم بالنسبة لهم، وللعصاة المؤمنين بجامع ما اشتركوا فيه من المخالفة، فنقول: الكافر أظلم من المؤمن، ونقول: لا أحد أظلم من الكافر. ومعناه أن ظلم الكافر يزيد على ظلم غيره»<sup>(١)</sup>، وتعبه الألوسي بقوله: «ولا يخفى ما فيه، وقد قال غير واحد إن قولك من أظلم ممن فعل كذا إنكار لأن يكون أحد أظلم منه أو مساوياً له، وإن لم يكن سبب التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها إلا أن العرف الفاشي والاستعمال المطرد يشهد له، ففعل الأولى الرجوع إلى أحد الجوابين مع ملاحظة الحيثية»<sup>(٢)</sup>، رابعها: أن الاستفهام مقصود به التهويل والتفطيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة، ولا نفيها عن غيره، وإليه نحى الزركشي وتبعه السيوطي، ومال إليه الألوسي بقوله: «وإن جعلت ذلك الكلام مخرجاً مخرج المبالغة في التهديد والزجر مع قطع النظر عن نفي المساواة أو الزيادة في نفس الأمر كما قيل به، محكمًا العرف أيضاً زال الأشكال وارتفع القيل والقال فتدبر»<sup>(٣)</sup>، وهذا القول ضعفه الشنقيطي لمخالفته ظاهر القرآن.<sup>(٤)</sup>

يُلاحظ مما سبق أن المفسرين قد اتجهوا في الرد على هذا الإشكال اتجاهات عدة، يكفي كل واحد منها في دفع ما قد يتوهم من وجود تعارض بين هذه الآيات.

- ١- أبو حيان، البحر المحيط، (١/ ٥٢٧)، وينظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (٢/ ٧٧)، ابن عادل، عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، (٢/ ٤٠٥).
- ٢- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١/ ٣٦٢).
- ٣- المصدر نفسه، وينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٣/ ٩٨)، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٤/ ٧٦).
- ٤- ينظر: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٢٢.

## الخاتمة

الحمد لله الذي أسبغ عليّ نعمته بإتمام هذا البحث، وبعد أن تفيأت ظلال هذه الآيات المباركات خرجت بجملة من النتائج أجملها فيما يلي:

- جاء قوله تعالى (ومن أظلم) و (فمن أظلم) في خمسة عشر موضعاً من كتاب الله، وردت كلها في السور المكية<sup>(١)</sup> عدا موضعين وردا في سورة البقرة وهي مدنية.
- الاستفهام الوارد في قوله (ومن أظلم) خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر بغرض المبالغة في النفي تشنيعاً لتلك الأفعال.
- منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، والسعي في خرابها، وكتمان الشهادة، والتكذيب بآيات الله والإعراض عنها، وافتراء الكذب على الله تعالى بكافة أشكاله، من نسبة الشريك والولد، وتحليل ما حرم وتحريم ما أحل، وادعاء النبوة ونحو ذلك من صور الافتراء من أسباب استحقاق فاعلها الوصف بأنه الأظلم.
- الأمور التي وصف فاعلها بأنه لا أحد أظلم منه يتعلق غالبها بأصول الدين والاعتقاد.
- سوء مصير هؤلاء الأظلمين، حيث تضمنت الآيات أشد الوعيد وأبلغ التهديد.
- كان لهذه الآيات النصيب الأوفر من بلاغة النظم وحسن البيان، بأسلوبها الترهيب الذي يحذر من ارتكاب ما ورد في الآيات مما نهى الله ﷻ عنه؛

١- وهي كالاتي أربع مواضع في سورة الأنعام، وموضعين في سورة الكهف، وموضع في كل من سورة الأعراف، ويونس، وهود، والعنكبوت، والسجدة، والزمر، والصف.

حيث إن في هذا الأسلوب «تنبيه للسامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل، أو يرتدع عن فعل ما أهم به»<sup>(١)</sup>، كما أن فيه خلقاً للمهابة في قلوب المخاطبين.

- لا تعارض بين الآيات المذكورة؛ إذ أن قوله تعالى (ومن أظلم) إما باعتبار صلة الاسم الموصول (مَنْ)، أو باعتبار السبق إلى ما ذكر في كل آية، أو أن الاستفهام قصد به نفي الزيادة في الظلم دون نفي المساواة، أو أنه جاء لغرض التهويل والتفطيع.

### التوصيات:

مما أوصي به كل مسلم ومسلمة تدبر الآيات التي صُدِّرت بقول الله تعالى (ومن أظلم) أو بقوله سبحانه (فمن أظلم)؛ وينتبه للأوصاف المذكورة عَقِبَهَا ليتجنب الوقوع فيما حذرت منه الآيات ونهت عنه، كذا الاستفادة من أسلوب القرآن العظيم في الترهيب والتخويف لا سيما من قبل الدعاة، والتربويين.

١ - جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجليل، بيروت، ط٣، (د.ت)، (٣/٧٣).

## المصادر

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن ناصر وآخرين، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤ هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد محي الدين، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، النبوات، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ابن حبان، محمد البُستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ابن حزم، علي بن أحمد، كتاب الدرّة فيما يجب اعتقاده، تحقيق: أحمد بن ناصر، مكتبة التراث، مكة، ١٩٨٨ م.
- ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧ م.

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، (د.ت).
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥ م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظيم، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت).
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- الأصبهاني، محمد بن عبد الله، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- البغدادي، أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠ هـ.

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠٠٢م.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الثعلبي، أحمد بن إبراهيم الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراج: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- الجصاص، أحمد بن علي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- الرازي، محمد بن عمر التميمي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.د).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤ هـ.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير القرآن، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠ هـ.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- علماء نجد الأعلام، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، ط٦، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- القصاب، أحمد محمد بن علي، النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تحقيق: علي التويجري، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت).
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠ م.
- محمد عزيمة، دراسات في أسلوب القرآن، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

- المراغي، أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (د.ت).
- النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

## The Sources:

- Ibn Abi Hatim Abdul Rahman Ibn Muhammad Al-Razi, Edited by: Asaad Al-Tayeb, Nazar Mustafa Al-Baz Library, Kingdom of Saudi Arabia, 3rd edition, 1419 Hijri.
- Ibn Taymiyyah Ahmed Ibn Abdul Halim, The Correct Answer for Those Who Changed the Religion of Christ, Edited by: Ali Hassan Nasser and others, Dar Al-Asima, Riyadh, 1st edition, 1414 Hijri.
- Ibn Taymiyyah, Ahmed Ibn Abdul Halim, The Stern Rebuke to the Insulter of the Prophet, Edited by: Muhammad Muhyiddin, Saudi National Guard, Kingdom of Saudi Arabia, (n.d.).
- Ibn Taymiyyah, Ahmed Ibn Abdul Halim, Majmu' Al-Fatawa, Researched by: Abdul Rahman Ibn Muhammad, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran, Al-Madinah Al-Munawwarah, Kingdom of Saudi Arabia, 1416 Hijri - 1995 AD.
- Ibn Taymiyyah Ahmed Ibn Abdul Halim, The Prophecies, Edited by: Abdul Aziz Al-Tuwayyan, Adwa Al-Salaf, Riyadh, 1st edition, 1420 Hijri - 2000 AD.
- Ibn Al-Jazari Muhammad Ibn Muhammad, Publication in the Ten Readings, Researched by: Ali Muhammad Al-Dibaa, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, (n.d.).
- Ibn Hibban Muhammad Al-Busti, Sahih Ibn Hibban in the Order of Ibn Balban, Researched by: Shuayb Al-Arna'ut, Al-Risalah Foundation, Beirut, 2nd edition, 1414 Hijri - 1993 AD.
- Ibn Hazm Ali Ibn Ahmed, Kitab Al-Durrah Fi Ma Yajib Aqadah, Researched by: Ahmed Ibn Nasser, Heritage Library, Makkah, 1988 AD.
- Ibn Hazm, Ali Ibn Ahmed Al-Andalusi, Levels of Consensus in Worship, Transactions, and Beliefs, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, (n.d.).
- Ibn Hanbal, Ahmed Ibn Muhammad, Musnad Ahmed Ibn Hanbal, Researched by: Sayyid Abu Al-Ma'ati Al-Nuri, Alam Al-Kutub, Beirut, 1st edition, 1419 Hijri - 1998 AD.
- Ibn Duraid, Muhammad Ibn Al-Hasan, Jumhurah Al-Lughah, Researched by: Ramzi Baalbaki, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 1st edition, 1987 AD.
- Ibn Ashur Muhammad Al-Tahir Ibn Muhammad, Al-Tahrir Wa Al-Tanwir, Dar Sahnoun for Publishing and Distribution, Tunisia, 1997 AD.
- Ibn Arabi, Muhammad bin Abdullah, Ahkam al-Quran, edited by Muhammad Abdul Qadir Ata, Dar al-Fikr for Printing and Publishing, Lebanon, (n.d.).

- Ibn Atiyya, Abdul Haq bin Ghaleb al-Andalusi, Al-Muharrar Al-Wajeez Fi Tafsir Al-Kitab Al-Azeez, edited by Abdul Salam Abdul Shafi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1422 AH.
- Ibn Faris, Ahmad bin Faris bin Zakariya, Muḥjam Maqayis al-Lughah, edited by Abdul Salam Haroun, Dar al-Fikr for Printing and Publishing, Beirut, 1975 AD.
- Ibn Kathir, Ismail bin Umar al-Qurashi, Tafsir al-Quran al-Azeem, Sami bin Muhammad Salama, Dar Tayyiba for Publishing and Distribution, 2nd edition, 1420 AH - 1999 AD.
- Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf al-Andalusi, Al-Bahr al-Muhit, edited by Sheikh Adel Ahmed Abdul Mawjood and others, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1422 AH - 2001 AD.
- Abu Zahra, Muhammad bin Ahmad, Zahra al-Tafasir, Dar al-Fikr al-Arabi, Beirut, (n.d.).
- Abu al-Saud al-Imadi, Muhammad bin Muhammad, Irshad al-Aql al-Saleem Ila Mazaḥih al-Kitab al-Karim, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, (n.d.).
- Al-Isbahani, Muhammad bin Abdullah, Durat al-Tanzil wa Ghurrah al-Taḥwil, edited by Muhammad Mustafa, Institute of Scientific Research, Mecca, 1st edition, 1422 AH - 2001 AD.
- Al-Alousi, Mahmoud bin Abdullah, Ruuh al-Maḥani Fi Tafsir al-Quran al-Azeem wa al-Sabḥ al-Mathani, edited by Ali Abdul Bari, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1415 AH.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Al-Jamiḥ al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Umur Rasool Allah Sallallahu Alaihi wa Sallam wa Sunanihi wa Ayyamihi, edited by Muhammad Zuhair bin Nasser al-Nasser, Dar Touq al-Najah, 1st edition, 1422 AH.
- Al-Baghdadi, Ahmed bin Musa, Al-Sabḥah Fi al-Qiraḥat, edited by Shouqi Dhaif, Dar al-Maḥarif, Egypt, 1400 AH.
- Al-Baghdadi, Abdul Qahir bin Taher, Usul al-Din, edited by Ahmed Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1433 AH - 2002 AD.
- Al-Baqai, Ibrahim ibn Umar, Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar, edited by Abdul Razzaq al-Mahdi, Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut, 1415 AH - 1995 AD.
- Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Isa, Sunan al-Tirmidhi, edited by Ahmed Shakir, Maktabat Mustafa al-Babi al-Halabi, Egypt, 2nd edition, 1395 AH - 1975 AD.

- Al-Thaḡlabi, Ahmad ibn Ibrahim, Al-Kashf wa al-Bayan ḡan Tafsir al-Qurḡan, supervised by Dr. Salah Baaḡhman, Dr. Hassan al-Ghazali, Dr. Zaid Mahirsh, Dr. Amin Basheh, edited by several researchers, Dar al-Tafsir, Jeddah, Saudi Arabia, 1st edition, 1436 AH - 2015 AD.
- Al-Jassas, Ahmad ibn Ali Al-Jassas, Ahkam al-Qurḡan, edited by Muhammad al-Sadiq Qamhawi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, 1405 AH.
- Al-Hamawi, Yaqut ibn Abdullah, Muḡjam al-Buldan, Dar Sader, Beirut, 2nd edition, 1995 AD.
- Al-Razi, Muhammad ibn Umar al-Tamimi, Mafatih al-Ghayb, Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1421 AH - 2000 AD.
- Al-Zarkashi, Muhammad ibn Bahadir, Al-Burhan fi Ulum al-Qurḡan, edited by Muhammad Abu al-Fadl, Dar al-Maḡarifah, Beirut, 1391 AH.
- Al-Sajistani, Sulaiman ibn al-Ashḡath, Sunan Abi Dawood, edited by Shuayb al-Arnawt and Muhammad Kamil Qarah Bally, Dar al-Risalah al-Alamiyah, 1st edition, 1430 AH - 2009 AD.
- Al-Saadi, Abdul Rahman ibn Nasser, Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan, edited by Abdul Rahman al-Luwaieh, Al-Resalah Foundation, Riyadh, 1st edition, 1420 AH - 2000 AD.
- Al-Samarqandi, Nasir ibn Muhammad, Bahr al-Ulum, edited by Mahmoud Matarji, Dar al-Fikr, Beirut, (n.d.).
- Al-Suyuti, Abdul Rahman ibn Abi Bakr, Al-Itḡan fi Ulum al-Qurḡan, edited by Muhammad Abu al-Fadl, General Egyptian Book Authority, 1394 AH - 1974 AD.
- Al-Suyuti, Abdul Rahman ibn Abi Bakr, Al-Durr al-Manthur, Dar al-Fikr, Beirut, (n.d.).
- Al-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar, «Adwaḡ Al-Bayan fi lḡadah Al-Qurḡan bil-Qurḡan», Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon, 1415 AH - 1995 AD.
- Al-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar, «Dafḡ Ihram Al-Idtirab ḡan Ayat Al-Kitab», Ibn Taymiyya Library, Cairo, 1st edition, 1417 AH - 1996 AD.
- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali, «Fath Al-Qadeer Al-Jamiḡ Bayn Fanni Al-Riwayah wal-Dirayah min ḡilm Al-Tafsir», Dar Ibn Kathir, Damascus, 1st edition, 1414 AH.

- Al-Sanʿani, Abdul Razzaq bin Hammam, «Tafsir Al-Qurʿan», edited by Dr. Mustafa Muslim Muhammad, Al-Rushd Library, Riyadh, 1410 AH.
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, «Jami' Al-Bayan fi Taʿwil Al-Qurʿan», edited by Ahmed Shakir, Al-Risalah Foundation, Beirut, 1st edition, 1420 AH - 2000 AD.
- Scholars of Najd, «Al-Durar Al-Sunniyah fi Al-Ajwibah Al-Najdiyah», edited by Abdul Rahman bin Muhammad, 6th edition, 1417 AH - 1996 AD.
- Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din ibn Muhammad Saʿid, Mahasin al-Taʿwil, edited by Muhammad Basal, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1418 H.
- Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad, Al-Jami' li Ahkam al-Qurʿan, edited by Hisham Samir al-Bukhari, Dar Alam al-Kutub, Riyadh, Saudi Arabia, 1423 H - 2003 AD.
- Al-Qasab, Ahmad Muhammad ibn Ali, Al-Nukat al-Dalat ʿala al-Bayan fi Anwa' al-ʿUlum wa al-Ahkam, edited by Ali al-Tuwaijri, Dar Ibn ʿAfan, 1st edition, 1424 H - 2003 AD.
- Al-Mawardi, Ali ibn Muhammad, Al-Nukat wa al-ʿUyun, edited by Al-Sayyid ibn ʿAbd al-Muqsud, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon (n.d.).
- Muhammad Rashid Rida, Tafsir al-Manar, Egyptian General Book Organization, Egypt, 1990.
- Muhammad Adhima, Studies in the Style of the Qurʿan, Dar al-Hadith, Cairo (n.d.).
- Al-Maraghi, Ahmed Mustafa al-Maraghi, Tafsir al-Maraghi, Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Library and Printing Company, Egypt (n.d.).
- An-Nasafi, Abdullah bin Ahmad, «Madarik al-Tanzil wa Haqaiq al-Taʿwil», Edited by: Yusuf Badiwi, Dar al-Kalam al-Tayyib, Beirut, 1st Edition, 1419 AH - 1998 AD.
- Al-Wahidi, Ali bin Ahmad, «Asbab Nuzul al-Quran», Edited by: Issam al-Humaidan, Dar al-Islaah, Dammam, 2nd Edition, 1412 AH - 1992 AD.
- Al-Nisaburi, Muslim bin al-Hajjaj, «Al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar bi-Naqal al-Adl ʿan al-Adl ila Rasul Allah SAW», Edited by: Muhammad Fuad Abdul Baqi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, (n.d.).

سؤال المقولة في المعجم العربي  
تصور في ضوء اللسانيات الإدراكية

**The Question of 'Maqwalah' in the Arabic Lexicon  
A Conception in Light of Cognitive Linguistics**

د. عبدالرحمن حسن البارقي

أستاذ اللسانيات - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

**Dr. Abdulrahman Hassan A Albariqi**

Professor of Linguistics - King Khalid University - Kingdom of Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.07>

تاريخ تسلم البحث 2022/08/23 - وصدر خطاب القبول 2023/01/19





## Abstract

This study aims to contribute to the Arabic Lexicography in accordance with Cognitive linguistics. It tries to approach the categorization issue in the Arabic Lexicography following the descriptive analytical method. One of the most important contributions of the study is the investment of prototype theory on the one hand, and computational corpuses based on actual texts utilized in everyday communications, on the other. The outcome of such an endeavor will practically contribute to the development of the Arabic Lexicography in a modern and scholarly manner. This paper is organized as follows: preface, a brief presentation of the concept of the categorization and its cognitive perspective, the Arabic lexicography, and the lexicography of computational and linguistic corpuses. This study is to present the conception of building categorized and computerized corpuses and, consequently, a conception of building a categorized and computerized lexicography.

**Keywords:** categorization - prototype theory - computational corpus - cognitive.

## ملخص البحث

هدف هذه الدراسة: هو الإسهام في صناعة المعجم العربي منطلقاً من معطيات اللسانيات الإدراكية.

وتعالج إشكالية فكرة المَقُولَة في الصناعة المعجمية العربية، متبعة المنهج الوصفي التحليلي.

ومن أهم إسهامات الدراسة استثمار أعمال روش المتمثلة في نظرية الطراز / الأتموذج من جهة، والمدونات الحاسوبية المبنية من نصوص استعمالية فعلية من جهة أخرى، وهو الأمر الذي نراه سيسهم بشكل عملي في صناعة معجم عربي على نحو علمي معاصر.

وتتنظم الدراسة في تمهيد، فعرض موجز لمفهوم المقولة ومنعطفه الإدراكي، ثم تلقي الضوء على الصناعة المعجمية العربية والصناعة المعجمية الحاسوبية والمدونات اللغوية؛ لتقدم الدراسة تصوراً عن بناء مدونة حاسوبية مَقُولَة ومن ثم تصوراً لبناء معجم محوسب مَقُول.

كلمات مفتاحية: مقولة - نظرية الطراز - المدونات الحاسوبية - الإدراكيات.



## تمهيد

تظهر الدراسات الإدراكية أن الذهن البشري يعتمد إلى تصنيف تجاربه وخبراته وفق مقولات معينة<sup>(١)</sup>؛ وذلك لتسهيل التعامل مع عناصرها، وما سيندرج ضمن عناصرها مستقبلاً.

إن اللسانيات الإدراكية بما تتيحه من أدواتها البحثية تراهن على فكرة مهمة تنهض على أن الذهن البشري يتعامل مع العالم من حوله بشكل متشابه بغض النظر عن اللغات الخاصة، ومن ثم فإن اللغات الخاصة وإن اختلفت في وسائطها (Parameters)<sup>(٢)</sup> فإنها تَمَّح من منهل ذهني واحد، وهو منهل ذو عصبونات وشبكات عصبية معقدة جداً<sup>(٣)</sup>، تسعى اللسانيات الإدراكية وعلم النفس الإدراكي إلى مقارنته والكشف عن جوانبه، وفي هذا الإطار يذكر بنكر تجربة جرينبرغ الذي درس ثلاثين لغة مختلفة من خلال عيناتها، وحرص على أن تكون اللغات مختلفة عن بعضها اختلافاً شديداً، مأخوذة من لغات القارات الخمس، وقادت الدراسة إلى نتيجة مذهلة، وهي أن هذه اللغات المتباعدة جداً تتشابه فيما لا يقل عن خمس وأربعين خصيصة كلية، ومن خلال عديد من الدراسات في هذا الاتجاه وجدت المئات من الأنماط الكلية<sup>(٤)</sup>.

وضمن اهتمامات اللسانيات الإدراكية تأتي معالجات (المقولة) وتحديدًا في إطار نظرية الطراز / الأنموذج والتي رفدتها جهود لايكوف وجونسون<sup>(٥)</sup>،

- ١- انظر لايكوف وجونسون (٢٠١٨)، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبدالمجيد جحفة، دار توبقال.
- ٢- انظر: ستيفن بنكر (٢٠٠٠)، الغريزة اللغوية، كيف يبده العقل اللغة؟، تعريب حمزة المزيني، المريخ للنشر. ص ٣٠٥ / ٣٠٦.
- ٣- انظر: كلود حجاج (٢٠٠٣)، إنسان الكلام: مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، ترجمة رضوان ظاها، المنظمة العربية للترجمة، ص ٣١ / ٣٢.
- ٤- انظر: ستيفن بنكر (٢٠٠٠) ص ٢٩٩ / ٣٠٠.
- ٥- انظر المصدر نفسه.

وكليبر<sup>(١)</sup>، تأسيساً على جهود إينور روش<sup>(٢)</sup>.

وبناء على جهود إينور روش تنهض هذه الدراسة التي تولي اهتمامها شطر استثمار نظرية الطراز لخدمة المعجمية العربية.

وقد ركزت الدراسة على جهود روش خاصة؛ لأمرين:

- أولهما: أن روش هي مؤسسة النظرية، وهي جديرة بالعودة إلى دراساتها.
- أن دراسات روش لم تظفر بترجمات عربية - على حد علمي - على حين حظيت جهود لايكوف وجونسون وكليبر بترجمات وعروض في الدراسات العربية<sup>(٣)</sup>.

إذن تنهض هذه الدراسة على رؤية لبرمجة معجم عربي يقوم على ركيزتين:

- 
- ١- انظر: كليبر، (٢٠١٣)، علم دلالة الأنموذج، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة.
  - ٢- انظر:
    - Rosch, Eleanor (1975), Cognitive Representations of Semantic Categories, Journal of Experimental Psychology: General 1975, Vol. 104, No. 3, 192-233.
    - Rosch, Eleanor (1975b), Family Resemblances: Studies in the Internal Structure of Categorie, OGNITIVE PSYCHOLOGY 7, 573-605.
    - Rosch, and others (1976) Basic Objects in Natural Categories, COGNITIVE PSYCHOLOGY 8, 382-439.
    - Rosch, Eleanor (1973), ON The internal structure of perceptual and semantic categories , cognitive development and the acquisition of language.
    - Rosch, and B. Lloyd (1978), (Eds.), Cognition and Categorization (pp. 27-48). Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.
  - ٣- انظر مثلاً:
    - جوهاري، أحمد (٢٠١٩)، المقولة ظاهرة معرفية: من التأسيس إلى التوسيع، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع ٥٥.
    - شعير، نجلاء (٢٠١٤)، المكون الدلالي في مقولة الأداة المعجمية: حروف الجر نموذجا، مجلة المعجمية، ع ٣٠.
    - صولة، عبدالله (٢٠٠٢)، المقولة في نظرية الطراز الأصلية، حوليات الجامعة التونسية- منوبة، ع ٤٦.
    - عبدالواحد، عبدالحميد (٢٠١٦)، المقولة في نظرية النموذج الأصل، سياقات اللغة والدراسات البنائية، ع ٣، ٤.

الأولى: نظرية الطراز / الأنموذج.

الثانية: المدونة الحاسوبية.

مما سيوضح من خلال النقاط الآتية.

## ٢-١: المقولة والمقولات:

من المعلوم أن مصطلح «مقولة» مرّ برحلة طويلة زمنياً منذ أفلاطون إلى اليوم، كما أنه تعرض لتحويلات عبر المدارس الفلسفية المختلفة من جهة وعبر التخصصات المختلفة من جهة أخرى، وعبر تداوله بشكل تقني أو بشكل عام<sup>(١)</sup>، وليس من أهداف هذه الدراسة تتبع تلك المنعرجات ولا تحويرها، لكنه سيأخذ بما استقر عليه المصطلح في حقل اللسانيات، واللسانيات الإدراكية / العرفانية (cognitive) تحديداً حيث بدأ المصطلح يُداول في إطار نظرية الطراز / الأنموذج (prototype) لدى إينور روش ومن وافقها<sup>(٢)</sup>، حيث تشير المقولة إلى موضوع تدرج تحته عناصر ذات شبه عائلي<sup>(٣)</sup>، واقترضت النظرية فكرة الشبه العائلي من فتجنشتاين<sup>(٤)</sup>؛ لتخلص من الفكرة الحادة التي تسيدت الأنظار الفلسفية في فترات البحث الكلاسيكي منذ أرسطو إلى منتصف القرن العشرين<sup>(٥)</sup> حيث كانت تخضع لنموذج الشروط الضرورية الكافية الذي ينهض على فكرة المساواة بين العناصر المنصوية تحت موضوع ما في سمات محددة<sup>(٦)</sup>.

١- انظر لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط ٢. ١٥٢-

١٥٣، وإبراهيم بن مراد (٢٠٠١)، المقولة الدلالية في المعجم، مجلة المعجمية، ع ١٦، ص ١٧ - ٢٢.

٢- انظر Eleanor Rosch (١٩٧٨) pp ٢٧-٤٨.

٣- راجع أعمال روش، مثلاً ١٩٧٣، ١٩٧٨ تحديداً ص ٣٠-٣١.

٤- انظر فتجنشتاين، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبدالرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ١٧١، وإشارة روش إلى ذلك في Rosch (١٩٧٨) p. ٣٦.

٥- انظر أحمد جوهاري (٢٠١٩) ص ١١٧.

6- see: Rosch(1975) p193.

وبالتالي فإنَّ المقولة هي عملية التنظيم والتصنيف لتلك المقولات وعناصرها، مع الأخذ في البال أن المقولة ليست بالضرورة عملية واعية، بل هي عملية ذهنية وتتم في كثير من الأحيان من دون وعي منا؛ ذلك أن هذه المقولة ليست عشوائية كما قد يُظن، وإنما تخضع لبُنيَّة نفسية أو مبادئ نفسية على حد تعبير روش<sup>(١)</sup>.

وتقترح روش أن هذه المقولة تستجيب لمبدأين:<sup>(٢)</sup>

- مبدأ الاقتصاد، ذلك أن المقولات من شأنها أن توفر أقصى قدر معلوماتي بأقل جهد إدراكي.

- مبدأ النظام، ذلك أن المقولة لاتعمل بشكل عشوائي أو تعسفي - كما قد يبدو- بل تعمل وفق نظام ذهني محكم.

وقد قدمت روش ومن وافقها ورافقها في بعض أبحاثها أفكارا بدت أكثر مرونة وواقعية فيما يتعلق بالمقولة من خلال نموذجها الذي يقترح أن حدود المقولات غامضة، وأن عناصر المقولة لاتتمتع بالمساواة بل تتقاطع في سمات معينة مع إمكانية اختلافها في صفات أخرى، لقد بنت مقترحاتها بناء على عدد من التجارب<sup>(٣)</sup>، انتهت إلى أن الأنموذج للمقولة يمثل أفضل مرجع في أذهان الأفراد، والتفضيل هنا مبني على كثرة التردد<sup>(٤)</sup>، وتمتاز النماذج بعدد من السمات وهي<sup>(٥)</sup>:

أ- تمتلك أعداداً كثيرة من السمات المشتركة.

ب- ذات برامج حركية متشابهة.

١- انظر Eleanor Rosch (1978) p 27.

2- Ibid, 28.

٣- مثلاً: (see: Rosch 1975b)

4- see: Rosch (1978). p 30.

5- see: Rosch(1976). p 382.

ت- ذات أشكال متشابهة.

ث- يمكن التعرف عليها من أشكالها العادية.

إن مقترح روش فيما يبدو لنا أكثر انسجامًا مع روح اللغات الطبيعية التي لا تشير ألفاظها إلى معان حادة ومحددة بالضرورة بقدر ما تفسح مجالًا للنسبية، نسبة التصور ونسبية التعبير، كما يتسق من ناحية أخرى مع القدرة التعميمية للذهن اتكاء على الاستقراء الناقص، وتفعيل خاصية الحدس.

فأما عملية المَقُولَة الذهنية فنضرب لها المثال التالي:

١- (ص) الصغير غلب (ك) الكبير.

ستبدو هذه الفكرة لافتة أو مدهشة؛ لأنّ الذهن لم يقولها، وإنما تعامل معها بنوع من التجريد لأنّ (ص) و (ك) غير قابلين للمَقُولَة وفق خبرة أذهاننا إذا زعمنا أنّ هذه المَقُولَة تتم من واقع تجربتنا؛ بحيث كلما مرّ عنصر جديد صنفه الذهن في المَقُولَة الملائمة له، فإنّ لم يكن ثمّ مقولة سابقة أعدّ الذهن مقولة جديدة، أو فرعها عن مقولة عامة، أما إن أخذنا بمقترح كانط في أنّ المقولات ذاتها فطرية<sup>(١)</sup>، ثم تجاوزنا فكرة تحديدها في اثنتي عشرة مقولة فهذا يعني أنّ الذهن يكتفي من المَقُولَة بتصنيف المَقُولَة في قالبها المعدّ سلفًا، وهذا الاقتراح سيفضي إلى أنّ المقولات مجموعة مغلقة، على حين يبدو أنّ المقترح الأول يفضي إلى أنّ المقولات مجموعة مفتوحة.

ومهما يكن الأمر فماذا لو استبدلنا الرمز (ص، ك) بما يمكن للذهن مقولته

في ضوء خبرته؟ مثلاً:

١- انظر: كانط، عمانوئيل (د.ت)، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، ص ٨٨ وما بعدها.

## ٢- الفيل الصغير غلب الفأر الكبير

سنلاحظ أن الذهن أعاد كلا من (الفيل، الفأر) إلى مرجعيهما، وبالتالي غابت الدهشة التي كانت في (١)، والسبب فيما نرى هو ربط كلمتي (الفيل، الفأر) بمرجعيهما ضمن مقولة الحيوان (في المستوى الأعلى)<sup>(١)</sup> ففيل / فأر (في المستوى القاعدي).

وقبل أن نغادر هذا المدخل التأسيسي من خلال عرض أفكار روش نذكر بأنها قد اقترحت وجود بعدين: عمودي وأفقي، فأما العمودي فتشكل فيه ثلاثة مستويات<sup>(٢)</sup>: مستوى: أعلى، ومستوى قاعدي / أساسي، ومستوى فرعي، ويمكن تمثيلها على النحو الآتي:

المستويات	مثال ١	مثال ٢
المستوى الأعلى	حيوان	فواكه
المستوى القاعدي	سمكة	برتقال
المستوى الفرعي	سردين	أبوسرة

وأهم هذه المستويات هو المستوى القاعدي فهو أكثرها شمولية<sup>(٣)</sup>، ويعلّل ذلك كليبر بما يأتي<sup>(٤)</sup>:

أ- يعد بمثابة المستوى الاسمي الأكثر تجريداً.

ب- يمكن للصورة الذهنية التعبير عن المقولة بأكملها.

١- سيأتي الحديث عن هذه المستويات أدناه.

2- see: Rosch, and others(1976). p 388.

3- Ibid,p 390.

٤- انظر كليبر ص ١٣٤-١٣٩.

ت- الأكثر تضميناً.

ث- سرعة مطابقة الأشخاص له على أعضاء المقولة.

ج- مستوى التسمية المفضل.

ح- حيادي.

خ- سرعة تعلمه لدى الأطفال من ثلاث سنوات<sup>(١)</sup>.

وهذا البعد العمودي يذكرنا بالتصنيف البيولوجي كما عند بيرلين وفريقه<sup>(٢)</sup>

إلى خمسة مستويات:

المستوى	المثال
المملكة.	نبته
شكل الحياة.	شجرة / زهرة ...
الجنس.	سنديان / سدر ..
النوع.	سنديان أخضر / بهش
الصنف.	سنديان أخضر متوسطي / سنديان أخضر قزم ...

وأما البعد الأفقي فيستجيب لعدد من المبادئ نوجزها فيما يلي<sup>(٣)</sup>:

أ- لهذه المقولات بنية داخلية أنموذجية<sup>(٤)</sup>.

١- حول هذه الميزة والتجارب المؤيدة انظر: Rosch (1976) p ٤١٧ - ٤١٨.

٢- انظر كليبر ص ١٢٦-١٢٨، وفي ص ١٢٧ في التشجير تقديم النوع على الجنس وهو خطأ.

٣- ذكر كليبر، ص ٨٦ ستة مبادئ، إلا أن الرابع منها وهو: « لاتقدم الفئة [المقولة] خصائص مشتركة بين الأعضاء كلها، بل إن شبيها عائلياً يجمعها معاً» يؤول إلى المبدأ (ب) أعلاه، على حين أن السادس يتعلق بطريقة المعالجة أنها تكون على نحو إجمالي لا تحليلي، وهذه نتيجة حتمية للمبادئ الأخرى، وليست مبدأ بالضرورة.

4- see: Rosch(1975a) p 544.

ب- العناصر المنضوية تحت المقولة الواحدة ليست متساوية بل متقاطعة ومتدرجة من حيث اقترابها من الأنموذج<sup>(١)</sup>.

ت- الحدود الفاصلة بين المقولات غامضة<sup>(٢)</sup>.

ث- يعمل الأنموذج كمرجع للتصنيف لروز درجة التشابه<sup>(٣)</sup>.

إن ما قامت به روش ومن سار على نهجها قد أسسوا لما يسمى بنظرية الأنموذج / الطراز (prototype theory)، وتحت هذه النظرية ينضوي عدد من الجهود العلمية لها ولكارولين وديبوا وكليبر ولايكوف وغيرهم، وهي نظرية تمتاز بمبراهنتها على عدد من الخصائص منها<sup>(٤)</sup>:

أ- ميدان تطبيق واسع ليس ابتداء من الألوان ولا انتهاء بالحقول الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية...

ب- أنه يتصف بطابع مرن.

ت- تفاوت أعضاء المقولة في تمثيلها.

ث- الانعتاق من التعريفات التحليلية.

ج- التنظيم التراتبي لعلم المعجم.

ح- خطوة تقدمية في علم الدلالة المعجمي.

خ- وقد تطورت النظرية من بعد فيما سماه كليبر بنظرية الأنموذج الموسعة، وهو يرى أن جوهر النظرية لم يتغير وأن النسخ الأحدث من النظرية لم تلغ القديمة

1- Ibid.

2- see: Rosch(1973) p 112 and Rosch(1987) p 36.

3- see: Rosch(1978) p 40.

بل طورتها ووسعتها وحسب خلافاً لمن يدعي ذلك<sup>(١)</sup>.

### ٣- الصناعة المعجمية في ضوء نظرية الأنموذج:

تأسيساً على نظرية الطراز التي ذكرنا أهم مفاصلها أعلاه، وذكرنا أنها ميدان تطبيق واسع، وفي عدد من المجالات ومن ذلك الصناعة المعجمية؛ لما تسهم به من خدمة مزدوجة في خدمة المعجم سواء كان معجماً لغوياً عاماً، أو معجماً مصطلحياً، أو معجماً تعليمياً لفئة عمرية محددة كمعجم الطفل مثلاً... -تأسيساً على ذلك تقترح هذه المداخل استثمار النظرية في صناعة معجم عربي حديث مختلف عن المناويل المعجمية السابقة قديمها وحديثها، وقد التفت إلى قيمة هذه النظرية في الصناعة المعجمية إبراهيم بن مراد<sup>(٢)</sup>، ضمن نظريات أخرى تنهض على فكرة المقولة الدلالية، وقد فرّق بين المقولات المعجمية والمقولات النحوية؛ إذ كان يقع الخلط بينهما<sup>(٣)</sup>، حيث إن المعنى النحوي أو التركيبي ناجم من التركيب ذاته لا من الوحدة المعجمية، على حين يكون المعنى المعجمي ناجم من الوحدة المعجمية ذاتها بمعزل عن التركيب<sup>(٤)</sup>.

### ٣-١ نظرة على الصناعة المعجمية العربية

سلكت الصناعة المعجمية العربية مسالك شتى منذ معجم العين وإلى يومنا هذا، وقد ارتضت المعاجم الحديثة والمعاصرة طريقة الترتيب الألفبائي من جهة، والانتقاء من المعاجم القديمة ما تراه مناسباً للعصر الحديث، مع محاولة عرض المعلومة بلغة سهلة وقريبة من المتحدث العربي اليوم، وربما أتاحت مجالاً لدخول ألفاظ معربة أو دخيلة، كما أتاحت التعامل مع البرامج الحاسوبية رقمته جل تلكم

١- انظر السابق ٧٦.

٢- انظر: إبراهيم بن مراد (٢٠٠١).

٣- انظر المصدر نفسه، ص ٢٢.

٤- انظر المصدر نفسه، ص ٢٢-٢٣.

المعاجم إن لم يكن جميعها.

والحديث عن الرقمنة من جهته يحيلنا إلى التفكير في الصناعة المعجمية الحاسوبية على اعتبار أنه المسار الذي ينبغي أن يراهن عليه في صناعة المعجم اليوم، والذي سيكون أكثر احترافية وعلمية من جهة، وأقل كلفة مادية للمستخدمين من جهة أخرى، وستتناول في النقاط الآتية الصناعة المعجمية الحاسوبية بشكل أكثر تفصيلاً؛ مع محاولة التأسيس على نظرية الأنموذج.

### ٣-١-١: الصناعة المعجمية الحاسوبية

إن الصناعة المعجمية الحاسوبية قد تسلك أحد طريقتين<sup>(١)</sup>:

أ- إعادة هيكلة المعاجم القديمة، وقد رأينا هذا الأمر في المعاجم العربية المرقمنة كالعين والجمهرة والصحاح ولسان العرب وتاج العروس... حيث مكنت هذه الرقمنة من استخدام هذه المعاجم والإفادة منها من دون أن يكون المستخدم عارفاً بطريقة تأليف المعجم، وبالطريقة ذاتها سواء أكانت وحدات المعجم مرتبة صوتياً أم قافوياً أم ألفبائياً، ومن دون أن يكون المستخدم عارفاً بالمجرد والمزيد والجذر وما إلى ذلك مما كان يقتضيه الأمر مع المعاجم الورقية التقليدية للوصول للوحدة المعجمية المرادة، أما مع الرقمنة فبمجرد إدخال الوحدة المعجمية المرادة ستظهر نتائج البحث في المعاجم المختلفة بأسرع طريقة وأيسرها.

ب- صناعة معاجم حاسوبية جديدة. وهذا الأمر هو ما نفتقده في صناعتنا المعجمية العربية؛ إذ توقف بنا الحال عند النقطة السابقة من الرقمنة.

١- انظر باتريك هانكس (٢٠١٨)، ضمن دليل أكسفورد في اللسانيات الحاسوبية، مركز الملك عبدالله للخدمة اللغة العربية والمنظمة العربية للترجمة، ١/ ٨٤.

ويبدو لنا أن هذه الصناعة لن تكون ذات جدوى إذا تعاملنا معها بالطريقة ذاتها التي تعاملنا بها سابقاً؛ ولذلك ينبغي أن نسلك طريقاً مختلفاً، يضع في اعتباره الابتعاد عن المعاجم السابقة<sup>(١)</sup> جملة وتفصيلاً فما فيها يكفي، والانتقال إلى مدونات النصوص (Corpus) ولاسيما المدونات المعاصرة؛ لاستخلاص الوحدات المعجمية منها مراعين أدبيات التعامل مع هذه المدونات كما سنبينه أدناه.

### ٣-١-٢: المدونة اللغوية (Corpus)

المدونة اللغوية هي: «مجموعة من النصوص اللغوية الشفوية أو المكتوبة الموثقة»<sup>(٢)</sup>، وهي تنقسم إلى عدد من الأقسام بعدد من الاعتبارات، فقد تكون موسّمة أو غير موسّمة، وأحادية أو متعددة<sup>(٣)</sup>، والعامة والخاصة، والمقارنة والمتشابهة، والمتوازية والتاريخية والمتابعة<sup>(٤)</sup>، وليس هنا مجال التفاصيل فيمكن العودة إليها في مظانها، لكن ما يعيننا هنا هو اتصالها بالصناعة المعجمية وكيفية الإفادة منها في صناعة معجم عربي محوسب ولاسيما أن الاشتغال بجانب الصناعة المعجمية كان «من أوائل التطبيقات العلمية والعملية للمدونات اللغوية»<sup>(٥)</sup> في الدراسات الغربية منذ أعمال مايكل وست سنة ١٩٥٣، على أن أعمال الإحصاء كانت يدوية في البداية غربياً وعربياً كما عند داوود عبده مثلاً<sup>(٦)</sup>.

١- انظر علي القاسمي (٢٠٠٦) لسانيات المدونة الحاسوبية وصناعة المعجم العربي:

http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/conferences/conference5/12.pdf ص 32.

٢- محمود إسماعيل صالح (٢٠١٥) المدونات اللغوية وكيفية الإفادة منها، ضمن: المدونات اللغوية العربية: بناؤها وطرق الإفادة منها، تحرير صالح العصيمي، مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، ص ١٩، وانظر في المرجع تفاصيل أخرى حول التسمية والتعريفات ص ١٩-٢١.

٣- انظر للتفاصيل: توني مكناري وأندرو هاردي، لغويات المدونة الحاسوبية: المنهج و النظرية و التطبيق، ترجمة سلطان بن ناصر المجبول، دار جامعة الملك سعود. ص ٢٤-٤٠.

٤- للتفاصيل انظر: محمود إسماعيل صالح (٢٠١٥) ص ٢٢-٢٧.

٥- المصدر نفسه ص ٥٠.

٦- انظر المصدر نفسه ص ٥٠ / ٥١.

ثم ظهرت المدونة اللغوية الحاسوبية التي هي: « عبارة عن مجموعة مهيكلة من النصوص اللغوية الكاملة المكتوبة (أو المنطوقة) التي تُقرأ إلكترونيًا»<sup>(١)</sup>، ولاشك أن المدونة اللغة الحاسوبية تمتاز عن اليدوية بما تمتلكه من بساطة، وسرعة، ودقة<sup>(٢)</sup>.

والمدونة التي نعني نرى أن تُبنى من نصوص اللغة العربية المعاصرة لكن بعد مراجعة مدونة جامعة ليدز (مدونة اللغة العربية المعاصرة / corpus of Contemporary Arabic)، والمدونة العالمية للغة العربية المعاصرة من مكتبة الإسكندرية، والمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية<sup>(٣)</sup>؛ للوقوف على مدى استيعابها وملاحقتها لما تجود به اللغة العربية المعاصرة من جديد، مع الإفادة من مدونة الويب المتاحة بطبيعة الحال وفق ضوابط علمية وأخلاقية محددة<sup>(٤)</sup>.

#### ٤ - نحو مدونة حاسوبية مقلولة:

تأسيساً على ما ورد في النقطتين (٢) و(٣) أعلاه، نقترح بناء معجم عربي حاسوبي ينهض على ركيزتين:

الأولى: المقولة وفقاً لنظرية الأنموذج التي وضحناها أعلاه. وهذه النظرية ستعيننا على الإجابة عن سؤالين مهمين في عملية المقولة، وهما:<sup>(٥)</sup>

أ - لماذا نصنف الموضوع / العنصر X ضمن عناصر المقولة Z؟

١ - علي الفاسمي (٢٠٠٦) ص ٧.

٢ - انظر المصدر نفسه، ص ١٣.

٣ - انظر عبدالمحسن الشبيبي (٢٠١٥)، تصميم المدونات اللغوية وبنائها، ضمن: المدونات اللغوية العربية: بنائها وطرق الإفادة منها، تحرير صالح العصيمي، مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية. ص ١٤٩ - ١٥٠.

٤ - راجع توني مكاني وهايدي ص ١٠٧ - ١٢٩.

٥ - انظر كليبر (٢٠١٣) ص ٧٩.

ب- لماذا نطلق على الاسم Z على العنصر X ؟

ومن خلال استثمار نظرية الأنموذج ببعديها الأفقي والدلالي يمكن أن نمثل شبكة من الدلالات أو السمات، مماثلة لما يجري في الذهن والتصور البشري من التمثيل الذهني<sup>(١)</sup>، ومن ثم تُستثمر معطيات اللسانيات الإدراكية التي تعد نظرية الأنموذج واحدة من نظرياتها.

الثانية: أن تُستقى وحداته المعجمية من مدونات اللغة العربية المعاصرة سواء أكانت المدونات الحالية تفي بالغرض، أم تستدعي تصميم مدونة خاصة لهذا الغرض بناء على سؤالين محوريين وهما<sup>(٢)</sup>:

أ- ما الهدف من استخدام المدونة؟

ب- هل من شأن المدونات القائمة أن تفي بالغرض؟

إن المدونة المحوسبة ستتيح بفضل القدرة على الإحصاء الدقيق تقديم معلومات مهمة فضلا عن السمات الدلالية للوحدة المعجمية، من حيث نسبة ترددها، والمدونات الأكثر دوراناً فيها، والفترة الزمنية التي حضرت فيها بشكل أكبر، كما أنها ستزود بأمثلة فعلية من واقع الاستعمال لتلك الوحدة وفي سياقات مختلفة، فعلى سبيل المثال سنجد أن وحدة معجمية ما تكررت في مدونة الصحافة أكثر من غيرها أو في المدونة الفقهية أو الطبية، وسنجد أن وحدة معجمية أخرى أكثر دوراناً عند أدياء فترة زمنية معينة... بالإضافة لرصد التغيرات أو التحويرات في المعاني أو التصاحبات اللفظية، والتعبيرات الاصطلاحية...

وإذا كانت المدونات تحتل الشفوي والمكتوب، فإن تركيز المدونة المقترحة ينبغي أن تركز على المكتوب تحديداً وعلى مستوى لغوي محدد منه، ويوضح

١- انظر: تصميم المدونات اللغوية وبنائها ص ٢٦ / ٢٧.

٢- انظر عبدالمحسن الشيبتي (٢٠١٥)، ص ١٤٩.

هذا وكافة معايير تصميم المدونة<sup>(١)</sup>، من حيث طبيعة النصوص، وتاريخها، وجغرافيتها، وأوعيتها (صحافة- كتب- مواقع إلكترونية...)، ومجالاتها وموضوعاتها (المقالات، الأخبار، الاجتماع، الرياضة، الهندسة...).

وقد وجدنا تجربة مماثلة مع تسمّح في المقولة والمقولات، واستخدام مصطلح الموضوع (Topic) في معجم Longman الإلكتروني، كما يظهر في الصور أدناه:

The screenshot shows the Longman Dictionary of Contemporary English entry for 'rabbit'. The page includes the following information:

- From Longman Dictionary of Contemporary English**
- Related topics:** Animals, Food
- rab-bit**<sup>1</sup> / ræbɪt/ noun (S3) (noun) (rabbit)
- 1 [countable]** a small animal with long ears and soft fur, that lives in a hole in the ground
- 2 [uncountable]** the fur or meat of a rabbit
- Examples from the Corpus**
- rabbit**
  - Rabbits were part of their bounty; this classic preparation can be prepared with wild or domestic rabbit.
  - I've made a rabbit pie.
  - It was decorated with an overdressed pale-blue rabbit in non-toxic paint.
  - Nihiro-hain was the first rabbit they met.
  - Many knowing rabbit connoisseurs and hunters prize simple fried rabbit.
  - Their seven children, carved in high relief in diminishing size according to age, clustered round their feet like rabbits.
  - Remove rabbit from marinade and pat dry with paper towels.
  - When rabbit is done, remove from pan to a serving platter and keep warm.
- rabbit**<sup>2</sup> verb (rabbit)
- rabbit on
- See Verb table
- Examples from the Corpus**
- rabbit**
  - Danny Baker was born to banter, conceived to chat and has a remit to rabbit.
- Origin** rabbit (1300-1400) Probably from Walloon robeit, robele, from Middle Dutch robbe

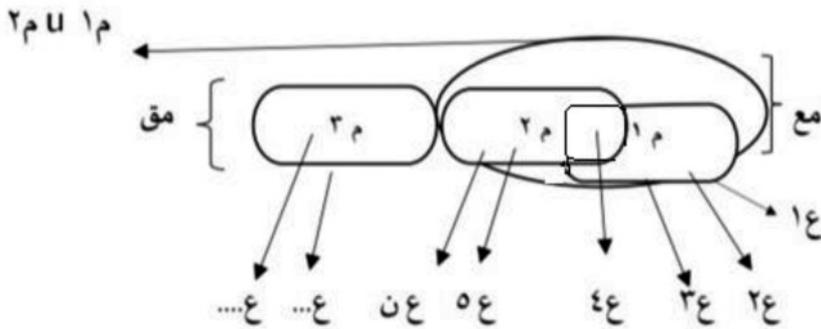
The page also features a '10/10 Exercises' badge, social media sharing icons for Facebook and Twitter, a 'More results' section with links to 'rabbit on', 'Brer Rabbit', 'Peter Rabbit', 'rabbit punch', 'rabbit warren', 'White Rabbit, the', and 'bunny rabbit', and a 'Pictures of the day' section with the question 'What are these?' and images of shoes and a rabbit.

نلاحظ في الصورة معلومات معينة يقدمها المعجم حول الوحدة المدخلة من أهمها:

- الإشارة للمصدر.
- الموضوعات (topics) المتعلقة بالوحدة المعجمية، وأشار إلى موضوعين: الحيوانات، الطعام، وهي كما نلاحظ أكثر مرونة واتساعاً من المَقُولَة لكنها من وجه آخر أقل دقة.
- أمثلة من المدونة على الوحدة المعجمية حال كونها اسمًا.
- أمثلة من المدونة على الوحدة المعجمية حال كونها فعلاً.
- على اليمين ارتباطات أخرى للوحدة المعجمية في حال استخدمت ضمن تعبير اصطلاحي (idiom) أو ماشابه.

#### ٤-١: التصور المقولي لمعجم محوسب:

نوضح في هذه الفقرة من خلال بعض الأمثلة تصورنا لتصميم معجم عربي حاسوبي مبني على المَقُولَة ومستمد من مدونة حاسوبية، مع ملاحظة أننا نتحرك أفقيًا بحسب المقولات، والعلاقة بين المقولات تحتل: علاقة الانفصال ... أو التقاطع  $\cap$ ، على المستوى القاعدي، فإذا ما ارتفعنا إلى المستوى الأعلى ستظهر علاقة التضمن أو الاتحاد  $\cup$  بين المقولات، ونتحرك رأسياً على مستوى المَقُولَة الواحدة، ويمكن تمثيل ذلك بالشكل أدناه:



حيث إن:

- مع = المستوى الأعلى .
- مق = المستوى القاعدي .
- ١م ، ٢م ... = المقولات .
- ع = العنصر داخل المقولة .

يُظهر الشكل أن العناصر تنشطر من المقولات والمقولات في مستواها القاعدي تنشطر بدورها من مستويات أعلى وكل هذا يسير ضمن مسار عمودي، وفي المسار الأفقي تكون علاقات المقولات ببعضها حيث تتدرج العناصر داخلها من الوضوح إلى الغموض، فمثلاً ع١، ع٢، ع٣ ستكون واضحة الارتباط بالمقولة وبعضها نموذجي، لكن ع٤ سيكون في منطقة تشابك أو تقاطع بين مقولتين .

عند محاولة التعريف لأحد العناصر ولاسيما ع٤، لن نكون أمام معضلة وفق نظرية الطراز؛ لأننا لا نحتكم إلى الماصدق الذي يحكم النظرة الأرسطية .

## الخاتمة

عرضت هذه الدراسة لمنطلقها الإستمولوجي ممثلاً في اللسانيات الإدراكية، وقد رامت أن تقدم مساهمة علمية في صناعة معجم عربي حديث يفيد من معطيات اللسانيات الإدراكية ولاسيما فكرة استثمار المَقُولَة، اتكاءً على أن الذهن يَمَقُول المفاهيم في العالم المدرك وغير المدرك، عبر نظام صارم ومعقد من العصبونات والشبكات العصبية، واتخذت الدراسة من معطيات نظرية الطراز / الأنموذج لروش مرتكزاً للمَقُولَة المفاهيمية للمعجم المنشود، هذا من جهة، من جهة أخرى اقترحت بناء مواد ذلك المعجم من المدونات الحاسوبية عوض بنائه من مواد المعاجم القديمة والمعاصرة، حيث تبدو تلك المعاجم معزولة عن سياقاتها الاستعمالية، ومُتِيحَةً مساحة للافتراض، وهو سيتحاشاه المعجم المحوسب المقولي المبني على مدونات من نصوص فعلية، تتيح للمستفيد من أن يطلع على نماذج استعمالية من نصوص واقعية. الأمر الذي نراه يشكل إضافة لتجويد صناعة المعجم العربي على نحو علمي عصري.

## المصادر والمراجع

- بن مراد، إبراهيم (٢٠٠١)، المقولة الدلالية في المعجم، مجلة المعجمية، ع ١٦، ١٧.
- بنكر، ستيفن (٢٠٠٠)، الغريزة اللغوية، كيف يبدع العقل اللغة؟، تعريب حمزة المزيني، المريخ للنشر.
- الثبتي، عبدالمحسن (٢٠١٥)، تصميم المدونات اللغوية وبنائها، ضمن: المدونات اللغوية العربية: بناؤها وطرق الإفادة منها، تحرير صالح العصيمي، مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية.
- جوهاري، أحمد (٢٠١٩)، المقولة ظاهرة معرفية: من التأسيس إلى التوسيع، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع ٥٥.
- حجاج، كلود (٢٠٠٣)، إنسان الكلام: مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، ترجمة رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة.
- شعير، نجلاء (٢٠١٤)، المكون الدلالي في مقولة الأداة المعجمية: حروف الجر نموذجاً، مجلة المعجمية، ع ٣٠.
- صالح، محمود إسماعيل (٢٠١٥)، المدونات اللغوية وكيفية الإفادة منها، ضمن: المدونات اللغوية العربية: بناؤها وطرق الإفادة منها، تحرير صالح العصيمي، مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية.
- صولة، عبدالله (٢٠٠٢)، المقولة في نظرية الطراز الأصلية، حوليات الجامعة التونسية - منوبة، ع ٤٦.
- عبدالواحد، عبدالحמיד (٢٠١٦)، المقولة في نظرية النموذج الأصل، سياقات اللغة والدراسات البنائية، ع ٣، ٤.
- فتجنشتاين، لودفيك (٢٠٠٧)، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبدالرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية.
- القاسمي، علي (٢٠٠٦)، لسانيات المدونة الحاسوبية وصناعة المعجم العربي // <http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/conferences/conference5/12.pdf>

- كليبر، جورج (٢٠١٣)، علم دلالة الأَمْوُذَج، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة.
- كنط، عمانوئيل (د.ت)، نقد العقل المحض، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي.
- لالاند، أندريه (٢٠٠١)، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط٢.
- لايكوف وجونسون (٢٠١٨)، الاستعارات التي نحيا بها مع تذييل طبعة (٢٠٠٣)، ترجمة عبدالمجيد جحفة، دار توبقال للنشر.
- مكناري، توني وأندرو هاردي (٢٠١٦)، لغويات المدونة الحاسوبية: المنهج و النظرية و التطبيق، ترجمة سلطان بن ناصر المجيول، دار جامعة الملك سعود.
- هانكس، باتريك (٢٠١٨) ضمن دليل أكسفور في اللسانيات الحاسوبية، مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية والمنظمة العربية للترجمة.

## References and Sources:

- Bin muradi, «ibrahim (2001), almaqulat aldalaliat fi almuejama, majalat almaejamiati, ea16, 17.
- Pinker, Steven (2000), algharizat allughawiatu, kayf yubdie aleaql allughata?, taerib hamzat almazini, almiriykh lilmashri.
- Althubitai, Abdalmuhsin (2015), tasmim almudawanat allughawiat wabinawuha, dimn: almudawanat allughawiat alearabiati: binawuha waturuq al'iifadat minha, tahrir salih aleusaymi, markaz almalik eabdallah likhidmat allughat alearabiati.
- Juhari, 'Ahmad (2019), almaqulat zahirat maerifiatun: min altaasis 'iilaa al-tawsie, majalat jil aldirasat al'adabiat walfikriati, ea55.
- Hagège, Claude (2003), 'iinsan alkalami: musahimat lisaniat fi aleulum al'iinsaniati, tarjamat ridwan zaza, almunazamat alearabiat liltarjamati.
- Shueir, Najla' (2014), almukawin aldalaliu fi maqulat al'adat almaejamiati: huruf aljari namudhaja, majalat almaejamiati, e 30.
- Salih , Mahmud liismaeil (2015), almudawanat allughawiat wakayfiat al'iifadat minha, dimn: almudawanat allughawiat alearabiati: binawuha waturuq al'iifadat minha, tahrir salih aleusaymi, markaz almalik eabdallah likhidmat allughat alearabiati.
- Sawlatu, Abdallah(2002), almaqulat fi nazariat altiraz alasiliati, hawliaat aljamieat altuwnusiati- manubatun, e 46.
- Abdalwahidi, Abdalhamid (2016), almaqulat fi nazariat alnumudhaj al'asla, siaqat allughat waldirasat albayniati, e 3, 4.
- Wittgenstein, Ludwig (2007), tahqiqat falsafiatiun, tarjamat eabdalrazaaq binur, markaz dirasat alwahdat alearabiati.
- Alqasimi, Ali (2006), Isaniaat almudawanat alhasubiat wasinaeat almuejam alearabii <http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/conferences/conference5/12.pdf>
- Klieber, Georges(2013), ealm dalalat al'unmudhaji, tarjamat rita khatiru, almunazamat alearabiat liltarjamati.
- Kant, Immanuel (di.t), naqd aleaql almahda, tarjamat musaa wahbat, markaz al'iinma' alqawmii.
- Lalande, André (2001), mawsueat laland alfalsafiati, taerib khalil 'ahmad khalil, manshurat euaydat, ta2.

- Lakoff wa Johnson ( 2018), aliastiearat alati nahya biha mae tadhyil tabeati (2003), tarjamat eabdalmajid jahfata, dar tubaqal lilmashri.
- McEnery, Tony wa Andrew Hardie (2016), lughawyat almudawanat alhasubiat: almanhaj w alnazariat w altatbiqi, tarjamat sultan bin nasirmijyuli, dar jamieat almalik saeud.
- Hanks, Patrick (2018) dimn dalil 'uksufur fi allisaniaat alhasubiati, markaz almalik eabdallah likhidmat allughat alearabiat walmunazamat alearabiat liltarjamati.
- Althubtai, Abdalmuhsin (2015), Design and build language corpus: in Linguistic corpus and how to benefit from them salih aleusaymi (editor), markaz almalik eabdallah likhidmat allughat alearabiati.
- Bin muradi, 'iibrahim (2001): the semantics category in lexicon, lexical journal. No.16, 17.
- Pinker, Steven (2000), - Pinker, Steven (2000), the language instinct.
- Arabization: Hamzat Almazini, almirykh.
- Juhari, Ahmad (2019), categorization as cognitive phenomenon: from foundation to expansion, jil aldirasat al'adabiat walfikriati journal. No.55.
- Hagège, Claude (2003) human of speech: translated by: ridwan zaza, almunazamat alearabiat liltarjamati.
- Shueir, Najla' (2014), The semantic component of the lexical tool category, almaejamiati journal, no. 30.
- Salih , Mahmud liismaeil (2015), Linguistic corpus and how to benefit from them Salih aleusaymi(editor), markaz almalik eabdallah likhidmat allughat alearabiati.
- Sawlatu, Abdallah(2002), the category in prototype theory, hawliaat aljamieat altuwnusiati- manubatu, no. 46.
- Abdalwahidi, Abdalhamid (2016), the category in prototype theory, siaqat allughat waldirasat albayniati, no. 3, 4.
- Wittgenstein, Ludwig (2007), Philosophical investigations, translated by: Abdalrazaaq binur, markaz dirasat alwahdat alearabiati.
- Alqasimi, Ali (2006), linguistic computational corpus and Arabic lexicography [http: //www.arabacademy.gov.sy/uploads/conferences/conference5/12.pdf](http://www.arabacademy.gov.sy/uploads/conferences/conference5/12.pdf).

- Klieber, Georges(2013), semantic prototype, translated by: rita khatiru, almunazamat alarabiat liltarjamati.
- Kant, Immanuel (?), The Critique of Pure Reason, translated by: musaa wahbat, markaz al'iinma' alqawmii.
- Lalande, André (2001), Laland's Philosophical Encyclopedia translated by: khalil 'ahmad khalil, manshurat euaydat, (2 edition).
- Lakoff wa Johnson ( 2018), Metaphors we live by, translated by: Abdalmajid jahfata, dar tubaqal lilynashri.
- McEnery, Tony wa Andrew Hardie (2016), corpus, translated by: Sultan bin nasiralmijyuli, dar jamieat almalik saeud.
- Hanks, Patrick (2018), in: the Oxford handbook of computational linguistics, translated by: Tariq Ibraheem, markaz almalik eabdallah likhidmat allughat alarabiat walmunazamat alarabiat liltarjamati.
- Rosch, Eleanor (1975), Cognitive Representations of Semantic Categories, Journal of Experimental Psychology: General 1975, Vol. 104, No. 3, 192-233.
- Rosch, Eleanor (1975b), Family Resemblances: Studies in the Internal Structure of Categorie, COGNITIVE PSYCHOLOGY 7, 573-605.
- Rosch, and others (1976) Basic Objects in Natural Categories, COGNITIVE PSYCHOLOGY 8, 382-439.
- Rosch, Eleanor (1973), ON The internal structure of perceptual and semantic categories , cognitive development and the acquisition of language.
- Rosch, and B. Lloyd (1978), (Eds.), Cognition and Categorization (pp. 27-48). Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

صناعة الترسُّل عند  
القاضي الفاضل (٥٢٦-٥٩٦هـ)  
دراسة في الأسلوب

**The Messenger Industry according to  
The Honorable Judge (526-596 AH)  
Study in style**

د. سعد عبد الله مقداد

قسم اللغة العربية كلية الآداب - جامعة العلوم التطبيقية الخاصة  
عمّان - المملكة الأردنية الهاشمية

**Dr. Saad Abd Allah Jebriil Meqdad**

Arabic Department - Faculty of arts - Applied Science Private University - Jordan

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.08>

تاريخ تسلم البحث 2019/05/08 - وصدر خطاب القبول 2020/03/11





## Abstract

The research is based on the hypothesis that what the Honorable Judge came up with is a historical and literary record that reveals the features of his era in which he lived in the shadow of wars and battles that Muslims fought against the Crusaders and Franks, and the research highlights the leadership and administrative role that the Honorable Judge played through his work In the Board of Directors, he helped raise the morale of the armies, and prepared them morally to meet the enemy, and the importance of the events that the nation went through at that time, the letters of the Honorable Judge were the best monitor for them, to achieve through his literary creativity the purpose of these letters to influence and accept others. Therefore, Al-Fadel's linguistic methods varied in order to achieve the intended goal. The research was based on two original sources of al-Fadel's letters, as a starting material in which to study the study, in order to reach its goal and achieve its goal. In order to reach the research goal, the researcher relied on a descriptive and analytical method that proceeds from extrapolating the material of the letters and looking at their content, through stylistic analysis, and ending with the conclusion of a number of results.

## ملخص البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها أنّ ما جاء به القاضي الفاضل يعدّ سجلاً تاريخياً، وأدبياً يكشف عن ملامح عصره الذي عاش فيه في ظلّ الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون ضدّ الصليبيين والفرنجية، ويسلّط البحث الضوء على الدور القيادي والإداري، الذي قام به القاضي الفاضل من خلال عمله في ديوان الإنشاء؛ فقد ساعد في رفع معنويات الجيوش، وإعدادهم إعداداً معنوياً للقاء العدو، ولأهمية الأحداث التي مرّت بها الأمة آنذاك كانت رسائل القاضي الفاضل خير راصد لها، ليحقق من خلال إبداعه الأدبيّ غرضه من هذه الرسائل في التأثير والقبول لدى الآخرين. لذا تنوعت أساليب الفاضل اللغوية بما يحقق الهدف المقصود. واستند البحث إلى مصدرين أصيلين من رسائل الفاضل ليكونا مادةً أولىّة تنقّب الدراسة فيهما، كي تصل إلى مرادها، وتحقق غايتها. وبلوغاً لمراد البحث فقد اتكأ الباحث على منهجٍ وصفيّ تحليليّ ينطلق من الاستقراء لمادّة الرسائل والنظر في مضمونها مروراً بتحليلها أسلوبياً، وانتهاء بالخلوص إلى عدد من النتائج.

كلمات مفتاحية: القاضي الفاضل - الترسُّل - الرسائل الديوانية (الرسمية) - التحليل الأسلوبى - الصورة الفنية.



## مقدمة

تستلهم أيُّ أمةٍ معالمَ مجدِّها ورقبيَّ وجودها مما تحقِّقه من منجز تنماز به من غيرها؛ وهذا بطبيعة الحال لا يُتحصَّل إلا بتضافر العناصر والمقومات؛ ويأتي في مقدِّمتها وحدة الصفِّ واتفاق الكلمة وحسن الإدارة للأمور. ولعلَّ ما يمتلكه ذوو الحنكة والذكاء السياسي من حكمة في الرأي، وحسن تدبير لا بدَّ له من وسيلة لا تقلُّ أهمية عن حسن الإدارة، إذ تتطلب قدرة في التأثير والتغيير؛ تأثير قوي سريع المفعول على صاحبه، تجعل ممن يتعامل معها مدركاً أهميتها وآثارها. تلکم الوسيلة استطاعت أن تنهض بالأمّة أو أن تدمر مجتمعا بأسره، بل مازالت أساساً مكيّناً في أيّ دولة أو مجتمع مستقر، وليست بمكنة أيّ أحد إتقان أسرارها وفنونها التي تحقّق غاياتها، فهي أولاً فنٌّ وصناعة يستدعيان قدرة عالية على الكتابة الإبداعية ذات الأثر العميق والنظر البعيد، فنٌّ يزخر برقيّ الأسلوب وتمائزه، وبراعة النظم واستحضار مستلزمات البلاغة من صور وتشبيهات واستعارات وكنيات، وانتقاء اللفظ، وعضوبة الكلام، ورشاقة الحرف أو جزالته. وهي صناعةٌ تستدعي قدرة صاحبها على استيعاب جوانب الموضوع وإلمامه بأطرافه؛ كي يكون رأيه وجيهاً، وصوغه لما هو مطلوب منه موفّقاً، يبلغ المراد بتميّز وفرادة نوعية.

والرسالة؛ ذلك الفن الأدبيّ الذي أثبت وجوده وأثره منذ زمن بعيد، استطاع أن يرسي قواعد البناء أو أن يهدم أركانها؛ لأنه المحرّك الرئيس لأيّ حالة إنسانية تفاعلية تجاه الأحداث والمواقف. ولا يكاد هذا الفنّ يفرض حضوره بقوة في كثير من صور الحياة؛ حلوها ومرّها، سلمها وحربها، فرحها وحزنها؛ لذا كانت فكرة وجود ديوان الإنشاء أو الكتابة أمراً حتمياً في أيّ نظام حاكم يتولّى شؤون الدولة حرصاً على توطيد العلاقات والارتقاء بمكانتها على كافة الصّعد.

هذه الصناعة المؤثرة استطاعت أن تحرّك الجيوش وترفع معنوياتهم وتستنهض

همهم وتقلق مضاجع خصومهم، وتقوي أوامر الأخوة والمحبة بين المجتمعات؛ ولعلّ اتخاذ القائد صلاح الدين الأيوبي للقاضي الفاضل (عبدالرحيم البيساني) رئيساً لديوان الإنشاء دليل على مكانة الرسائل والكتابة آنذاك في تثبيت أركان الدولة وتمكين وجودها ومنجزها بما تمتلكه من قدرات تأثيرية عميقة أحياناً. أثر هذا الفنّ وهذه الصناعة لا يمكن إنكاره بأيّ حال، وهذا ما يستدعي النظر في أسباب تميّز ذلك الفنّ الذي استحوذ كثيراً على المشهد عامّة، واقتضى حضوره في أهمّ مفاصل الدولة على اختلاف العصور والحقب. ويبدو السؤال الأكبر حول سرّ هذا الاهتمام بالرسائل خاصة لدى الساسة وصناع القرار، بل وحرصهم على اختيار من يتولّى هذا المنصب الحساس من ذوي الفريدة في الكتابة والإنشاء ورفعته الأسلوب الكتابي وأثره في المخاطب؟ وهل أسس القاضي الفاضل من خلال أسلوبه في الكتابة مدرسة خاصة أفاد منها معاصروه واللاحقون؟ هل يحسن برسائل القاضي الفاضل أن تكون سجلاً تاريخياً لأحداث ماضية مهمة؟

هذه التساؤلات تقتضي بحثاً مستفيضاً للإجابة عنها؛ ولذا فإنّ اتباع المنهج الوصفي التحليلي الذي يفيض إلى شيء من البحث الأسلوبّي يمكن أن يعين الباحث في الوصول إلى إجابات شافية مقنعة، وتحقيقاً للموضوعية العلمية لا بدّ من الإشارة إلى عدد من الدراسات والمؤلفات السابقة ذات الأهمية بمكان في هذا الموضوع، وعليه لن تكون هذه الدراسة بدعاً في هذا المجال بل هي إضافة لتلك الجهود مع شيء من التركيز والتعليل لبعض الأمور والقضايا، ولعلّ أهمّ تلك الدراسات السابقة تتمثل في الآتي:

- رسائل القاضي الفاضل، دراسة أسلوبية، باسم ناظم سليمان، مجلة كركوك للدراسات الإنسانية، ٢٠١١.
- أصداء الحروب الصليبية في أدب القاضي الفاضل، حلمي عبدالفتاح،

رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ١٩٨٧.

- أدب الرسائل في العصر الأيوبي، القاضي الفاضل نموذجاً، سلطان الحريري، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، ٢٠٠٠.

وغيرها من الدراسات الأدبية، أو الدراسات التي تناولت فن الرسالة تناولاً تاريخياً حسب.

وبطبيعة الحال، فإن الباحث سينظر في بعض تلك الدراسات ويفيد منها، وستكون له بصمات ربما تكون إضافية لما جاء به السابقون.

وبلوغاً للمأرب فإن دراسة فن الترسل عند القاضي الفاضل ستنتقل من مادة رسائله التي وصلتنا مما جُمع هنا وهناك؛ إذ تشكل بعمومها صورة نابضة بالحياة الاجتماعية والسياسية آنذاك، وتكشف الآثار التي أحدثتها تلك الرسائل في المتلقين.

### أصالة فن الرسالة لغة واصطلاحاً

تنتمي الرسالة لغويّاً إلى الجذر اللغوي رسل وهو «أصل واحد مطردٌ منقاسٌ يدل على الانبعاث والامتداد، فالرسل: السر السهل، وناقاة رسله: لا تكلفك سياقاً، وناقاة رسله أيضاً: لينة المفاصل، وشعر رسل، إذا كان مسترسلاً، والرسل: ما أرسل من الغنم إلى الرعي»<sup>(١)</sup> والترسل كالرسل، والترسل في القراءة والترسيل واحد وهو التحقيق بلا عجلة وقيل: بعضه في أثر بعض، وترسل في قراءته: أتاد فيها، وتراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض، وسُمِّي الرسول رسولاً؛ لأنه ذو رسول، أي ذو رسالة، والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة<sup>(٢)</sup>.

١- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دمشق: اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٢، ٣٩٢/٢.

٢- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، مادة رسل.

وتستدعي هذه الدلالات اللغوية أن تكون الرسالة بين طرفين أولهما: مُرْسِلٌ، وثانيهما: مُرْسَلٌ إليه، وقد فرَّق ابن وهب الكاتب بين الرسالة والترسُّل، حيث جعل الترسُّل لمن تكرر لديه فعل المراسلة أما الرسالة، فإنها لمن فعل ذلك مرة واحدة؛ إذ يُقال له: «أرسل يُرسل إرسالاً، وهو مُرسلٌ والاسم: الرسالة، أو راسل يُراسل مُراسلةً، وهو مُراسلٌ، وذلك إذا كان هو ومن يُراسله قد اشتركا في المراسلة»<sup>(١)</sup>، وهذه لمحة عجلية إذ شاع اصطلاح الترسُّل والرسالة في الأدب العربي القديم، ومن ثمة كانت التفرقة بينهما من الأهمية بكان، وإن كان قد جعل الأصل الاشتقائي لهما واحداً من حيث إنه كلام يُراسل من بعيد.

أما إذا توقفنا عند المعنى الاصطلاحي للرسالة، فيمكن القول إنها: «تحميل جملة من الكلام إلى المقصود بالدلالة، وهو حدٌ صحيح لما أن كل رسالة فيما بين الخلق هي الوساطة بين المُرسِل والمُرْسَل إليه في إيصال الأخبار»<sup>(٢)</sup> وغيرها مما يريد المُرسِل إيصاله إلى المُرسَل إليه مما يتضمن الأغراض أو الموضوعات التي تتناولها الرسالة «من حكاية حال من عدو أو صيد أو مدح وتقريض، أو مُفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى»<sup>(٣)</sup>، ومن هذه الموضوعات أو الأغراض كذلك «الإحماد والإذمام والثناء والتقريض والذم والاستصغار والعدل والتوبيخ»<sup>(٤)</sup>، وكلها موضوعات تشترك فيها الرسائل مع الخطب، ومنها كذلك أنها تستعمل في إصلاح ذات البين، وإخماد نيران الحرب، واحتمال الدماء وعقود الإملاك والإشادة والمناقب، ويستعمل الترسُّل «في الاحتجاج على من زاغ من

- ١- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفي محمد شرف، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٩، ص ١٥٢.
- ٢- الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٨، ص ٤٧٦.
- ٣- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر ١٤٣، مصورة عن طبعة دار الكتب السلطانية، ط ٢، ٢٠٠٤، ١٤/ ١٣٨.
- ٤- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٧١، ص ١٦٢.

أهل الأطراف، وذكر الفتوح، وفي الاعتذارات والمعاتبات، وغير ذلك مما يجري في الرسائل والمكاتبات»<sup>(١)</sup>.

عمّت أخبار القاضي الفاضل كثيراً من كتب التراث والأدب؛ لما لصاحبه من كبير أثر في تحقيق أعظم الإنجازات السياسيّة والاجتماعيّة مُتَّخِذاً من قلمه أداة ذات مآرب عدّة؛ فمرّة لتحفيز الجيش والعسكر على قتال الأعداء، ورفع معنويّاتهم، وأخرى لتهنّئتهم بما حقّقوا من انتصارات وإنجازات، ومرّة ثالثة لتقديم التعازي أو طلب الشفاعة، وغيرها من القضايا التي كانت تشغل هذا القائد والإداريِّ الفذّ، كلّ ذلك في عصر سادت فيه الاضطرابات والفتن والحروب التي حلّت بالدولة الإسلاميّة، فقد «كان رحمه الله هو الدولة الصّلاحيّة، كان كاتبها ووزيرها، وصاحبها ومشيرها والحامل لكلّها، والحاكم في كلّها، والمجهّز لبعوثها،...، فلهذا أذعنت لقلمه الرّماح، وطلبت صلح كلمه الصّفاح، إذا سافر كان هو المسائر للسلطان إذا ركب، والمسافر إذا جلس، وكان إذا تأخّر السلطان في بلد ناب عنه فيه، أو كان له ردءاً لمن ينوب فيه من إخوة السُّلطان وبنيه، ويكون هو القائم بالملك والقائل بالحياة والهلك»<sup>(٢)</sup>.

لقد شهد صلاح الدين الأيوبيّ بدور القاضي الفاضل الفكريّ والإداريِّ البارز في استرداد الأراضي المقدّسة وفي تأثيره فيه، وفي حكمه وذلك حينما خاطبَ عساكره وقادته بعد أن اهتزت صفوفهم في معركة عكا:

١- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مصدر سابق، ص ١٥٠.  
٢- العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٧، لوحة ٢٨٧، نقلاً عن كتاب رسائل عن الحرب والسّلام من ترسُّل القاضي الفاضل، اختيار موفق الديباجي، تحقيق محمد نغش، القاهرة: دار الثقافة، ط١، ١٩٧٨م، مقدّمة المحقق، ص٦. وانظر بدوي، أحمد أحمد، القاضي الفاضل: دراسة ونماذج، القاهرة: مطبعة الرسالة، ط١، ١٩٦٧م، ص٢٦-٢٧، وانظر هادية دجاني، القاضي الفاضل، مرجع سابق، ص٢٤.

«لا تظنّوا أنّي فتحت البلاد بسيفكم، إنّما فتحتها بقلم القاضي الفاضل».<sup>(١)</sup>

لقّب القاضي الفاضل بهذا اللقب عندما كان في الإدارة المصريّة في مصر؛ والفاضل بصورة خاصّة لقب له دلالة خُلقية تشير إلى مُثلٍ تحلّى بها في أثناء عمله الإداري.

عمل القاضي الفاضل في مستهلّ حياته بالإدارة المصريّة في الإسكندريّة والقاهرة خلال المدة ما بين سنة ٥٤٩هـ وسنة ٥٦٥هـ وما لبث أن تدرّج في مناصب عدّة<sup>(٢)</sup> إلى أن أصبح وزيراً مرموقاً في دولة صلاح الدّين الأيوبيّ في سنة ٥٦٧هـ. ولعلّ ما تميّز به القاضي الفاضل من هذه الدرجة المرموقة دعا كثيراً من المؤرّخين والأدباء يسرعون لنقل أخباره والإشارة إلى إنجازاته، وتناول الشعراء والعلماء آثاره التي تنوّعت بين شعرٍ ونثرٍ مرسل. هذه صورة شموليّة لشخصيّة فذة شغلت عصرها قرابة نصف قرن.

### سيرة حياة القاضي الفاضل:

#### — جذوره ونسبه:

هو عبد الرّحيم بن عليّ بن محمّد بن الحسن اللّخميّ، وُلد يوم الاثنين الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ستّ وعشرين وخمسمائة للهجرة، وفي رواية أخرى سنة تسع وعشرين وخمسمائة للهجرة، والأرجح أنّه وُلد سنة ٥٢٦هـ؛ لأنّه يذكر في إحدى رسائله أنّه تجاوز السّبعين عامًا، يقول: «فإنّ السبعين جُزّت عتبتها، وقطعت عقبته، وأسأل الله الخير في القدوم عليه، واللفظ عند

١- سبط ابن الجوزي، يوسف، مرآة الزّمان، تحقيق وترجمة: ريتشارد جويت، شيكاغو: جامعة شيكاغو، ط١، ١٩٠٧م، ٨/٣٠٤.

٢- ينظر: دجاني، هادية، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩٣م، ص٢٥.

الوقوف بين يديه». وقد كان مولده في عسقلان.<sup>(١)</sup>

قضى عبد الرحيم البيسانيّ نحو سبعة عشر عاماً من حياته في عسقلان - وهي مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوباً<sup>(٢)</sup> - في كنف والديه، فدرس القرآن والحديث وديوان الحماسة، وغيرها من العلوم، في جوامع المدينة التي كانت موئلاً للفقهاء من فلسطينيين وغيرهم ممن أراد الجهاد والشهادة. في تلك المدة الحرجة التي كانت خلالها معنويات أهالي عسقلان والمسلمين في الشام ومصر محبطة لتوالي الهزائم والإحباطات، تركّزت آمال الجميع على مُنقذ يأخذ بيدهم إلى طريق النصر، فظهر عماد الدين زنكي، ونادى للجهاد وكسر الفرنج في الرُّها، وحرّرها سنة ٥٣٩هـ، فأحيا الآمال بالنصر، وأعاد للمسلمين شيئاً من الثقة بالنفس فالتفوا حوله وساندوه، وأذاعوا نبأ نصره.

كان عبد الرحيم آنذاك قد بلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، وكغيره من أهل عسقلان تفاعل مع انتصارات عماد الدين، وأصبحت نظرتَه إلى القائد المجاهد تتمثل في شخصيّة عماد الدين زنكي، ثم في صلاح الدين الأيوبيّ فيما بعد.

وبهذا بدأت تتحدّد لعبد الرحيم البيسانيّ رؤية الجهاد، رؤية موسّعة، غير محدّدة بالدفاع عن مدينته فقط أو باستعادة مدينة أخرى، بل حركة فكريّة عسكريّة شاملة تشترك فيها القوى جميعها، لتحقيق هدف معيّن هو إعادة الأراضي إلى أهلها، وتطهيرها من مغتصبيها، وإحلال مبادئ الحقّ والعدل فيها.

وفي الوقت الذي أخذت الجبهة الفرنجيّة الشاميّة تتصدّع وتتحجّم بسبب انتصارات عماد الدين زنكي، ومن بعده ابنه نور الدين محمود، رأى الفرنج أن يبحثوا عن جبهة أخرى يمدّون فيها نفوذهم العسكريّ، ويتوسّعون باحتلال

١- ينظر: ابن خلّكان، شمس الدين أحمد بن محمّد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٧٢م، ٣/١٦١-١٦٢.

٢- ينظر: الحمويّ، ياقوت، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، د.ط، ١٩٦٨، ٦/١٧٤.

أراضيها، فأخذوا يتطلّعون إلى مصر، وحتى يتحقّق لهم ذلك، كان لزاماً عليهم احتلال عسقلان - بؤابة مصر -، فضاعفوا من مضايقتهم المدينة، بفرض الحصار حولها. وكان عبد الرحيم في تلك الأثناء يدرس ويصغي إلى ما يروى من أحاديث الجهاد التي كثر شيوخها في تلك المدة، ويشاهد مقاومة أهالي عسقلان للفرنج، وقد يشارك فيها. فالمعروف عن أهل المدينة أنّهم كانوا يهبّون هبة واحدة للدّفاع عنها. ومهما يكن من أمر، فإنّ آراء القاضي الفاضل في الجهاد والمقاومة وجدت بذورها في تلك المدة المبكّرة من حياته بسبب خبرته العمليّة والنّظريّة. كما أنّ نشأته الدّينيّة والأدبيّة، وجوّ عسقلان المشحون بعدم الاستقرار والتّعبئة المتواصلة، أثرا أكبر الأثر في بناء شخصيّته القياديّة.<sup>(١)</sup>

حدث تحوّل كبير في مسيرة عبد الرحيم البيساني عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره، إذ أرسله والده إلى مصر ليتلقّى العلم بديوان المكاتبات، الذي كان يرأسه حينئذٍ الموقّق يوسف بن الخلال<sup>(٢)</sup>، الذي درّبه على صناعة الإنشاء. وبعد خمس سنوات من مجيء القاضي الفاضل إلى مصر حوالي سنة ٥٤٨هـ، والتحاقه بديوان الإنشاء في القاهرة، نرى طموحه يدفعه لنيل وظيفة مرموقة فيتّصل بابن حديد قاضي الإسكندريّة وناظرها، الذي استكتبه وقرّر له راتباً يتقاضاه، وظلّ القاضي الفاضل بالإسكندريّة زهاء ثماني سنوات، حتّى تولّى الوزارة في القاهرة العادل رزيك<sup>(٣)</sup> بن الصّالح طلائع، فوجد أنّ الرسائل التي كانت ترد من

١- ينظر: دجاني، هادية، القاضي الفضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، مرجع سابق، ص ٤٠ / ٤١.

٢- ينظر: يوسف بن الخلال: صاحب ديوان الإنشاء بمصر في عهد الحافظ ومن بعده، ولم يزل إلى أن طعن في السنّ، وعجز عن الحركة، فانقطع في بيته، وكان القاضي الفاضل يرعى له حقّ الصّحة والتعليم، فكان يجري عليه كل ما يحتاج إليه إلى أن مات سنة ٥٦٦هـ (ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ٤٠٧ / ٢).

٣- العادل رزيك: ولي الوزارة للعاقد آخر خلفاء الفاطميين بعد مقتل أبيه الصّالح طلائع بن رزيك، في التاسع عشر من رمضان سنة ٥٥٦هـ، وظلّ في دست الوزارة حتّى خرج عليه شاور بن مجير، الذي اقتحم عليه القاهرة في الثاني والعشرين من محرّم سنة ٥٥٨هـ، وولي الوزارة مكانه. ينظر: (ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ٢٩٣ / ١).

الإسكندرية بقلم القاضي الفاضل قد أثارت انتباهه، فبعث إلى والي الإسكندرية أن يرسل القاضي الفاضل إلى القاهرة، حيث جعله رئيساً لديوان الجيش. ولكن الزمن لم يمهل رزيك حتى ينال منه القاضي آماله على يديه، فلم يلبث أن قتل على يد شاور، ودفع الوفاء القاضي الفاضل أن يرثي رزيك وأسرته.

ثم اتصل القاضي الفاضل بأصحاب الوزارة الجديدة، وتوثقت الصلة بينه وبين شجاع بن شاور، حتى صار أكبر من اتصل به القاضي الفاضل في عصر الدولة الفاطمية<sup>(١)</sup>. وفي هذه الأثناء توفي الموفق بن الخلال سنة ٥٦٦هـ، فحل محله نائبه القاضي الفاضل الذي رأس ديوان الإنشاء للخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين.

وقد أعجب أسد الدين شيركوه عندما ولي الوزارة العاضد بإتقان القاضي الفاضل وسمته ونصحته، مما حدا بالسلطان صلاح الدين الأيوبي أن يستعين به على إزالة الدولة الفاطمية<sup>(٢)</sup>.

وفي عهد السلطان صلاح الدين حظي القاضي الفاضل بمنصب الوزارة وديوان الإنشاء<sup>(٣)</sup>، وأصبح المتحدث الرسمي بلسان السلطان في الداخل والخارج، وصار أعز عليه من أهله وأولاده.

وقد صحب القاضي الفاضل السلطان صلاح الدين في غزواته بالشام، بين سنتي ٥٨٥ و٥٨٦هـ، ثم أقام بمصر، ليشرّف على الإدارة المالية، ويعمل على تجهيز الجيش والأسطول، وبعده عاد إلى الشام بجوار السلطان صلاح الدين، وظل بالقرب منه حتى مرضه الأخير، وشاهد وفاته في السابع والعشرين من صفر سنة

١- ينظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ)، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر

١٤٣، ط ٢٠٠٤، مصورة عن طبعة دار الكتب السلطانية، ٩٦/١.

٢- ينظر: الخطب المقرزية، ٤/١٩٧، نقلا عن مقدّمة محقق كتاب رسائل عن الحرب والسلام من ترسل

القاضي الفاضل، مصدر سابق، ص ٥.

٣- ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ٩٧/١.

تسع وثمانين وخمسمائة، ورأى القاضي الفاضل أن يدفن مع السلطان صلاح الدين سيفه الذي كان معه في الجهاد<sup>(١)</sup>.

وبعد هاترك القاضي الفاضل دمشق وعاد إلى القاهرة، ليتصل بخدمة العزيز ملك مصر، ولكن سرعان ما تنشب الحرب ما بين الأخوين؛ العزيز والأفضل، ويموت العزيز ويترك أطفالاً صغاراً، ويتولّى الأفضل الوصاية عليهم، ولكن الأحوال اضطرت في عهده، ويظهر أن القاضي الفاضل لما أحسّ باضطراب أحوال الأسرة المالكة، والتّصارع من أجل الملك، وتعدّز إصلاح ذات البين بينهم، اعتزل السياسة، وأقبل العادل من الشّام إلى مصر، يريد أخذها من الأفضل، وفي ليلة اليوم الذي دخل فيه العادل القاهرة، توفّي القاضي الفاضل يوم الثلاثاء أو الأربعاء السّادس أو السّابع من ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين وخمسمائة للهجرة، فكان العادل داخلاً باب النّصر، وجنازة القاضي الفاضل خارجة من باب زويلة.<sup>(٢)</sup>

### شهادات وإشادات:

أشاد معاصرو القاضي الفاضل ببلاغته، ومنهم العماد الأصفهانيّ الكاتب، حيث قال في وصفه: «ربّ القلم والبيان، واللسن واللسان، والقريحة الوقّادة، والبصيرة النّقادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المطرّزة والفضل الذي ما سمح له بمائل في الأوائل، .....، فهو كالشّريعة المحمّديّة التي نسخت الشّرائع، ورسخت بها الصّنائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبيكار، ويطلع النّوار، ويبدع الأزهار»<sup>(٣)</sup>.

١- ينظر: أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت: دار الجيل، د. ط، د. ت، ٢/ ٢١٤-٢١٥.

٢- ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢٤١.

٣- الأصفهاني، عماد الدين، خريدة القصر وجريدة العصر: شعراء مصر، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٦٢م، ١/ ٣٥.

ويبدو أنّ حديث العماد الأصفهاني يحمل نبرة المبالغة في الوصف والتمدح والثناء على القاضي الفاضل حتّى لكأنّه قرّب تشبيهه بخاتم الرّسالات السماويّة، والتّفرد عن غيره، ولا ندري سبب هذه المبالغة مع يقيننا بتميّز القاضي الفاضل وتندّر صفاته غير أنّ هذا لا يصل إلى الحدّ الذي وصفه فيه صاحب كتاب الخريدة.

ويشهد له مؤرّخوه بأنّه امتاز في النثر والشعر معاً، فهذا ابن حجّة الحموي يقول: «نظمه ونثره رضيعاً لبان، وفرساً رهان».<sup>(١)</sup>

ومن أشاد برسائله الديوانيّة النويري، إذ يقول: «إليه انتهت صناعة الإنشاء ووقفت، وبفضله أقرت أنباء الزمان واغترفت، وأمام فضله ألفت البلاغة عصاها، وبين يديه استقرت به نواها، فهو كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره، ناشر ألوية الفضل في مصره وغير مصره، ورافع علم البيان لا محالة، والفاضل بغير إطالة، وقد أنصف بعض الكتّاب فيه، من تفضيله بملء فيه، حيث قال: «كلُّ فاضل بعد الفاضل فضلة، وكلُّ قد عرف فضله».<sup>(٢)</sup>

### فنّ الترسُّل عند القاضي الفاضل:

يتغيّياً دارس الأدب الوصول إلى الحقائق من خلال مادّة هذا الأدب المتناثر في مظانّ عدّة، وفي بحثنا هذا ننطلق من مادّتين أساسيتين من موادّ أدب القاضي الفاضل، النثرية خصوصاً، لتكون أساساً نطلّ من خلاله على مضامين هذا الأدب، وما يفضيه إلينا من حقائق وملامح خاصّة به. فكان كتاب «الدرّ النظيم من ترسُّل عبد الرحيم» من اختيار: محيي الدين بن عبد الظاهر، وكتاب «رسائل عن الحرب والسّلام» من اختيار موفق ابن الديباجي. وقد اختار كلُّ واحدٍ منهما عددًا من

١- الحموي، ابن حجّة، ثمرات الأوراق، ص ٥٣، نقلا عن كتاب رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضي الفاضل، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص ٩.

٢- النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٣٣م، ١ / ٨.

الرسائل الديوانية والإخوانية منسوبة إلى القاضي الفاضل.

### قراءة في المضمون (موضوعات الرسائل)

جاءت مضامين رسائل القاضي الفاضل في محورين أساسيين؛ الرسائل الديوانية، والرسائل الإخوانية. وكان للرسائل الديوانية نصيبها الأكثر وفرة خاصة في مادة هذا البحث التي توزعت بين كتابي ابن عبد الظاهر وابن الديباجي. وفي ما يأتي تفصيل ذلك:

#### أولاً - الرسائل الإخوانية:

أورد مختار كتاب الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم مجموعة من الرسائل الإخوانية التي كتبها القاضي الفاضل؛ منها: ما كان في الشوق، والتعزية، والمعاتبه، والهناء بالعافية، والتهنئة بالقدوم من الحجّ، والشكر والعتاب، وغيرها مما أثبتته محقق الكتاب في الفهرس، ومن ذلك ما جاء في كتاب تشوّقٍ ربما كان قد أرسله إلى صلاح الدين الأيوبيّ، يذكر فيها عبارة «حضرة مولاي»؛ قال:

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى      لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي  
يوهمنيك الشوق، حتى كائني      أناجيك من قرب، ولم يك عن قربي

صدرت هذه المكاتبه إلى حضرة مولاي أدام الله رفعته، وسمو نعمته، دالة على ذكر الارتياح الغالب، والثناء الراتب، وما وفره الله تعالى عندنا: من عموم العوارف، وشمول المواهب، والحمد لله على ما أفاضه من نعمه المستهله الهواضب، المنهله السحائب، والقلوب إلى تلك المشارب مشرّبة، وأسباب الخيرات مستتمّة مستتبه،...»<sup>(١)</sup>.

١ - القاضي الفاضل، الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ٦١ / ٦٢.

ومن ذلك ما اختاره ابن الديباجي من رسالة للقاضي الفاضل ردًا على رسالة شوق وصلته؛ يقول: «...، فأما ما تضمّنه من ذكر الأشواق، وشكوى نكايّة الفراق، فعندي من ذلك شوقٌ تتأجج ناره، وتتصرّم ويشتدّ أوراها، فلا يتحلّل ولا يتصرّم، فلا يستفيق القلب من ذكرى تُهيج له ارتياحًا...، ولولا تسويق النفس بالقرب لكان الوجد الآن أشدّ وأكثر، وحظّ الطّرف من التّسهيّد أوفى وأوفر...»<sup>(١)</sup>.

لقد بدت مشاعر القاضي الفاضل صادقة العواطف، وشوقه نيران تتأجج في الصّدور، ومودته باقية ما بقي الزمان، وقد جاءت ألفاظه مطواعة في إظهار مشاعره وأحاسيسه في أبهى صورة مؤثّرة. ولعلّ توظيف الأفعال المضارعة دالة على مكانة المخاطب في نفس القاضي الفاضل؛ من مثل قوله: تتأجج، وتتصرّم، ويشتدّ، فلا يتحلّل ولا يتصرّم، وغيرها. إذ إنّ دلالة الفعل المضارع زمنيًا تقضي بالتجدد والاستمرارية في معنى الفعل، وهذا بحدّ ذاته كاشف عن عمق المشاعر وعظم الأحاسيس التي يبثها منشئ تلكم الرسالة.

### ثانيًا - الرسائل الديوانية:

تركزت أغلب رسائل القاضي الفاضل الديوانية في الحديث عن موضوع الحرب؛ نظرًا لطبيعة الظروف والأحوال التي عايشها آنذاك، وقد تناول في هذه الرسائل الإعداد المعنوي للجيش الإسلامي قبل المعارك، وتذكيرهم بأهميّة الجهاد، وجزائه عند الله تعالى. فوصف لنا معارك جرت مع الفرنج وصفًا دقيقًا، مبيّنًا صورة النصر للمسلمين، وهزيمة الكفر والكافرين. ولم يتوقف القاضي الفاضل عند هذا الحدّ بل أخذ يرسل المكاتبات إلى حكام الأمصار بأمر من السلطان صلاح الدين يأمرهم بالتوجه مع جيوشهم إلى بلاد (كذا) كي يساندوا

١ - القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ٢٥٩.

إخوانهم هناك في قتال الأعداء. وله رسائل متعلّقة بما بعد النصر على الأعداء فأرسل التهاني والتبريكات بهذه الانتصارات، متمنياً مزيداً منها.

فمن رسائله في رفع معنويات الجيش وتحفيزهم للقاء العدو قوله في معنى الشوبك: «صدرت هذه المكاتبة إلى الحضرة دالة على ما نحن فيه من نعيم الله مغتبطون، وأنا بحمد الله مستظهِرون، وبنصره مستبشرون، ولآلائه حامدون، ولأعدائه مجاهدون، فأعمالنا لله بنياتٍ صالحة، وعزائمنا في سبيله مقدّمة غير ناكسة، والحصن الذي حاصروه وحاصروه في حضانة الحصانة، وقد هدّت الحجارة منه ما أحكموه بالحجارة، وعدوا عليه بالتخريب ما أعدّوه للعمارة، فعسى المنجنيقات ترمي ولا تريم سامها،...، وإن أبطأ العدو من النجدة فالنصر سريع، والحصن ومن فيه سريع، والقلوب وارفة بحسن النجح، وقد علم كل واحد منا أن متجره قد فاز بالربح، فلا يسمع منا بحمد الله من أحد ملل ولا ضجر، ولا تسفر هذه النوبة إلا عن نجح وظفر إن شاء الله.»<sup>(١)</sup>

تبعث الرسالة السابقة في نفس المتلقي الفخر والاعتزاز بما تحقّق من منجز عظيم للمسلمين زمن صلاح الدين الأيوبي، بل ترسم معالم الأمل والشعور الفرح لمن يقرأ نصّ هذه الرسالة ولا تزيده إلا رقيّاً وبهاءً. وصف لواقع الحال المشرف، وابتكار فذ للكلمات، وقدرة خلاقة على تدبيح نصّه بألفاظ ذات إيحاءات موجهة تستدعي جميع إمكاناتها التأثيرية في وجدان المتلقي، وتنزيا بثوب موشح بأفانين البلاغة والقدرة على تشكيل اللفظ حرفاً وتموضعاً، لينتج عندنا فنّ نثري إبداعي متميز.

ومن رسائله الديوانيّة الرسالة المقدسيّة التي أرسلها إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد في أواخر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ)،

١ - القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ٥٦ / ٥٧.

عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يهنئه فيها بفتح بيت المقدس، واقتلاعه من الفرنج، وإعادته إلى ما كان عليه من الإسلام؛ يقول: «أدام الله أيام الديوان (العزیز النبوی الناصري) ولا يزال مظفر الجَدِّ بكلِّ جاحدٍ، غنياً بالتوفيق عن رأي كلِّ رائدٍ، ...، كتبَ الخادمُ<sup>(١)</sup> هذه الخدمةَ تلو ما صدرَ مما كان يجري مجرى التباشيرِ لُصْبِحَ هذه العزْمة<sup>(٢)</sup>، والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة، فإنها بحرٌ للأقلام فيه سبْحٌ طويل، ولطفُ الحقِّ تحمُّلُ الشكرِ فيه عبءٌ ثقيل، ...، والله تعالى في إعادة شكره رضا، وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه: هذا مضى، ولقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصيرها، ...، وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنه، والفوز معروضاً فقد بُذلت الأنفُسُ في ثمنه، ...، وكانت الأرض المقدَّسة الطاهرة وكانت الطَّامث، والرَّبُّ المعبود الواحد وكان عندهم الثالث، فيبوت الشُّرك مهذومة، ونيوبُ الكفر مهتومة<sup>(٣)</sup>...»<sup>(٤)</sup>.

لقد ضمَّن القاضي الفاضل هذه الرسالة وصفاً دقيقاً للمعركة ومجرياتها ونتيجتها؛ يقول: «... وفي هذا اليوم أُسِرَت سراتهم، وذهبت دهاتهم، ولم يُفلت منهم معروفٌ إلاَّ القومص<sup>(٥)</sup>، وكان لعنه الله ملياً يوم الظفر بالقتال، وملياً يوم الخذلان بالاحتيال، فنجأ، ولكن كيف؟! وطار خوفاً من أن يلحقه منسر الرَّمح، وجناح السيف، ثم أخذَه الله بعد أيام بيده، وأهلكه لموعده، فكان لعدَّتهم فذلك، وانتقل من ملك الموت إلى مالك...»<sup>(٦)</sup>.

١- يقصد بالخادم هنا: صلاح الدين الأيوبي.

٢- العزْمة: أي الفتح والنصر.

٣- هتم فاه: ألقى مقدم أسنانه. ينظر الدر التنظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ٢١، حاشية ١٣.

٤- القاضي الفاضل، الدر التنظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ١٥-٢١. وينظر نص الرسالة في كتاب القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ١٦٦-١٨٨.

٥- القومص: لفظ معرَّب، ويعني الحاكم أو الخارس، ينظر الدر التنظيم، مصدر سابق، ص ٢٤، حاشية ٩.

٦- القاضي الفاضل، الدر التنظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ٢٤/٢٥. وينظر: القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ١٧٧.

ومن رسائله أيضاً كتاب شفاعة إلى الملك العزيز لفقيه لم يذكر اسمه كان مملوكاً للمولى الأمير المرحوم، يطلب إبقاء مسجده بيده، ويسأل الإنعام في تنفيذ طلبه؛ يقول: «أدام الله السلطان، ولا يزال زمنه للأمال المجدبة ربيعاً وسلطانه عماداً للإسلام ربيعاً،...، هذه الخدمة صادرة على يد الفقيه فلان مملوك المولى الأمير المرحوم، وقد كان الأمير رحمه الله من ولاء المولى وخدمته، بحيث يستوجب الرعاية في أصحابه بعد وفاته كما كان في أيام حياته،...، وقد أنعم السلطان - عز نصره - على هذا الفقيه المذكور بتوقيع بالخط الشريف بإبقاء مسجده بيده، وهو يسأل الإنعام في تنفيذها على يده من الأمر المطاع، وإنجازه هذا الاستشفاع، وصيانة ما وهبته الأيدي السلطانية أعلاها الله عن الارتجاع وتوفيرها كان باسمه من هذه الجهة في حياة صاحبه عن التحيف والإقطاع،...»<sup>(١)</sup>.

### البناء الفني لرسائل القاضي الفاضل:

تجلى للباحث - في أثناء قراءته رسائل القاضي الفاضل التي واكبت الحروب الصليبية - نمطان من الرسائل: أولهما؛ من السلطان صلاح الدين إلى الخليفة العباسي وأمراء المسلمين، ينقل إليهم أحوال المقاتلين المسلمين في ساحات القتال، وثانيهما؛ من القاضي الفاضل نفسه إلى صلاح الدين الأيوبي. أما النمط الأول منهما؛ فقد أشار إليه القلقشندي، فوجد أن الكتاب الذين كتبوا على هذا النمط كانوا غالباً ما يستهلون تلك الرسائل بحمد الله تعالى على نعمة الفتح، ثم يتحدثون عن عزم المسلمين على لقاء العدو، ويصفون الفريقين المتحاربين وما دار بينهما في ميادين القتال، ثم يتوقفون عند نتائج المعركة وآثارها، وبعد ذلك يختتمون كتبهم بحمد الله والصلاة على نبيه<sup>(٢)</sup>. ولكنهم كانوا يراوون في بداياتهم فمنهم

١ - القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ٣٢ / ٣٣.

٢ - ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ٨ / ٢٧٥ - ٢٧٧.

من يأتي بذكر الخليفة والدعاء له في صدر رسالته<sup>(١)</sup>، ومنهم من يستهلّ بآيات قرآنية مناسبة للغرض، ثم يأتي بمقدمته الدعائية للخليفة.<sup>(٢)</sup>

وإذا نظرنا في رسائل القاضي الفاضل الرّسميّة التي كتبها عن صلاح الدين إلى الخليفة وأمراء المسلمين، نجد أنها تتفق مع ما ذهب إليه القلقشندي، فمنها ما كان يستهلّه بذكر الخليفة والدعاء له، من مثل قوله: «أدام الله أيام الديوان (العزیز النبوي الناصري) ولا يزال مظفرّ الجدّ بكلّ جاحد...»<sup>(٣)</sup>. ومنها ما كان يستهلّه بآيات قرآنيّة ملائمة للمقام، ويأتي بعدها بذكر الخليفة والدعاء له، كما هو الحال في الرسالة التي أرسلها إلى الملك المؤيد؛ يهنئه بقدمه من الحجّ؛ يقول فيها: «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم بسوء، وآتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم». الحمد لله الذي ثبت أركان الإسلام، وأنار وجوه الأيام، وأوجب نذور الخدّام، بعودة الملك المعظم، وأعزّ الله نصرته، وخلد نعمته، وأسبغ عزّه، .....»<sup>(٤)</sup>.

ولتوضيح صورة ذلك البناء الفني لرسائل القاضي الفاضل نقف عند أثر كتابي نقله صاحب كتاب الدرّ النظيم، وصاحب رسائل عن الحرب والسلام؛ ويبدو أنّ أهميّة هذه الرسالة تتجلى في تبصير الناس بعظم الحدث الذي تشيد به تلك الرسالة، فهو حدثٌ عظيمٌ قلب الموازين، وأعاد الحق لأصحابه، فكان مفخرة لهم ومدعاة للتعنيّ به ونشره عبر الأمصار، والتفاني به. هذا الأثر هو تلك الرسالة التي بشرَ فيها القاضي الفاضل الخليفة العباسيّ بهزيمة الفرنج في معركة حطين، واستعادة بيت المقدس وما حوله من أيديهم.<sup>(٥)</sup> فقد بدأها بمقدمة دعائيّة

١- ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣ / ٨١.

٢- ينظر: المصدر نفسه، ٥٠٦ / ٦.

٣- القاضي الفاضل، الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ١٥.

٤- القاضي الفاضل، الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ٦٥. وينظر: القاضي الفاضل،

رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ٩٠ / ٩١.

٥- ينظر: القاضي الفاضل، الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ١٥-٣٤. وينظر: القاضي

الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ١٦٦-١٨٨.

طويلة، تحدّث فيها عن الخليفة العباسي، فذكر أنه صاحب حكمة، وكرم، وقوّة عزم، وهيبة، فهو يرهّب الأعداء ويخيفهم، وهو منصور دائماً وموفّق في حروبه مع الأعداء. يقول الفاضل: «...أدام الله أيام الديوان العزيز الناصري، ولا يزال مظفر الجدد بكلّ جاحد، غنيّ التوفيق عن رأي كلّ رائد، موقوف المساعي عن اقتناء مطلقات المحامد، مستيقظ النّصر والسيّف جفنه راقد، وارد الجود والسّحاب على الأرض غير وارد، متعدد مساعي الفضل، وإن كان لا يلقى إلاّ بشكر واحد، ماضي حكم القول بعزم لا يمضي إلاّ بنسل غويّ ورَيْشٍ<sup>(١)</sup> راشد...». (٢)

والفاضل كما هو واضح يحرص على أن تكون مقدّمة رسالته ملائمة للغرض الذي يريد، فهو يتخيّر من الصّفات العربية والإسلاميّة التي يثبتها للخليفة ما يتفق وموضوع رسالته وموضوعه الحربيّ، ثمّ يزفّ البشارة إلى الخليفة بما أحرزه صلاح الدّين من انتصارات على الغزاة في معركة حطين وما تبعها من معارك وأحداث توجّت باستعادة بيت المقدس وما حوله من البلاد من أيدي الصليبيين.

وإظهاراً لقيمة هذا الفتح وإعلاء لشأن صلاح الدين وجنده لجأ القاضي الفاضل إلى المقابلة بين حال المسلمين قبل الفتح وبعده، وركّز تركيزاً واضحاً على إظهار قوّة الفرنج وحصانة مدنها وقلاعهم التي استباحها المسلمون. (٣) ثمّ انتقل الفاضل بأسلوب موفّق إلى بيان الغرض الأساسي الذي بعث رسالته من أجله؛ وهو وصف المعارك التي خاضها صلاح الدين ضدّ الغزاة من الفرنج في معركة حطين وما تبعها. (٤)

١- راش الصديق: أطعمه وسقاه وكساه. الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ١٦، حاشية ١٠.

٢- المصدر نفسه، ص ١٥/١٦.

٣- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧-٢٢.

٤- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٢-٣١.

لقد حافظ الفاضل على الوحدة العضوية في رسالته هذه - وهذا هو أسلوبه في رسائله جميعاً - فهي من بدايتها إلى نهايتها تدور حول موضوع واحد، وهو هزيمة الفرنج في حطين وما بعدها.

### السّمات الفنيّة الخاصّة بترسل القاضي الفاضل:

إنّ المتأمل في ما جاء في رسالة القاضي الفاضل إلى الخليفة العباسي يهنئه بفتح بيت المقدس - يرى فيها مجموعة من السّمات والخصائص؛ منها: اهتمامه الشديد بالمفردات اللغويّة؛ فهو دقيق في تخير الكلمات التي تلائم غرضه الذي يتحدث عنه، فيضعها في مكانها المناسب لها، كي تؤدي معناها الذي يريد بقوة ووضوح بعد أن يشحنها بأحاسيسه ومشاعره.

وقد اهتمّ الفاضل بجملته؛ إذ كان حريصاً على إقامة التّعادل والتّوازن بينها، فجاءت متلاحمة متناسقة، غنيّة بالتنعيم وقوة الجرس، ومن ذلك قوله: «... ولقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصائرهما، واستتبّت عقائد أهله على أبين بصائرهما، وتقلّص ظل رجاء الكافر المبسوط، وصدق الله أهل دينه، فلمّا وقع الشرط وقع المشروط...»<sup>(١)</sup>.

وقد أكثر الفاضل من استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية من سجع وجناس وطباق، وغيرها من صور البديع الأخرى التي كانت شائعة في عصره، بما يفيض جماليّة نثرية وتلويحاً مبدعاً، ولكن دون أن يتغلّب ذلك على المعاني والأفكار؛ ولأجل هذا نرى اتّكاهه على المادة القرآنية، التي استمدّ منها كثيراً من ألفاظه ومعانيه وطرائقه في التعبير، فقد كان ذا قدرة مميّزة على تخير الآية المناسبة للغرض الذي يتحدث عنه، وإدخالها بطريقة فنيّة في سطور كتاباته، بأسلوب يكشف عن براعة وسعة اطلاع، وسرعة بديهة. وقد جاءت طريقتة في الإفادة من

١ - القاضي الفاضل، الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ١٧.

المادة القرآنية بإيراد الآية مرّة بلفظها ومعناها، وثانية بنثرها في تضاعيف رسالته، من ذلك قوله: «... وأصبحت الأرض المقدّسة الطاهرة الطامث، والربّ المعبود الواحد<sup>(١)</sup> وكان عندهم الثالث، فبيوت الشرك مهدومة، ونيوب الكفر مهتومة، وطوائفه المحامية مجتمعة على تسليم البلاد والحامية، وشجعانه المتوافية، مذعنة ببذل المطامع الوافية، لا يرون في ماء الحديد لهم عصرة، ولا في فناء الأفنية لهم نصرة، وقد ضربت عليهم الذلّة والمسكنة<sup>(٢)</sup>، وبدّل الله مكان السيئة الحسنة<sup>(٣)</sup>، ونقل بيت عباده من أيدي أصحاب المشأمة<sup>(٤)</sup> إلى أيدي أصحاب الميمنة<sup>(٥)</sup>...». (٦)

ومن سمات كتابة القاضي الفاضل أيضاً؛ ميله إلى التكرار والإطناب، فهو يعمد إلى الإطالة وتكرار الفكرة الواحدة في قوالب لفظية متعدّدة، ولاسيّما حينما يتحدّث عن هزيمة الفرنج واستباحة مدنهم الحصينة، وحينما يصوّر فرحته بالنصر؛ ولعلّ ذلك من أجل تأكيد معانيه، وترسيخ أفكاره، ومن ذلك قوله: «وكتاب الخادم هذا، وقد أظفر الله بالعدوّ الذي تشبّث قناته، وكانت شقفاً، وطارت فرقهُ فرقاً، وفلّ سيفه فصار عصاً، وصدعت حصاته وكان الأكثر عدداً وحصى، فكلت حملاته،... وعثرت قدمه، وكانت الأرض لها حليفة، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كسيفه، ونام جفن سيفه، وكانت يقظته تريق نُطف الكرى من الجفون، وجدعت أنوف رماحه، وطالما كانت شامخة بالمنى أو رافعة بالمنون،...». (٧)

١- يستمد فكرته من سورة الإخلاص.

٢- سورة البقرة: ٦١.

٣- إشارة إلى قوله تعالى: «ثمّ بدلنا مكان السيئة الحسنة» سورة الأعراف: ٩٥.

٤- سورة الواقعة: ٩.

٥- سورة الواقعة: ٨.

٦- القاضي الفاضل، الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ٢١/ ٢٢.

٧- ينظر: القاضي الفاضل، الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص ٢١.

ومن السمات الفنيّة الواضحة في هذه الرسالة كما في غيرها من رسائل القاضي الفاضل التشخيص والتجسيم من ذلك قوله: «... وكان الدّين غريباً فهو الآن في وطنه...»<sup>(١)</sup> فهو يحرص أن يقدّم معانيه المجرّدة والأشياء الجامدة التي يتحدّث عنها في صور حسية حيّة تحمل الكثير من صفات الإنسان وأفعاله، حتى يزيد في توضيح أفكاره، ويؤدّي المعنى الذي يريد بأسلوب مؤثّر، ولاسيما حينما كان يتحدّث عن المدن المغتصبة، وأدوات القتال،<sup>(٢)</sup> وغيرها، فكشف عن براعة في الوصف، ودقّة في التصوير.

وعلى الرغم من شيوع الإفراط في استعمال الألفاظ في عصر الفاضل وكتاباته، إلا أنّ ألفاظه جاءت في مجملها سهلة ومعانيه واضحة، فقلّما يعثر الدارس في رسائله الجهادية على لفظة صعبة غامضة تحتاج إلى تفسير؛ وذلك لأن هذا النوع من الرسائل كان يصدر عن إحساس صادق وعاطفة قويّة لا مجال فيها إلى التعقيد والغموض، ولاسيما حينما كان الفاضل يصوّر فرحته بالنصر، وعودة المدن الإسلامية إلى حمى الإسلام.

### قراءة في الأسلوب:

يقولون: «الأسلوب هو الرجل؛ إذ لا يوجد شخصان ينظران إلى الأشياء نظرة واحدة وتفكيرهما واحد، وإنّ كل كاتب في الوجود يضيف شيئاً من شخصيّته ولون روحه ومشاعره على ما يكتب»<sup>(٣)</sup>، والأسلوبية منهج نقدي حديث يُخضع النص الخطابي للتحليل والمدارسة انطلاقاً من أسلوب الكاتب عبر مستويات عدّة؛ فكيف بدأ أسلوب القاضي الفاضل في كتاباته؟

١- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧.

٢- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٢ / ٢٣.

٣- جمعة، محمد كامل، الأسلوب، د.ن، القاهرة: ط ٢، ١٩٦٣، ص ٦٦.

تنوعت طرائق الفاضل وأساليبه في كتابة رسائله، فأتسمت رسائله التي واكبت الحروب بالمبالغة والتكرار، واستعمال المصطلحات المختلفة؛ كالفقهية، والجاهلية، وغيرها. وقد أكثر من الاعتماد على الناحية الدينية بما يتناسب والغرض الذي كتبت لأجله هذه الرسائل، وكان الفاضل يلجأ إلى اصطناع أسلوب القصة، واستعمال أنماط مختلفة من الجمل الإنشائية والخبرية والمعتضة، وكان للوصف أثر بالغ في كثير من رسائله حين ينقل لنا البشائر بالنصر، ويصف الفتوحات وعودة المدن، وهذا أسلوب شائع عند الفاضل في رسائله، من ذلك: «... وفي الحال خرج طاغية كفرهم، وزمام أمرهم؛ ابن بارزان، سائلاً أن يؤخذ البلد بالسلم لا بالعنوة، وبالأمان لا بالسطوة، وألقى بيده إلى التهلكة، وعلاه ذل الملكة بعد عز المملكة، و طرح جبينه في التراب، وكان حيناً لا يتعاطاه طارح...»<sup>(١)</sup>

ومن سمات أسلوب الفاضل التي ظهرت في كتاباته، استعمال المصطلحات الفلكية والنحوية والفقهية - كما أسلفنا - فقد جاءت هذه المصطلحات معبرة عن المعاني التي يريد دون أن تثقل على النفس، وإن كان الأمر لا يخلو من إظهار معرفة بعلم من العلوم الشائعة في عصره، ومن ذلك قوله: «... وصدق أهل دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط...»<sup>(٢)</sup> ومن ذلك أيضاً قوله: «... ويتبوأ أهل القرآن بعد أهل الصليبان للقتال عن دين الله مقاعد، ويقر عينه وعيون أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بجار ومجرور،...»<sup>(٣)</sup>

كما يلحظ ميله إلى الأسلوب القصصي؛ إذ سار في بعض رسائله على نهج قريب من نهج الحكايات، وتتبدى هذه السمة بوضوح في ما كتبه الفاضل عن جهود صلاح الدين في توحيد القوى الإسلامية ومواجهة الفرنج والمؤامرات، من

١- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٩.

٢- القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ١٧.

٣- المصدر نفسه، ص ١٧٩.

ذلك قوله: «... وكانت أخبار مصر تتصل بنا بما الأحوال عليه فيها من سوء تدبير، ومما دولتها عليه من غلبة صغير على كبير، وإنَّ النظام بها قد فسد، والإسلام بها قد ضعف عن إقامة كلِّ قائم وقعد، والفرنج قد احتاج من يديرها إلى أن يقاطعهم بأموال كثيرة لها مقادير خطيرة، وأن كلمة السنة بها وإن كانت مجموعة فإنها مجموعة،... فتعالى الله عن شبه العباد، وويل لمن غرّه تقلّب الذين كفروا في البلاد. فسمت هممنا دون همم أهل الأرض إلى أن نستفتح مُقفلها، ونسترجع للأيام شاردها، ونعيد على الدّين ضالّته منها... ونحن نقاتل العدوّ بين الباطن والظاهر، ونصابر الضدين المنافق والكافر، حتى أتى الله بأمره، وأيدنا بنصره، وخابت المطامع من المصريين ومن الفرنج،...»<sup>(١)</sup>.

وبالمجمل، لم يكن أسلوب القاضي الفاضل في رسائله عامّة متبايناً بل اتخذ ديباجة واحدة في عموم رسائله؛ وربما يعود ذلك إلى طبيعة الرسائل التي نظمها رجل كالقاضي الفاضل انطلاقاً من مكانته ومنصبه السياسي الذي يصبغ الرسائل بنوعها بصبغة تكاد تكون نمطية تقليدية ضمن منظومة سياسية كانت تتأرجح بين لحظات حرب وأخرى سلام، وبما أنّ فن الرسالة يعدُّ ضرباً من ضروب الخطاب فلا بدّ له من صورة بنائية مائزة عن غيره من صنوف الخطاب؛ فالغاية المقصدية من الرسالة إبلاغية تتحرى بلوغ الهدف منها بلوغاً راقياً أثيراً ذا فريدة في إيقاع الأثر المرجوّ واستثارة العقل والروح معاً تجاه أمر ما. ولعلّ هذا النهج الأسلوبّي يعدُّ مأخذاً على الفاضل؛ إذ لا بدّ للكاتب «مراعاة ثقافة المرسل إليه ووعيه سواء أكانت الرسائل ديوانية أم حربية أم إخوانية»<sup>(٢)</sup>.

١- المصدر نفسه، ص ٩٦-١٠١.

٢- سليمان، باسم، رسائل القاضي الفاضل دراسة أسلوبية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق: العدد ٢، المجلد ٦، ٢٠١١، ص ١٦.

## الصورة الفنيّة في أدب القاضي الفاضل:

شكّلت الصورة الفنية في رسائل الفاضل طابعاً مميّزاً، وحضوراً بارزاً، فهو يلجأ إلى التشبيهات والاستعارات، والكنايات، والمجاز، فيركب منها صوراً متناسقة، يتخذها وسائل للتعبير عمّا يعتمل في نفسه من مشاعر وأفكار، وأمّا المصادر التي استقى منها الفاضل صوره فكثيرة متنوّعة، من أهمّها: الموروث الدينيّ؛ فقد وجد الفاضل في الموروث الدينيّ منهلاً ينهل منه الصور التي تُحدث وقعاً وتأثيراً في نفس السّامع، ولذا كثرت الصور المستمدّة من القرآن الكريم في كتابات الفاضل، ومنها قوله: «... وفَرَّ الكافرون منّا فرارَ النّملِ من سليمان، وهزَمَ اللهُ أحزابَ الشيطان،...»<sup>(١)</sup>.

وقد استقى صوره من أجواء الحروب والمعارك التي كانت سمة واضحة في عصره؛ من ذلك قوله: «... فلمّا تصافحتْ أطرافُ القنّاءِ مع التّحورِ، وفصلتْ صدورُ الرماحِ إلى الصدورِ، ... أنزلَ اللهُ نصرَه علينا فلاذوا بالفرارِ...»<sup>(٢)</sup>.

وقد تكون الصور عنده مستمدّة من الطبيعة ومظاهرها المتنوّعة، كالليل والنهار والغاب، والسّماء، والنجوم، والرّعد، والبرق، والبحر، وغيرها، من ذلك قوله: «... وتحصّنا من نار القُضبِ بنار الحطب، وقطعوا بينهم وبين المسلمين بطوفان نارٍ كانت القلعة سفينته إلاّ أنّها لا سفينة نجاه بل سفينة عطب،...»<sup>(٣)</sup>.

لقد حظيت صورة المرأة بنصيب وافر عند القاضي الفاضل فهو كثيراً ما يكرّرها في كتاباته؛ ومن أجل ذلك تخيل الأراضي الإسلاميّة المغتصبة، وهي في قبضة الصليبيين كأنها امرأة طامث، وقد تطهّرت حينما عادت إلى حمى الإسلام،

١- المصدر نفسه، ص ١٥٧.

٢- القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ١٩٠.

٣- القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ١٣٨.

يقول: «...وأصبحت الأرض المقدّسة الطاهرة وكانت الطامث، والرب الفرد الواحد، وكان عندهم الثالث،...»<sup>(١)</sup>.

ولم يُغفل الفاضل تصوير أدوات الحرب والقتال، فهي ذات صلة كبيرة بموضوع أكثر رسائله، فتجسّدت هذه الأدوات في صور حيوانية فيها دم وروح؛ فالقسيّ حيوان مفترس يغرّ فاه ليفترس عدوّه، يقول: «...وكم فارسيّة<sup>(٢)</sup> ركض عليها فارسها السهم إلى أجل فاختلسته، وفغرت تلك القوس فاهها، فإذا فوها قد نهش القرن بعد المسافة فافترسه...»<sup>(٣)</sup>.

### لغة رسائل القاضي الفاضل:

أمّا لغة القاضي الفاضل فقد بدت محكمة صادقة ترمي إلى تحقيق الغرض منها في أجمل حلّة، وأبهى صورة، لذا بدا اهتمام الفاضل بألفاظه واضحاً، وجاءت جملة متضامّة متناسقة، وعند التأمل في مجمل هذه الرسائل نرى ازدحامها بألوان البديع المختلفة، حتى لا يجد الباحث موضعاً يكاد يخلو من البديع.

ولعلّ السجع الذي كان سمة غالبية بوصفها أداة إيقاعية تتغيا إحداث جرسٍ موسيقيٍّ له وقع في المتلقي، ولأنه صنعة مستباحة بإطلاقها في ذلك العصر، نرى شيوعه جلياً في أدب الفاضل، فهو الناطق الرسمي باسم الدولة، وتقع عليه مسؤوليات جسام، وهو ناقل الأخبار سلماً وحرّاً إلى الخليفة في بغداد، وإلى أمراء المسلمين، ولما كان للكتابة الديوانية نمط خاصّ متعارف عليه، فقد التزم الفاضل فيما التزم في كتاباته بالسجع مراعيّاً ذوق عصره، ومن ذلك ما رأيناه في رسالته<sup>(٤)</sup> إلى الخليفة بمناسبة تحرير بيت المقدس التي ذكرنا جزءاً منها أثناء

١- المصدر نفسه، ص ١٧٣ / ١٧٤.

٢- فارسية: صفة لموصوف محذوف أي قوس فارسيّة؛ القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام،

مصدر سابق، ص ١٧٥، حاشية ١٠.

٣- المصدر نفسه، ص ١٧٥ / ١٧٦.

٤- القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص ١٦٦-١٨٨.

الدراسة، ولا داعي لتكرارها، وقد جاءت هذه السجعات قصيرة في كثير منها، وكأنه يريد بذلك تقريب الصورة أكثر، وتشويق المستمع والقارئ إلى متابعة مجريات الأحداث، والتهيئة إلى ما يريد قوله.

وأما الجناس بما يحققه من تنغيم موسيقيّ وصوتيّ يبعث الجمال والبهاء للكلام، ويمنحه ألقاً «تطرب له الآذان وتهتز له القلوب، حتى يخيل للقارئ أنّ اللفظ مكرر والمعنى واحد، وأنه لن يجني من هذا الجناس سوى التطويل والملل»<sup>(١)</sup>. فقد أكثر القاضي الفاضل منه وذلك بنوعيه: التام والناقص، فمن الجناس التام قوله: «... وعدنا عليهم عودة جان على جان، وجرّدتنا لهم عزمة عان بفكّ عان»<sup>(٢)</sup>...». (٣) وقد جاء الجناس هنا بين لفظتي (جان وجان)، وبين لفظتي: (عان وعان). أما جناسه الناقص فنجدّه في مثل قوله: «... وقد آن أن لا يبقى لورد السور سوراً، وأن يصير المحصور به محسوراً، وقد جمعت الحجارة في الإسقاط بين رؤوس الأبراج، ورؤوس الأعلاج...»<sup>(٤)</sup>. إذ جاء الجناس ناقصاً بين لفظتي (السور وسوراً) وبين لفظتي (المحصور ومحسوراً) وبين لفظتي (الأبراج والأعلاج).

وأما الطباق والمقابلة فقد اتّكأ الفاضل عليهما من أجل توضيح المعنى المراد، وتقريبه للأذهان، من ذلك قوله: «... شوقي إلى لقاء حضرة مولاي وسيدي وسندي، ويمين شمالي، وجنوب شمالي...»<sup>(٥)</sup>.

ولعل من الأهميّة بمكان أن نشير إلى أنّ ألوان البديع والمحسنات اللفظية التي وردت في رسائل الفاضل التي وصفت الحروب خاصّة لم تكن على حساب المعنى الذي أراده.

١- فيود، بسيوني عبدالفتاح، علم البديع، دار المعالم الثقافية، السعودية: ط٢، ١٩٩٨، ص٢٩٤.

٢- عان الأولى بمعنى المتهم، والثانية بمعنى الأسير، المصدر نفسه، ص٨٧، حاشية ٣.

٣- المصدر نفسه، ص٨٧.

٤- القاضي الفاضل، رسائل عن الحرب والسلام، مصدر سابق، ص٥٨.

٥- القاضي الفاضل، الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم، مصدر سابق، ص٨/٩.

وبالعموم جاءت ألفاظ القاضي الفاضل سهلة واضحة تتسم بالإيجاز والتركيز؛ نظراً لمقتضى الحال الذي يتطلب الوضوح والبعد عن الغموض والإبهام، وهذه سمة عامة عند القاضي الفاضل في رسائله سواء أكانت في الحرب أم في السلام. ولعلّ هذه التمثيلات الأسلوبية لمثل هذه الفنون البلاغية تستدعي من ناظمها قدرات خارقة على حسن الاشتقاق وعلى قوة استحضار اللفظ المراد في المقام المناسب تحقيقاً لغايات تلکم الرسالة في القارئ أو المتلقي. كيف لا، والفاضل صاحب مدرسة إبداعية في الكتابة الأدبية الفذة، فضلاً عن تمرسه في هذا الفنّ ردحاً من الزمن عايش فيه أحداثاً جساماً وأياماً عظيمة وصولات وجولات حتى غدا نموذجاً بارعاً ومقصداً لتعلمي فنون الكتابة الرصينة المحكمة.

## خاتمة

في ضوء ما تقدّم من مدارسة صناعة الترسل عند القاضي الفاضل نخلص إلى ما يأتي:

- أجمعت الدراسة بكلّ مفرداتها على إمكانية منح القاضي الفاضل لقب الأديب الفذّ، وهذا الحكم صادر بعد استقرار مجمل أعمال هذا الرجل وإبداعاته في حقبة زمنية بالغة الأهميّة.

- وقد أدّى القاضي الفاضل دوراً مهمّاً في دولة صلاح الدين الأيوبيّ، حتّى أقرّ بذلك الفضل صلاح الدين، مسنداً نصره في حروبه إلى قلم القاضي الفاضل.

- إنّ المكانة التي حظي بها القاضي الفاضل نتيجة منطقيّة لرجل تميّز بالذكاء وحسن الإدارة، وسعة الثقافة، وإتقانه أصول الكتابة الإبداعية، فضلاً عن نبوغه شاعراً، له ديوان شعر مجموع.

- إنّ رسائل القاضي الفاضل سجلّ تاريخيّ كتب بصورة أدبيّة عالية، صوّرت حال الأمة الإسلامية اجتماعياً واقتصادياً، وسياسياً في حقبة سادتها الحروب والمعارك ضدّ الفرنج الغزاة.

- ولعلّ الباحث يتساءل عن عدم المحافظة على تلك الوثائق الرسميّة التي كانت تصدر عن ديوان الإنشاء، الذي يشبّه بعضهم بوزارة الإعلام أو الخارجية في أيامنا، إذا ما علمنا أنّ التدوين في هذه الحقبة كان أمراً سهلاً المنال. ولنقل بصورة أخرى، هل يمكننا القول: إن هذه الرسائل لم تكتب في زمن القاضي الفاضل مباشرة؟

- لم ينوِّع القاضي الفاضل في أساليبه الكتابية، فكان ينهج النهج الذي كان سائداً آنذاك في الكتابة، وجاءت ألفاظه مطواعة لتحقيق المعاني المقصودة، فأحسن في تمثيل الأحوال واستشارة الهمم، والتعبير عن قضايا أمته ودينه.
- اتَّسعت ثقافة الفاضل، وبدا ذلك واضحاً في رسائله، وجاءت هذه الثقافة في أغلبها مستمدّة من الموروث الديني، والتاريخي، وغيرهما.

## قائمة المصادر والمراجع

- الأصفهاني، عماد الدين، خريدة القصر وجريدة العصر: شعراء مصر، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٦٢م.
- بدوي، أحمد أحمد، القاضي الفاضل: دراسة ونماذج، القاهرة: مطبعة الرسالة، ط١، ١٩٦٧م.
- جمعة، محمد كامل، الأسلوب، القاهرة: د.ن، ط٢، ١٩٦٣.
- الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، د.ط، ١٩٦٨.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د.ط، ١٩٧٢م.
- دجاني، هادية، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني دوره التخطيطي في دولة صلاح الدين وفتوحاته، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩٣م.
- سبط ابن الجوزي، يوسف، مرآة الزمان، تحقيق ريتشارد جويت، شيكاغو: جامعة شيكاغو، د.ط، ١٩٠٧م.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، د.ط، ٢٠٠٢.
- فيود، بسيوني عبدالفتاح، علم البديع، دار المعالم الثقافية، السعودية: ط٢، ١٩٩٨.
- القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيساني، الدرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم، اختيار: محيي الدين بن عبد الظاهر، تحقيق أحمد أحمد بدوي، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ط١، ١٩٥٩م.
- القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيساني، رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضي الفاضل، اختيار موفق الديباجي، تحقيق محمد نعش، القاهرة: دار الثقافة، ط١، ١٩٧٨م.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧١.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر ١٤٣، مصورة عن طبعة دار الكتب السلطانية، ط ٢، ٢٠٠٤.
- المقدسي، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت: دار الجيل، د. ط، د. ت.
- الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعده للطبع ووضع فهارسه عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٨.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د. ط، د. ت.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة: المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٣٣ م.
- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفي محمد شرف، القاهرة: مكتبة الشباب، د. ط، ١٩٦٩.

### الدوريات:

- سليمان، باسم، رسائل القاضي الفاضل دراسة أسلوية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق: العدد ٢، المجلد ٦، ٢٠١١، ص ١٦.

### List of Sources and References:

- Al-Asfahani, Imad Al-Din, Al-Qasr and Al-Asr newspaper: The Poets of Egypt, Cairo: Press Committee of Authorship, Translation and Publishing, 1st edition, 1962 AD.
- Badawi, Ahmed Ahmed, The Honorable Judge: Study and Models, Cairo: Al-Resala Press, 1st edition, 1967 AD.
- Jum`a, Muhammad Kamil, The Method, Cairo: DN, 2nd Edition, 1963.
- Al-Hamwi, Yaqout, (d. 626 AH), Glossary of Countries, Beirut: Dar Sader, Dr. I, 1968.
- Ibn Khallakan, Shams al-Din Ahmad bin Muhammad, The Deaths of Notables and News of the Times, Achievement of Ihsan Abbas, Beirut: Dar Sader, Dr. I, 1972 AD.
- Dajani, Hadia, Honorable Judge Abd al-Rahim al-Bisani al-Asqalani, his planning role in the state of Salah al-Din and its conquests, Beirut: Institute for Palestine Studies, 1st edition, 1993 AD.
- The tribe of Ibn al-Jawzi, Yusef, Mirror of Time, Richard Goet investigation, Chicago: University of Chicago, d. 1907.
- Ibn Faris, Language Metrics, Investigation and Control by Abd al-Salam Haroun, Damascus: Union of Arab Writers, Dr. I, 2002.
- Fayed, Bassiouni Abdel Fattah, Al-Badi`, Dar Al-Maalem Al-Thaqafiya, Saudi Arabia: 2nd Edition, 1998.
- Honorable Judge, Abd al-Rahim bin Ali al-Bisani, al-Dur al-Nadim from the transmission of Abd al-Rahim, Selection: Muhyid al-Din bin Abd al-Zahir, investigation by Ahmed Ahmad Badawi, Cairo: Nahdet Misr Library, 1st edition, 1959 AD.
- The Honorable Judge, Abdul Rahim bin Ali Al-Bisani, Messages on War and Peace Who Sent the Honorable Judge, Choosing Mowaffaq Al-Dibaji, The Investigation of Muhammad Noghsh, Cairo: Dar Al-Thaqafa, First Edition, 1978 AD.
- Abu Hilal al-Askari, The Two Industries, Investigation by Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 2nd edition, 1971.
- Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmed bin Ali, (d. 821 AH), Subh Al-Asha in the construction industry, Egypt: General Authority of Cultural Palaces, ammunition 143, a photocopy of the Royal Books House edition, 2nd edition, 2004.

- Al-Maqdisi, Abu Shama, Al-Rawdatain in News of the Two Countries, Beirut: Dar Al-Jil, Dr., Dr.
- Al-Kafawi, Colleges: A glossary of terms and linguistic differences, prepared for printing and indexed by Adnan Darwish and Muhammad al-Masri, Beirut: Al-Risala Foundation, 2nd edition, 1998.
- Ibn Manzoor, Lisan Al-Arab, Beirut: Dar Sader, Dr.T, D.T.
- Al-Nuwairi, Ahmed bin Abdul-Wahab, The End of the Arabs in Literary Arts, Cairo: The Arab General Organization for Authorship, Translation and Publishing, 1st Edition, 1933AD.
- Ibn Wahb, the proof in the faces of the statement, presentation and investigation: Hefni Muhammad Sharaf, Cairo: Youth Library, d. 1969.
- Suleiman, Bassem, The Letters of the Honorable Judge, Stylistic Study, University of Kirkuk Journal of Humanities, Iraq: Issue 2, Volume 6, 2011, p. 16.



المُكوّنُ العَرَضِيّ في  
التحليلِ البلاغيِّ للشعرِ

**The Component of Prosody in the  
Rhetorical Analysis of Poetry**

د. حسن الطويل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي (المغرب)

**Dr. Attaouil Hassan**

Faculty of Arts and Humanities - Tetouan - Université Abdelmalek Essaadi - Morocco

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.09>

تاريخ تسلّم البحث 2023/01/05 - وصدر خطاب القبول 2023/08/17





## Abstract

This article seeks to integrate the prosody component within the analysis aimed at grasping the overall eloquence of the poetic text. Given that this analysis deals with the components of poetry of all kinds, it can also, as we argue, address prosody as a relational component. The eloquence of poetry is not fully appreciated without looking at it in its relationship to semantics, the pragmatic context, the non-prosodic rhythmic elements, and the type of discourse etc. That said, this article proposes methodological-applied approaches and insights that are capable of activating its analytical vision. This article employs a methodological plan that consists of an introduction that highlights the vital role of prosodic meter in the rhetoric of poetry, and three analytical parts that attempt to shed light on the relationship between prosodic meter and semantics, internal rhythm and type of discourse. Finally a conclusion that summarizes the findings. That said, the added value of this article lies in its attempt to provide a new proposal to analyze prosody in poetry wherein prosody cannot be studied as an isolated component from semantics and other poetic components

**Keywords:** Rhythm, Prosody, Rhetoric, Poetry, Systematic analysis.

## ملخص البحث

يهدفُ هذا المقالُ إلى إدماج المُكوّن العَرُوضِيّ ضمن التحليل الرامي إلى تلمّس بلاغة النص الشعريّ الكلّيّة، فكما يتناولُ هذا التحليلُ مكوّنات الشعر بمختلف أنواعها، يمكنه أيضاً، حسب ما نقرحه، التعرّض للعروض بوصفه مكوّنًا علائقيًا، لا تستقيمُ بلاغة الشعر دون النظر إليه في علاقته بالمعنى، والسياق التداولي، والعناصر الإيقاعية غير العروضية، ونوع الخطاب (...)، وقد قدّم المقال، في هذا الصدد، مقترحاته بشأن المداخل المنهجية-التطبيقية، القادرة على تفعيل رؤيته التحليلية، مُعتمداً في ذلك خطةً منهجية، تتركّب من مقدمة تناقشُ موقع الوزن العَرُوضِيّ في بلاغة الشعر، ومن ثلاثة محاور تحليلية تُقارب علاقته بالمعنى والإيقاع الداخلي ونوع الخطاب، ومن خلاصة تكتفُ أهم النتائج المتوصّل إليها.

ولعل إضافة هذا المقال، تتمثّل في تقديم مقترح جديد لدراسة العروض في نصوص الشعر، بحيث لا يكونُ فيه مكوّنًا معزولاً، لا تتوضّح علاقته بالمعنى وبغيره من المكونات الشعريّة الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الإيقاع، العروض، البلاغة، الشعر، التحليل المنهجيّ.



## توطئة

تجمع الشعرُ بالإيقاع الموسيقيّ صلةً وثيقةً للغاية، لذلك حرصتُ كثيرٌ من المصادر النقدية التي اشتغلت بحصر خصائصه الكبرى على الإشارة إلى الموسيقى بوصفها خاصة ثابتة في بنيته الكلية؛ لأنها لا تتصوّر قيام نص شعري ما بلغة رتيبة خالية من إيقاع مُطرب يهزُّ النفوس، ولا يستقيم عندها أن يؤدي الشعرُ وظيفته بألوان التخيل البلاغية إذا لم تسنده طاقة موسيقية مناسبة<sup>(١)</sup>.

ولعل الخاصة الوحيدة التي يمكنها أن تسبق الموسيقى في القول الشعري، هي خاصة التخيل البلاغي، لأنها تلخّص جوهر الشعر القائم على تصوير المعاني عبر الوسائط (مثل التشبيهات، والاستعارات، والمجازات)، وتفصل، فصلاً حقيقياً، بين الشعر وغيره من الأقاويل؛ فالإيقاع الموسيقي قد يتوفر في نصوص غير شعرية كما أكد ذلك عددٌ من الدارسين<sup>(٢)</sup>، لكن التخيل الشعريّ في صورته القائمة على تغريب أدوات القول بصورة مفرطة، وعلى تمنيع الدلالة على الفهم السطحي المباشر، لا يُتصوّر وجوده إلا في الشعر<sup>(٣)</sup>.

غير أنّ القرطاجني سيجد مخرجاً مؤقتاً لإشكالية أسبقية خاصة على أخرى في الشعر، بقوله برأي مركّب، يعزو الشعرية إلى خصائص متداخلة غير منفصلة. يقول: «والتخيل في الشعر يقع في أربعة أجزاء: من جهة المعنى، ومن

١- أنظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الكويت، دار الآثار الإسلامية، ط١، ١٩٩٠، ٤٦/٤ - ٤٧.

٢- أنظر: الروبي، ألفت كمال، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص: ٢٥٨ - ٢٧٠.

٣- تقول الروبي (ألفت كمال): «يصبح الفرق بين الخطابة والشعر في استخدام اللغة [...] فرقا كمياً ونوعياً، فالخطابة تستخدم ما هو شعري لكنها ملزمة باستخدام قدر يسير من المحاكاة، لأن كثرة استخدام التشبيهات والاستعارات أو كل ما هو خاص باللغة الشعرية يجعل القول الخطابي قولاً شعرياً، وهذا يعني أنه الفرق الكمي بين الخطابة والشعر في استخدام المحاكاة يتحول إل تغير كيفي». نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص: ١٩٨.

جهة الأسلوب، ومن جهة اللفظ، ومن جهة النظم والوزن<sup>(١)</sup>. وهذا القول تكمن قيمته في أنه يُوسّع مفهوم التخيل إلى الحدود التي يجب أن يبلغها من جهة «المعنى والأسلوب واللفظ والنظم والوزن»، ويقيم علاقة عضوية متينة بين هذه الحدود، من غير تصوّر لإمكان الانفصال بينها. وهذا الأمر يؤكده القرطاجني في تعريفه المشهور للشعر: «الشعر كلام مخيّل موزون، مختصّ في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك»<sup>(٢)</sup>؛ فقد جمع في هذا التعريف المقومين الأساسيين في الشعر، وهما التخيل (بمعناه الخاص؛ أي التخيل البلاغي) والوزن (تُلحَق به القافية).

لكن القرطاجني سيعود، بعد قوله بالتداخل بين أجزاء التخيل التي ذكرها، ليميز بين التخيل الضرورية والتخيل الأكيدة والمستحبة: «والتخيل الضرورية هي تخيل المعاني من جهة الألفاظ. والأكيدة والمستحبة تخيل اللفظ في نفسه وتخييل الأسلوب وتخييل الأوزان والنظم، وأكد ذلك تخيل الأسلوب»<sup>(٣)</sup>. والرجل بهذا الكلام يعيد تأكيد أسبقته التخيل بمعناه الأسلوبي على الوزن، ولكن هذا التأكيد لا يعدو أن يكون موقفا نظريا أملاه النظر المجرد في الشعر، أما واقع النصوص الشعرية فيؤكد أن الوزن والتخيل شيء واحد، ووظيفتهما وظيفة واحدة، هي التأثير في المتلقي، وإطرابه حسب مقتضيات المقام.

وقد ميّز الدارسون في موسيقى الشعر بين مستويات ثلاثة:

- أولها: الوزن، ويعنون به «تعاقب الحركة والسكون على نحو منتظم وينسب معلومة في كل جزء من أجزاء القول»<sup>(٤)</sup>، وهذا معناه أن الوزن الشعري

١- القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٦، ص: ٨٩.

٢- المرجع السابق، ص: ٨٩.

٣- المرجع نفسه، ص: ٨٩.

٤- الروبي، ألفت كمال، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص: ٢٧٥

«وزن عددي» تحكمه قواعد تناسبية محدّدة. وفي الثقافة العربية بيّن علمُ العروض سائر ما يتعلّق بالأوزان الشعرية العربية التي تعكس تناسبات مختلفة لتعاقب «الحركات والسكنات التي تشكل الأسباب والأوتاد والفواصل»<sup>(١)</sup>.

- ثانيها: القافية، وهي المقطع الصوتي الواقع في نهايات الأبيات الشعرية، وقد حدّدها الخليل تحديده المشهور بقوله - حسب الأخفش - إنها واقعة «ما بين آخر حرف من البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن»<sup>(٢)</sup>.

- ثالثها: الإيقاع الداخلي المتولّد عن ألوان التكرار والازدواج والتسجيع، وغير ذلك من الألوان البديعية ذات الخصوصية الموسيقية. والحقيقة أن هذا المستوى الإيقاعي هو روح موسيقى الشعر، أما الوزن العروضيّ والقافية فهما الإطار الكلي لهذه الموسيقى<sup>(٣)</sup>.

والثابت أن هذه المستويات الثلاثة لا تشغل بصفة منفصلة، بل تتفاعل فيما بينها تفاعلا واضحا، وتصنع مجتمعة ما يُطلق عليه «موسيقى الشعر».

غير أن هذا البحث سيهتم - بصورة حصرية - بالإيقاع العروضيّ، أي الإيقاع الناشئ عن الترتيب المنظم للحركات والسكنات في الأبيات الشعرية، واهتمامه به تؤطره إشكالية تحليل النصوص الشعرية، وتحديد الإشكالية المتعلقة بحضور التناول العروضيّ للقصائد في التحليلات التي تروم كشف بلاغة الشعر، وكذا في التحليلات التي تستقصي خصائص الشعر، ومنها التحليلات المنهجية التي تمارسها في أقسام اللغة العربية بالمدارس والجامعات.

١- المرجع نفسه، ص: ٢٧٠.

٢- الأخفش، أبو الحسن، كتاب القوافي، تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٧٠، ص: ٠٦.

٣- انظر: المؤدّب، محمد الأمين، في بلاغة النص الشعري القديم، معالم وعوالم، المغرب، مطبعة الخليج العربي، ١٠، ٢٠١٠، ص: ١٧١.

فما لاحظناه على أكثر هذه التحليلات، أنها تدرس المكوّن العروضيّ في النصوص الشعرية دراسة تقنية - تقليدية، وتكتفي بتقطيع بيت أو اثنين من القصيدة، بغرض بيان وزنها العروضيّ، وما تخلّلها من زخافات وعلل، ولا تكاد تتجاوز ذلك إلى بيان علاقة الوزن بمكونات الشعر الأخرى، كما أنها لا تلتفت إلى تأويل العلاقة بين المعنى والوزن باستدلال واضح ومقبول.

من هنا يأتي هذا البحث لتقديم بعض المقترحات بشأن تعزيز منزلة المكون العروضيّ في التحليل المنهجي للشعر، مُنطلقاً في ذلك من مبدأ يرى القصيدة وحدةً كلية متضافرة، لا يجوز النظر إليها إلا في إطار عام يكشف مكوناتها الجزئية المشكّلة لبلاغتها الخاصة، وهذا ما يعني أن الوزن العروضيّ داخلها ليس عنصراً مُقحماً عليها، وليس استعمالاً معزولاً عن المعنى والتصوير والإيقاع الداخلي بجمع روافده، إنما هو عنصر علائقي في بنية القصيدة، يُشكل مع غيره من المكونات وحدتها الكاملة. وقد ألمع النقاد العرب القدامى إلى هذا التواشج بين مكونات الشعر بإطلاقهم على القصيدة صفات تحيل على بنيتها المترابطة المتفاعلة، مثل «الحبك» و «السبك»، وغيرهما من الصفات الواصلة بين الأجزاء في إطار علائقي قوي، مع أنهم لم يتعرضوا للوزن من جهة علاقته بالمكونات الشعرية الأخرى إلا في مناسبات قليلة كما سيأتي لاحقاً.

وبما أن هذا الموضوع الساعي إلى إدماج التحليل العروضيّ ضمن تحليل كلي متواشج، لم يُصنّف فيه كثيراً، فإننا سنقدّم هنا بعض المداخل المقترحة المستفادة من كتابات قليلة، لتفعيل هذا الطموح التحليلي، في أفق تكاثر الدراسات والمقترحات في هذا المسعى.

وإحفاقاً لهذه الغاية، قسّمنا البحث إلى ثلاثة محاور، يُعنى الأول ببحث العلاقات القائمة بين العروض والمعنى من خلال نموذج تطبيقي (مقطع من موشح

أندلسي)، أما المحور الثاني فقد اتجه إلى تعميق البحث في علائق العروض بمكونات القصيدة، بالنظر إلى صلته بالإيقاع الداخلي من خلال النموذج التطبيقي المتقدّم، وبشأن المحور الثالث والأخير، فإنه يثير إشكالية إسهام العروض في بناء مقولة «نوع الخطاب» المساعدة على تحليل النصوص ضمن سياقها النوعي الخاص.

ولأن البحث يروم تعزيز المقاربة البلاغية للنص الشعري، فإن منهجه المتّبع، سيكون، بالضرورة، منهجا بلاغيا تحليليا، يجمع بين فحص أقوال الدارسين في الإشكالية التي يناقشها، وبين تحليل النصوص التطبيقية.

### ١- العروض والمعنى: محاولات في تأويل العلاقة

توجد في النقد العربيّ القديم إشاراتٌ تنبّه على أن الوزن لا يجب أن يُقحم على المعنى<sup>(١)</sup>، وإشارات أخرى تؤكد أن ما يجمع الأوزان بالمعاني الشعرية هو التشاكل<sup>(٢)</sup> والتواطؤ وليس الاعتباط، غير أن هذه الإشارات لم تتطور - إلى حدود بداية القرن السابع الهجري - إلى كلام تحليلي مفصل، ولم تقدّ إلى بناء إلماعات تفسيرية تعلل اختيار الأوزان العروضية في القصائد.

والاستثناء الذي يمكن إيرادَه في هذا الشأن هو ما كتبه القرطاجني في المنهاج عن ارتباط البحور الشعرية بمقاصد القصيدة وغاياتها المرتبطة بالتأثير في المتلقي؛ ففي باب المقاصد يقول: «ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يُقصد به الجِدُّ والرصانة وما يُقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يُقصد به البهاء والتفخيم

١- يقول القرطاجني في هذا الصدد: «واعلم أن المنحى الشعري، نسيبا كان أو مدحا، أو غير ذلك، فإن نسبة الكلام المقول فيه إليه، نسبة القلادة إلى الجيد، لأن الألفاظ والمعاني كالآلي، والوزن كالسلك، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقه كالجيد له. فكما أن الحلبي يزداد حسنه في الجيد الحسن، فكذلك النظم، إنما يظهر حسنه في المنح الحسن». منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: ٣٤٢.

٢- يقول أبو هلال العسكري ناصحا المبتدئ في صناعة الشعر: «إذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتى فيه إيرادها، وقافية يحتملها [...]». كتاب الصناعتين. تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٨، ص: ١٣٩.

وما يُقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تُحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنفوس»<sup>(١)</sup>، وفيما يتعلق بالتأثير في المتلقي، يفيد القرطاجني أن لكل وزن «ميزة في السمع وصفة أو صفات تخصّه من جهة ما يوجد له رصانة في السمع أو طيش، ومن جهة ما يوجد له سباطة وسهولة أو يوجد له جعودة وتوعر، ومن جهة ما يوجد باهيا أو حقيرا وغير ذلك مما يناسب فيه المسموع المرئي»<sup>(٢)</sup>.

وقد بنى القرطاجني على ارتباط الوزن بضابطي المقصد والمراد من التأثير، بعض المبادئ بشأن خصوصية البحور<sup>(٣)</sup>، وفي ذلك يقول: «فالعروض الطويل تجد فيه أبدا بهاء وقوة. وتجد للبسيط سباطة وطلاوة. وتجد للكامل جزالة وحسن اطراد [...]»<sup>(٤)</sup>.

وفي الفترة الحديثة، أثار سليمان البستاني في مقدمة ترجمته «الإيذاة» هوميروس إشكالية العلاقة بين العروض والمعنى من جديد؛ فقد حاول، حسب ما يذكره، تحديد السمات المعنوية المرتبطة بكل بحر عروضي على حدة، بتفحص واقع عيون الشعر العربي القديم مع الأوزان، من خلال الموازنة بين البحور<sup>(٥)</sup>. ورغم أن البستاني، لم يحل على القرطاجني في ما قدّمه من اجتهادات في هذا الشأن، فإنه لم يبتعد عنه كثيرا، وساق كلاما مُشابها لكلامه إلى حد بعيد.

ولعل قيمة الجهد الذي قام به البستاني في بحثه هذه الإشكالية، هي قيمة تطبيقية-إنتاجية، لأن الغرض من طرقة الموضوع من الأساس، هو البحث

١- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص: ٢٦٦.

٢- المرجع السابق، ص: ٢٦٦.

٣- بنى محمد العمري استنتاجا مهما بشأن كتاب المنهاج؛ فقد وضح أنه سعى إلى «إدماج العروض في البناء البلاغي للشعر» (العمرى، محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ١٩٩٩، ص: ٥١١)، وهذا ما تؤكده النصوص، التي نقلناها من الكتاب، بنظرها التركيبية الدامجة بين العروض وبقية المكونات الصانعة بلاغة الشعر.

٤- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص: ٢٦٩.

٥- هوميروس، الإيذاة، ترجمة: سليمان البستاني، مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، د.ت، ص: ٨١.

عن الأوزان العربية المناسبة لترجمة إلياذة هوميروس. وبما أن الرجل كان لديه وعي نظري بارتباط المعاني بالأوزان، فقد اعتمد في ترجمة الإلياذة عشرة بحور عروضية (الطويل والبسيط والكامل والوافر والخفيف والرمل والسريع والمتقارب والمتدارك والرجز)<sup>(١)</sup>، تتنوع حسب تنوع السمات المعنوية للمضامين الشعرية التي تستوعبها.

وبعد سليمان البستاني، كتب عبد الله الطيب<sup>(٢)</sup> ونازك الملائكة<sup>(٣)</sup> ومحمد النويهي<sup>(٤)</sup> عن هذه الإشكالية بما يُقارب كلام القرطاجني فيها<sup>(٥)</sup>، «ثم جاء شكري عياد، فكتب «موسيقى الشعر العربي» مستفيداً من كل هؤلاء، ومعتزفاً بفضلهم وسبقهم، ليضيف ما أضاف، متجاوزاً الاتجاه اللغوي السائد في الدراسات العروضية، إلى ما أسماه بالاتجاه النقدي، بقصد تعميق البحث في صلة الأوزان بالمعاني»<sup>(٦)</sup>.

وعن كل هذه المحاولات التالية لمحاولة البستاني، يلاحظ محمد الأمين المؤدب، أنها «لم تكد تتجاوز الربط بين الأشكال العروضية وما تحمله من معان، بعيداً عن رصد هذا الربط في القصيدة، وليس في العروض»<sup>(٧)</sup>.

والواقع أن هذه الملاحظة بخصوص ميل الدراسات المذكورة إلى رصد الارتباط بين الأوزان والمعاني في العروض بوصفه علماً مجرداً، وليس في القصائد بوصفها تحقيقات نصية، هي ملاحظة ذكية للغاية، ويمكنها أن تفسّر إجماع الباحثين عن هذا المسلك التحليلي في تناول الأوزان الشعرية؛ لأن ما يتقرّر من قواعد

١- هوميروس، الإلياذة، ص: ٨١-٨٣.

٢- كتابه: المرشد إلى فهم أشعر العرب.

٣- كتابها: قضايا الشعر المعاصر.

٤- كتابه: قضية الشعر الجديد.

٥- المؤدب، في بلاغة النص الشعري القديم، هامش الصفحة: ١٦٤.

٦- المرجع نفسه، هامش الصفحة: ١٦٤.

٧- المرجع نفسه، هامش الصفحة: ١٦٤.

بشأن العلاقة بين الوزن والمعنى، لا يصدق على واقع القصائد، ولأن الشعر ينفر من القواعد كما هو معلوم، إلا إذا تعلق الأمر بتنوير غير صارم، وليس بقاعدة ضيقة تلزم الشاعر بالتزامها.

وبالإضافة إلى مشكلة التباعد بين القاعدة والتحقق النصي، هناك مشكلة أخرى تؤثر على التحليل الدلالي للوزن العروضي، وهي مشكلة اختلاف الباحثين في مسألة العلاقة بين البحور العروضية والوزن، وهذا ما كان لاحظته شكري عياد عند مقارنته بين ما قاله القرطاجني وعبد الله الطيب في الموضوع؛ فرغم اتفاق الرجلين في بيان معاني الكثير من البحور، فإنهما يختلفان أحيانا اختلافا فيه تباعد شديد؛ «فالمديد، عند حازم، فيه لين وضعف كالرمل، أما الطيب فحكمه على الرمل مقارب لحكم حازم، ولكنه يرى في المديد حكما مناقضا، فعنده أن هذا البحر «فيه صلابة ووحشية وعنف». وحازم يرى في الهزج «مع سذاجته حدة زائدة»، أما الطيب فعنده أن «نغمة الهزج تطلب قولاً مُرسلاً طبعاً تسيطر عليه فكرة واحدة يتغنى بها الشاعر في غير تدقيق وتحقيق وتعقيد والتفاف... إنه يصلح للقصص الخفيف الذي يُراد منه الإمتاع»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أن جميع هذه التحديات التي تواجه هذا المسلك التحليلي الرابط بين الوزن والمعنى، فإننا نتصور أن الباحث يُمكنه أن يستفيد مما كتب لصياغة تأويلاته المعللة. فعلى الأقل، نحن نتوفر على كلام مُتفق عليه - إلى حد ما - بخصوص بعض البحور، كالطويل والبسيط، فالأول في نظر الدارسين المذكورين، وفي نظر بعض النقاد المعاصرين الذين يتعرضون لمعاني البحور بشكل عرضي، فيه قوة وبهاء، والبحر البسيط فيه ميل نحو السباطة والحلاوة، ويمكن أن نضيف إليهما ما يتعلق ببعض البحور التي جرى النظم فيها في المعاني

١ - عياد، شكري، موسيقى الشعر العربي مشروع دراسة علمية، القاهرة، دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٨، ص: ١٥١.

الخفيفة الساذجة، مثل الرمل والهزج.

غير أن النظر إلى هذا الكلام المقرّر بوصفها قاعدة صارمة، لا يمكنه أن يسعفنا في التقدّم كثيراً في طموحنا التحليلي، لأن الشعر فيه جنوح مُتكرّر نحو خرق القاعدة الاتفاقية من جهة، ولأن بعض المعاني الشعرية لها معنى ظاهر ومعنى خفي من جهة ثانية، وهذا ما يلزمنا بأخذ الحيطة عند تحليل أوزان القصائد؛ وكما لمح محمد الأمين المؤدب، فنحن لا نملك بعد محاولات في تحليل أوزان القصائد<sup>(١)</sup>، وما قيل عن معاني العروض يمكن أن يكون مُسعفاً، لكن من غير سعي وراء خلق التتابق بين المجرد والتطبيقي، إنما يمكن الاستئناس بالمجرد بوصفه تنويراً عاماً مُساعداً على القراءات التطبيقية لمعاني الأوزان.

وبغرض التمثيل التحليلي لما نحن فيه من تحديد العلاقة بين المعاني والأوزان، نأخذ مقطعاً من موشح أندلسي، ونحاول تحليل بنيته العروضية من جهة ارتباطها بالمعنى الشعري. وقد يُقال إن التمثيل بالموشح في هذا الصدد ليس اختياراً صائباً، لأن موشحات كثيرة تخرق العروض، وتسمح لنفسها بالتصرف فيه بمرونة وحرية كما هو معروف، وبالتالي يصعب اتخاذها مُطلقاً لإشكاليّتنا.

والجواب عن هذا الاعتراض، يتمثل في أننا لا نبحت، في هذا المقام، عن معاني الأوزان العروضية المجردة، بل نبحت عن معاني الأوزان الشعرية المتحققة نصياً. أضف إلى هذا، أن التوشيح كان باعته الإحساس، كما يرى ذلك عدد من الباحثين، ابتداءً بنية وزنية تناسب رغبة الأندلسيين في القول السهل المتنوع غير الرتيب، وغير الملزم باللفظ المعرب في جميع أجزائه<sup>(٢)</sup>، وهذا الأمر وجد له الباحثون تفسيراً في أكثر الأوزان تردداً في الموشحات، وهي الرمل والهزج والرجز، فهي بحور مناسبة لخفة المعنى وسهولته واسترساله (...). انطلاقاً من

١- المؤدب، في بلاغة النص الشعري القديم، هامش الصفحة: ١٦٤.

٢- انظر: ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، مصر، مطبعة مصر، ١، ١٩٢٤، ص: ٢٢٥.

كل هذا، يكون التمثيل بالموشح اختياراً صائباً في رأينا، فهذا النوع الشعري يقوم على أساس واضح من الترابط بين المعنى والوزن، ويتيح أفقاً تحليلياً واسعاً لفحص إشكاليتنا.

يقول الأعمى التطيلي في إحدى موشحاته:

حُلُوُّ المجاني ما ضرَّه لو أجناني	كما عناني شُغلي به وعناني
حُبُّ الجمال	فرضٌ على كل حرّ
وفي الدّلال	عُذرٌ لخلاع العذر
هل في الوصال	عَوْنٌ على طول الهجر
أو في التداني شيءٌ يفني بأشجاني	وفي ضماني أن ينتهي من يلحاني
كيف السبيلُ	إلى اختلاس التلاقي
جاش الغليلُ	فالنفسُ بين التراقي
أين العذول	من لوعتي واشتياقي

واش كان دَهاني يا قوم واش كان بلاني واش كان دعاني نبدل حبيبي بثان<sup>(١)</sup>

على غرار أكثر الموشحات، تغلب على هذا المقطع الخفة في تناول مسائل الغرام والشوق والشكوى من العُذال والهجر، وكما لاحظ بعض الدارسين، فإن الموشحات لا تُعنى في تفصيل المعاني وتعقيدها<sup>(٢)</sup> كما نجد في الشعر العمودي، بل تكتفي بإشارات تصويرية خفيفة، لكنها محببة إلى النفس، وقادرة على خلق

١- ابن سناء الملك، دار الطراز. تحقيق: جودت الركابي، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠، ص: ١١٥ / ١١٦.

٢- انظر: البيومي، محمد رجب، الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير، السعودية، إدارة الثقافة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٠، ص: ٩٧ / ٩٨.

البهجة فيها، وهذا ما يتفق مع رهان الوشاحين في إنتاج نصوص شعرية مُوجَّهة إلى العزف الموسيقي الممتع .

نقف في القفل الأول من المقطع المذكور، على استعارة أساسية، وهي قول الأعمى التُّطيلي عن الحبيب، إنه «حُلُو المجاني»؛ حيث جعل أعطياته ثماراً حلوة، يتطلع إلى جنيتها، ثم مدد هذه الاستعارة باستفهام بلاغي بديع: «ما ضرَّه لو أجناني»، يرغَّب من خلاله الحبيب على وصاله ومنحه الحب والجمال. وكما أسلفنا، فإن هذه المعاني تغلبُ عليها سمات الخفة والسهولة، لأن عمقها الاستعاري مألوف وشائع، ولأنها بسيطة غير مركَّبة، أضف إلى ذلك أن التسجيع الوارد في الغصن الأول من القفل (المجاني / أجناني)، قد عزَّز هاتين السمتين على نحو واضح. أما الغصن الثاني من القفل «كما عَناني به شُغلي به وعناني»، ففيه تأكيد -بواسطة التجنيس (عناني / عناني) - المعنى السهل نفسه لافتتان الشاعر بالحبيب وشقائه في حبه.

وفي سياق السهولة والخفة، نجد الأعمى التُّطيلي قد نظم هذا القفل على تفاعيل بحر الرجز لكن من غير التزام بنظامه الشائع:

حُلُو المجاني ما ضرَّه لو أجناني      كما عَناني شغلي به وعناني  
مُستفعلاتن مستفعلاتن مستفعل      مُتفعلاتن مستفعلاتن مُستفعل

وكما هو واضح، فإن زحافات وعللا لا علاقة لها بالرجز، قد دخلت على تفاعيل القفل، كالترفيل في الحشو (...)، وهذه الظواهر الإيقاعية الجديدة الداخلة على الرجز، إن دلت على شيء، فإنها تدل على إمعان الشاعر الوشَّاح في تأسيس قوله الشعري على الخفة والسهولة التامتين؛ فرغم أن الرجز معروف عند الشعراء بهاتين السمتين، فإن الأعمى التُّطيلي أراد الإمعان فيهما من أجل

سهولة أجلى، وخفة أبرز.

أما الأسماط التي أعقبت القفل الأول، فإنها تعتمد على تفاعيل الرجز التالية:

حُبُّ الجمال      فَرَضٌ على كل حرٍّ  
مُستفعلاتن      مُستفعلاتن مُتفعل

وعلى غرار ما قلناه عن معاني القفل، تتناغم إيقاعات الأسماط العروضية، في خفتها وسرعتها، مع المعاني الشعرية الرشيقة؛ حيث يلاحظ أن هذه الأسماط الثلاثة، تقسم معانيها إلى طَورين، طَور السؤال وطَور الجواب:

حُبُّ الجمال (سؤال)      فرض على كل حرٍّ (جواب)  
وفي الدلال (سؤال)      عُذر لخُلاع العُذر (جواب)  
هل في الوصال (سؤال)      عونٌ على طول الهجر (جواب)

فمن الواضح أن الشطر الأول من كل سمط، يثير ما يشبه السؤال، أو ما يوازي المبتدأ المحتاج إلى الخبر، بينما الشطر الثاني يقدم الجواب المنتظر، أو التنوير الذي يترقبه القارئ. وقد خلق الأعمى التَّطيلي تناغما جليا بين هذه الطريقة في بناء المعنى، وبين الوزن العروضي؛ حيث خصَّص للسؤال تفعيلة «مستفعلاتن»، وخصَّص للجواب تفعيلتي «مستفعلاتن مُتفعل»، وهذا ما خلق تناغما فريدا بين الوزن والمعنى، وبين أنهما قد تراكبا تراكبا مُحكما، وتمزاجا تمازجا واضحا جدا، من خلال اشتراكهما في السمات الشعري الخفيف السهل السريع.

وهذا السمت سيستمر في مقاطع موشَّح التَّطيلي الأخرى التي عني فيها بمدح أحد الأمراء (سما عليّ / لإمرة المسلمينا)؛ إذ ستردّ مرة أخرى تفاعيل الرجز بخصائصها الإيقاعية المخالفة للعروض الخليلي، كما ستردّ التصويرات

الخفيفة، والمعاني السريعة غير المعنية بالتفرّيع والتفصيل، وهذا معناه أن السّمت المذكور لا يرتبط بدلالة ينهض بها غرض شعري واحد فقط، بل يرتبط بمخرج قولي بخصائص موحّدة، لا تتغير بتغير الأغراض الشعرية.

نستطيع القول، إن مكونات هذا الموشح الشعري، تصويراً ومعنى ووزناً، قد تأسّست في مجملها على قاعدة شعرية جلية، هي قاعدة الخفة في التناول، والسهولة في الإبلاغ والبوح، والسّعة في تقرير الدلالة. وهذا ما يعطينا صورة عن واقع النص الشعري المركّب، الذي لا تنعزل فيه المكونات الشعرية، بل تتمازج وتتوحّد، وتشكل كلاماً متماسكاً ومُنسجماً.

ولعلّ هذه المحاولة التطبيقية في تحليل علاقة المعنى بالوزن، تدلّنا على أن المقصود بالمعنى الذي يتشكل الوزن على ضوئه، ليس هو المعنى المضموني، أو المعنى المرادف للغرض، إنّما هو المعنى الموسوم بسّمات مُحدّدة تحقّق الدلالة، مثل سمة الخفة والسهولة والسّعة والفخامة والسداجة والحدة واللين (...)، وغيرها من السمات التي هي بمنزلة إطارات عامة يتشكل داخلها المضمون الشعري، وهذا ما كان قد ذهب إليه أغلب الدارسين لإشكالية المعنى والوزن، مثل حازم القرطاجني وعبد الله الطيب وغيرهما، إذ لم يتحدث هؤلاء عن أغراض بعينها تناسب أوزاناً بعينها، لأن هذا الأمر لا يؤيده الواقع الشعري إطلاقاً، بل تحدّثوا عن ملاءمة سمات معنوية لأوزان بعينها، وهذا المذهب هو المنطلق القادر على إسعافنا في قراءة التشكّل المعنوي للأوان العروضية.

ورغم كل ما تقدّم، تظل هذه الإشكالية مُنفلتة، وغير قابلة للتنميط والتقييد، لأن النصوص الشعرية غير مُتطابقة، وواقعها، رغم ما يقدمه من إمكانيات لربط أوزان محدّدة بسّمات معنوية بعينها، فيه استثناءات كثيرة تؤكد خلاف ما نرى، لكن الأمر لا يتعلق بصياغة القواعد كما ذكرنا، إنّما الأمر نظر وتأويل وتعليل،

والباحث المتصدي لتحليل الشعر له ذوقه وأدواته وجميع ما يسعفه على التحرك في هذا المجال التأويلي الخصب، لتقديم رؤيته لبلاغة النص الشعري، ضمن رؤية تركيبية لا تفصل الوزن العروضي عن مكونات الشعر الأخرى.

## ٢- الوزن العروضي والروافد الإيقاعية الأخرى: أشكال التعاضد

على نحو ما يرتبط العروض بالمعنى، يرتبط بمكونات قريبة من طبيعته، وهي المكونات الإيقاعية، من قبيل القافية، والتكرار، والتسجيع، والموازنة، والجناس، وهذا ما يجعلنا نقول إن الإيقاع في القصيدة، يُبنى في قريحة الشاعر بناءً كلياً، لا مجال للفصل بين مكوناته، إلا في التحليلات المنهجية التي نعالج بها القصائد على سبيل التفكيك التقني المعزز للإدراك.

فبشأن القافية أفاد الدارسون القدامى عدداً من التأويلات بشأن ارتباطها بالعروض تارة، وبالمعنى البلاغي تارة أخرى، وهذا الاختلاف في النظر، هو المدخل إلى تفسير تباين وجهات النظر بخصوص التضمنين<sup>(١)</sup>؛ فهناك من عدّه عيباً، لأن القافية في رأيه هي «محل الوقف والاستراحة، فإذا كانت مفتقرة لما بعدها، لم يصح الوقف عليها»، وهذا الرأي، كما هو واضح، يراعي علاقة القافية بالعروض؛ ويميل إلى أن اكتمال الوزن في البيت يستدعي اكتمال المعنى والقافية، بحجة أن هذه الأخيرة هي محل الاستراحة والوقف، لذلك لا ينبغي التشويش عليها بتحويلها إلى ما بعدها. أما من ذهب إلى الدفاع عن التضمنين، فقد رأى فيه فوائد البلاغية المتشتملة في التفسير والتعلق المعنوي<sup>(٢)</sup> وغير ذلك من الأمور التي تخلق الانسجام بين أبيات القصيدة أو المقطوعة.

١- «هو أن يتم البيت والمعنى لم يتم، بل يكون متعلقاً بالبيت الآخر». المعري، أبو العلاء: الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٤، ص: ٥٣٧.

٢- المؤدب، في بلاغة النص الشعري القديم، ص: ١٨٨.

ولكي نتجنّب الربط الأحادي للقافية، إما بالعروض، وإما بالبلاغة، نقترح أخذ هذين المكونين معا في الاعتبار عند معالجة جماليتهما في النصوص الشعرية، ولو أن هذا الاقتراح صعب التطبيق، لأن الشعراء أنفسهم، بعضهم ينطلق في بناء قصيدته من معيار عروضي خالص، وبعضهم الآخر ينطلق من رؤية مزدوجة، تراعي متطلبات العروض والبلاغة، من غير التزام حرفي بالقواعد.

وفي سبيل تطبيق هذا المقترح المنهجي، نعود إلى الموشح الذي عالجنه سابقا، ونذكر بأننا وجدنا بلاغته تقوم على سمات السرعة والخفة والسهولة، لا في المعنى والتصوير، ولا في العروض (بحر الرجز - إدخال زحافات وعلل غير معتادة)، وهنا نضيف بأن هذه السمات تحققت على مستوى القافية أيضا، ولا سيّما ما يتعلق بحركة الرّوي، التي جاءت مكسورة في جميع الوحدات الشعرية:

- الأقفال (في الغصن الأول والثاني): أجناني - عناني - أجشاني - يلحاني - بلاني - بثاني. رويُّ النون هنا حركته هي الكسرة.

- الأسماط الأولى: حرّ - العذر - الهجر

- الأسماط الثواني: التلاقي - التراقي - اشتياقي

وحسب ما تقوله الدراسات النفسية اللغوية، فإن الكسرة تدل على اللين واللفظ والصغر<sup>(١)</sup>، وكلُّ هذه الصفات تنطبق على وزن الموشح المذكور كما رأينا، وتنطبق كذلك على المعنى والتصوير البلاغي، والاستنتاج الذي يفرض نفسه هنا أن اختيار الرّوي المكسور كان وراءه الباعث المتعلق بالوحدة العضوية لمكونات النص الشعري.

١ - مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٨٦، ص: ١٧٥.

بالإضافة إلى القافية، يمكن أن نشير مسألة التسجيحات والجناسات في دعم هذه السمات المقتبسة من مكونات شعرية عديدة، وفي إسباغ بعد موسيقي احتفالي على الموشح، من ذلك مثلاً: الجمال - الدلال - الوصال / التلاقي - التراقي - اشتياقي (...). وكما يمكن أن يدرك القارئ بسهولة، فإن هذه الظواهر الإيقاعية، أسست القول الشعري في الموشح على البعد الاحتفالي الممتع، وهو البعد نفسه الذي دفع الأعمى التُّطيلي إلى اختيار عروضه الشعري على أساس واضح من الحرية.

ولأن المقام لا يسمح بالإسهاب في تحليل جميع المكونات الإيقاعية (غير العروضية) على سبيل توضيح علاقتها الوثيقة بالعروض، فإننا نؤكد أن هذا المسلك في التحليل مسلك واعد، يمكنه أن يبعد عن التحليل العروضي بعده التُّقني المعزول عن المكونات الشعرية الأخرى، كما يمكنه أن يساعدنا في التحليل المتكامل لبلاغة الشعر.

### ٣- العروض ومسألة الأنواع الشعرية:

نفترض أن تحليل النصوص لا ينفك عن مقولات الأنواع الأدبية؛ فالمحلل حين يقارب نصاً ما، يستحضر خصائص النوع الذي ينتمي إليه ذلك النص<sup>(١)</sup>، لا على سبيل البحث عن حضورها أو غيابها، بل على سبيل تنوير تحليله بمبادئ مضبوطة، لا يتحول خلالها القول التحليلي إلى وصف عام للنص؛ فكما تثبت تجارب النصوص، فإن اللغة ووسائل الإبداع عامة، تتلون حسب خصائص النوع الأدبي، وبالتالي لا بد من معرفة هذه الخصائص.

وبموازاة ذلك، نفترض أن المبدع حين ينشئ نصاً ما، يراعي خصائص النوع،

١- انظر: مشبال، محمد، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، الكويت، مجلة عالم الفكر، ع ١، مجلد ٣٠، ٢٠٠١.

لا من جهة موافقتها دائماً، لأن النصوص الإبداعية تميل إلى الخرق والعدول عن التقاليد القارة والقديمة، بل من جهة العلم بها، وإحسان التصرف إزاءها عند موافقتها أو مخالفتها.

وما نريد قوله في هذا المحور، هو أن الوزن العروضيّ في القصائد يمكن أن يكون مُساعداً في الوصف النوعي للنصوص، وفي تفسير بعض الخصوصيات الإبداعية التي ترد فيها. وهذا القول يؤكد مسألة أساسية، وهي أن الوزن العروضيّ، يتدخل في إرساء الخصوصية النوعية للنصوص، كما تتدخل في ذلك طبيعة اللغة، ونوعية التصوير البلاغي (...). وهذا الأمر يؤكد لنا مرةً أخرى، أن الوزن العروضيّ لا يُقحم على النصوص إقحاماً اعتباطياً، بل يُبنى داخلها بناءً علائقياً يراعي مختلف المكونات البنائية للنص.

ولغرض التمثيل للصور التي يتدخل فيها العروض في تأسيس نوعية النصوص، يمكن الإشارة إلى بحر الرّجز الذي أعطانا نوعاً شعرياً شائعاً يُطلق عليه الأرجوزة، والتي عدّها الكثيرون نوعاً شعرياً مستقلاً عن القصيد، له اتجاهه التعبيري الخاص، الذي غالباً ما يرتبط بالمعنى الخفيف وقصر العبارة، وغرابة اللفظ، وتنوع القوافي، كما له اتجاهه الوزني الخاص في التصرف في تفاعيل الرّجز (...).

والقول نفسه، يمكن إيرادَه بخصوص الموشحات الأندلسية؛ فمن بين جميع المكونات الأخرى التي ميّزت البناء الفني لهذا النوع الشعري الجديد، التّوظيف العروضيّ المميّز في نصوصها، والذي قلنا سابقاً إنه غالباً ما يقتصر على بعض البحور السريعة الخفيفة، مثل الرمل والهزج والرّجز، بالإضافة إلى السماح لدخول بعض الزحافات والعلل غير المعتادة على البحور العروضية.

نستطيع القول إنّ التفكير العروضيّ الجديد في الموشح، كان الهدف منه

تأسيس نوع شعري جديد، وطبعاً لم يكن هذا التفكير مستقلاً عن التفكير في المكونات الشعرية الأخرى، إنما كان مزامناً لها، ومساعداً لها على إخراج نوع شعري غير معتاد في الثقافة الجمالية العربية القديمة السابقة على الوجود العربي في الأندلس.

يضاف إلى هاتين التجريبتين (الرجز والموشح)، تجربة شعر التفعيلة، التي انطلقت في تأسيسها نمطاً شعرياً جديداً، من التجديد العروضي، ومن تجديدهات أخرى تمس اللغة والتصوير والموضوعات المعالجة (...).

وإنَّ ما نريد تأكيده هنا، هو إمكان استثمار الوزن العروضي في التحليل الشعري المنضبط بمقولة النوع. ورغم الصعوبات التي يمكن أن تواجه هذا الاختيار التحليلي، وخاصة في ما يتعلق بالبحور التي يصعب بيان إسهامها في صناعة نوعية النص أو صيغته أو سماته، فإن بعض النماذج الشعرية تتيح هذا النوع من التحليل كما رأينا في الأمثلة المذكورة. والمعول في تطوير هذا المقترح التحليلي، هو الافتراض بأن الوزن العروضي له تأثير على مكونات شعرية أخرى، فهذا الافتراض، يعني، في جملة ما يعنيه، أن العروض يسهم في تأسيس الخصائص النوعية للنصوص.

## خاتمة

حاولت هذه الدراسة بيانَ الأهمية التي يحتلّها المكوّن العروضيّ في النصوص الشعرية، كما حاولت تقديم مقترحاتها بشأن تحليل حضوره البارز في النصوص، بما يجعله موصولاً ببقية المكوّنات الشعرية الأخرى، وبما يبعد عنه النظر التقني الذي يكتفي بتقرير طبيعته، دون بذل الجهد في توضيح إسهامه في تأسيس البلاغة الكلية للنص الشعري. وقد انطلقت المقترحات المقدّمة من ثلاثة مداخل كبرى، تراعي الاشتغال العلائقي للوزن العروضيّ داخل النص، وهي:

تأويل العلاقة بين الوزن العروضيّ والمعنى الشعريّ.

بيان العلائق الواصلة بين الوزن العروضيّ والمكونات الإيقاعية الداخلية.

استثمار الوزن العروضيّ في التحليل الواصف لخصائص الأنواع الشعرية.

وإذا كانت هناك توصية ما يمكن الخلوص إليها في نهاية هذه الدراسة، فهي التوصية بأهمية الاعتناء بهذا المبحث المهم للغاية، في أفق خلق نقاش علمي يُعني مقارباتنا التطبيقية لبلاغة الشعر العربي.

## المصادر والمراجع

- الأخنش، أبو الحسن (ت ٢١٥هـ)، كتاب القوافي، تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٧٠.
- البيومي، محمد رجب، الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير، السعودية، إدارة الثقافة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٠.
- الروبي، ألفت كمال، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- سناء الملك، ابن (ت ٦٠٨هـ)، دار الطراز. تحقيق: جودت الركابي، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠.
- ضيف، أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، مصر، مطبعة مصر، ط١، ١٩٢٤.
- الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الكويت، دار الآثار الإسلامية، ط١، ١٩٩٠.
- العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٨.
- العمري، محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ١٩٩٩.
- عياد، شكري، موسيقى الشعر العربي مشروع دراسة علمية، القاهرة، دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٨.
- القرطاجني، حازم (ت ٦٨٤)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦.
- مشبال، محمد، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، الكويت، مجلة عالم الفكر، ع ١، مجلد ٣٠، ٢٠٠١.
- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٨٦.

- المعري، أبو العلاء، الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، مصر، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٤.
- المؤدب، محمد الأمين، في بلاغة النص الشعري القديم معالم وعوالم، المغرب، مطبعة الخليج العربي، ط ١، ٢٠١٠.
- هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، د. ت.

### Sources and References:

- Al omari, Muhammed, Arabic rhetoric, its origins and extensions, Casablanca, East Africa, 1999.
- Al-akhfash, abu l-hassan, Rhymes book, Investigation by Izz-at Hassan, Damascus, 1970.
- Al-Askari, Abu Hilal , Kitab A-ssina-atayn, investigation: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Beirut, Al-Asriyyah Library, 1998.
- Albayummi, Muhammed Rajab, Andalusian Literature, Department of Culture at Imam Muhammad Bensaud Islamic University, 1980.
- Al-Maari, Abu Al-Ala, Al-Sahel and Al-Shahij, investigation: Aisha Abdel-Rahman, Egypt, Dar Al-Maarif, second edition.
- Almu-addab, Muhammed Al-amin, in the rhetoric of the ancient poetic text, Morocco, Press of Alkhakij al-Aarabi, first edtion, 2010.
- Al-Qartajani, Hazem , Minhaj al-Balgha and Siraj al-Adaba, presented and verified by: Muhammad al-Habib ibn al-Khawja, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, third edition, 1986.
- Al-Tayeb, Abdullah , The Guide to Understanding Arab Poetry, Kuwait, Dar Al-Athar Al-Islamiyyah, first edition, 1990.
- Arrubi, Ulfat Kamal, Poetry Theory of Muslim Philosophers from Al-Kindi to Ibn Rushd, Egypt, Egyptian General Book Authority, 1984.
- Ayad, Shukri, The Music of Arabic Poetry, A Scientific Study Project, Cairo, Dar Al-Maarifa, second edition, 1978.
- Dhayf, Ahmed, The rhetoric of the Arabs in Andalus, Egypt, Egypt Press, First Edition, 1924.
- Homer, The Iliad, Translated by Suleiman Al-Bustani, Egypt, Kalimat Arabic Press, without date.
- Meshbal, Muhammad, Rhetoric and the Concept of Literary Gender, Kuwait, World of Thought Magazine, Issue 1, Volume No. 30, 2001.
- Muftah, Muhammad, Analysis of Poetic Discourse (Intertextuality Strategy), Beirut, Arab Cultural Center, second edition, 1986.
- Sanae Almolok, ibn, Dar Attira-z, Investigation by Jawdat Arrikabi, Damascus, Da'r al-fikr, 1980.

موقف بعض القوانين العربية من  
التعديلات في عقود المقاومات الإنشائية  
دراسة تطبيقية فقهية

**The Position of Some Arab Laws on Adjustments  
to Construction Contracts  
An Applied Jurisprudential Study**

د. خالد بن صالح بن حمود اللحيان  
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل - المملكة العربية السعودية

**Dr. Khalid Bin Saleh Bin Hmoud Al-Luhaidan**  
University of Imam Abdul Rahman bin Faisal - Kingdom of Saudi Arabia

<https://doi.org/10.47798/awuj.2025.i70.10>

تاريخ تسلم البحث 2022/11/30 - وصدر خطاب القبول 2023/05/22





## Abstract

The research addressed the position of some Arab laws on adjustments to construction contracts agreements, an applied jurisprudential study. and it aimed at elucidating the position of the Egyptian law, the Jordanian law, and the Emirati law, on construction contracts in law and the jurisprudential rulings related to it. The researcher followed the inductive and the analytical and the inferential method.

The most significant findings research include, that the laws laid down the foundations and the general principles that would ensure justice regarding adjustments to construction contracts, but it did not address it in a comprehensive way that would preclude disputes between the parties.

The research recommended the study of the judicial applications of Arab countries on adjustments to construction contracts, and the study of the comprehensive conditions of construction contracts from the legal, the jurisprudential, and the judicial perspectives, and working on the draft of model contracts for construction contacts that would be relevant to the contemporary developments, and ensure justice and reflect the objectives of the Sharī'ah.

**Keywords:** Adjustments, changes, contracts, Arab laws, Islamic jurisprudence.

## ملخص البحث

يتناول البحث موقف بعض القوانين العربية من التعديلات في عقود المقاومات الإنشائية، دراسة تطبيقية فقهية. ويهدف إلى بيان موقف القانون المصري، والأردني، والإماراتي، من التعديلات في عقود المقاومات الإنشائية في القانون، والأحكام الفقهية المتعلقة بها. واتبع البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي.

وأهم النتائج التي خلص إليها: أن القوانين وضعت الأسس والقواعد العامة التي تحقق العدالة فيما يتعلق بالتعديلات في المقاومات الإنشائية، إلا أنها لم تعالجها بشكل تفصيلي، بحيث تحد من النزاعات بين الأطراف.

ويوصي البحث بدراسة التطبيقات القضائية للبلدان العربية على التعديلات في عقود المقاومات الإنشائية، ودراسة الشروط التفصيلية لعقود المقاومات الإنشائية من الناحية القانونية والفقهية، والسعي بصياغة عقود نموذجية تفصيلية للمقاومات الإنشائية، تتسم بمواكبة المستجدات المعاصرة، وتحقيق العدالة، والمحافظة على المقاصد الشرعية.

الكلمات الافتتاحية: تعديلات، تَعْيِيرَات، مقاولات، القوانين العربية، الفقه الإسلامي.



## مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ففي ظل كثرة المشاريع الإنشائية في الوطن العربي وفي العالم كله، زادت أعمال المقاولات الإنشائية المتعلقة بالقطاع الخاص العام. وهذا التوسع الكبير كما يُحتاج فيه إلى الاهتمام بالنواحي الفنية والمهنية، يُحتاج كذلك إلى ضبط الصياغة القانونية والشرعية؛ نظرًا لتنوع صيغ العقود، وكثرة الخلافات بين الأطراف؛ مما يستلزم دراسة هذه العقود، ومحاولة إيجاد حلول قانونية وشرعية بما يتواءم من مستجدات العصر، ويحقق المصلحة المنشودة.

ومع تعدد الدراسات القانونية والشرعية المتعلقة بعقود المقاولات في البلدان العربية، إلا أنها اقتصرت على أصول العقد، وترك الخوض في كثير من التفاصيل والجزئيات، خاصة ما يتعلق بالتعديلات، وعليه تظهر الحاجة إلى دراسة الجانب القانوني والشرعي المتعلق بذلك، في ضوء بعض القوانين العربية (مصر، والأردن، والإمارات). بحيث يكون عنوان البحث «موقف بعض القوانين العربية من التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية، دراسة تطبيقية فقهية»، وأسأل الله أن ينفع به كاتبه وقارئه.

### أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في عقد المقاولات الإنشائية، في دراسة أحد أهم الإشكاليات فيه، وهو ما يتعلق بالتعديلات، في ضوء بعض القوانين العربية، والحاجة إلى معرفة أحكامها الشرعية، وآثارها.

### مشكلة البحث:

ما حقيقة التعديلات للمقاولات الإنشائية؟ وما حالاتها وشروطها في ضوء

قوانين بعض الدول العربية؟ وما الأحكام الفقهية المتعلقة بها والآثار المترتبة عليها؟

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان موقف القانون المصري، والأردني، والإماراتي، من التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون، والأحكام الفقهية المتعلقة بها.

### الدراسات السابقة:

لم أطلع - حسب علمي - على بحث مستقل بموضوع الدراسة، ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولت بعض جوانب البحث، وهي:

- «الأوامر التغييرية في عقد المقاولات، في كل من القانون الأردني والمصري، وشروط عقد المقاوله فيدك»، لممدوح الرشيدات، رسالة دكتوراه<sup>(١)</sup>. وقد اشتملت على بيان معنى الأوامر التغييرية، والفرق بينها وبين الإضافات، وشروط التغييرات، وإجراءاتها، وبيان محلها في كل من القانون الأردني والمصري، ولكنها لم تُعَنَ بدراسة أحكامها في الفقه الإسلامي، وهذا ما يُعنى به البحث ويتناوله.

- إشكاليات تنفيذ الأوامر التغييرية في عقود الفيدك وآلية تسويتها». شمس الدين الخزاعلة، رسالة دكتوراه، ٢٠١٣م<sup>(٢)</sup>. وقد اشتملت على ماهية الأوامر التغييرية، وإشكاليات تنفيذها، وركزت على مجالات تسوية منازعات عقود الفيدك، ولكنها لم تتناول أحكام التغييرات في عقود المقاولات في

١- الرشيدات، ممدوح. «الأوامر التغييرية في عقد المقاولات في كل من القانون الأردني والمصري وشروط عقد المقاوله فيدك». رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، ٢٠٠٤م.

٢- الخزاعلة، شمس الدين. «إشكاليات تنفيذ الأوامر التغييرية في عقود الفيدك وآلية تسويتها». رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، ٢٠١٣م، ص: ٣٤.

القوانين العربية في الفقه الإسلامي، وهذا ما يعنى به البحث .

- أبحاث مقدمة لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، في دورته الرابعة عشر، وهي: عقد المقاوله، أ.د. عجيل جاسم النشمي. وعقد المقاوله: الإنشاء والتعمير، حقيقته تكييفه، صوره، أ.د. محمد جبر الألفي. وهي أبحاث ركزت على بيان أحكام عقد المقاوله في الفقه الإسلامي، وصوره، وتكييفه الفقهي، وذكرت بعض أحكام التعديلات إجمالاً، في حدود صفحة أو صفحتين، من غير بيان حقيقة التعديلات، وأحكامها وآثارها، في ضوء القوانين العربية، وهذا ما سيتناوله البحث إن شاء الله (تعالى).

#### أسباب اختيار البحث:

عدم وجود دراسة مستقلة في موضوع البحث، وانتشار التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية، وكثرة النزاعات الناتجة عنها، بدليل كثرة القضايا المتعلقة بها في المحاكم.

#### حدود البحث:

ما كتبه القانونيون وأهل الاختصاص في موضوع التعديلات في المقاولات الإنشائية، في القانون المصري، والأردني، والإماراتي، والنظر فيما ذكره الفقهاء السابقون والمعاصرون حولها.

#### منهج البحث، وإجراءاته:

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج الاستنباطي، من خلال استنباط الأحكام الفقهية للتعديلات في ضوء بعض القوانين العربية؛ بناء على الأصول الشرعية، ومقارنة كلام أهل الاختصاص مع ما ذكره الفقهاء.

أما إجراءات البحث، فقد اتبع الباحث المعهود في ذلك، مع التنبيه إلى عدم الاستقصاء في ذكر الخلاف في المسائل الفقهية غالباً، وإنما الإشارة إلى ما يحتاجه البحث منها.

### خطة البحث:

تتكون خطة البحث مما يلي:

مقدمة، تشمل: أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهجه، وإجراءاته. وثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: تعريف التعديلات والمقاولات الإنشائية.

المبحث الثاني: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون المصري، والأحكام الفقهية المتعلقة بها.

المبحث الثالث: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون الأردني، والأحكام الفقهية المتعلقة بها.

المبحث الرابع: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون الإماراتي، والأحكام الفقهية المتعلقة بها.

خاتمة: أذكر فيها أبرز النتائج، والتوصيات.

فهرس المراجع .

## المبحث الأول: تعريف التعديلات، والمقاولات الإنشائية

المطلب الأول: تعريف التعديلات، والألفاظ ذات الصلة

الفرع الأول: تعريف التعديلات

التعديلات لغة: جمع تعديل، مصدر عدل، ومعناه يدل على التسوية والتقويم والرجوع<sup>(١)</sup>.

أما في اصطلاح أهل الاختصاص، فهي: اتفاقية ملحقة بالعقد الأصلي، بين المفاوض ورب العمل، وغالبًا ما تكون كتابية؛ تهدف إلى تحقيق مصلحة المشروع، عن طريق إجراء تغيير على محل العقد بالإضافة، أو الحذف، أو تعديل في طبيعة الأعمال، من حيث المدة، أو التكلفة، أو الأبعاد، أو الكمية، أو النوعية، أو المواصفات، أو الجودة، وذلك أثناء تنفيذ العقد، مقابل عوض معين<sup>(٢)</sup>.

الفرع الثاني: الألفاظ ذات الصلة

للتعديلات مصطلحات مشابهة لها، ومنها: التغيّرات، والإضافات، وأوامر التغيير.

المسألة الأولى: تعريف التغيّرات

التغيّرات لغة: جمع تغيّر، مصدر غيّر. يقال غيّر الشيء: أزاله، أو بدل به غيره، أو جعله على غير ما كان عليه. تقول: غيرت داري، إذا بنيتها بناء على غير

١- ابن فارس، أحمد بن زكريا. «معجم مقاييس اللغة»، ت: عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الجليل، ١٩٩٩م)، ٤/ ٢٤٦-٢٤٧؛ والفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. «القاموس المحيط» (ط٢)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ)، ص: ١٣٣٢؛ ومجمع اللغة العربية. «المعجم الوسيط». إبراهيم مصطفى وآخرون. (القاهرة: دار الدعوة)، ١/ ٥٨٨.

٢- انظر: الجمال، د. سمير حامد. «القواعد القانونية المستحدثة في عقود الفيدك». مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد: ٥٢، ص: ٤٨؛ والحموي، أسامة. «الشرط الجزائي وسلطة القاضي في تعديله دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون». (ط١، دمشق: مطبعة الزرععي، ١٩٩٧م)، ص: ٣٤٥.

الذي كان<sup>(١)</sup>.

اصطلاحًا: لا تختلف في معناها عن معنى التعديلات.

### المسألة الثانية: تعريف الإضافات

الإضافات لغة: جمع إضافة، وأصله «ضَفَّ»، الضَّادُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، ويدل على الاجتماع والكثرة<sup>(٢)</sup>.

اصطلاحًا: ليس لها معنى اصطلاحى خارج عن معناها اللغوي، ولكن اختلف في تحديد المراد بها عند أهل القانون والاختصاص، على تعريفات ثلاثة، هي:

الأول: كل تعديل، أو إضافة، أو تغيير، لم يرد النص عليه في العقد الأصلي، واقتضت ظروف المشروع تنفيذه<sup>(٣)</sup>.

الثاني: الأعمال الجديدة التي تكون خارج نطاق العقد الأصلي، ولا يوجد لها مقابل تعويضي في العقد<sup>(٤)</sup>.

الثالث: الأعمال التي لم تدرج صراحة، أو ضمناً في مواصفات وخطة العمل المتفق عليه في العقد ابتداءً، وهي من ذات طبيعة الأعمال الأصلية المتفق على إجرائها، ويحدد السعر فيها على أساس السعر الوارد في العقد بالنسبة للأعمال الأصلية<sup>(٥)</sup>.

١- انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: ٥٨٣؛ والقاموس الوسيط، ص: ٦٦٨ / ٢؛ والفيومي، أحمد بن محمد بن علي. «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». (بيروت: المكتبة العلمية)، ص: ١٧٥؛ وعمر، د. أحمد مختار عبد الحميد. «معجم اللغة العربية المعاصرة». (ط ١، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ)، ١٦٥٥ / ٢.

٢- انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣ / ٣٥٦؛ والفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: ١٠٧٣.

٣- الجمال، القواعد القانونية المستحدثة في عقود الفيدك، ص: ٦١.

٤- الخزاعلة، إشكاليات تنفيذ الأوامر التغييرية في عقود الفيدك وآلية تسويتها، ص: ٣٤.

٥- انظر: عيسى، رياض. «أحكام الأعمال الإضافية في عقود الأشغال العامة» مجلة الحقوق، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، عدد: ٤، سنة: ١١، ديسمبر ١٩٨٧ م، ص: ١١٧.

الترجيح بين التعريفات: أما التعريف الأول فشامل؛ بحيث إن الإضافات تشمل كل ما يطلق عليه تغيير، أو إضافة، أو تعديل؛ وعليه فتكون الإضافات مرادفة للتعديلات. والتعريف الثاني يحصر الإضافات بالأعمال الجديدة، التي لم ينص عليها في العقد، ولا يوجد فيه أسعار ترجع إليها. بينما التعريف الثالث يحصر الإضافات بزيادة كمية الأعمال، التي هي من جنس ونوع الأعمال الأصلية المحدد أسعارها بالعقد. وعلى هذا فينظر في معنى الإضافة بحسب العقد الواردة فيها، وفي حال اجتماعها مع التعديلات، فغالبًا ما تكون التعديلات أعم من الإضافات. ويمكن أن نعرف الإضافات بناء على ما سبق، أنها الأعمال التي تكون خارج نطاق العقد الأصلي، أو من ذات طبيعة الأعمال الأصلية، ويحدد السعر فيها، إما بالاتفاق، أو على أساس السعر الوارد في العقد بالنسبة للأعمال الأصلية.

### المسألة الثالثة: أوامر التغيير

أوامر التغيير، هي: كل أمر يصدر من المهندس الاستشاري، بشكل كتابي إلى المقاول؛ وذلك بناء على طلب من صاحب العمل، أو باقتراح من المقاول، أو بمبادرة من المهندس نفسه؛ وذلك بهدف حذف، أو إضافة، أو تعديل على الأعمال محل العقد، من حيث تكلفة المشروع، أو مدة الإنجاز، أو كمية المواد المرصودة، ومواصفاتها الفنية، وكذا جودتها، وهذا في أثناء عملية الإنشاء، وقبل صدور شهادة تسليم المنشأ الهندسي<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فأوامر التغيير، هي الأوامر الصادر ممن له سلطة التغيير، والمتضمنة للتعديلات.

١ - انظر: الطيب، د. بوحالة. «عقود الإنشاءات الهندسية الدولية المبرمة وفقًا لشروط عقد الاتحاد الدولي للمهندسين الاستشاريين (الفيديك)، وآلية تسوية المنازعات الناشئة عنها» (ط١)، المنصورة: دار الفكر والقانون، ٢٠١٩م)، ص: ٢١٨.

## المطلب الثاني: تعريف المقاولات الإنشائية

المقاولات: لغة: جمع مقاول، وهي، المجادلة، والمفاوضة<sup>(١)</sup>.

وعند القانونيين: عقد يتعهد بمقتضاه أحد المتعاقدين أن يصنع شيئاً، أو أن يؤدي عملاً لقاء أجر، يتعهد به المتعاقدين الآخرين<sup>(٢)</sup>.

وعند الفقهاء المعاصرين: «عقد يتعهد أحد طرفيه بمقتضاه، بأن يصنع شيئاً، أو يؤدي عملاً، مقابل بدل، يتعهد به الطرف الآخر»<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا يكون تعريف المقاولات الإنشائية: عقد يتعهد بموجبه مقاول بأن يبني لآخر بناءً ذا مخططات ومواصفات وكميات معينة، مقابل بدل معين<sup>(٤)</sup>.

المبحث الثاني: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون المصري،  
والأحكام الفقهية المتعلقة بها

### المطلب الأول: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون المصري

قد تكون التعديلات في المقاولات الإنشائية متعلقة بعقود خاصة، وهذه مرجعها إلى القانون المدني، وقد تكون متعلقة بعقود حكومية، وهذه مرجعها إلى القانون الإداري.

- ١- انظر: الفيومي، المصباح المنير، ٢/ ٥١٩؛ والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، ٢/ ٧٦٧.
- ٢- انظر: المادة (٦٤٦) من القانون المدني المصري، قانون رقم ١٣١ والمعدل في ١٣ أكتوبر عام ٢٠٢١؛ والسهنوري، د. عبدالرزاق. «الوسيط في شرح القانون المدني الجديد». (ط٣)، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، (٢٠٠٠م)، مج ٧، ج ٢، ص: ٥.
- ٣- منظمة المؤتمر الإسلامي، بجدة. «قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي». الإصدار الرابع، ٢٠٢٠م.، قرار رقم: ١٢٩ (١٤/ ٣)، ص: ٤٠٨.
- ٤- انظر: الألفي، أ.د. محمد جبر، «عقد المقاول، الإنشاء والتعمير، حقيقته، تكييفه، صورته». مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، الدورة: ١٤، عدد/ ١٤، ٢٠٠٤م، ص: ١٤٦؛ والمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني. «عقود التشييد ٢٠٩ مدن» الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، ص: ٢.

## الفرع الأول: التعديلات في المقاولات الإنشائية في القانون المدني المصري

لا يوجد في القانون المدني المصري نصوص خاصة تنظم التعديلات، أو تحدد ماهيتها، أو أحكامها، وإنما اكتفت بتناول مقتضب للإضافة أو التعديل، الذي يحدث في أثناء تنفيذ أعمال المقاول، وذلك عند تناول التزام صاحب العمل بدفع الأجرة<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن في الحال التي يتفق فيها المتعاقدان على مقدار الأجر، أو على الأسس التي يقوم عليها التقدير؛ فلا يجوز تعديله بالزيادة أو بالإنقاص إلا باتفاق الطرفين. وعليه فلا يجوز لأحد منهما أن يستقل بالتعديل<sup>(٢)</sup>؛ وفقاً للمادة (١ / ١٤٧) من القانون المدني المصري: (العقد شريعة المتعاقدين، فلا يجوز نقضه، ولا تعديله إلا باتفاق الطرفين، أو للأسباب التي يقررها القانون)<sup>(٣)</sup>.

وللتعديلات في عقود المقاولات الإنشائية حالات، نستعرضها فيما يلي:

**الحالة الأولى:** أن يكون الأجر في المقاوله متفقاً عليه، بمقتضى مقايضة على أساس الوحدة، بحيث تتجاوز كميات الأعمال المقدرة مجاوزة محسوسة - كثيرة - وغير جسيمة ومرهقة، لسبب لم يكن معروفاً أو متوقفاً وقت العقد، وأن يخطر المفاوض فوراً رب العمل متى تبينت الزيادة، مبيناً مقدار ما يتوقعه من زيادة في الكم والثلث؛ فهنا تجب زيادة الأجر على حسب سعر الوحدة بما يتناسب مع هذه المجاوزة.

ففي المادة (١ / ٦٥٧) من ذات القانون: (إذا أبرم عقد بمقتضى مقايضة على أساس الوحدة، وتبين في أثناء العمل أن من الضروري لتنفيذ التصميم المتفق

١- انظر: الجمال، القواعد القانونية المستحدثة في عقود الفيديك، ص: ٤٨، والقانون المدني المصري، م / ٦٥٨ / ١، ص: ٦٠.

٢- انظر: السنهوري، الوسيط، ٧ / ١٦٠.

٣- القانون المدني المصري، ص: ١٢.

عليه، مجاوزة المقايسة المقدرة مجاوزة محسوسة؛ وجب على الماقل أن يخطر في الحال رب العمل بذلك، مبيناً مقدار ما يتوقعه من زيادة في الثمن. فإن لم يفعل سقط حقه في استرداد ما جاوز به قيمة المقايسة من نفقات<sup>(١)</sup>.

ويتبين من النص سالف الذكر أن هناك شروطاً أربعة، يجب توافرها لاستحقاق العوض في التعديلات:

**الشرط الأول:** أن يكون الأجر في الماولة متفقاً عليه بمقتضى مقايسة على أساس الوحدة، حيث يقتضي ذلك أن يتفاوت الأجر بحسب كمية الأعمال المنفذة.

**الشرط الثاني:** مجاوزة كميات الأعمال المقدرة في المقايسة، مجاوزة محسوسة غير جسيمة، لسبب لم يكن معروفاً، أو متوقفاً وقت العقد، فإذا ورد في المقايسة مثلاً، كميات معينة للأعمال الخاصة بالأساس، ثم رأى الماقل عند حفر الأساس أنه يجب تعميقه أكثر مما قدر في المقايسة، وأن هذا التعميق يقتضي كميات من العمل تزيد زيادة محسوسة عما هو وارد في المقايسة؛ فهنا تجب زيادة الأجر بما يتناسب مع هذه المجاوزة. أما إذا لم تكن الزيادة محسوسة بأن زادت زيادة طفيفة؛ فلا اعتبار بها. وكذا لو كانت الزيادة متوقعة عند إبرام عقد الماولة؛ فلا اعتبار لها<sup>(٢)</sup>.

وفي المادة (٢ / ٦٥٧) من ذات القانون: (فإذا كانت المجاوزة التي يقتضيها تنفيذ التصميم جسيمة؛ جاز لرب العمل أن يتحلل من العقد، ويقف التنفيذ، على أن يكون ذلك دون إبطاء، مع إيفاء الماقل قيمة ما أنجزه من الأعمال، مقدرة وفقاً لشروط العقد، دون أن يعوضه عما كان يستطيع كسبه لو أنه أتم العمل)<sup>(٣)</sup>.

١- المرجع السابق، ص: ٦٠.  
٢- انظر: السنهوري، الوسيط، ٧ / ١٦٥.  
٣- القانون المدني المصري، ص: ٦٠.

ويستخلص من هذا النص أنه إذا كانت المجاوزة جسيمه، فإن ربَّ العمل يكون بالخيار بين أمرين:

**الأمر الأول:** أن يبقى عقد المقاولة نافذاً بجميع شروطه، فيما عدا الأجر؛ فإنه يزيد بما يتناسب مع الزيادة الجسيمة.

**الأمر الثاني:** أن يتحلل ربُّ العمل من المقاولة في حال كانت الزيادة الجسيمة في الأجر مرهقة له. وفي هذه الحالة يطلب من المقاول وقف العمل فوراً، وأن يعرض المقاول قيمة ما أنجزه من الأعمال إلى يوم إخطاره بوقف العمل، مقدرة وفقاً لشروط العقد وطبقاً للمقايضة، دون أن يعرضه عما كان يستطيع كسبه لو أنه أتم العمل<sup>(١)</sup>.

**الشرط الثالث:** أن يخطر المقاول فوراً ربَّ العمل متى تبينت الزيادة، مبيناً مقدار ما يتوقعه من زيادة في الكم والثلث<sup>(٢)</sup>.

**الحالة الثانية:** إذا حدد فيه الأجر إجمالاً على أساس تصميم معين، متفق عليه بين المقاول الأصلي وربَّ العمل؛ فلا يكون قابلاً للتعديل، لا بالزيادة ولا بالنقص، وليس للمقاول أن يطلب بأية زيادة في الأجر، إلا في صورتين:

١- إذا كان التعديل بسبب راجع إلى رب العمل، واستوجب زيادة في التكاليف؛ فيتحملها رب العمل.

٢- إذا أذن ربُّ العمل للمقاول بالتعديل، واتفق معه على مقدار الأجر الزائد. أما إذا أذن له ولم يتفق معه على الأجر؛ فلا يستحق الزيادة في الأجر.

وفي هذا نصت المادة (١ / ٦٥٨) من القانون المدني: (إذا أبرم العقد بأجر

١- انظر: السنهوري، الوسيط، ٧/ ١٦٨-١٦٩.

٢- انظر: المرجع السابق، ٧/ ١٦٥-١٦٦.

إجمالي، على أساس تصميم اتفق عليه ربُّ العمل؛ فليس للمقاول أن يطلب بأية زيادة في الأجر، ولو حدث في هذا التصميم تعديل أو إضافة، إلا أن يكون ذلك راجعاً إلى خطأ من ربُّ العمل، أو يكون مأذوناً به منه، واتفق مع المقاول على أجره). وفي المادة (٢ / ٦٥٨): (ويجب أن يحصل هذا الاتفاق كتابة، إلا إذا كان العقد الأصلي ذاته قد أنفق عليه مشافهة)<sup>(١)</sup>.

ويتبين من المادتين سالفتي الذكر، أن هناك شروطاً ثلاثة يجب توافرها لعدم جواز التعديل واستحقاق الأجر، وهي:

**الشرط الأول:** أن يكون الأجر قد حدد بمبلغ إجمالي، لا يزيد ولا ينقص. فلو أدخل المقاول تعديلاً على التصميم؛ فلا يزيد الأجر بهذا التعديل، ولو كان هاماً نافعاً، بل ولو كان ضرورياً. كذلك لا يزيد الأجر حتى لو زادت أسعار المواد الأولية، أو زادت أجور العمال. كما إذا تبين أن طبيعة الأرض تقتضي أعمالاً أكثر كلفة، فيما عدا الغلط الجوهري، وذلك تحقيقاً لإرادة المتعاقدين من الاطمئنان والاستقرار والثبات<sup>(٢)</sup>.

أما إذا كان الأجر الإجمالي غير محدد تحديداً نهائياً، كأن اتفق الطرفان في العقد على زيادة الأجر أو نقصه، إذا تبين أن تكاليف العمل أقل أو أكثر مما كان مقدراً؛ فهنا يزيد الأجر أو ينقص دون حاجة إلى اتفاق كتابي على تعديل التصميم، وعلى مقدار الأجر<sup>(٣)</sup>.

**الشرط الثاني:** أن تكون المقابلة على أساس تصميم معين متفق عليه وقت العقد، يتضمن جميع الأعمال المطلوبة بشكل واضح ودقيق، وذلك حتى تتبين حدود العمل على وجه كامل واضح نهائي. وفي حال كان التصميم نهائياً؛ فلا

١- القانون المدني المصري، ص: ٦٠.

٢- انظر: السنهوري، الوسيط، ٧/ ١٧٢ و ٧/ ١٧٥-١٧٦.

٣- انظر: المرجع نفسه، ٧/ ١٧٢.

يجوز أن يحتفظ أحد الطرفين بحق إجراء تعديل في التصميم. فإذا احتفظ أحد الطرفين بحق إجراء تعديل في التصميم في أثناء تنفيذ المفاوضة، سواء بالإضافة أو بالحذف أو بالتغيير؛ فإن التصميم لا يكون نهائياً، ولا تكون المفاوضة قد أبرمت على أساس تصميم معين متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وأما إذا لم يكن نهائياً؛ فيجوز أن يتفق المتعاقدان على أن يكون للمفاوض الحق في القيام بأعمال لا يتضمنها التصميم، إذا كانت هذه الأعمال ضرورية للتنفيذ، وأن يتقاضى أجراً عليها، ولو لم يأذن ربُّ العمل صراحةً بها، ولم يتفق على أجرها<sup>(٢)</sup>.

**الشرط الثالث:** أن يكون عقد المفاوضة مبرماً بين ربِّ العمل والمفاوض الأصلي، حماية لربِّ العمل وقلة خبرته. أما إذا أبرم بين مفاوض أصلي ومفاوض من الباطن؛ فإن له أن يجري تعديلاً في التصميم بعد موافقة المفاوض الأصلي، ودون حاجة للاتفاق معه على الأجر الزائد في مقابل هذا التعديل، ويرجع مع ذلك بالأجر الزائد حسب أهمية التغيير ونفقات العمل<sup>(٣)</sup>.

**الشرط الرابع:** أن يكون الاتفاق على هذه الزيادة ثابتاً بالكتابة، إذا كان عقد المفاوضة الأصلي مكتوباً، واشتراط الكتابة لا في إثبات مقدار الزيادة في الأجر فحسب، بل تشترط أيضاً في إثبات الاتفاق على التعديل في ذاته<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا نصت المادة (٦٥٨ / ٢): (ويجب أن يحصل هذا الاتفاق كتابة، إلا إذا كان العقد الأصلي ذاته قد أُنْفِقَ عليه مشافهة)<sup>(٥)</sup>. والكتابة هنا ليست لازمة إلا للإثبات، وتغني عنها البيينة، والقرائن إذا وجد مانع مادي أو أدنى، يحول دون

١- انظر: المرجع نفسه، ٧ / ١٧٢-١٧٣.

٢- انظر: المرجع نفسه، ٧ / ١٧٦.

٣- انظر: المرجع نفسه، ٧ / ١٧٣-١٧٤.

٤- انظر: المرجع السابق، ٧ / ١٧٩.

٥- القانون المدني المصري، ص: ٦٠.

الحصول على الكتابة، أو فقد المساواة سنده المكتوب لسبب لا يد له فيه<sup>(١)</sup>.  
وقوله في المادة (٦٥٨ / ١) من القانون: (إلا أن يكون ذلك راجعاً إلى خطأ من رب العمل، أو يكون مأذوناً به منه، وأتفق مع الماقل على أجره)<sup>(٢)</sup>. فهنا يجوز التعديل، ويرجع الماقل بالزيادة على رب العمل في حالتين:

**الحالة الأولى:** إذا كان التعديل بسبب راجع إلى رب العمل، سواء كان ذلك لخطأ أو تقصير أو غيره، واستوجب زيادة في التكاليف؛ فإنه يتحملها؛ لأنه هو المتسبب فيها<sup>(٣)</sup>.

**الحالة الثانية:** إذا أذن ربُّ العمل للماقل بالتعديل، واتفق معه على مقدار الأجر الزائد. أما إذا أذن له، ولم يتفق معه على الأجر؛ فلا يستحق الزيادة في الأجر<sup>(٤)</sup>. وذلك حماية لربِّ العمل من الزيادة التي يدعيها الماقل.

وكون التعديل قد تم بحضور ربِّ العمل، أو بعلمه، ودون اعتراض منه، لا يكفي لإلزامه بزيادة في الأجر؛ لأن هذا المسلك وإن أمكن أن نستفيد منه إذناً بإجراء هذه التعديل؛ فإنه لا يفيد الاتفاق مع الماقل على أجره<sup>(٥)</sup>.

وقد واستدرك د. عبدالرزاق السنهوري: (ولو اقتصر المشرع على اشتراط أن يكون التعديل مأذوناً به من ربِّ العمل، لما كان في هذا خروج على القواعد العامة. فقد كانت هذه القواعد تقضي بأنه يكفي أن يتفق ربُّ العمل مع الماقل على التعديل في ذاته، ويتكفل القانون بعد ذلك بتحديد مقدار الزيادة في الأجر، ويرجع في هذا التحديد إلى قيمة العمل، ونفقات الماقل)<sup>(٦)</sup>.

١- انظر: السنهوري، الوسيط، ٧ / ١٧٩.

٢- القانون المدني المصري، ص: ٦٠.

٣- انظر: السنهوري، الوسيط، ٧ / ١٧٨.

٤- انظر: المرجع نفسه، ٧ / ١٧٨-١٧٩.

٥- انظر: البهجي، عقود الفيدك، ص: ١٤١.

٦- انظر: السنهوري، الوسيط، ٧ / ١٧٩.

وذكر د. عصام البهجي أن المنظم منحاز لربِّ العمل، وكان من الأفضل لو أنه جعل أجر المقاول عن هذه الزيادة وفقاً للأسس المتفق عليها في باقي الأعمال المتفق عليها في العقد، أو ألزام الطرفين بطلب رأي المختصين أو المهندس المشرف<sup>(١)</sup>.

وقد وضع القانون المدني المصري العمل، في حال لم يتم الاتفاق على تحديد الأجرة، حيث نصت المادة (٦٥٩): (إذا لم يحدد الأجر سلفاً؛ وجب الرجوع في تحديده إلى قيمة العمل، ونفقات المقاول)<sup>(٢)</sup>. فإذا اتفق المتعاقدان على المقابلة، ولم يتعرضوا إلى مقدار الأجر أصلاً؛ فإن تقديره يقوم على عنصرين: قيمة العمل الذي أتمه المقاول، وما تكبده من نفقات في إنجازه. وعند الخلاف يعين القاضي مقدار الأجر، مسترشداً بهذين العنصرين.

ويسترشد بوجه خاص بالعرف الجاري في الصناعة، في تحديد قيمة العمل<sup>(٣)</sup>. كما في مادة (٢ / ٦٦٠) من القانون المدني: (إن لم يحدد العقد هذه الأجور؛ وجب تقديرها وفقاً للعرف الجاري)<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا كله يمكن نستخلص حالات جواز التعديل واستحقاق المقاول التعويض في القانون المدني المصري:

**الحالة الأولى:** أن يكون الأجر في المقابلة متفقاً عليه، بمقتضى مقايضة على أساس الوحدة، بحيث تتجاوز كميات الأعمال المقدرة مجاوزة كثيرة غير مرهقة، لسبب لم يكن معروفاً، أو متوقفاً وقت العقد، وأن يخطر المقاول فوراً ربِّ العمل، متى تبينت الزيادة؛ فتجب زيادة الأجر على حسب سعر الوحدة، بما

١ - انظر: البهجي، عقود الفيديك، ص: ١٤١.

٢ - القانون المدني المصري، ص: ٦٠.

٣ - انظر: السنهوري، الوسيط، ٧ / ١٥٨.

٤ - القانون المدني المصري، ص: ٦٠.

يتناسب مع هذه المجاوزة.

الحالة الثانية: إذا كان الأجر الإجمالي غير محدد تحديداً نهائياً. كأن يتفق الطرفان في العقد على زيادة الأجر أو نقصه، إذا تبين أن تكاليف العمل أقل أو أكثر مما كان مقدراً، أو إذا احتفظ أحد الطرفين بحق إجراء تعديل في التصميم، وكانت هذه الأعمال ضرورية للتنفيذ، وأن يتقاضى المقاول عليها أجراً؛ فهنا يزيد الأجر أو ينقص بقدر كلفة العمل.

الحالة الثالثة: أن يكون عقد المقاولة مبرماً بين مقاول أصلي ومقاول من الباطن؛ فإن له أن يجري تعديلاً في التصميم بعد موافقة المقاول الأصلي، ويرجع بالأجر الزائد حسب أهمية التغيير ونفقات العمل.

الحالة الرابعة: إذا حدد فيه الأجر إجمالاً، على أساس تصميم معين، متفق عليه بين المقاول وربّ العمل، وكان التعديل بسبب راجع إلى ربّ العمل، واستوجب زيادة في التكاليف؛ فإنه يتحملها. وكذلك إذا أذن ربّ العمل للمقاول بالتعديل، واتفق معه على مقدار الأجر الزائد.

### الفرع الثاني: التعديلات في المقاولات الإنشائية في القانون الإداري المصري

لقد قن المنظم المصري التعديلات في العقود المبرمة بين الجهة الإدارية والمقاول، عن طريق قانون تنظيم التعاقدات ولائحة التنفيذية. وستناول ذلك فيما يلي:

### المسألة الأولى: قيود التعديلات في المقاولات الإنشائية في القانون الإداري

المصري

اشترط قانون تنظيم التعاقدات قيوداً وشروطاً، لإجراء أي تعديل يطرأ، سواء من الجهة الإدارية أو المقاول، كما في المادة (٤٦) منه: (إذا طرأ من المستجدات

بعد إبرام العقد، ما يوجب تعديل حجم التعاقد، يكون للجهة الإدارية أن تعدل عقودها بالزيادة أو النقص، وبما لا يجاوز ٢٥٪ من كمية كل بند لعقود المقاولات، .. بذات الشروط والمواصفات والأسعار، .. ويتعين لتعديل العقد الحصول على موافقة السلطة المختصة، أو مجلس الوزراء بحسب الأحوال، ووجود الاعتماد المالي اللازم، وأن يصدر التعديل خلال فترة سريان العقد، وألا يؤثر ذلك على أولوية التعاقد في ترتيب عطاءه، وأن تعدل مدة العقد الأصلي، إذا تطلب الأمر ذلك بالقدر الذي يتناسب وحجم الزيادة أو النقص<sup>(١)</sup>. وفي اللائحة التنفيذية لذات القانون، في المادة (٩٦)، بالإضافة إلى ما سبق من اشتراطات، يشترط: (١- وجود ضرورة وأسباب داعمة لتلك التعديلات. ٣- ان تكون تلك التعديلات على بنود العقد الأصلي ذاته، وبالشروط والمواصفات ذاتها، والأسعار المتعاقد عليها)<sup>(٢)</sup>.

### المسألة الثانية: أثر التعديلات في المقاولات الإنشائية في القانون الإداري

المصري

للتعديلات آثار في عقود المقاولات الإنشائية، من ناحية التعويض المالي، أو زيادة مدة العقد، أما أثر التعديلات على التعويض المالي، فقد نص قانون تنظيم التعاقدات كما في المادة (٤٦) السابقة منه، أن يكون التعديل على بنود العقد الأصلي ذاته، وشروطه، ومواصفاته، وأسعاره؛ مما يعني أن للمقاول حق التعويض في حال كان عوض التعديل على ذات الأعمال المحدد نوعها وسعرها بالعقد، فإذا زادت الكميات عن المتفق عليه في العقد، فينظر في الزائد ويقدر

١- قانون تنظيم التعاقدات التي تبرمها الجهات العامة، قانون رقم ١٨٢ لسنة ٢٠١٨م، الجريدة الرسمية، العدد: ٣٩، ٣ أكتوبر سنة ٢٠١٨م، ص: ٣١.

٢- اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم التعاقدات التي تبرمها الجهات العامة الصادر بالقانون رقم ١٨٢ لسنة ٢٠١٨م، رقم القرار ٦٩٢ لسنة ٢٠١٩م، وزارة المالية، الوقائع المصرية ملحق للجريدة الرسمية، عدد: ٢٤٤، ٣١ أكتوبر سنة ٢٠١٩م، ص: ٨٣.

سعره؛ بناء على أسعاره المحددة بالعقد.

وفي المادة (٤٧) من ذات القانون: (في عقود مقاولات الأعمال التي تكون مدة تنفيذها ستة أشهر؛ تلتزم الجهة الإدارية في نهاية كل ثلاثة أشهر تعاقدية من التاريخ المحدد لفتح المظاريف الفنية، أو تاريخ التعاقد المبني على أمر الإسناد بالاتفاق المباشر بحسب الأحوال، بتعديل قيمة العقد، وفقاً للزيادة أو النقص في تكاليف بنود العقد، التي طرأت بعد التاريخ المحدد لفتح المظاريف الفنية أو بعد تاريخ التعاقد المبني على أمر الإسناد بالاتفاق المباشر، وبمراعاة البرنامج الزمني للتنفيذ، من واقع نشرة الأرقام القياسية للمنتجين، الصادرة من الجهاز المركزي للتعبيئة العامة والإحصاء، ويكون هذا التعديل ملزماً لطرفي التعاقد، ويتعين تضمين العقد مضمون ذلك)<sup>(١)</sup>.

وفي المادة (٧٨) من اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم المناقصات والمزايدات: (وفي مقاولات الأعمال التي تقتضي فيها بالضرورة الفنية تنفيذ بنود مستجدة، بمعرفة المقاول القائم بالعمل دون غيره؛ فيتم التعاقد معه على تنفيذها بموافقة السلطة المختصة، وذلك بطريق الاتفاق المباشر، وبشرط مناسبة أسعار هذه البنود لسعر السوق)<sup>(٢)</sup>. مما يدل على أن التعديلات للأعمال التي ليس لها بنود، وأسعار متفق عليها في العقد؛ فتكون بالتعاقد الجديد عليها مع المقاول، بأسعار مناسبة لسعر السوق.

أما أثر التعديلات على مدة العقد فقد نص قانون تنظيم التعاقدات كما في المادة (٤٦): (وأن تعدل مدة العقد الأصلي، إذا تطلب الأمر ذلك بالقدر الذي

١ - قانون تنظيم التعاقدات، ص: ٣٢.

٢ - اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم المناقصات والمزايدات الصادر بالقانون رقم ٨٩ لسنة ١٩٩٨ م، قرار رقم ١٣٦٧ لسنة ١٩٩٨ م، وزارة المالية، جمهورية مصر العربية، الوقائع المصرية، العدد: ٢٠١، ٦ سبتمبر. سنة ١٩٩٨ م، ص: ٣٦.

يتناسب وحجم الزيادة أو النقص)<sup>(١)</sup>. وفي المادة (٤٧) السابقة جاء التنصيص على مراعاة البرنامج الزمني للتنفيذ، وهذا يعني زيادة المدة في حال تطلب التعديل ذلك، بالقدر الزمني المحدد لذات الأعمال المتفق عليها بالعقد.

**المطلب الثاني: الأحكام الفقهية المتعلقة بالتعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون المصري**

**الفرع الأول: أحكام التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون المدني المصري**

ما جاء في القانون المدني «أن العقد شريعة المتعاقدين، فلا يجوز نقضه ولا تعديله إلا باتفاق الطرفين، أو للأسباب التي يقررها القانون»<sup>(٢)</sup> فهذه القاعدة مكونة من شقين: أما الأول: وهو أن العقد شريعة المتعاقدين، فقد جعل العقد والإلزام به ما اتفق عليه المتعاقدان مطلقاً، بقطع النظر عن موافقته الشرع من عدمه. «فسواء كان العقد ربوياً أو فاسداً، حلالاً، أو حراماً؛ فهو في قوة القانون ملزم، كلزوم أحكام الشرع المطهر»<sup>(٣)</sup>. وهذا غير مسلم<sup>(٤)</sup>، والأولى عدم استعمالها أو تقيدها بما لم يخالف الشرع.

١- قانون تنظيم التعاقدات، ص: ٣١.

٢- القانون المدني المصري، ص: ١٢.

٣- أبو زيد، بكر بن عبد الله. «معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ». (ط٣، الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ). ص: ٣٨٢.

٤- قال بكر أبو زيد «وهذا من أطل الباطل ويغني عنه في فقه الإسلام مصطلح: (العقود الملزمة). ولو قيل في هذا التقيد: (العقد الشرعي شريعة المتعاقدين) لصح معناه ويبقى جلبُ قالب إلى فقه المسلمين، من مصطلحات القانونيين فليجتنب، تحاشياً عن قلب لغة العلم» انظر: معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، ص: ٣٩٤. وفي جواب سؤال ورد إلى اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية وفيه: (هو مما فهمه بعض المتعلمين من نصوص الشريعة، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾، وقوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ الآية. فعبر عن فهمه من عند نفسه بالعبارة المذكورة)، مما يفهم منه أنه لا حرج فيه. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء. «فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء». جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش. (الرياض: الإدارة العامة للطبع)، ٤ / ٤٦٤.

وأما أن العقد لا ينقض ولا يعدل إلا باتفاق الطرفين أو للأسباب التي يقررها القانون؛ فهذا صحيح؛ لحديث «المسلمون على شروطهم»<sup>(١)</sup>، ولأن عقد المعاولة عقد لازم، بناء على تكييفه أنه استصناع، فيما إذا قدم الماؤول المواد والعمل<sup>(٢)</sup>، والاستصناع عقد لازم عند متأخري الحنفية<sup>(٣)</sup>، وهو رأي مجمع الفقه الإسلامي<sup>(٤)</sup>، أو تكييف عقد المعاولة على أنه عقد أجير مشترك فيما إذا قدم الماؤول العمل<sup>(٥)</sup>، والإجارة عقد لازم عند جمهور الفقهاء<sup>(٦)</sup>.

وأما حكم التعديل واستحقاق الماؤول التعويض، فنستعرض حكمها بحسب ملخص حالاتها السابقة:

**الحالة الأولى:** أن يكون الأجر في المعاولة متفقاً عليه بمقتضى مقايسة على أساس الوحدة؛ وفيه تجب زيادة الأجر على حسب سعر الوحدة، بما يتناسب مع هذه المجاوزة؛ فهذا جائز؛ لأن العمل معلق على شرط، والأصل الجواز؛ وذلك للعلم بسعر الوحدة حين العقد، وإن كانت الكميات غير معلومة على سبيل الإجمال حين العقد، ولكنها مما يؤول إلى العلم. وقد ذهب أكثر الفقهاء

- ١- أخرجه الترمذي من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده في كتاب الأحكام، باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس، وقال: حديث حسن صحيح ٦٢٥/٣، رقم: (١٣٥٢).
- ٢- انظر: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي، قرار رقم: ١٢٩ (٣/١٤)، ص: ٤٠٨؛ والألني، عقد المعاولة، ص: ١٤٧. والاستصناع هو: عقد معاولة مع أهل الصنعة على أن يعملوا شيئاً. انظر: حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، ٤٠/١.
- ٣- انظر: حيدر، درر الحكام، ٣٦١/١.
- ٤- انظر: قرار مجمع الفقه الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ٧٧٧/٧.
- ٥- انظر: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي، قرار رقم: ١٢٩ (٣/١٤)، ص: ٤٠٨؛ ٥٣؛ والعايد، عبد الرحمن بن عايد. «عقد المعاولة» (ط: ١، الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٥هـ)، ص: ١١٩-٢٢٠؛ والنشمي، عقد المعاولة، ص: ٢٤؛ والألني، عقد المعاولة، ص: ١٤٩-١٦٠.
- ٦- انظر: السرخسي، المبسوط، ١٥/٧٩؛ والأصححي، مالك بن أنس. «المدونة الكبرى». (د. ط. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ). ٥/٢٤٥؛ والنووي، يحيى بن شرف. «روضة الطالبين وعمدة المفتين». ت: زهير الشاويش، (ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ)، ٥/٢٤٥؛ والبهوتي، منصور بن يونس. «كشاف القناع عن متن الإقناع». (بيروت: عالم الكتب)، ٣٠١/٢.

المعاصرين إلى جوازها<sup>(١)</sup>. وصدر بها قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، رقم: ١٢٩ (١٤ / ٣)<sup>(٢)</sup>. ويمكن تخريجها على مسألة من باع من الصبرة كل قفيز<sup>(٣)</sup> بدرهم، أو باعه من الثوب، أو الأرض، أو الخشبة، كل ذراع منها بدرهم، أو من القطيع، كل شاة بكذا، وقد قال بجوازها أبو يوسف<sup>(٤)</sup>، ومحمد بن الحسن<sup>(٥)</sup>، من الحنفية<sup>(٦)</sup>، وهي مذهب المالكية<sup>(٧)</sup>، وذكره ابن قدامة احتمالاً عند الحنابلة<sup>(٨)</sup>.

**الحالة الثانية:** إذا كان الأجر الإجمالي غير محدد تحديداً نهائياً، كأن يتفق الطرفان في العقد على زيادة الأجر أو نقصه، إذا تبين أن تكاليف العمل

- ١- ومنهم: الألفي، د. محمد جبر، عقد المفاوضة، ص: ١٦٣؛ والنشمي، أ.د. عجيل جاسم. «عقد المفاوضة»، ص: ٦٤؛ وسانو، أ.د. قطب مصطفى. «عقد المفاوضة: حقيقته، تكييفه، صورته، ص: ١٧٩. مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، الدورة: ١٤، عدد/ ١٤، ٢٠٠٤ م.
- ٢- قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، رقم: ١٢٩ (١٤ / ٣).
- ٣- القفيز: مكيال، وجمعه أفقرة وقفزان بضم القاف، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: قدر القفيز، صاع قدره ثمانية أرتال، وفسره القاضي بما في «المقنع» بعد يعني: وقال أبو بكر: قد قيل: إن قدره ثلاثون رطلاً، وقال الأزهري: هو ثمانية مكايك والمكوك: صاع ونصف، والصاع: خمسة أرتال وثلث. - البجلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل. «المطلع على ألفاظ المقنع»: ت: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب. (ط١، مكتبة السوادى للتوزيع، ٢٠٠٣ م). ص: ٢٥٨.
- ٤- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي، ولد سنة ١١٣هـ، صاحب أبي حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه، من كتبه الخراج والآثار وأدب القاضي وغيرها، مات سنة ١٨٢هـ. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد. «سير أعلام النبلاء». ت: شعيب الأرناؤوط. (ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ). ٥٣٥ / ٨.
- ٥- محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبدالله الشيباني الكوفي، صاحب أبي حنيفة، ولد سنة ١٣١هـ، ولي القضاء للرشيد بعد أبي يوسف، له كتب كثيرة منها المسبوط والزيادات والجامع الكبير والصغير، مات سنة ١٨٩هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٩ / ١٣٤-٣٦؛ والزركلي، خير الدين. «الأعلام». (ط١٢، بيروت: دار العلم للملايين). ٨٠ / ٦.
- ٦- الكاساني، مسعود بن أحمد. «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع». (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ)، ٥ / ١٥٩؛ والحداوي، أبو بكر بن علي اليمني الحنفي. «الجوهرة النيرة». (ط١، المطبعة الخيرية، د.ت)، ١ / ١٨٧.
- ٧- الخرخشي، محمد بن عبد الله المالكي. «شرح مختصر خليل للخرشي» (بيروت: دار الفكر للطباعة)، ٥ / ٢٥.
- ٨- ابن قدامة، عبدالرحمن بن محمد «الشرح الكبير» ت. د. عبدالله التركي. (ط٢، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٦هـ)، ١١ / ١٤٠.

أقل أو أكثر مما كان مقدراً؛ فهذا محل إشكال؛ لما فيها من الغرر الكبير، والذي سيؤدي حتماً إلى المشاحنة والمنازعة<sup>(١)</sup>؛ لأن العمل وإن كان معلوماً إلا إن الأجر الإجمالي غير معلوم حين العقد، وإنما يعلم عند الانتهاء من العمل. وقد ذهب بعض الفقهاء المعاصرين إلى جوازه. وقد صدر بذلك قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، رقم: ١٢٩ (٣ / ١٤)<sup>(٢)</sup>، وذلك لأن الأجر النهائي سيعلم مآلاً؛ فيكون جائزاً؛ تخريجاً على مسألة جواز البيع بسعر السوق، وهي رواية عن أحمد، واختارها ابن تيمية<sup>(٣)</sup> وابن القيم<sup>(٤)</sup>.

### نوقش:

أن البيع بسعر السوق منعه الأئمة الأربعة والظاهرية<sup>(٥)</sup>، وما روي عن أحمد واختاره ابن تيمية من جوازه، فإنما هو في سعر السوق الحالي، المستقر المعلوم للمتعاقدين أو للبائع<sup>(٦)</sup>، وأما سعر السوق لبيع شيء في المستقبل، وهو غير معلوم لكلا الطرفين؛ فهذا لم يقل به أحد من الأئمة، فضلاً عن أنه لا يخلو من الغرر. وعليه فالأرجح عدم جواز هذه الحالة.

- ١- كما هو رأي بعض المعاصرين: جاسم الشامسي، وأ.د. قطب مصطفى سانو، والصدیق الضرير، وعلي محي الدين القرّة داغي، انظر: الشامسي، وعقد المفاوضة، ص: ١١٦؛ وسانو، وعقد المفاوضة، ص: ١٩٨؛ ومجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد: ١٤، ج: ٢، ص: ٢٤٨، و٢٦٣.
- ٢- قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، رقم: ١٢٩ (٣ / ١٤).
- ٣- البجلي، الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص: ١٨٠؛ وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. «العقود». (ط١، مكتبة المورد، ١٤٢٣هـ)، ص: ٤٣١؛ وابن تيمية، مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٩ / ٢٣٢ و٣٤٥؛ والمرداوي، علي بن سليمان. «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف». ت: د. عبدالله التركي. (ط٢، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٦هـ)، ٤ / ٣١٠.
- ٤- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. «بدائع الفوائد» (د.ط، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، ٤ / ٥١.
- ٥- انظر: السرخسي، المبسوط، ٧ / ١٣؛ والمواق، التاج والإكليل، ٤ / ٢٧٨؛ والعمرائي، البيان، ٥ / ١١٠؛ والبهوتي، كشاف القناع، ٣ / ١٧٤؛ وابن حزم، المحلى، ٩ / ٢٣.
- ٦- ابن تيمية، العقود، ص: ٤٣٦.

أما احتفاظ أحد الطرفين بحق إجراء التعديل، وكانت هذه الأعمال ضرورية للتنفيذ، وأن يتقاضى المفاوض عليها أجراً، فيزيد الأجر أو ينقص بقدر كلفة العمل؛ فلا مانع من احتفاظ أحد الطرفين بحقه في التعديل؛ لحديث «المسلمون على شروطهم»<sup>(١)</sup>. ولكن يبقى طريقة تحديد الأجر فيها، فإن ترك تحديد ذلك إلى وقت التعديل، وتم تقديره بحسب كلفة العمل حينئذ؛ فهذا صحيح؛ لأن ذلك راجع إلى أجرة المثل. وأما تقيد ذلك بالأعمال الضرورية، أو ما يتقاضى عليها المفاوض أجراً؛ فهذا جائز، لأنه ما عدا ذلك يعتبر من الأشياء اليسيرة التي جرت العادة في عدم أخذ الأجرة عليه حين التعديل.

الحالة الثالثة: أن يكون عقد المفاوضة بين مفاوض أصلي ومفاوض من الباطن؛ فله أن يجري تعديلاً بعد موافقة المفاوض الأصلي، ويرجع بالأجر الزائد حسب أهمية التغيير ونفقات العمل، وحكم الاتفاق بينهما على التعديل فجائز. ولكن يبقى الكلام على الأجر، والظاهر من القانون أنه لا تحديد له عند العقد، وإنما يترك التحديد إلى وقت التعديل، فيقدر الأجر حسب أهمية التغيير ونفقات العمل؛ وهذه أجرة المثل عند الفقهاء؛ وهي جائزة. واستثنى القانون لو كان العقد مع رب العمل؛ فلا يصح التعديل؛ حماية لرب العمل وقلة خبرته؛ وهذا لا مانع منه شرعاً.

الحالة الرابعة: إذا حدد فيه الأجر إجمالاً على أساس تصميم معين، متفق عليه بين المفاوض ورب العمل، وكان التعديل بسبب راجع إلى رب العمل، واستوجب زيادة في التكاليف؛ فيتحملها رب العمل؛ وهذا صحيح؛ لزيادة العمل عن محل العقد؛ فيستحق عليها المفاوض أجراً، ويقدر بأجرة المثل.

وأما إذا أذن رب العمل للمفاوض بالتعديل، واتفق معه على مقدار الأجر

١ - سبق تخريجه.

الزائد؛ فهذا هو الأصل في التعديل، وتحديد الأجر فيه. وأما إن لم يتفق معه على الأجر؛ فظاهر القانون أنه لا يستحق عليه أجراً؛ لعدم معرفة الأجر حين العقد، ولأن جهالته تؤدي الغرر والمنازعة. وهذا مذهب الأئمة الأربعة<sup>(١)</sup>.

وذهب ابن تيمية إلى صحة الاتفاق بدون تسمية الأجر<sup>(٢)</sup>، ويكون للمقاول أجره مثله. وهو ما عليه قرار مجمع الفقه الإسلامي: «إذا أجرى المقاول تعديلات أو إضافات، بإذن رب العمل، دون الاتفاق على أجره؛ فللمقاول عوض مثله»<sup>(٣)</sup>. وهذا الأرجح.

أما ما اقترحه بعض الباحثين من جعل أجر المقاول عن هذه الزيادة، وفقاً للأسس المتفق عليها؛ فهذا جائز؛ إن حصل الاتفاق عليه حين العقد. وأما إلزام الطرفين برأي المختصين أو المهندس المشرف؛ فلا يصح؛ لما سبق.

### الفرع الثاني: أحكام التعديلات في المقاولات الإنشائية في القانون الإداري المصري

وأما حكم التعديلات بالنسبة للعقود الإدارية، فقد منح القانون للجهة الإدارية التعديل بإرادتها المنفردة؛ نظراً لدورها بمراعاة المصلحة العامة في تيسير المرفق العام؛ وتحقيق المصلحة الشرعية، المتعلقة بالصالح العام المنوطة بولي أمر المسلمين، وما يسنه من قوانين لا تتعارض من أحكام الشريعة الإسلامية. وقد جاءت النصوص الشرعية ببعض الاستثناءات في العقود الإدارية. ومنها ما جاء في صلح الحديبية أن المشركين اشترطوا على النبي ﷺ، أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا<sup>(٤)</sup>. ولم يتم العمل بإعادة من أتى المدينة

١- انظر: الكاساني، بدائع الصنائع؛ ٤/١٩٣؛ وابن رشد، بداية المجتهد، ٢/٢٢٦؛ والنووي، روضة الطالبين، ٤/١٤٩؛ وابن قدامة، المغني، ٨/١٤.

٢- انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ٤/٥١.

٣- انظر: قرار مجمع الفقه الإسلامي، ١٢٩(٣/١٤).

٤- من حديث أنس بن مالك أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية، رقم (١٧٨٤)، ٣/١٤١١.

من النساء؛ لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَنْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حِكْمٌ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. [سورة الممتحنة: ١٠]. حيث تم تعديل الشرط من طرف النبي ﷺ وحده، ودون موافقة من المشركين؛ بناء على أنه كان ممثلاً للمسلمين، وهذا مخالف لقاعدة عدم جواز تعديل العقود إلا بإرادة الطرفين، ولكن تم التعديل؛ بناء على مقتضيات المصلحة في المحافظة على النساء<sup>(١)</sup>. وكذلك ما جاء من استثناء بعض المسائل الفقهية من القواعد المقررة في باب العقود؛ نظراً لمرعاة جانب المصلحة الأعظم، ومنها جواز تعديل أجرة العين الموقوفة والخط منها، إذا قلت الرغبات فيها، وجواز تغيير الوقف إلى ما هو أفضل للموقوف عليه وأصلح للوقف؛ لأن المصلحة للأرحم، والأموال العامة موقوفة على الأمة، ومصالحها مقدمة شرعاً على مصالح الأموال الخاصة<sup>(٢)</sup>.

وأما ما يتعلق بشروط التعديلات المتعلقة بالعقود الإدارية، فبيان أحكامها فيما يلي:

حكم اشتراط أن لا يجاوز التعديل ٢٥٪ من كمية كل بند لعقود المقاولات؛ فهذا جائز، بل ذلك أقرب إلى العدالة، والبعد عن الجهالة والغرر، ولأن النسبة يسيرة، ولأن هذا مشروط في العقد، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «والمسلمون على شروطهم»<sup>(٣)</sup>.

١- انظر: الخضير، د. خالد بن عبدالله. «مشروعية وتأصيل العقد الإداري من الفقه الإسلامي». مجلة العدل، عدد: ٤٩. الرياض، ص: ١٨٥.

٢- انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣/٣١١؛ والقرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي. «الذخيرة». (بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ت)، ٦/٣٣٢، وأوهاب، د. نذير بن محمد الطيب. «نظرية العقود الإدارية دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون». (معهد الإدارة العامة، السعودية، ١٤٢٧). ص: ١٣٧ / ١٣٨.

٣- سبق تخريجه.

وأما اشتراط الحصول على موافقة السلطة المختصة، أو مجلس الوزراء بحسب الأحوال؛ فهذا جائز؛ لأنه أحد المتعاقدين، والتعديل بمثابة عقد جديد؛ فلا بد من إذنه.

وأما اشتراط وجود الاعتماد المالي اللازم؛ فهذا شرط صحيح؛ والأصل في الشروط الجواز الصحة، ما لم تخالف الشرع أو مقصود العقد<sup>(١)</sup>.

وأما اشتراط أن يصدر التعديل خلال فترة سريان العقد، فلعل الأولى أن يكون في مدة كافية قبل تنفيذ العمل محل التعديل؛ لأنه ليس من العدل إذا شارف المفاوض على نهاية المشروع، أن يؤمر بتعديلات تتعلق بأساسيات المشروع. كما ليس من المعقول أنه إذا باشر المفاوض بتنفيذ جزء معين في المشروع، أن يطلب منه تعديله، بل لا بد أن يكون ذلك بوقت كاف. وأما اشتراط ألا يؤثر ذلك على أولوية المتعاقد في ترتيب عطائه؛ فهذا جائز؛ ولأن في ذلك إضرار بالمتعاقد، والضرر مرفوع؛ بما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ضرر ولا ضرار»<sup>(٢)</sup>. وأما اشتراط وجود ضرورة وأسباب داعمة لتلك التعديلات؛ فهذا جائز؛ وهو داخل في تحقيق المصلحة العامة، وغالباً لا يمكن اللجوء إلى التعديل إلا لأسباب معينة.

وأما اشتراط أن تكون التعديلات على بنود العقد الأصلي ذاته، وبالشروط والمواصفات ذاتها، والأسعار المتعاقد عليها؛ فهذا جائز؛ لأن الأصل في الشروط

١- انظر: ابن تيمية، القواعد الكلية، ص: ٣٧٣؛ وابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٢ / ٣٠٠، و ٢٩ / ١٣٧-١٣٨؛ وابن القيم، إعلام الموقعين، ١ / ٣٤٤؛ والزرکشي، شرح الزرکشي على مختصر الخرقى، ٤٥٤ / ٣.

٢- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٢٨٦٥) ٥ / ٥٥، وابن ماجه في سننه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، رقم: (٢٣٤١) ٢ / ٧٨٤، وفيه ضعف؛ لأن فيه جابر الجعفي وهو متهم، وله متابعات وشواهد تقويه، حيث يروى من حديث عبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وجابر بن عبدالله وعائشة وأبي لبابه وغيرهم ﷺ. قال النووي: له طرق يقوي بعضها بعضاً، وقال ابن رجب: هو كما قال. وصححه الألباني. انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ٢ / ٢١٠، والزيلعي، نصب الراية لأحاديث الهداية، ٤ / ٣٨٣-٣٨٦، والألباني، إرواء الغليل، ٤٠٨-٤١٤، وهامش مسند أحمد ٥ / ٥٥-٥٦.

الصحة، وما كان خارج ذلك؛ فهو عمل جديد يحتاج اتفاق عليه.

أما أثر التعديلات على العوض المالي ومدة العقد، وأنه يتم تعديل قيمة العقد وفقاً للزيادة أو النقص في كما يتم مراعاة البرنامج الزمني للتنفيذ؛ فهذا صحيح، وهو العدل خاصة إن كان الأجر في المقاولة متفقاً عليه بمقتضى مقايسة على أساس الوحدة، فإن سعر الوحدة والزمن فيه معلوم، وأما في حال لم يكن الأجر كذلك؛ فلا بد من الاتفاق على العوض في التعديل، والجدول الزمني حينئذ.

المبحث الثالث: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون الأردني،  
والأحكام الفقهية المتعلقة بها

المطلب الأول: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون الأردني

الفرع الأول: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون المدني الأردني

أشار القانون المدني الأردني إلى بعض المواد التي تتعلق بالتعديلات والإضافات في عقود المقاولات، في معرض حديثه عن التزام صاحب العمل في دفع الأجرة للمقاول، وذلك بشكل مجمل، ويمكن نحصر حالات التعديل في المقاولات الإنشائية من خلال هذه المواد بما يلي:

الحالة الأولى: أن يكون العوض في المقاولة متفقاً عليه، بمقتضى مقايسة على أساس الوحدة، وبمقتضى تصميم معين، وفي أثناء التنفيذ يتبين زيادة في العمل، والزيادة هنا على صورتين:

الصورة الأولى: أن تكون الزيادة زيادة جسيمة مرهقة، فيكون لرب العمل الخيار بين فسخ العقد مع أداء المقاول قيمة ما أنجزه، أو الاستمرار في العقد مع تحمله بدل الزيادة. وفي هذا نصت الفقرة (١) من المادة (٧٩٤) من القانون المدني الأردني: (إذا تم عقد المقاولة على أساس الوحدة، وبمقتضى تصميم معين،

لقاء بدل محدد لكل وحدة، ثم تبين أن تنفيذ التصميم يقتضي زيادة جسيمة في النفقات؛ جاز لصاحب العمل بعد إعلامه بمقدار الزيادة أن يتحلل من العقد، مع أداء قيمة ما أنجزه المقاوم من العمل، وفقاً لشروط العقد، أو قبول متابعته مع التزامه بالزيادة<sup>(١)</sup>. ولم يحدد المنظم مقدار الزيادة الجسيمة، وكان من المناسب أن تحدد بنسبة محددة من الأعمال، بحيث إذا تجاوزها فتعتبر زيادة جسيمة، وعلى أساسها يكون الحق لصاحب العمل بالتحلل من العقد<sup>(٢)</sup>.

**الصورة الثانية:** أن تكون الزيادة زيادة كثيرة وضرورية، ولكنها غير مرهقة؛ فيجب على المقاوم إخطار رب العمل بذلك. وفي هذا نصت الفقرة (٢) من المادة السابقة: (وإذا لم تكن الزيادة جسيمة، ولكنها محسوسة وضرورية لتنفيذ التصميم المتفق عليه؛ وجب على المقاوم أن يخطر رب العمل قبل الاستمرار في التنفيذ، بمقدار ما يتوقعه من زيادة في النفقات، فإذا مضى في التنفيذ دون إخطار؛ فلا حق له في طلب الزيادة)<sup>(٣)</sup>. فهنا لا بد لثبوت حق المقاوم في المطالبة بقيمة التعديلات، إذا كان عقد المقاولة على أساس الوحدة، أن تكون ضرورية، وأن يخطر رب العمل بها.

**الحالة الثانية:** إذا حدد فيه الأجر إجمالاً، على أساس تصميم معين متفق عليه بين المقاوم ورب العمل؛ فلا يكون قابلاً للتعديل، لا بالزيادة ولا بالنقص، وليس للمقاوم أن يطلب بأية زيادة في الأجر، إلا إذا حدث تعديل بإذن رب العمل، واتفق مع المقاوم على أجره. وفي هذا نصت المادة: (٧٩٥) من القانون المدني الأردني: (١- إذا وقع عقد المقاولة بموجب تصميم متفق عليه، لقاء بدل إجمالي، فليس للمقاوم أن يطالب بأية زيادة في الأجر، يقتضيها تنفيذ هذا التصميم. ٢-

١- القانون المدني الأردني، قانون رقم: ٤٣، لسنة ١٩٧٦م، الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية،

عمان، ١ آب سنة ١٩٧٦م، عدد: ٢٦٤٥، ص: ٨٤.

٢- انظر: الخزاعله، إشكاليات تنفيذ الأوامر التغييرية، ص: ٨٦.

٣- القانون المدني الأردني، ص: ٨٤.

وإذا حدث في التصميم تعديل، أو إضافة برضى صاحب العمل، يراعى الاتفاق الجاري مع المقاول، بشأن هذا التعديل أو الإضافة<sup>(١)</sup>. ومفهومه فإن لم يأذن رب العمل بالتعديل؛ فلا شيء للمقاول. وإن كان التعديل بإذن رب العمل، ولكن بدون الاتفاق على سعره، فقد بينت المادة: (٧٩٦) ذلك: (إذا لم يعين في العقد أجر على العمل، استحق المقاول أجر المثل، مع قيمة ما قدمه من المواد التي تطلبها العمل)<sup>(٢)</sup>.

وممكن نضيف حالة ثالثة فيما لو تم الاتفاق بين رب العمل والمقاول حين العقد، على أحقية رب العمل بالتعديل، بدون الاتفاق على سعره، فإن عموم المادة: (٢/١٠٠) ينص: (وإذا اتفق الطرفان على جميع المسائل الجوهرية في العقد، واحتفظا بمسائل تفصيلية، يتفقان عليها فيما بعد، ولم يشترط أن العقد يكون غير منعقد عند عدم الاتفاق على هذه المسائل؛ فيعتبر العقد قد انعقد. وإذا قام خلاف على المسائل التي لم يتم الاتفاق عليها؛ فإن المحكمة تقضي فيها طبقاً لطبيعة المعاملة ولأحكام القانون والعرف والعدالة)<sup>(٣)</sup>. وبالتالي فالعقد الأساسي لازم وصحيح، ويتم الاتفاق على التعديلات، وسعرها حين وجودها، فإن حدث خلاف؛ فمرد ذلك إلى المحكمة، واعتبار العرف في ذلك.

وقد أشارت بعض قرارات محكمة التمييز الأردنية إلى ما يستحقه المقاول عن أجر عند تنفيذه أعمالاً إضافية، حيث قررت «إذا كان من الثابت أن المدعي لم يقيم بالأعمال الإضافية التي قام بها متبرعاً، إذ لم يرد ما يفصح عن نيته بالتبرع للجهة المدعى عليها؛ لأن الثابت أنه أدى العمل المطلوب منه، وبما يدخل في نطاق مهنته وصنعتة، فإن ما ينبني على ذلك في حال عدم تحديد البدل، أن يكون المدعي

١- القانون المدني الأردني، ص: ٨٤.

٢- المرجع نفسه.

٣- المرجع نفسه، ص: ١٣.

مستحق لأجر المثل، طبقاً المؤدي المادة ٧٩٦ من القانون المدني، التي حددت كيفية أداء البديل في حالة عدم الاتفاق عليه»<sup>(١)</sup>.

كما قررت المحكمة: «وحيث ادعى المدعي بأن هناك أعمالاً إضافية، لم تتضمنها مخططات البناء المتفق عليها؛ فإنه وعلى ضوء ما تقدم، يتعين على محكمة الاستئناف إجراء الخبرة؛ لتقدير أجر المثل لبذل المصانعة بتاريخ البناء، على أن تشمل هذه الخبرة بدل المصانعة عن الأعمال الإضافية التي سلمت للمهندس، ولما لم تفعل فيكون قرارها المميز حرياً بالنقض من هذه الجهة»<sup>(٢)</sup>.

### الفرع الثاني: عقد المقاولة الموحد للمشاريع الإنشائية

عند النظر في القانون المدني الأردني، فإن مواده لا تفي بالحد الأدنى من الأحكام الضرورية للمقاولات الحديثة التي أصبحت كثيرة التعقيد<sup>(٣)</sup>. كما لم يعالج الأوامر التغييرية في عقود المقاولات الحكومية<sup>(٤)</sup>.

ولذا اتجه المنظم الأردني إلى إيجاد عقود خاصة بالمقاولات، تفي بالحاجات والتفصيلات المتعلقة به، حيث وضعت دائرة العطاءات الحكومية عقد المقاولة الموحد للمشاريع الإنشائية ٢٠١٠م<sup>(٥)</sup>، وتم استنساخ مجمله من عقد الفيديك الدولي ١٩٩٩م<sup>(٦)</sup>، وذلك فيما يتعلق بالعقود الإدارية أو عقود المقاولات في

١- محكمة التمييز / حقوق، رقم ١٠٥٨ / ٢٠٠٢، منشورات عدالة، نقلاً عن محاسبة، إصدار الأوامر، ص: ٢٨٢.

٢- المرجع السابق.

٣- انظر: الراحلة، د. محمد، ود. إيناس الخالدي. «دليل إجراءات التحكيم في عقود الفيديك». (ط١)، دار الحامد للنشر، ٢٠١٢م)، ص: ٢٥.

٤- انظر: محاسبة، إصدار الأوامر، ص: ٢٧٦.

٥- عقد المقاولة الموحد للمشاريع الإنشائية، وزارة الأشغال العامة والإسكان، دائرة العطاءات الحكومية، عمان، ٢٠١٠م، الطبعة الثالثة المعدلة.

٦- انظر: محاسبة، إصدار الأوامر، ص: ٢٨٠؛ والطعيمات، أ.د. هاني سليمان. «عقود الفيديك وأثرها على عقود المقاولات في الدول العربية». مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الرابعة والعشرون، دبي، ٢٠١٩م، ص: ٢٦.

المشاريع الكبيرة، وكذا تم استنساخ عقد المقاولة الموجز الأردني<sup>(١)</sup> من عقد المقاولة الموجز الأخضر (فيديك ١٩٩٩م)، وذلك فيما يتعلق بالعقود الخاصة، أو المتعلقة بالمشاريع الصغيرة. وعقود الفيديك من العقود المهمة في الوقت المعاصر، وتحتاج إلى بحث مفصل، خاصة فيما يتعلق بالتعديلات.

## المطلب الثاني: الأحكام الفقهية المتعلقة بالتعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون الأردني

نركز هنا على القانون المدني الأردني ونستعرض أحكام التعديلات بحسب حالاتها إلى ما يلي:

**الحالة الأولى:** أن يكون العوض في المقاولة متفقاً عليه، بمقتضى مقايضة على أساس الوحدة وفي أثناء التنفيذ يتبين زيادة جسيمة في العمل، فيكون لرب العمل الخيار بين فسخ العقد، مع أداء المقاول قيمة ما أنجزه، أو الاستمرار في العقد مع تحمله بدل الزيادة؛ فهذا صحيح؛ لأن «المسلمون على شروطهم»<sup>(٢)</sup>، ولكن لم يحدد المنظم مقدار الزيادة الجسيمة، والمرجع في ذلك إلى العرف، وعند الاختلاف في تقديره، فمرجع تحديده إلى القضاء.

وأما أن كانت الزيادة زيادة كثيرة وضرورية، ولكنها غير مرهقة، فأوجب المنظم على المقاول إخطار رب العمل بذلك، لثبوت حقه في المطالبة بالتعويض؛ وهذا جائز، وعليه في حال إخطار رب العمل بذلك، فيثبت التعويض؛ وهذا صحيح؛ لأن الأصل في الشروط الجواز، وللعلم بسعر الوحدة حين العقد، وإن كانت الكميات غير معلومة على سبيل الإجمال حين العقد ولكنها مما يؤول إلى العلم، كما سبق. ولكن ينبغي تحديد ذلك بنسبة معينة يسيرة؛ لأنها في حال عدم

١ - عقد المقاولة الموجز، وزارة الأشغال العامة والإسكان، دائرة العطاءات الحكومية، عمان، ٢٠٠٧م.

٢ - سبق تخريجه.

تحديد ذلك؛ فقد تتجاوز الكميات النهائية نسب عالية؛ مما يدخل العقد في الجهالة والغرر.

الحالة الثانية: إذا حدد فيه الأجر إجمالاً، على أساس تصميم معين متفق عليه؛ فلا يكون قابلاً للتعديل، وليس للمقاول أن يطلب بأية زيادة في الأجر، إلا إذا حدث تعديل بإذن رب العمل، واتفق مع المقاول على أجره، وأما إن كان التعديل بإذن رب العمل بدون الاتفاق على سعره، استحق المقاول أجر المثل مع قيمة المواد، وكون العقد غير قابل للتعديل؛ فهذا شرط صحيح، وهو الأصل؛ لأن أي تعديل هو بمثابة عمل حادث جديد؛ فيحتاج فيه إلى اتفاق آخر عليه، واستثنى المنظم في حال حدث تعديل بإذن من رب العمل؛ فهذا الإذن موافقة منه على التعديل. فإن تم الاتفاق فيه على السعر فذاك، وإلا يتم تحديده بسعر المثل. فإن حصل اختلاف فيحكم به القضاء.

الحالة الثالثة: إذا تم الاتفاق بين رب العمل والمقاول حين العقد، على أحقية رب العمل بالتعديل، بدون الاتفاق على سعره؛ فيعتبر العقد الأساسي لازم وصحيح، ويتم الاتفاق على التعديلات وسعرها حين وجودها، فإن حدث خلاف فمرد ذلك إلى المحكمة، واعتبار العرف في ذلك، فهذا حكمه محل إشكال؛ لعدم تحديد نسبة التعديل، أو مقدارها، أو محلها، أو نوعها، وما يقابلها من عوض، وعليه فهو غير منضبط، وفيه جهالة وغرر كبير، ويؤدي إلى الخلاف، فلا تصح، إلا إن حملنا الاتفاق على ما جرى فيه العرف؛ فيصح، وللمقاول أجره مثله.

## المبحث الرابع: التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية في القانون

### الإماراتي، والأحكام الفقهية المتعلقة بها

المطلب الأول: التعديلات في عقود المقاولات الإنشاءات في القانون الإماراتي

الفرع الأول: التعديلات في عقود المقاولات الإنشاءات في القانون المدني الإماراتي

لا يوجد في قانون المعاملات المدنية الإماراتي نصوص خاصة، تنظم التعديلات، أو تحدد ماهيتها، أو أحكامها، واكتفت بتناول مقتضب للتعديل، الذي يحدث في تنفيذ أعمال المقاوله عند تناول التزام صاحب العمل بدفع الأجرة<sup>(١)</sup>.

ففي المادة: (٨٨٦) من قانون المعاملات المدنية: (١- إذا أبرم عقد بمقتضى مقايسة على أساس الوحدة، وتبين في أثناء العمل أن من الضروري لتنفيذ التصميم المتفق عليه مجاوزة المقايسة المقدرة مجاوزة محسوسة؛ وجب على المقاول أن يخطر في الحال صاحب العمل بذلك، مبيناً مقدار ما يتوقعه من زيادة في الثمن. فإن لم يفعل سقط حقه في استرداد ما جاوز به قيمة المقايسة من نفقات. ٢- فإذا كانت المجاوزة التي يقتضيها تنفيذ التصميم جسيمة؛ جاز لرب العمل أن يتحلل من العقد، ويقف التنفيذ، على أن يكون ذلك دون إبطاء، مع إيفاء المقاول قيمة ما أنجزه من الأعمال، مقدرة وفقاً لشروط العقد)<sup>(٢)</sup>.

وفي المادة: (٨٨٧): (١- إذا أبرم عقد المقاوله على أساس تصميم متفق عليه، لقاء أجر إجمالي؛ فليس للمقاول أن يطالب بأية زيادة في الأجر يقتضيها تنفيذ هذا التصميم.

١- انظر: الجمال، القواعد القانونية المستحدثة في عقود الفيدك، ص: ٤٨، القانون المدني المصري، ١/٦٥٨، ويقابلها م/ ٨٨٧/ ٢ من قانون المعاملات المدنية الإماراتي.

٢- قانون المعاملات المدنية لدولة الإمارات العربية المتحدة، الصادر بالقانون الاتحادي، رقم (٥) لسنة ١٩٨٥م، والمعدل بالقانون الاتحادي، رقم (١) لسنة ١٩٨٧م، إعداد معهد دبي القضائي، ١٩٥/ ١٩٦.

وإذا حدث في التصميم تعديل أو إضافة برضى صاحب العمل، يراعى الاتفاق الجاري مع المقاول بشأن هذا التعديل أو الإضافة).

وفي المادة (٨٨٨): (إذا لم يعين في العقد أجر على العمل؛ استحق المقاول أجر المثل، مع قيمة ما قدمه من المواد التي تطلبها العمل)<sup>(١)</sup>.

ونجد أن المادة (٨٨٦) من قانون المعاملات المدنية الإماراتي، هي نفس المادة (٦٥٧) من القانون المدني المصري؛ فيحال على ما قيل فيها. وأما المادة (٨٨٧) من قانون المعاملات المدنية الإماراتي؛ فهي نفس المادة (٧٩٥) من القانون المدني الأردني؛ فنحيل عليها. وأما المادة (٨٨٨)، فهي نفس المادة (٧٩٦) من القانون المدني الأردني. ونحوها المادة (٦٥٩) من القانون المدني المصري؛ فيحال على ما قيل فيها.

**الفرع الثاني: التعديلات في عقود المقاولات الإنشاءات في القانون الإداري الإماراتي**

لقد وضع المنظم الإماراتي بعض القيود للتعديل في العقود المبرمة بين الجهة الإدارية والمقاولين، ففي اللائحة التنفيذية لقانون المناقصات والمزايدات والمستودعات في إمارة أبو ظبي، نظام رقم (٣) لسنة ١٩٧٧م، المادة (٤٣): (للدائرة المعنية بموافقة رئيس الدائرة، الحق في تعديل العقد الذي تبرمه بالزيادة أو النقص، في حدود ١٥٪ من قيمة العقد بالنسبة إلى عقود التوريد، ٢٠٪ بالنسبة إلى عقود مقاولات الأعمال، دون أن يكون للمورد أو المقاول الحق في زيادة السعر، أو المطالبة بأي تعويض على ذلك)<sup>(٢)</sup>.

١- المرجع نفسه، ص: ١٩٦.

٢- اللائحة التنفيذية لقانون المناقصات والمزايدات والمستودعات في إمارة أبو ظبي، نظام رقم (٣) لسنة ١٩٧٧م، شبكة قوانين الشرق، رابط: <https://n9.cl/gblsx>

وفي قانون رقم (٦) لسنة ١٩٩٧ م، بشأن عقود الدوائر الحكومية، في إمارة دبي المادة (٤٨):

١- يحق للدائرة تعديل كميات العقد قبل أو أثناء تنفيذه، أو عند تمديد مدة تنفيذه بالزيادة أو النقص، بنفس الأسعار، في حدود ٣٠٪ من المبلغ الإجمالي المتعاقد عليه، ولا يجوز إجراء المقاصة بين عمليات الزيادة وعمليات النقص، مهما كان تاريخ إجرائها.

٢- يجوز أن يتجاوز التعديل الحد المنصوص عليه في البند السابق، بشرط توفر الاعتماد اللازم، وموافقة المتعاقد على عدم زيادة الأسعار الواردة في العقد، إذا كانت هذه الأسعار لا تزال مناسبة، ولا تزيد عن أسعار السوق.

٣- يجوز أن يشمل التعديل إضافة أصناف، أو أشغال، أو خدمات جديدة، غير واردة في العقد، ولكنها تتصل بموضوعه، فيمكن الاتفاق المباشر بشأنها مع المتعاقد الأصلي.

٤- تخضع جميع التعديلات للعرض على اللجنة؛ لاتخاذ قرار بشأنها، ورفعها للسلطة المختصة باعتماده، ويتم تنظيم ملحق للعقد، يتضمن التعديلات المقررة، ويوقع عليه الطرفان المتعاقدان<sup>(١)</sup>.

وفي نموذج عقد مقاوله بالمقطوعية- إنشاء وإنجاز وصيانة، بناء سكني، مخصص لبرنامج مشاريع قروض الإسكان في الإمارات<sup>(٢)</sup>، في البند (٨) تعديل الأعمال:

١- قانون رقم (٦) لسنة ١٩٩٧ م، بشأن عقود الدوائر الحكومية في إمارة دبي.  
٢- نموذج عقد مقاوله بالمقطوعية- إنشاء وإنجاز وصيانة بناء سكني مخصص لبرنامج مشاريع قروض الإسكان، الإمارات، تاريخ الإصدار: ٢٠٢١ / ١ / ١ م موقع الالكتروني بنك أبو ظبي الأول، رابط: <https://n9.cl/7mluy>

للطرف الأول - رب العمل - في أي وقت، سواء قبل أو بعد بدء العمل، أن يطلب التعديل في الأعمال الواردة في العقد، سواء بالزيادة أو النقصان، كما يكون له حق إضافة أعمال أخرى أو حذف بعضها، وذلك في حدود ٢٠٪ من قيمة المقاول الفعلية، أما إذا كانت تلك التعديلات المطلوبة في الهيكل الخرساني؛ فحينها يشترط ألا يكون تعديلاً جذرياً وأن يتم طلبه قبل البدء في تنفيذ المرحلة المطلوب تعديل الأعمال الخرسانية فيها.

يتم حساب قيمة التغيير في الأعمال بالزيادة أو النقصان بالرجوع إلى أسعار البنود المدرجة بجدول الكميات المسعر، وفي حالة إضافة نوعيات غير محددة بالجدول، يقوم الاستشاري بتحديد قواعد الحساب بالرجوع إلى الأسعار السائدة بالسوق.

الطرف الثاني - المقاول - لا يقوم بتنفيذ التعديلات إلا في حالة موافقة الطرف الأول، واستشاري المشروع كتابياً، ويتحمل كافة المسؤوليات القانونية والفنية والمالية في حالة عدم التزامه بذلك.

يتم اعتماد التعديلات مالياً وزمنياً، من جميع الأطراف، وتوثيقها قبل المباشرة بها.

يلتزم الطرف الأول بتسديد قيمة التعديلات للمقاول حسب نسبة الإنجاز، أو ما يتم الاتفاق عليه كتابياً بين الطرفين<sup>(١)</sup>.

المطلب الثاني: الأحكام الفقهية المتعلقة بالتعديلات في عقود المقاولات الإنشاءات في القانون الإماراتي

بما أن القانون المدني الإماراتي فيما يتعلق بالتعديلات لا يخرج عن ما ذكر في

١ - نموذج عقد مقاوله بالمقطوعه، ص: ٨.

القانون المصري والأردني؛ فنحيل على ما ذكر فيهما.

وأما ما يتعلق باللائحة التنفيذية لقانون المناقصات والمزايدات والمستودعات في إمارة أبو ظبي وما ورد فيها من اشتراط نسبة ٢٠٪ للتعديل؛ فهذا لا مانع منه، وهو أبعد عن الجهالة والغرر، وأما جعل ذلك من حق رئيس الدائرة المعنية؛ فهذا جائز، لأنه شرط صحيح، ولحديث «المسلمون على شروطهم»<sup>(١)</sup>.

وفي قانون رقم (٦)، بشأن عقود الدوائر الحكومية في إمارة دبي، وتحديد النسبة ٣٠٪؛ فلا مانع منه، لما سبق، ولأن هذه النسبة داخلة في اليسير، الذي لم يتجاوز الثلث. وأما جواز مجاوزة النسبة بالشروط المذكورة؛ فلا مانع منه؛ نظرا لاشتراط موافقة المتعاقد. وأما جواز إضافة أصناف أو أشغال جديدة بالاتفاق مع المتعاقد؛ فهذا هو الأصل؛ لأن هذه الأعمال خارجة عن العقد الأصلي، فيحتاج فيها إلى اتفاق جديد.

وفي نموذج عقد مقاولة بالمقطوعية، وتحديد التعديل بنسبة ٢٠٪ فلا مانع منه؛ لما سبق. وأما أن يكون التعديل في أي وقت؛ فهذا محل إشكال، بل يكون بوقت كاف، قبل تنفيذ العمل محل التعديل، كما تم اشتراطه في التعديلات المتعلقة بالهيكل الخرساني؛ إذ لا فرق بينهما. وأما حساب قيمة التغيير في الأعمال، بالرجوع إلى أسعار البنود المدرجة بجدول الكميات المسعر؛ فهذا جائز وصحيح، إن كانت من جنسها؛ إذ الثمن معلوم حين العقد، والمثلث معلوم النوع وكذا الكمية بالجملة، ولكنها غير معلومة على سبيل التحديد ولكنها تعلم مالا، ولكنها لا تتجاوز نسبة معينة، وهي يسيرة. وأما في حال إضافة نوعيات غير محددة بالجدول؛ فيتم تحديدها عن طريق الاستشاري بالرجوع إلى الأسعار السائدة بالسوق؛ فهذا فيه خلاف، والذي يراه الباحث إن كان ذلك من باب الاسترشاد

١ - سبق تخريجه.

برأيه، فلا إشكال، وأما إن كان رأيه ملزم لهما؛ فلا يجوز؛ وذلك للجهالة والغرر بالعوض حين العقد، ولأن المهندس المشرف يعتبر وكيل عن المالك، وهو متهم بالنظر في مصلحته، ولما فيه من المنازعة، لعدم حيادية المُقَدَّر. وعليه يستحق المقابل عوض المثل حين التعديل عن طريق القضاء. إلا إن البند الرابع ذكر أنه يتم اعتماد التعديلات مالياً وزمنياً من جميع الأطراف، وتوثيقها قبل المباشرة بها، مما يفهم منه أنه لا بد من اتفاق الأطراف على التعديل؛ وعليه في حال رفض أحدهما؛ فلا يلزم بذلك؛ وعليه فيكون تقدير الاستشاري للاسترشاد، وليس الإلزام، ولكن لا بد من بيان ذلك وتوضيحه. وأما اشتراط عدم قيام المقابل بتنفيذ التعديلات، إلا بموافقة الطرف الأول، واستشاري المشروع كتابياً؛ فهذا شرط صحيح؛ إذ الأصل في الشروط الصحة، والكتابة للتوثيق، كما سبق.

## خاتمة

ونستخلص من هذا البحث النتائج التالية:

- التعديلات في المقاولات الإنشائية، هي: اتفاقية ملحقة بالعقد الأصلي، بين المقاول ورب العمل، تهدف إلى تحقيق مصلحة المشروع، عن طريق إجراء تغيير على محل العقد، وذلك أثناء تنفيذ العقد، مقابل عوض معين.
- استحقاق المقاول العوض عند التعديل في عقود المقاولات في القوانين المدنية العربية، له حالات، وهي:

**الحالة الأولى:** أن يكون الأجر متفقاً عليه، بمقتضى مقايضة على أساس سعر الوحدة، وفي أثناء التنفيذ يتبين زيادة في العمل، والزيادة هنا على صورتين:

**الصورة الأولى:** أن تكون الزيادة جسيمة، فيكون لرب العمل الخيار بين فسخ العقد، مع أداء المقاول قيمة ما أنجزه، أو الاستمرار في العقد مع تحمله بدل الزيادة.

**الصورة الثانية:** أن تكون الزيادة كثيرة وضرورية، ولكنها غير مرهقة، وزاد في القانون المصري «لسبب لم يكن معروفاً أو متوقفاً وقت العقد»، مع إخطار المقاول رب العمل بذلك.

وحكم الصورتين جائزتان؛ وفيه تجب زيادة الأجر على حسب سعر الوحدة؛ بما يتناسب مع هذه المجاوزة.

**الحالة الثانية:** إذا حدد فيه الأجر إجمالاً على أساس تصميم معين متفق عليه، فلا يكون قابلاً للتعديل، وليس للمقاول أن يطلب بأية زيادة في الأجر، إلا في صورتين:

**الصورة الأولى:** إذا أذن رب العمل للمقاول بالتعديل، واتفق معه على مقدار الأجر الزائد؛ فهذا جائز. وأما إن لم يتفق معه على الأجر؛ فظاهر القانون المصري أنه لا يستحق عليه أجراً، وأما في القانون الأردني والإماراتي فيستحق المقاول أجر المثل مع قيمة المواد، وهذا الأرجح.

**الصورة الثانية:** إن كان التعديل بسبب راجع إلى رب العمل، واستوجب زيادة في التكاليف؛ فيتحملها رب العمل؛ وهذه الصورة في القانون المصري، وهي جائزة، ويقدر بأجرة المثل.

**الحالة الثالثة:** إذا تم الاتفاق بين رب العمل والمقاول حين العقد، على أحقية رب العمل بالتعديل، بدون الاتفاق على سعره، فيعتبر العقد الأساسي لازم وصحيح، ويتم الاتفاق على التعديلات وسعرها حين وجودها، فإن حدث خلاف فمرد ذلك إلى المحكمة. وهذا الحالة في القانون الأردني؛ وهي جائزة.

• منح القانون الجهة الإدارية التعديل بإرادتها المنفردة؛ نظراً لدورها بمراعاة المصلحة العامة في تيسير المرفق العام، بما لا يتعارض من أحكام الشريعة الإسلامية.

• للتعديلات المتعلقة بالعقود الإدارية شروط؛ وهي جائزة.

• للتعديلات أثر على العوض المالي ومدة العقد، وهذا جائز.

• تحديد نسبة ٢٠-٣٠٪؛ للتعديل في القانون الإماراتي؛ هذا جائز. وأما حق رئيس الدائرة المعنية مجاوزة هذه النسبة؛ فهذا جائز.

ويوصي الباحث بما يلي:

• دراسة التطبيقات القضائية للبلدان العربية على التعديلات في عقود المقاولات الإنشائية.

- دراسة الشروط التفصيلية بعقود المقاولات الإنشائية من الناحية القانونية والفقهية.
- دراسة التعديلات في العقود النموذجية، والسعي بصياغة عقود تتسم بمواكبة المستجدات المعاصرة، وتحقيق العدالة، والمحافظة على الأصول والمقاصد الشرعية.

## فهرس المراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون، اليعمرى: تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ابن قدامة، عبدالرحمن بن محمد: الشرح الكبير، ت. د. عبدالله التركي. دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد: المغني، ت: عبدالله التركي وعبدالفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط٥، ١٤٢٦هـ.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله: معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.
- الاتحاد الدولي للمهندسين الاستشاريين: الشروط العامة لعقود فيديك النموذجية، عقد الإنشاءات الأحمر، إعداد ترجمة داود خلف، عمان، ٢٠٠٣م.
- الاتحاد الدولي للمهندسين الاستشاريين: الشروط العامة لعقود فيديك النموذجية، عقد المقاوله الموجز الأخضر (فيديك ١٩٩٩م). ترجمة داود خلف، عمان، ٢٠٠٣م.
- أحمد ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ.
- أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية: العقود، مكتبة المورد، ط١، ١٤٢٣هـ
- أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية: القواعد الكلية. ت: محسن المحسن، مكتبة التوبة، ط١، ١٤٢٣هـ.
- أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم مطابع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٦هـ.
- أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ت: عبدالسلام هارون، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٩م.

- الأصبحي، مالك بن أنس: المدونة الكبرى، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- آل محمود، عبد الله بن زيد: مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود. ط ٢، ١٤٢٩هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- الألفي، أ.د. محمد جبر: عقد المقابلة، الإنشاء والتعمير، حقيقته تكييفه، صورته، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، الدورة: ١٤، عدد: ١٤، ٢٠٠٤م.
- أوهاب، د. نذير بن محمد الطيب: نظرية العقود الإدارية دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون، معهد الإدارة العامة، السعودية، ١٤٢٧.
- البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- البعلي، علي بن محمد بن عباس: الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: أحمد الخليل، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.
- البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل: المطلع على ألفاظ المنع، ت: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادى للتوزيع، ط ١، ٢٠٠٣م.
- البهجي، د. عصام أحمد: عقود الفيديك وأثرها على التزامات المقاول والمهندس ورب العمل، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٨م.
- البهوتي، منصور بن يونس: كشاف القناع عن متن الإقناع، عالم الكتب، بيروت.
- الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٧٥م.
- تقي الدين، محمد السعودي أحمد: الإتحاد الدولي للمهندسين الاستشاريين، المجلة القانونية الحديثة، ١٣ يوليو ٢٠٠٧م. <http://magllah.jeeran.com>

- الجمال، د. سمير حامد: القواعد القانونية المستحدثة في عقود الفيديك، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العدد: ٥٢.
- الحدادي، أبو بكر بن علي اليمني الحنفي: الجوهرة النيرة، المطبعة الخيرية، ط ١.
- حمدان، مروة، قطاع المقاولات يُحقق ٨٠٠ مليار جنيه بحجم الأعمال محلياً بنهاية ٢٠٢١، فبراير ٢٣، ٢٠٢٢ م، أموال الغد. <https://cutt.us/40615>
- الحموي، أسامة، الشرط الجزائي وسلطة القاضي في تعديله دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون، مطبعة الزرععي، دمشق، ط ١، ١٩٩٧ م.
- الخرخشي، محمد بن عبد الله المالكي، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت.
- الخزاعلة، شمس الدين: إشكاليات تنفيذ الأوامر التغييرية في عقود الفيديك وآلية تسويتها، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، ٢٠١٣ م، غير منشور.
- الخضير، د. خالد بن عبدالله، مشروعية وتأصيل العقد الإداري من الفقه الإسلامي، مجلة العدل، الرياض، عدد: ٤٩.
- الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤١٠ هـ.
- الرحالة، د. محمد، ود. إيناس الخالدي: دليل إجراءات التحكيم في عقود الفيديك، دار الحامد للنشر، ط ١، ٢٠١٢ م.
- الرشيدات، ممدوح: الأوامر التغييرية في عقد المقاولات في كل من القانون الأردني والمصري وشروط عقد المقاوله فيدك، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، ٢٠٠٤ م.
- رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الإدارة العامة للطبع، الرياض.

- الزرقا، أحمد بن محمد: شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- الزرقا، مصطفى أحمد: المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٨هـ.
- الزركشي، محمد بن عبدالله: شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ت: د. عبدالله بن جبرين.
- الزيلعي، عبدالله بن يوسف: نصب الراية لأحاديث الهداية، دار الحديث، القاهرة.
- الزيلعي، عثمان بن علي: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، المطبعة الكبرى الأميرية بولاق، القاهرة ط ١، ١٣١٣هـ.
- سانو، أ.د قطب مصطفى: عقد المقالة: حقيقته، تكييفه، صورته، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، الدورة: ١٤، عدد: ١٤، ٢٠٠٤م.
- السرخسي، شمس الدين: المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
- السنهوري، د. عبدالرزاق: الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ط ٣، ٢٠٠٠م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- الشامسي، أ.د جاسم بن علي: عقد المقالة: الإنشاء والتعمير، حقيقته، تكييفه، صورته، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة، الدورة: ١٤، عدد: ١٤، ٢٠٠٤م.
- الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- الطعيمات، أ.د. هاني سليمان: عقود الفيديك وأثرها على عقود المقاولات في الدول العربية، مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الرابعة والعشرون، دبي، ٢٠١٩م.
- الطيب، د. بوحالة: عقود الإنشاءات الهندسية الدولية المبرمة وفقا لشروط عقد الاتحاد الدولي للمهندسين الاستشاريين (الفيديك)، وآلية تسوية المنازعات الناشئة عنها، دار الفكر والقانون، المنصورة، ط ١، ٢٠١٩م.

- العايد، عبدالرحمن بن عايد: عقد المقاوله، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط: ١، ١٤٢٥هـ.
- عبدالرحمن بن شهاب الدين ابن رجب البغدادي: جامع العلوم والحكم، ت: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- العربي، يوسف: قطاع المقاولات في الإمارات يتجاوز الجائحة، صحيفة الاتحاد الإماراتية، ٧ أغسطس ٢٠٢١. <https://cutt.us/Xjd9j>
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: تغليق التعليق على صحيح البخاري، ت: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي ودار عمار، بيروت.
- عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ.
- العمراني، يحيى بن أبي الخير بن سالم: البيان في مذهب الإمام الشافعي، ت: قاسم النوري، دار المنهاج، ط١.
- عيسى، رياض: أحكام الأعمال الإضافية في عقود الأشغال العامة، مجلة الحقوق، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، عدد: ٤، سنة: ١١، ديسمبر ١٩٨٧م.
- الغزالي، محمد بن محمد: المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤٠٧هـ.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
- القانون المدني الأردني، قانون رقم: ٤٣، سنة ١٩٧٦م، الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، عدد: ٢٦٤٥، عمان، ١ آب، سنة ١٩٧٦م.
- القانون المدني المصري، قانون رقم: ١٣١، سنة ١٩٤٨، المعدل في ١٣ أكتوبر عام ٢٠٢١.
- قانون تنظيم التعاقدات التي تبرمها الجهات العامة. قانون رقم: ١٨٢ سنة ٢٠١٨م، جمهورية مصر العربية، الجريدة الرسمية، العدد: ٣٩، ٣ أكتوبر، ٢٠١٨م.

- قانون رقم (٦)، سنة ١٩٩٧م، بشأن عقود الدوائر الحكومية في إمارة دبي.
- القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي: الذخيرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- القرطبي، محمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، ط٧، ١٤٠٥هـ.
- القشيري، مسلم بن الحجاج النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الكاساني، مسعود بن أحمد: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- اللائحة التنفيذية لقانون المناقصات والمزايدات والمستودعات في إمارة أبو ظبي، نظام رقم (٣)، سنة ١٩٧٧م. شبكة قوانين الشرق رابط: <https://n9.cl/gblsx>
- اللحيدان، عبدالعزيز بن محمد: أحكام الإخطار في عقود الفيديك الإنشائية، بحث تكميلي مقدم لاستكمال درجة الماجستير، قسم السياسة الشرعية، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤هـ، غير منشور.
- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، القاهرة.
- محاسنة، نسرين: إصدار الأوامر التغييرية من قبل المهندس في عقد المقاوله دراسة في عقد الفيديك الجديد ١٩٩٩م، بحث مقدم في المؤتمر الثامن عشر «عقود البناء والتشييد بين القواعد القانونية التقليدية والنظم القانونية المستحدثة»، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات، الإمارات، أبريل، ٢٠١٠م.
- محمد أحمد بن سعيد بن حزم: المحلى، ت: أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة.
- محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت: عبدالرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

- المرادوي، علي بن سليمان: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ت: د. عبدالله التركي. دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- مطر: د. عصام عبدالفتاح: عقود الفيدك لمقاولات وأعمال الهندسة المدنية ووسائل فض المنازعات الناشئة عنها، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٥م.
- معهد دبي القضائي: قانون المعاملات المدنية لدولة الإمارات العربية المتحدة. الصادر بالقانون الاتحادي، رقم (٥) سنة ١٩٨٥م، والمعدل بالقانون الاتحادي، رقم (١) لسنة ١٩٨٧م.
- منظمة المؤتمر الإسلامي: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، الإصدار الرابع، ٢٠٢٠م.
- المواق، محمد بن يوسف العبدري: التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ.
- مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، جدة، عدد: ١٤، ٢٠٠٤م.
- المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني: عقود التشييد ٢٠٩ مدن، الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج.
- النشمي، أ.د. عجيل جاسم: عقد المقاوله، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة: ١٤، عدد: ١٤، ٢٠٠٤م.
- نموذج عقد مقاوله بالمقطوعه - إنشاء وإنجاز وصيانة بناء سكني مخصص لبرنامج مشاريع قروض الإسكان، الإمارات، تاريخ الإصدار: ١ / ١ / ٢٠٢١م. موقع الالكتروني: بنك أبو ظبي الأول، رابط: <https://n9.cl/7mluy>
- النوباني، د. خولة فريز: عقود الفيدك وأثرها على العقود الحديثة بالدول العربية، مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الرابعة والعشرون، دبي، ٢٠١٩م.
- النووي، يحيى بن شرف: المجموع شرح المهذب: ت: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.

- النووي، يحيى بن شرف: روضة الطالبين وعمدة المفتين، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ.
- وزارة الأشغال العامة والإسكان: عقد المقاوله الموجز، دائرة العطاءات الحكومية، عمان، ٢٠٠٧م.
- وزارة الأشغال العامة والإسكان: عقد المقاوله الموحد للمشاريع الإنشائية، دائرة العطاءات الحكومية. الطبعة الثالثة المعدلة، عمان، ٢٠١٠م.
- وزارة المالية: اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم التعاقدات التي تبرمها الجهات العامة الصادر بالقانون رقم ١٨٢، سنة ٢٠١٨، جمهورية مصر العربية، الوقائع المصرية ملحق للجريدة الرسمية، عدد: ٢٤٤، ٣١ أكتوبر، ٢٠١٩م.
- وزارة المالية: اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم المناقصات والمزايدات الصادر بالقانون رقم ٨٩، سنة ١٩٩٨م، قرار رقم: ١٣٦٧، سنة ١٩٩٨م، جمهورية مصر العربية، الوقائع المصرية، العدد: ٢٠١، ٦ سبتمبر. ١٩٩٨م.

## Bibliography:

- The Glorious Qur'an.
- Administrative Contracts in the Light of the Saudi Procurement and Competition System, Salem bin Saleh Al-Mutawa, 2nd Edition, 2008, N.P., N.Pu.
- Al-A'laam, Khayruddeen Al-Zirikli, Daar Al-'Ilm lil Malayeen, Beirut, 12th ed., N.D.
- Al-Aayid, Abdul Rahman bin 'Aayid. «Contract Agreement» (Arabic). (1st ed, Riyadh: Press of Imam Muhammad bin Saud University, 1425 AH).
- Al-Ashbaah wa Al-Nadhaair, 'Abdur Rahmaan bin Abi Bakr Al-Suyouti, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1411 AH.
- Al-Bayaan fi Madhab Al-Imam Al-Shaafi'i, Yahya bin Abi Al-Khayr bin Saalim Al-'Amraani, investigation: Qaasim Al-Nouri, Daar Al-Minhaaj, 1st ed., N.D.
- Al-Dhakheerah, Ahmad bin Idrees bin 'Abdir Rahmaan Al-Maaliki known as Al-Qaraafi, Daar Al-Garb Al-Islaami, Beirut: N.E., N.D.
- Al-Insaaf fi Ma'rifat Al-Raajih min Al-Khilaaf, 'Ali bin Sulaymaan, Al-Murdaawi, investigation: Dr. 'Abdullaah Al-Turki, Daar 'Aalam Al-Kutub, Riyadh, 2nd ed., 1426 AH.
- Al-Jaami' Al-Musnad Al-Saheeh Al-Mukhtasar min Umuur Rasuulillaah –salla Allaah 'alayhi wa sallam- wa Sunanihi wa Ayyaamihi, Muhammad bin Isma'il Abu 'Abdillaah Al-Bukhaari, Investigation: Muhammad Zuhayr bin Naasir Al-Naasir, Daar Tawq Al-Najaah, 1st ed., 1422 AH.
- Al-Jawharah Al-Nayyirah, Abu Bakr bin 'Ali Al-Haddaadi Al-Yamani Al-Hanafi, Al-Matba'a Al-Khayriyyah, 1st ed., N.D.
- Al-Mabsout, Shamsuddeen Al-Sarakhsi, Daar Al-Ma'rifah, Beirut, 1st ed., 1414 AH, N.D.
- Al-Madkhal Al-Fiqhi Al-'Aam, Mustafa Ahmad Al-Zarqa, Daar Al-Qalam, Damascus, 1st ed., 1418 AH.
- Al-Majmuu Sharh Al-Muhaddab, Yahya bin Sharaf Al-Nawawi, Investigation: Muhammad Al-Mutee'i, Maktabah Al-Irshaad, Jeddah, N.E, N.D.
- Al-Misbaah Al-Muneer fi Gareeb Al-Sharh Al-Kabeer, Ahmad bin Muhammad bin 'Ali Al-Fayoumi, Al-Maktabah Al-'Ilmiyyah, Beirut, N.E, N.D.
- Al-Mu'jam Al-Waseet, Academy of Arabic Language in Cairo, Ibrahim Mustafa et al., Daar Al-Da'wah, N.P, N.E, N.D.

- Al-Mugi, 'Abdullaah bin Ahmad bin Muhammad bin Qudaamah, Investigation: 'Abdullaah Al-Turki, and 'Abdul Fattaah Al-Hulw, Daar 'Aalam Al-Kutub, Riyadh, 5th ed., 1426 AH.
- Al-Muhallaa, Abu Muhammad Ahmad bin Sa'eed bin Hazm, investigation: Ahmad Shaakir, Daar Al-Turaath, Cairo, N.E, N.D.
- Al-Musnad Al-Saheeh Al-Mukhtasar bi Naql Al-'Adl 'An Al-'Adk Ilaa Rasuu-lillaah –sallaah Allaah 'alayhi wa sallam-, Muslim bin Al-Hajjaaj Al-Qushayri Al-Naisaabuuri, Investigation: Muhammad Fuad Abdul Baaqi, Daar Ihyaaa Al-Turaath Al-'Arabi, Beirut. N.E, N.D.
- Al-Mustasfa, Muhammad bin Muhammad Al-Gazaali, Investigation: Muhammad 'Abdullaah 'Abdul Shaafi, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1413 AH.
- Al-Qaamuus Al-Muheet, Muhammad bin Ya'quub Al-Fayrouzabaadi, Al-Risaa-lah Foundation, Beirut, 2nd ed., 1407 AH.
- Al-Qawaa'id Al-Kulliyyah, Ahmad bin 'Abdil Haleem bin Taimiyyah, investigation: Muhaysin Al-Muhyasin, Maktabah Al-Tawbah, 1st ed., 1423 AH, N.P.
- Al-Taaj wa Al-Ikleeel li Mukhtasar Khaleel, Muhammad bin Yousuf Al-'Abdari known as Al-Mawaaq, printed at the footnotes of Mawaahib Al-Jaleel, Daar Al-Fikr, 3rd ed., 1412 AH.
- Al-Waseet fi Sharh Al-Qaanuun Al-Madani Al-Jadeed, Dr. Abdur Razaq Al-Sanhour, Al-Halabi Legal Publications, Beirut, 3rd ed., 2000.
- Badaai' Al-Fawaaid, Muhammad bin Abi Bakr Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Maktabah Al-Riyadh Al-Hadeetha, N.D., N.E.
- Badaai' Al-Sanaai' fi Tarteeb Al-Sharaai', Mas'oud bin Ahmad Al-Kaasaani, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 2nd ed., 1406 AH.
- Bidaayah Al-Mujtahid wa Nihaayah Al-Muqtasid, Muhammad bin Ahmad Ibn Rushd Al-Qurtubi, Daar Al-Ma'rifah, Beirut, 7th ed., 1405 AH.
- Brief Contracting Contract, Ministry of Public Works and Housing, Government Bidding Department, Amman, 2007.
- Construction Contracts For 209 Cities, The General Organization For Technical Education And Vocational Training, The General Administration For Curriculum Design And Development, N.P, N.Pu, N.E, N.D.
- Contracting Contract Form in Al Muqtawiyah - Construction, Completion and Maintenance of a Residential Building Dedicated to the Housing Loan Projects

Program, UAE, Issue Date: 1/1/2021 AD, First Abu Dhabi Bank website, link: <https://n9.cl/7mluy>.

- Contracting Contract, Abdul Rahman bin Ayed Al-Ayed, Imam Muhammad bin Saud University Press, 1st ed., 1425 AH.
- Contracting Contract, Prof. Ajil Jassim Al-Nashmi, Journal of the Islamic Fiqh Academy, affiliated to the Organization of the Islamic Conference in Jeddah, Session: 14, Issue/14, 2004.
- Contracting Contract: Construction And Reconstruction, Its Reality, Its Adaptation, Its Forms, Prof. Muhammad Jabr Al-Alfi, Journal of the Islamic Fiqh Academy, affiliated to the Organization of the Islamic Conference in Jeddah, Session: 14, Issue/14, 2004.
- Egyptian Civil Code, Law No. 131 of 1948.
- Executive Regulations of the Law of Tenders, Auctions and Warehouses in the Emirate of Abu Dhabi, Regulation No. (3) of 1977, Eastern Laws Network, link: <https://n9.cl/gblsx>
- Executive Regulations of the Law Regulating Contracts Concluded by Public Entities promulgated by Law No. 182 of 2018, Arab Republic of Egypt, Ministry of Finance, Al Waqa'a Al Masrya Supplement to the Official Gazette, No. 244, October 31, 2019.
- Executive Regulations of the Law Regulating Tenders and Auctions promulgated by Law No. 89 of 1998, Resolution No. 1367 of 1998 AD, Ministry of Finance, Arab Republic of Egypt, Al Waka'a Al Masryah, Issue: 201, September 6, 1998.
- Fatwas of the Permanent Committee - Group One, the Permanent Committee for Scholarly Research and Ifta, compiled and arranged by: Ahmed bin Abdul Razzaq Al-Duweish, Presidency of the Department of Scholarly Research and Ifta, General Administration of Printing, Riyadh.
- FIDIC contracts and their impact on construction contracts in Arab countries, Prof. Hani Suleiman Al-Taimat, Conference of the International Islamic Fiqh Academy, 2019, 24th session, Dubai.
- FIDIC contracts and their impact on modern contracts in Arab countries, d. Khawla Fariz Al Noubani, Conference of the International Islamic Fiqh Academy, 2019, 24th session, Dubai.
- FIDIC contracts and their impact on the obligations of the contractor, engineer and employer, Dr. Essam Ahmed Al-Bahaji, New University House, 2008 AD.

- FIDIC contracts for civil engineering contracting and works and the means of settling disputes arising therefrom, d. Issam Abdel-Fattah Matar, New University House, Alexandria, 2015.
- General Conditions of FIDIC Model Contracts «Construction Contract» Red, International Federation of Consulting Engineers, prepared and translated by Eng. Daoud Khalaf, Amman, 2003, N.P.
- General Conditions of FIDIC Model Contracts, The Green Brief Contracting Contract (FIDIC 1999), translated by Daoud Khalaf, Amman, 2003.
- Guide to Arbitration Procedures in FIDIC Contracts, Dr. Muhammad Al-Rahhala, and Dr. Enas Al-Khalidi, Dar Al-Hamid Publishing, 1st ed., 2012.
- I'laam Al-Muwaqqi'een 'an Rabb Al-'Aalameen, Abu Bakr bin Qayyim Al-Jawziyyah, investigation: 'Abdur Rahman Al-Wakeel, Maktabah Ibn Taimiyyah, Cairo, N.E., N.D.
- Ibn Taimiyyah, Ahmad bin 'Abdil Haleem. «Contracts» (Arabic). (1st ed., Maktabah Al-Mawrid, 1423).
- International Engineering Construction Contracts Concluded In Accordance With The Terms Of The Fidic Contract, And The Dispute Settlement Mechanism Arising Therefrom, d. Bouhalat Al-Tayeb, Dar Al-Fikr and Law, Mansoura, 1, 2019.
- International Federation of Consulting Engineers, Mohammed Al-Saudi Ahmed Taqi Al-Din, Modern Legal Journal, Friday, July 13, 2007 <http://magllah.jeeran.com>.
- Irwaa Al-Galeel fi Takhreej Ahaadeeth Manaar Al-Sabeel, Muhammad Naasiruddeen Al-Albaani, Al-Maktab Al-Islami, Beirut, 2nd ed., 1405 AH.
- Issuance of Change Orders by the Engineer in the Contracting Contract, A Study of the New FIDIC Contract 1999 AD, Nasreen Mahasneh, Research Presented at the Eighteenth Conference «Building and Construction Contracts between Traditional Legal Rules and Modern Legal Systems», Journal of Sharia and Law, UAE University, UAE, April, 2010.
- Jaami' Al-'Uluum wa Al-Hikam, 'Abdur Rahman bin Shihaabuddeen Al-Bagdaadi (Ibn Rajab), Investigation: Shu'aib Al-Arnaout and Ibrahim Baajis, Al-Risaalah Foundation, Beirut, 1st ed., 1411 AH.
- Jordanian Civil Code, Law No. 43 of 1976 AD, Official Gazette of the Hashemite Kingdom of Jordan, Amman, August 1, 1976 AD, Number: 2645.

- Kashaaf Al-Qinaa' 'an Matn Al-Iqnaa, Mansour bin Younus Al-Buhouti, 'Aalam Al-Kutub, Beirut: N.E, N.D.
- Law No. (6) of 1997, regarding contracts for government departments in the Emirate of Dubai.
- Law Regulating Contracts Concluded by Public Entities, Law No. 182 of 2018, Arab Republic of Egypt, Official Gazette, Issue: 39, October 3, 2018.
- Majallah Al-Ahkaam Al-'Adliyyah, Durar Al-Hukkaam Sharh Majallah Al-Ahkaam, 'Ali Hayder, Daar Al-Jeel Beirut, 1st ed., N.D.
- Majmuu' Fataawah Shaykhil Islam Ahmad bin Taimiyyah, Compilation: 'Abdur Rahmaan bin Qaasim, Press of King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Madinah, 1st ed., 1416 AH.
- Majmuu'at Al-Rasaail Al-Shaykh 'Abdullaah bin Zayd Aal Mahmuud –may Allah have mercy on him-, 2nd ed., 1429 AH.
- Mu'jam Al-Manaahi Al-Lafdhiyyah wa Fawaaid fi Al-Alfaadh, Bakr bin 'Abdillaah Abu Zayd, Daar Al-'Aasimah for Publication and Distribution, Riyadh, 3rd ed., 1417 AH.
- Mu'jam Maqayees Al-Lugha, Ahmad bin Faaris bin Zakariyyah, investigation: 'Abdul Salaam Haaroun, Daar Al-Jeel, Beirut, 1999, N.E.
- Mugni Al-Muhtaaj Ilaa Ma'rifat Ma'aani Alfaadh Al-Minhaaj, Muhammad bin Ahmad Al-Khateeb Al-Sharbeeni, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1415 AH.
- Musnad Al-Imam Ahmad bin Hanbal, investigation: Shu'aib Al-Arnaout et al., Beirut, 2nd ed., 1429 AH.
- Nasb Al-Raayah li Ahadeeth Al-Hidaayah, 'Abdullaah bin Yusuf Al-Zaila'i, Daar Al-Hadeeth, Cairo.
- New Legal Rules In FIDIC Contracts, Dr. Samir Hamed Al-Jammal, Sharia and Law Journal, College of Law, United Arab Emirates University, Issue: 52.
- Problems of Implementing Variation Orders In FIDIC Contracts And Their Settlement Mechanism, Shamsuddeen Al-Khuzaa'alah, PhD thesis, Faculty of Postgraduate Studies, International University of Islamic Sciences, Jordan, 2013, unpublished.
- Proof and Its Effect on Rulings, Ahmad bin 'Abdir Rahmaan Al-Rasheed, Kunuuz Ishbeeliyyah, Riyadh, 1st ed., 1429 AH.

- Provisions of Notification in FIDIC Construction Contracts, Abdulaziz bin Muhammad Al-Luhaidan, supplementary research submitted to complete a master's degree in Sharia policy from the Higher Judicial Institute, p. 1434 AH, unpublished.
- Rawdat Al-Taalibeen wa 'Umdat Al-Mufteen, Yahya bin Sharaf Al-Nawawi, Investigation: Zuhayr Al-Shaaweish, Al-Maktab Al-Islaami, Beirut: 3rd ed., 1412 AH.
- Resolutions and Recommendations of the Islamic Fiqh Academy under the auspices from the Organization of the Islamic Conference in Jeddah, Fourth Edition, 2020, N.P, N.Pu.
- Settling disputes in FIDIC contracts, Ali Saeed Al-Yami, Library of Law and Economics, Riyadh, 1st ed., 2017.
- Sharh Al-Qawaa'id Al-Fiqhiyyah, Ahmad bin Shaykh Muhammad Al-Zarqaa, Daar Al-Qalam, Damascus, 2nd ed., 1409 AH.
- Sharh Al-Zarkashi 'alaa Mukhtasar Al-Khiraqi, Muhammad bin Abdillaah Al-Zarkashi, investigation: Dr. Abdullaah Al-Jibreen, N.P, N.Pu., N.E., N.D.
- Siyar A'laam Al-Nubalaa, Muhammad bin Ahmad bin 'Uthmaan Al-Dahabi, investigation: Shu'aib Al-Arnaout, Muassasah Al-Risaalah, 7th ed., 1410 AH.
- Standard Contracting for Construction Projects, Ministry of Public Works and Housing, Government Bidding Department, Amman, 2010, third amended edition.
- Tabsirah Al-Hukkaam fi Usuul Al-Aqdiyyah wa Manaahij Al-Ahkaam, Ibrahim bin 'Ali bin Muhammad, Ibn Farhoun Al-Ya'muri, Maktabah Al-Kulliyaaat Al-Azhariyyah, 1st ed., 1406 AH.
- Tabyeen Al-Haqaaiq Sharh Kanz Al-Daqaaiq wa Haashiyah Al-Shilbi, 'Uthman bin 'Ali Al-Zai'la'i, Al-Matba'a Al-Kubra Al-Ameeriyah – Bulaq, Cairo, 1st ed., 1313 AH.
- Tagleeq Al-Ta'leeq 'alaa Saheeh Al-Bukhaari, Ahmad bin 'Ali bin Hajar Al-'Asqalaani. Investigation: Sa'eed Al-Qazqi, Al-Maktab Al-Islaami and Daar 'Amaar, N.E., N.D.
- The Arab contracting industry seeks to maintain its position after oil with annual works exceeding \$100 billion, Omar Al-Zubaidi, Asharq Al-Awsat Saudi newspaper, Monday 08/14/2000 AD, issue: 7930, <https://n9.cl/4mh3n>.
- The Civil Transactions Law of the United Arab Emirates, promulgated by Federal Law No. (5) of 1985 AD, and amended by Federal Law No. (1) of 1987, prepared by Dubai Judicial Institute.

- The Contracting Contract: Construction And Reconstruction, Its Reality, Its Adaptation, and Its Image, Prof. Dr. Jassim bin Ali Al Shamsi, Journal of the Islamic Fiqh Academy, affiliated to the Organization of the Islamic Conference in Jeddah, Session: 14, Issue/14, 2004.
- The Legality and Originality of Administrative Contract in the Islamic Jurisprudence, Dr. Khalid bin 'Abdillaah Al-Khudair, Al-'Adl Journal, Riyadh, issue: 49.
- The Penalty Clause and the Judge's Authority to Amend It, A Comparative Study In Islamic Jurisprudence and Law, Usaamah Al-Hamawi, Damascus, Al-Zar'i Press, 1st ed., 1997.
- The Rulings of Additional Works in Public Works Contracts, Riyad Isa, Law Journal, Council of Scientific Publication, Kuwait University, Issue 4, Year: 11, December 1987.
- The Scholarly Narrations from the Jurisprudential Selections of Shaykhul Islam Ibn Taimiyyah, 'Ali bin Abbas bin Muhammad bin Abbas Al-Ba'li, investigation: Ahmad Al-Khaleel, Daar Al-'Aasimah, Riyadh, 1st ed., 1418 AH.
- The Theory of Administrative Contracts, A Comparative Study In Islamic Jurisprudence And Law, Dr. Nazir bin Muhammad Al-Tayeb Ohab, Institute of Public Administration, Saudi Arabia, 1427 AH.



**UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI  
AL WASL UNIVERSITY**

**AL WASL UNIVERSITY JOURNAL**  
**Specialized in Humanities and Social Sciences**  
**A Peer-Reviewed Journal**

**GENERAL SUPERVISOR**

**Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman**  
Chancellor of the University

**EDITOR IN-CHIEF**

**Prof. Ziad Ali Da'ih Al-Fahdawi**

**DEPUTY EDITOR IN-CHEIF**

**Prof. Khaled Al-Taher**

**EDITORIAL SECRETARY**

**Dr. Al-Muzamil Al-Sharif Hamed**

**ISSUE NO. 70**

**Dhu al-Qa'dah, 1446H - June 2025CE**

**ISSN 2791-2930**

This Journal is listed in the “**Ulrich’s International Periodicals Directory**”  
under record No. 157016  
e-mail: [awuj@alwasl.ac.ae](mailto:awuj@alwasl.ac.ae)

---

**EDITORIAL BOARD**

**Prof. Joudah Mabrouk - Egypt**

**Prof. Hassan Awad Al-Sarhi - Saudi Arabia**

**Prof. Said Yaqtin - Morocco**

**Prof. Emad Hamdi - UAE**

**Prof. Faiza Al-Qasim - France**

**Prof. Mustafa Al-Hilali - United Kingdom**

**Dr. Ahmed Basharat - UAE**

**Dr. Latifa Abdullah Al-Hamadi - UAE**

**Translation Committee: Dr. Reem Al-Yousef,  
Ms. Majdoleen Al-Hamad, Ms. Reem Al-Mashari,  
Mr. Sami Al-Huthaifi**

SCIENTIFIC ADVISORY BOARD

**Prof. Salah Belead**

President - Supreme Council of the Arabic Language - Algeria

**Prof. Kotb Rissouni**

University of Sharjah - UAE

**Prof. Benaissa Bettahar**

University of Sharjah - UAE

**Prof. Saleh M. Al-Fouzan**

King Saud University - KSA

**Prof. Jamila Hida**

Université Mohammed I Ouajda - Morocco



## Al Wasl University in Brief

Al Wasl University is one of the academic institutions registered by the Ministry of Education (MOE) in UAE. In accordance with ministerial order No. 107 of 2019, the College of Islamic and Arabic Studies has changed its name to Al Wasl University.

**The university's development has encountered two basic stages:**

### **The First Stage:**

The primary nucleus of the university was established in 1986-1987 under the name "College of Islamic and Arabic Studies" by Mr. Juma Al Majid and supervised and taken care of by a truehearted group of the people of this country, who appraise the value of knowledge and high rank of education.

- ◆ The Government of Dubai took care of this blessed step which was incorporated by the decision of the Board of Trustees issued in 1407 AH corresponding to the academic year 1986-1987 AD.
- ◆ On 02/04/1414 AH, corresponding to 18/4/1993 AD, H.H Sheikh Nahyan bin Mubarak Al Nahyan, Minister of Higher Education and Scientific Research of the UAE issued the decision No. (53) of the year 1993 granting the license to the college as a Higher Education institution.

### **1. Bachelor Program:**

- ◆ Order No. (77) of the year 1994 was issued as relating to the equivalence of the bachelor's degree in Islamic and Arabic studies issued by the college with the first university degree in Islamic studies.
- ◆ Later, order No. (55) of the year 1997 was issued concerning the equivalence of the bachelor's degree in Arabic language granted by the College of Islamic and Arabic Studies in Dubai with the first university degree in this specialization.
- ◆ On 24/5/2017, the Board of Trustees, decided to open the doors for enrollment in graduate studies for male students, specializing in Shari'a and Arabic for the academic year 2017-2018.
- ◆ The Bachelor of Library Sciences and Information program has been accredited in 2020.
- ◆ The college celebrated the first graduating batch on the 23rd Sha'ban 1412 AH, 26th December 1992 AD under the patronage of his Highness Sheikh Maktoum Bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister and Ruler of Dubai (may Allah have mercy on him).
- ◆ The College celebrated the graduation of the second batch of male students and its first female batch on 29/10/1413 AH, 21/4/1993 AD.
- ◆ Since its establishment in the academic year 1406/1407 AH, 1986/1987 AD till this issue, the number of the graduates reached students a total of 13699: 10978 females and 2721 males.

### **2. Post Graduate Program:**

- ◆ The post-graduate program was established in the academic year 1995/1996 AD to award the candidates the master's degree in Islamic Studies/Shari'a and Arabic Language and Literature. This was followed by implementing Doctoral Program in Fiqh/Jurisprudence, which launched in 2004/2005 AD.
- ◆ Starting from the year 2007/2008, The university began the doctoral program in Arabic language and literature in the two sub-majors: literature and criticism and and language and grammar.
- ◆ On February 24, 2017, the Mohammed Bin Rashid International Center for Endowment Consultation awarded the university Dubai Endowment Mark.

### **Re-accreditation of master's and doctoral programs; The university granted:**

- ◆ Master's degree in Literary and Critical Studies.
- ◆ Master's degree in Linguistics studies.
- ◆ Master's degree in Fiqh and its Fundamentals.
- ◆ Doctor of Philosophy in Islamic Jurisprudence and its Foundations.
- ◆ Doctor of Philosophy in Arabic Literary and Critical Studies.
- ◆ Doctor of Philosophy in Arabic Linguistic Studies.
- ◆ The total number of male and female graduates in postgraduate studies up to the date of issue of the issue, (396) students; Among them, (263) graduates with a master's degree and (133) graduates with a doctorate.

### **The Second Stage:**

The name of the (College of Islamic & Arabic Studies) has been changed according to the ministerial decision No. 107 for the year 2019 into (Al Wasl University) which also received several updates in:

### **Vision:**

Al Wasl University aspires to be a leading regional and global institution offering outstanding programs, approaches, and scientific research.

**Mission:**

Al Wasl University seeks to provide non-profit programs of high quality in bachelor's and postgraduate studies to qualify specialized cadres for the local and regional labor market, strengthen research capabilities, develop creative thought, and develop community partnership in a university environment characterized by originality, modernity, and innovation

**Board of Trustees:**

The Board of Trustees supervises the general affairs of the university and directs it to achieve its objectives. The board, in addition to its Chairman (the founder of the university), includes a number of distinguished figures who combine knowledge, opinion, and experience, representing scientific, social, economic, and administrative sectors in the United Arab Emirates.

**University Colleges:**

**The university includes the following colleges:**

- ◆ College of Islamic Studies.
- ◆ College of Arts.
- ◆ College of Management.

**Study Program:**

- ◆ The duration of the study to gain the bachelor's degree is (four years) for the holders of the secondary school certificate of Shari'a or general secondary school in its branches: scientific and literary or its equivalent.
- ◆ Study at the university is based on the semester system with credit hours.
- ◆ The student should commit to attend and follow-up the determined courses and researches.
- ◆ The study duration of the master's program is two years and the Ph.D. program is of three years, with a preparatory year included in both.

**Scientific Research and Community Engagement:**

The scientific research at the university is based on stable factors and fundamentals, including:

1. Conferences: The University holds a number of annual, internationally- refereed conferences such as:
  - ◆ The International Scientific Symposium in Al-Hadith Al-Sharif. It is held every 2 years. Its twelfth version was in 2025 AD.
  - ◆ The International Arabic Language Conference. It occurs every two years, the third conference was held in 2024 AD.
  - ◆ The International Islamic Studies Conference. It occurs every two years. the second conference was held in 2024 AD.
  - ◆ The International Conference for Post-Studies. It also runs every two years, the Third conference was held in 2023 AD.
  - ◆ The International Conference for Library and Information Science. It also runs every two years, the First conference was held in 2025 AD.
  - ◆ The International Linguistics Conference is held every two years. The Third conference is held in May 2025 AD.
  - ◆ The International Conference on Narratives is held every two years, the second conference was held in 2024 AD.
2. Refereed Journals: Al Wasl University publishes three refereed scientific journals, which are:
  - ◆ Al-Wasl University Journal, a bi-annual journal.
  - ◆ Thought and Knowledge Journal, issued by the Faculty of Arts once a year.
  - ◆ Al-Mawiyil Journal, issued by the College of Islamic Studies, once a year.
3. The Scientific Book: The University issues the scientific books, and it has two branches:
  - ◆ The Scientific Book (as a study reference) published 35 books.
  - ◆ The Scientific Book (Books were not intended for study purposes).
4. The project of printing outstanding theses and dissertations: The University is keen to offer free printing and distribution services of unique academic publications.
5. Digital Library open access on the university's website.

## Subscription Slip

We would like to subscribe in Al Wasl University Journal, for the period of .....

..... years, starting from .....

- Name in full: .....

- Address: .....

- Telephone: .....

- Email: .....

- Fees: .....

## Subscription Fees

Source	Period		Fees		
	Year	Copies	Institutions	Individuals	Students
Inside UAE	One year	2	100 AED	80 AED	50 AED
	Two Years	4	200 AED	150 AED	100 AED
Outside UAE	One Year	2	50 \$	40 \$	30 \$
	Two years	4	100 \$	80 \$	60 \$

### Method of Payment:

- Inside the UAE: Cash deposit at the Journals office at the University Campus, or bank transfer.

- Outside the UAE: Bank transfer to:

- Al Wasl University.

### Dubai Islamic Bank - Dubai

IBAN No. : AE030240001520816487801

The deposit slip should be sent to this address:  
Editor in chief of Al Wasl University Journal,  
PO Box: 34414 Dubai - United Arab Emirates - Telephone: 0097144128717  
Email: awuj@alwasl.ac.ae

## Rules of Publishing

### First:

The Journal of the Al Wasl University publishes original or translated scientific research in Arabic, English or French . The research presented to the journal must be original, genuine in its theme, objective in nature, comprehensive, of academic novelty and depth, and does not contradict Islamic values and principles. The research papers will be published after being evaluated by referees from outside the editorial board, according to the standard academic rules.

### Second:

All research work presented for publication in the journal must comply with the following conditions:

1. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
2. All researches must following the journal publication rules.
3. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
4. The journal accepts unpublished sections of theses.
5. The researcher does not have the right to publish his research elsewhere or present it for publication unless he receives a written permission from the editor in chief of the journal.
6. Research which embodies Quran quotes or Prophetic sayings (Ahadith) is required to be properly marked and foot-noted.
7. The research must be word-processed using Word 2010, single- spaced, font size 16, with a minimum of 20 pages (about 5000 words) and a maximum of 30 pages (about 7500 words). In case the research paper exceeds 30 pages, an amount of 20 AED is to be charged for every extra page.
8. For international publication, a Soft copy of the research (Word 2010) should be submitted with research's name (both in English and Arabic) and his occupation/title, as per the provided form.
9. An Arabic abstract of 120 words as well as an English one (150) words, should be added. Abstracts should include research objectives, problem, methodology and final conclusion. Five key words, at least, should be included.

10. A list of works cited and Bibliography should be added, as translated into English for international publication.
11. Tables, figures and additional illustrations referred to should be numbered referenced as per their relevance in the body of the research. They are to be indexed properly and included in a separate annex section.
12. The following methodology should be implemented in the documentation process:
  - ◆ Works cited should be sequenced by order and indicated parenthetically in the text of the research. They are to be foot-noted, as per their occurrence on a page.
  - ◆ When a reference is cited for the first time, full citation details are to be added as such: Author's name, Book name, editor or translator's name (if any), publishing house, country, edition number (if any), and date (if any). For referencing papers taken from periodicals, Author's name, title, journal/periodical name, issuing body, country, volume number, date and pages in the journal/periodical.
  - ◆ When the reference is mentioned for the second time, an indication of the author/reference name is to be included. If same reference is quoted twice in a row, an Ibid mark is to be indicated.
  - ◆ Explanations and footnotes are to be preceded by an asterisk\*.
  - ◆ List of works cited/bibliography should be included, following typical referencing rules.
13. Researcher is committed to doing all the modification suggested by the committee of reviewers and provide the journal with the revised version along with the modification/ Errata report.
14. The journal only accepts proofread papers. All papers must be proofread.

**Third: Other Rules:**

1. The texts should be provided in both source language and the new target language.
2. Two abstracts (1 Arabic, the other in English or French) should be added. The abstract should be of no more than 120 words with key words being indicated.
3. The translated material should be audited or published previously in a reputed magazine.
4. The translated material should be of at least 7 pages (A4) and up to 20, of no more than 6000 words.
5. The translated material should be a non-forced one, with no ellipsis or translation loss, unless for translation necessity.
6. Text should be cohesive and coherent.

7. Upon the first mention of the original author, full citation of the author should be indicated.
8. The translation should be preceded by a brief introduction that indicated topic importance, significance and results.

**Fourth:**

1. Published points of view do represent their owners. They do not, by any means, represent the journal.
2. Submitted papers are to be kept under the possession of the journal, either published or not.
3. Publication is subject to many factors, e.g. Versatility of topics and universities.
4. The journal has all right to make superficial modification on the research, without affecting its content.
5. The journal has the right to publish approved researches in periodicals and other journals.
6. After the publication, the research can have a PDF copy of the volume in which his research has been published.

**Fifth: Publication Fees:**

- ◆ As a contribution from Al Wasl University Journal to enriching the research movement in the United Arab Emirates in particular, and all Arab and Islamic countries in general, the magazine does not bear researchers any fees, except for what was previously mentioned previously.
- ◆ All correspondence should be sent to the following address:

**Editor in Chief, Journal of the Al Wasl University,  
P.O. Box 34414 - Dubai, United Arab Emirates  
Tel: 00-971-4-4128717 - Fax: 00-971-4-3964388  
Email: awuj@alwasl.ac.ae**

# Contents

- **PREFACE**  
Editor in Chief ..... 19-20
- **Scientific Research and Innovation in the Humanities**  
General Supervisor ..... 21-22
- **Articles** ..... 23
- **Impact of Covid-19 Pandemic on Financial Transactions -  
A comparative jurisprudence study with UAE Civil Law  
(Service Contract As A case)**  
Dr. Yousif Ahmed Omar Badabyan ..... 25-68
- **Insights of the Holy Quran to the provisions of the homelands**  
Dr. Abdallah Ali Abdelrahman Abu AlSuod ..... 69-102
- **An Islamic Law-based Foundational Perspective to the  
Use of Artificial Intelligence Technologies  
A Contemporary Islamic Approach**  
Dr. Lamyaa Mohamed Abdel Fattah Gad ..... 103-134
- **Imagination of the (matyya); its substitutions and its role  
in the journey (Rihla) of the ancient Arab poet From the  
Camel of Tarfa to the Wine of Abu Nuwas**  
Dr. Mohamed Maztouri ..... 135-172
- **Interpretation of Holy Qur'an in the speeches of senior  
religious scholars in the Kingdom of Saudi Arabia;  
Al-Saadi, Ibn Uthaymeen and Al-Fawzan as a sample**  
Dr. Hamdan bin Lavi bin Jaber Al-Anzai ..... 173-208

- **An Interpretive Study of the Verses that Include the Almighty’s Saying (And Who Is More Unjust)**  
Dr. Samiah Bint Atiyatullah Almaabdi ..... 209-286
  
- **The Question of 'Maqwalah' in the Arabic Lexicon  
A Conception in Light of Cognitive Linguistics**  
Dr. Abdulrahman Hassan A Albariqi ..... 287-312
  
- **The Messenger Industry according to The Honorable Judge  
(526-596 AH) Study in style**  
Dr. Saad Abd Allah Jibril Meqdad ..... 313-350
  
- **The Component of Prosody in the Rhetorical Analysis of Poetry**  
Dr. Attaouil Hassan ..... 351-376
  
- **The Position of Some Arab Laws on Adjustments to  
Construction Contracts - An Applied Jurisprudential Study**  
Dr. Khalid Bin Saleh Bin Hmoud Al-Luhaidan ..... 377-436

## PREFACE

**Editor in Chief: Prof. Ziad Ali Da'ih Al-Fahdawi**

**In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful**

All praise is due to Allah, the Lord of the worlds, and may peace and blessings be upon the best of messengers, our Master Muhammad, and upon his pure family and companions. To proceed:

The Editorial Board of Al Wasl University Journal is pleased to present to researchers and those interested in academic affairs and scientific research Issue No. 70, which includes a collection of distinguished research papers across various fields of knowledge, including Islamic studies and Arabic language and literature.

This is a peer-reviewed academic journal that adopts a rigorous and confidential review process. It aims to support interdisciplinary studies in the humanities and social sciences and seeks to distinguish itself as a leading scholarly platform in a globally competitive environment—serving as a thought forum for researchers from all around the world. The journal is published biannually in both print and digital formats and accepts research papers in both Arabic and English. The editorial board is committed to maintaining high standards of quality and originality in the research it publishes. The continued publication of this refereed academic journal for over three decades is a clear indicator of its success and influence in the academic community.

**This issue contains ten robust research papers in the various fields of the humanities, as follows:**

1. The Impact of the COVID-19 Pandemic on Financial Transactions: A Comparative Jurisprudential Study with the UAE Civil Transactions Law (Lease Contracts as a Model).

This research examines ways to reduce rental disputes brought on by COVID-19 preventative measures, talks about the decision to terminate leases when benefits cannot be received, and examines the legal ramifications of staff layoffs and cancelled flights because of the pandemic.

2. Qur'anic Indications Concerning the Rulings of Nations.

The study highlights Qur'anic references related to succession on Earth, opposition to prophets by nations, financial and penal rulings, as well as loyalty, disavowal, and jihad for the sake of Allah.

3. The Islamic Foundation for the Use of Artificial Intelligence Technologies: A Contemporary Vision.

It outlines the concept and characteristics of AI, the Islamic legal basis for its use, ethical standards, and key contemporary examples of AI serving humanity.

4. The Imagination of the Mount: Its Substitutes and Role in the Journey of the Classical Arab Poet - From Tarafa's Camel to Abu Nuwas's Wine

The research discusses the importance and centrality of the "mount" in pre-Islamic poetry, its transformations through the ages, and how poets preserved its conceptual presence despite changes in representation.

5. Qur'anic Exegesis in the Sermons of Leading Scholars in Saudi Arabia - A Study of Al-Sa'di, Ibn Uthaymeen, and Al-Fawzan

The study explores how prominent scholars approached Qur'anic interpretation in Friday sermons and their methodologies in delivering exegesis.

6. An Analytical Tafsir Study of the Verses Containing the Phrase 'And Who is More Unjust'

The study collects and interprets Qur'anic verses that include the phrase, identifying those deemed most unjust in the Qur'an, their crimes, and the profound lessons contained within these verses.

7. The Question of Categoriality in the Arabic Lexicon: A Cognitive Linguistics Perspective

Aiming to contribute to Arabic lexicography, this study utilizes insights from cognitive linguistics to address structural and conceptual aspects of the lexicon.

8. The Art of Correspondence in the Writings of Al-Qadi Al-Fadil (526-596 AH): A Stylistic Study

This study sheds light on Al-Qadi Al-Fadil's administrative and leadership roles through his literary correspondence, analyzing his stylistic diversity and persuasive power during critical periods in Islamic history.

9. The Role of Prosody in the Rhetorical Analysis of Arabic Poetry

This article integrates prosodic elements into rhetorical analysis to better understand the overall eloquence of poetic texts.

10. The Position of Certain Arab Laws on Amendments in Construction Contracts: A Jurisprudential Applied Study

The paper investigates how various Arab legal systems approach modifications in construction contract terms from both legal and Islamic jurisprudential perspectives.

The journal extends its sincere thanks and appreciation to the esteemed researchers who enriched this issue with their contributions, and to the scholars who peer-reviewed and evaluated the research with precision and academic integrity - upholding the scientific stature of Al Wasl University as one of the oldest academic institutions in the United Arab Emirates.

## **Supervisor's Word:**

### **Scientific Research and Innovation in the Humanities**

**By the General Supervisor: Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman**

The United Arab Emirates celebrates World Creativity and Innovation Day on April 21st, as designated by the United Nations. Over the years, the UAE has worked to prepare new generations of innovators and creative across various fields, launching numerous initiatives to achieve its strategic goals in this regard through a number of scientific and cultural institutions.

Despite the widespread belief that innovation and creativity are only found in industries, technology, and applied sciences - generally linked to factories, medical and scientific labs, tech firms, and artificial intelligence - the concept of innovation in the humanities is frequently ambiguous. It is frequently unclear how it relates to scientific research.

Innovation and scientific research have a dynamic and complimentary relationship. The main goals of scientific inquiry are knowledge production and discovery as well as the rigorous scientific interpretation of diverse events. It also offers the fundamental information required to tackle the most important problems that humankind is now experiencing. These knowledge bases serve as the cornerstones for creativity and the creation of novel solutions. Innovation, in turn, is the process of transforming the ideas generated by research into new methods with market value or a role in addressing current challenges. In this sense, innovation takes research out of university and research institutions and into the real world by adopting new and novel ideas. In doing so, innovation stimulates scientific research and prevents it from stagnating in traditional thinking. The ultimate goal of promoting both is to improve quality of life, achieve environmental sustainability, and contribute to societal advancement, which in turn strengthens national economies.

If we examine this complementary and interactive relationship between scientific research and innovation in the humanities, we will notice that research supports creative innovation, albeit through methods that differ from those in applied sciences. In the humanities, the focus is not on inventing devices, tools, programs, or applications, but rather on understanding the human being more deeply and preserving cultural and societal identity. This, in turn, nourishes innovation and creativity by developing new solutions to contemporary societal and cultural challenges—such as innovating educational and social policies, creating cultural and artistic content, and developing more effective communication methods with audiences. Examples include mental health campaigns based on social psychology research and new mechanisms for fostering harmony and understanding between cultures through philosophy and anthropology. Research in the humanities also helps understand the needs of different social groups, which can lead to the design of culturally sensitive

services and products that reflect the psychological and cultural diversity within society.

The intimate connection between language and creativity is evident. Innovation starts with an idea, and language shapes and forms ideas. Research in linguistics can aid in the development of voice assistants, machine translation, and studies to enhance AI applications that are culturally sensitive. This facilitates the exchange of information and creativity between countries and encourages academics from other nations to collaborate on innovative projects.

Scientific research also plays a role in studying social phenomena such as cultural shifts, societal habits, values, and the identities of peoples. These studies can lead to innovative solutions to social challenges, such as cultural integration and identity preservation.

In the field of history, scientific research can contribute to innovative ways of engaging with the past - such as using modern technology to reconstruct historical sites, offering enriched educational experiences.

Philosophical research, for its part, helps develop critical thinking and stimulate intellectual creativity and innovation - such as studies on the ethics of artificial intelligence, which can lead to the creation of legal systems that ensure the safe and ethical use of AI programs and smart devices.

On the other hand, the accumulation of innovations can also support scientific research and guide it toward new and unconventional areas through modern technologies and novel innovations. This expands the boundaries of knowledge and enables its production in the Arab world - for example, developing and enhancing new technologies for collecting and analyzing data, as seen in big data - driven AI programs, which help speed up reaching more accurate results and deeper interpretations.

Innovation also contributes to stimulating interdisciplinary research, fostering integration across fields - such as combining psychology, education, and linguistics to develop new teaching methods. Integrating psychology and media studies, for instance, can lead to a better understanding of how modern communication technologies affect social interaction, resulting in innovative educational programs that strengthen relationships in digital communities.

Through the examples discussed, it has become clear that there is a dynamic and complementary relationship between scientific research and innovation. This highlights the university's role in fostering scientific research and encouraging innovation by activating research teams that collaborate with influential community institutions to implement innovations that benefit society and fulfill the aims of scientific inquiry.

UNITED ARAB EMIRATES

AL WASL UNIVERSITY - DUBAI



# Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

Issue No. 70



Dhu al-Qa'dah / June  
1446 H / 2025 CE



[awuj@alwasl.ac.ae](mailto:awuj@alwasl.ac.ae)



[www.alwasl.ac.ae](http://www.alwasl.ac.ae)